مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

السلام علیک یا صاحب الزمان

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء الرابع

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۴

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين علیه السلام و أوامره

و من خطبه له علیه السّلام و هی الثامنه

اشاره

بسم اللّه الرحمن الرحيم

و العشرون من المختار فی باب الخطب

و رواها فی البحار من کتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحه، و من إرشاد الدّیلمی بتغییر تطلع علیه.

أمّا بعد فإنّ الدّنیا قد أدبرت و آذنت بوداع، و إنّ الآخره قد أقبلت و أشرفت باطّلاع، ألا و إنّ الیوم المضمار و غدا السّباق، و السّبقه الجنّه، و الغایه النّار، أفلا تائب من خطیئته قبل منیّته؟ ألا عامل لنفسه قبل یوم بؤسه؟ ألا و إنّکم فی أیّام أمل من ورائه أجل، فمن عمل فی أیّام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله و لم یضرّه أجله، و من قصّر

فی أیّام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله و ضرّه أجله، ألا فاعملوا فی الرّغبه کما تعملون فی الرّهبه، ألا و إنّی لم أر کالجنّه نام طالبها، و لا کالنّار نام هاربها، ألا و أنّه من لا ینفعه الحقّ یضرّه الباطل، و من لا یستقیم به الهدی یجرّ به الضّلال إلی الرّدی، ألا و إنّکم قد أمرتم بالظّعن و دلّلتم علی الزاد، و إنّ أخوف ما أخاف علیکم اتّباع الهوی و طول الأمل، فتزوّدوا فی الدّنیا من الدّنیا ما تجهزون «تحرزون خ» به أنفسکم غدا. قال الرضیّ «قد» أقول: لو کان کلام یأخذ بالأعناق إلی الزّهد فی الدّنیا و یضطرّ إلی عمل الآخره، لکان هذا الکلام، و کفی به قاطعا لعلایق الآمال، و قادحا زناد الاتعاظ و الازدجار، و من أعجبه قوله علیه السّلام:ألا و إنّ الیوم المضمار و غدا السّباق و السّبقه الجنّه و الغایه النّار،فانّ فیه مع فخامه اللّفظ و عظم قدر المعنی و صادق التمثیل و واقع التّشبیه، سرّا عجیبا و معنی لطیفا، و هو قوله علیه السّلام:

و السّبقه الجنّه و الغایه النّار، فخالف بین اللّفظین لاختلاف المعنیین، و لم یقل:

السّبقه النّار کما قال: و السّبقه الجنّه. لأنّ الاستباق إنّما یکون إلی أمر محبوب و غرض مطلوب، و هذه صفه الجنّه، و لیس هذا المعنی موجودا فی النّار نعوذ باللّه منها فلم یجز أن یقول: و السّبقه النّار، بل قال: و الغایه النار، لأنّ الغایه قد ینتهی إلیها من لا یسرّه الانتهاء و من یسرّه ذلک، فصلح أن یعبرّ بها عن الأمرین معا. فهی فی هذا الموضع کالمصیر و المآل قال اللّه تعالی:«قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِیرَکُمْ إِلَی النّارِ »و لا یجوز فی هذا الموضع أن یقال: سبقتکم بسکون الباء إلی النّار فتأمّل ذلک، فباطنه عجیب و غوره بعید لطیف، و کذلک أکثر کلامه علیه السّلام.

ص:۳

و قد جاء فی روایه اخری و السّبقه الجنّه بضمّ السّین، و السبقه عندهم اسم لما یجعل للسّابق إذا سبق من مال أو عرض، و المعنیان متقاربان لأنّ ذلک لا یکون جزاء علی فعل الأمر المذموم، و إنما یکون جزاء علی فعل الأمر المحمود.

اللغه

(آذنت) بالمدّ أی أعلمت من الأذان بمعنی الاعلام قال سبحانه: «و أذان من اللّه و رسوله» و (أشرف) علیه اطلع من فوق و (الاطلاع) هو العلم یقال طلع علی الأمر طلوعا علمه کاطلعه علی افتعل و ضمّر الخیل تضمیرا علفها القوت بعد السّمن کأضمرها و (المضمار) الموضع یضمر فیه الخیل، و غایه الفرس فی السّیاق و (السّباق) هو المسابقه و (السّبقه) بالضمّ الخطر یوضع بین أهل السّباق کما ذکره السیّد «ره» و (البؤس) الشدّه و (ظعن) ظعنا و ظعنا بالسّکون و التّحریک من باب نفع سار و ارتحل و (تجهزّت) الأمر کذا تهیّأت له و جهاز المیّت و العروس و المسافر بالکسر و الفتح ما یحتاجون إلیه.

الاعراب

المضمار و السّباق وردا بالرّفع و النّصب أمّا رفع المضمار فعلی کونه خبر انّ و الیوم اسمها، و أمّا نصبه فعلی کونه اسما و الیوم خبرا.

و أورد بأنّه یلزم الاخبار عن الزّمان بالزّمان، إذا المضمار زمان و الیوم کذلک فلو اخبر عنه بالیوم فکان ذلک اخبارا بوقوع الزّمان فی الزّمان، فیکون الزّمان محتاجا إلی زمان آخر و هو محال.

و اجیب بمنع استلزام الاخبار بالزمان عن الزّمان کون الزّمان محتاجا إلی زمان آخر إذ ربّما یخبر عن بعض أجزاء الزّمان بالزّمان لافاده الجزئیّه لا بمعنی حصوله فیه و المضمار لمّا کان عباره عن الزّمان الذی یضمر فیه الخیل، و هو زمان مخصوص لتقیّده بوصف مخصوص صحّ الاخبار عنه بالیوم.

و أمّا رفع السّباق فامّا علی کونه مبتدأ مؤخرا و غدا خبره و اسم انّ ضمیر شأن مستتر، أو علی جعله خبر انّ و یحتاج حینئذ إلی تقدیر المضاف أی غدا وقت

السّباق، و أمّا نصبه فعلى كونه اسم انّ و غدا خبرها، و هو واضح.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ المستفاد من شرح البحرانى أنّ هذه الخطبه من فقرات خطبه طويله خطب بها يوم الفطر و سيجىء أوّلها فى الكتاب، و هى الخطبه الرّابعه و الأربعون المصدّره بقوله: الحمد للّه غير مقنوط من رحمته، و نذكر تمامها هناك إنشاء اللّه بروايه الصّدوق فانتظر.

و إنّما قدّمها الرّضىّ عليها مع كونها بعدها، لما سبق من اعتذاره فى خطبه الكتاب من أنّه لا يراعى التّتالى و النّسق و انّما يراعى النّكت و اللمع، و كيف كان فمدار ما ذكره هنا على التّزهيد فى الدّنيا و التّرغيب فى الآخره فأشار أوّلا إلى عدم جواز الرّكون و الاعتماد على الدّنيا بقوله:

(أمّا بعد فانّ الدّنيا قد أدبرت و آذنت بوداع) و أشار بادبارها إلى تقضّى أحوالها الحاضره و شهواتها الموجوده لكلّ أحد شيئا فشيئا كما قال عليه الصّلاه و السّلام فى الدّيوان المنسوب إليه:

رأيت الدّهر مختلفا يدور فلا حزن يدوم و لا سرور

و قد بنت الملوك به قصورا فما بقى الملوك و لا القصور

و إنّما اطلق اسم الادبار على هذا التقضّى باعتبار أنّ اللذات الدّنيويّه لما كانت دائما فى التّغيّر و التقضّى المقتضى لمفارقه الانسان لها و بعدها عنه، لاجرم حسن اطلاق اسم الادبار عليه تشبيها لها بالحيوان المدبر، و لما كانت مفارقه الانسان عنها مستلزمه لأسفه عليها و وجده بها، أشبه ذلك ما يفعله الانسان فى حقّ محبوبه المرتحل عنه فى وداعه له من الحزن و الكابه، فاستعير اسم الوداع له و كنى باعلامها بذلك عن الشّعور الحاصل بمفارقتها من تقضّيها شيئا فشيئا و هو اعلام بلسان الحال.

ثمّ نبّه على وجوب الاستعداد للآخره بدنوّها من الانسان بقوله:(و انّ الآخره قد أقبلت و أشرفت باطلاع)و مثله قال لقمان لابنه و هو يعظه: يا بنىّ إنك منذ سقطت إلى الدّنيا استدبرتها و استقبلت الآخره، فدار أنت إليها تسير أقرب إليك

ص:۵

من دار أنت عنها متباعد.

و قال الشّارح البحرانی: و لمّا كانت الآخره عباره عن الدّار الجامعه للأحوال التی یكون الانسان علیها بعد الموت من سعاده و شقاوه و لذّه و ألم، و كان تقضّی العمر مقرّبا للوصول إلى تلك الدّار و الحصول فیما یشتمل علیه من خیر أو شرّ، حسن إطلاق لفظ الاقبال علیها مجازا ثمّ نزّلها لشرفها على الدّنیا فی حال إقبالها منزله عال عند سافل فأسند إلیها لفظ الاشراف، و لأجل إحصاء الأعمال الدّنیویه فیها منزله عالم مطلع فاطلق علیها لفظ الاطلاع.

أقول: و الى هذا المعنى اشیر فی الحدیث القدسی: یابن آدم الموت یكشف أسرارك و القیامه یتلو أخبارك، و الكتاب یهتك استارك الحدیث.

ثمّ نبّه على وجوب التهیّأ بذكر ما یسیر إلیه و هو الجنّه و ما یصار إلیه و هو النّار بقوله:(ألا و إنّ الیوم المضمار و غدا السّباق)أراد بالیوم مدّه العمر الباقیه و أطلق اسم المضمار علیها باعتبار أنّ الانسان فی تلك المدّه یستعدّ بالتّقوى و العمل الصالح للسّبقه إلى لقاء اللّه و التّقرّب إلى حضرته كما أنّ الفرس یستعدّ بالتّضمیر إلى سبق مثله.

و كنى بالغدعمّا بعد الموت و أطلق اسم السباق علیه باعتبار أنّ أفراد النّاس لمّا كانت متفاوته فی حبّ الدّنیا و الاعراض عنها، و ذلك التّفاوت كان موجبا للقرب و البعد و السّبق و اللحوق فی الدار الآخره، فكان السّباق هناك.

بیان ذلك أنّ من كان أكثر استعدادا و أقطع لعلایق الدّنیا عن قلبه لم یكن له بعد الموت عایق عن الوصول إلى اللّه و مانع عن إدراك رضوان اللّه.

و من اشرب قلبه حب الدّنیا و افتتن بها لا یمكن له الوصول الى درجات السّابقین الأوّلین و النیل الى مراتب المقرّبین، و من كان أقلّ استعدادا من هؤلاء و أشدّ علاقه للدنیا، كان من التّالین المقصّرین كما قال علیه السّلام فی بعض كلماته السّالفه:

ساع سریع نجی و طالب بطیء رجی و مقصّر فی النّار هوى و السّبقه الجنّه یستبق الیها السّاع السّریع و الغایه النّار یصیر الیها التّالی الوضیع.

ص:۶

ثمّ أمر بـالتّوبه قبل الموت و إدراک الفوت بقوله:(أ فلا تائب من خطيئته قبل منيّته) إذ بالتّوبه يتخلى النّفس عن الرذائل و تستعدّ للتّحليه بالفضايل، فلا تنتظروا بالتّوبه غدا فانّ دون غديو ما و ليله قضاء اللّه فيها يغدو و يروح.

و «إِنَّمَا التَّوْبَهُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجهالَهٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِکَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً وَ لَيْسَتِ التَّوْبَهُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَ لاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفّارٌ أُولئِکَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً ».

(أ لا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه) عملا ينجيه من البأس و العذاب و يفضيه إلى الرّاحه و حسن الثّواب، و هو الاتيان بالطاعات و الانتهاء عن المنهيّات.

(ألا و إنكم فى أيّام أمل من ورائه أجل فمن عمل) لنفسه (فى ايّام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله) الذى اكتسبه (و لم يضرّه أجله) الذى حلّ به، و يكون حاله بعد موته حال الغايب الذى قدم على وطنه و أهله (و من قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله) و فرط فى طاعه ربه و التّزود لآخرته (فقد خسر عمله) الذى عمله (و ضرّه أجله) الذى حلّه و يكون حاله بعد موته حال الآبق الذى قدم به على مولاه.

و قريب من هذا المضمون كلامه عليه السّلام المروىّ فى البحار عن كتاب اعلام الدّين قال: النّاس فى الدّنيا عامل فى الدّنيا للدّنيا قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلفه الفقر و يأمنه على نفسه، فيفنى عمره فى منفعه غيره، و آخر عمل فى الدّنيا لما بعدها، فجائه له من الدّنيا بغير عمله فأصبح ملكا لا يسال اللّه شيئا فيمنعه.

(ألا فاعملوا فى الرّغبه كما تعملون فى الرّهبه) و هو تنبيه على وجوب التّسويه فى العمل بين حال الأمن و الخوف و حاله الرّخاء و الشدّه، و لا يكون ذلک إلاّ عن نيّه صادقه و عبوديّه خالصه و فيه إشعار بالتّوبه على الغفله عن ذكر اللّه و الاعراض عن عبادته فى حال اللذات الحاضره و الخيرات الواصله و اللجأ إليه و الفزع

منه عند الحوادث الهايله و المصايب النازله.

قال سبحانه: «وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ »(ألا و انّى لم أر) نعمه (كالجنّه نام طالبها و لا) نقمه (كالنّار نام هاربها) و فيه تنبيه للموقنين بالجنّه و النّار على كونهم نائمين فى مراقد الطبيعه ليتنبهوا منها و يستعدّوا بالعمل لما ورائهم من النّعم و النّقم.

و فيه شميمه التعجب من جمع الموقن بالجنّه و بين عمله بما فى الجنّه من تمام النّعمه و بين تقصيره عن طلبها بما يؤدّى إليها من صالح الأعمال و كريم الأفعال و من جمع الموقن بالنّار بين علمه بما فيها من تمام النّقمه و بين الغفله عن الهرب منها إلى ما يخلص عنها.

(ألا) و إنّ الحقّ كاسب للمنفعه و الباطل جالب للمضرّه (و إنّه من لم ينفعه الحقّ) لاعراضه عنه و عدم سلوكه سبيله (يضرّه الباطل) الذى وقع فيه و يستنصر به لا محاله (و من لا يستقم به الهدى) و نور العلم و العرفان (يجرّبه الضّلال) و ظلمه الجهل (الى الرّدى) و الخذلان.

يعنى أنّ من لم يكن الهدى دليله القائد له بزمام عقله فى سبيل اللّه و يستقم به فى سلوك صراطه المستقيم، فلا بدّ و أن ينحرف به الضّلال عن سواء الصراط إلى أحد جانبى التّفريط و الافراط.

(ألا و إنكم قد امرتم بالظعن) و الرّحيل و السّلوك إلى اللّه و السّعى الى رضوان اللّه (و دللتم على الزّاد) المقوّى على السّير و السّلوك و المهيّىء للوصول الى حظيره القدس، و هو التّقوى الذى هو مفتاح السّداد و ذخيره المعاد كما قال سبحانه و تعالى: «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى » (و إنّ أخوف ما أخاف عليكم) من امور الدّنيا اثنتان، احداهما (اتّباع الهوى) القائد إلى الرّدى (و) الثانيه (طول الأمل) الشّاغل عن الآخره (فتزوّدوا فى الدّنيا من الدّنيا) بالعلم و العمل.

أمّا العلم فلأنّ الاستكمال به إنّما يحصل بواسطه هذا البدن إما بوساطه

الحواسّ الظاهره أو الباطنه و تفطن النفس لمشاركات بين المحسوسات و مبايناتها و ظاهر أنّ هذا من الدّنيا فى الدّنيا.

و أما العمل فلأنّه عباره عن حركات و سكنات مستلزمه لهيئات مخصوصه و هى إنّما تحصل بواسطه هذا البدن أيضا، و كلّ ذلك من الدّنيا فى الدّنيا، و كيف كان فهما زادان موصلان إلى اللّه سبحانه فليتزوّد منهما (ما تحرزون به أنفسكم غدا) و تحفظونها من عذاب النّار و من غضب الجبار.

تكمله

قد أشرنا إلى أنّ هذه الخطبه مرويه فى البحار من كتاب مطالب السّؤول و من إرشاد المفيد، و لمّا كان روايه الارشاد مختلفه لروايه السّيد أحببنا ذكرها.

فأقول: قال فى الارشاد: من كلام أمير المؤمنين ما اشتهر بين العلماء و حفظه ذووا الفهم و الحكماء: أما بعد فانّ الدّنيا قد ادبرت و آذنت بوداع، و إنّ الآخره قد أقبلت و أشرفت باطلاع ألا و إنّ المضمار اليوم و غدا السّباق، و السّبقه الجنه و الغايه النار ألا و إنكم فى أيّام مهل من ورائه أجل يحثّه عجل فمن أخلص للّه عمله لم يضرّه امله، و من أبطأ به عمله فى أيام مهله قبل حضور أجله فقد خسر عمله و ضرّه أمله.

ألا ـ فاعملوا فى الرّغبه و الرّهبه فان نزلت بكم رغبه فاشكروا للّه و اجمعوا معها رهبه، و إن نزلت بكم رهبه فاذكرو اللّه و اجمعوا معها رغبه، فانّ اللّه قد تأذن للمحسنين بالحسنى و لمن شكر بالزّياده و لا كسب خير من كسبه ليوم تدّخر فيه الذخائر و يجمع فيه الكباير و تبلى فيه السّرائر.

و إنّى لم أركالجنّه نام طالبها و لا مثل النّار نام هاربها، ألا و إنّه من لا ينفعه اليقين لضرّه الشّك، و من لا ينفعه حاضر لبّه و رأيه فغائله عنه أعجز، ألا ـ و إنكم قد أمرتم بالظّعن و دللتم على الزّاد و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى و طول الأمل، لأن اتباع الهوى يضدّ عن الحقّ و طول الأمل ينسى الآخره.

و إنّ الدّنيا قد ترحلت مدبره و انّ الآخره قد ترحلت مقبله و لكلّ واحد منهما بنون

فکونوا ان استطعتم من أبناء الآخره و لا تکونوا من أبناء الدّنیا، فانّ الیوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل

تزهید و ترغیب

فی ذکر طایفه من الأحادیث المنبّهه عن نوم الغفله و المزهّده عن الدّنیا المرّغبه فی الآخره.

مثل ما رواه محمّد بن یعقوب الکلینی عطر اللّه مرقده باسناده عن محمّد بن مسلم بن عبید اللّه قال: سئل علیّ بن الحسین علیهما السّلام أیّ الأعمال أفضل عند اللّه عزّ و جلّ قال: ما من عمل بعد معرفه اللّه تعالی و معرفه رسول اللّه أفضل من بغض الدّنیا، فانّ لذلک شعبا کثیره و للمعاصی شعب فأوّل ما عصی اللّه عزّ و جلّ به الکبر معصیه ابلیس لعنه اللّه حین أبی و استکبر و کان من الکافرین.

ثمّ الحرص و هی معصیه آدم و حوّاء حین قال اللّه لهما: «فَکُلا مِنْ حَیْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَکُونا مِنَ الظّالِمِینَ » فأخذا ما لا حاجه بهما إلیه فدخل ذلک علی ذرّیتهما إلی یوم القیامه فلذلک ان أکثر ما یطلب ابن آدم ما لا حاجه به إلیه.

ثمّ الحسد و هی معصیه ابن آدم حیث حسد أخاه فقتله فتشعّب من ذلک حبّ النساء و حبّ الدنیا «الدینار خ ل» و حبّ الرّیاسه و حبّ الرّاحه و حبّ الکلام و حبّ العلوّ و حبّ الثروه فصرن سبع خصال فاجتمعن کلّهنّ فی حبّ الدّنیا فقالت الأنبیاء و العلماء بعد معرفه ذلک: حبّ الدّنیا رأس کلّ خطیئه و الدّنیا دنیا آن:

دنیا بلاغ و دنیا ملعونه.

و بهذا الاسناد عن المنقری عن حفص بن غیاث عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال فی مناجاه موسی علیه السّلام: یا موسی إنّ الدّنیا دار عقوبه عاقبت فیها آدم عند خطیئته و جعلتها ملعونه ملعون ما فیها إلاّ ما کان فیها لی، یا موسی إنّ عبادی الصّالحین زهد و افی الدّنیا بقدر علمهم و سایر الخلق رغبوا فیها بقدر جهلهم، و ما من أحد عظّمها

فقرّت عينه فيها و لم يحقّرها احد الّا انتفع بها.

و باسناده عن مهاجر الأسدى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: مرّ عيسى بن مريم على قريه قد مات أهلها و طيرها و دوابّها، فقال: أما انّهم لم يموتوا إلّا بسخطه و لو ماتوا متفرقين لتدافنوا.

فقال الحواريون: يا روح اللّه و كلمته ادع اللّه أن يجيبهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنتجنبها فدعى عيسى ربّه، فنودى من الجوّ: نادهم.

فقال عيسى بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القريه، فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح اللّه و كلمته فقال: و يحكم ما كانت أعمالكم؟ قال:

عباده الطاغوت و حبّ الدّنيا مع خوف قليل و أمل بعيد و غفله فى لهو و لعب.

فقال: كيف كان حبّكم للدّنيا؟ قال: كحبّ الصّبىّ لامّه إذا اقبلت علينا فرحنا و سررنا، و إذا أدبرت عنّا بكينا و حزنّا قال: كيف كان عبادتكم الطاغوت؟ قال: الطاعه لأهل المعاصى، قال: كيف كان عاقبه أمركم؟ قال: بتنا ليله فى عافيه و أصبحنا فى الهاويه.

قال: و ما الهاويه؟ قال: سجّين، قال: و ما سجّين: قال: جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامه، قال، فما قلتم و ما قيل لكم؟ قال: قلنا: ردّنا إلى الدّنيا فنزهد فيها قيل: لنا كذبتم قال: ويحك كيف لم يكلّمنى غيرك من بينهم؟ قال: يا روح اللّه و كلمته انّهم ملجمون بلجام من نار بأيدى ملائكه غلاظ شداد، و إنّى كنت فيهم و لم أكن منهم، فلما نزل العذاب عمّنى معهم، فأنا معلّق بشعره على شفير جهنّم لا أدرى اكبكب فيها أم أنجو منها.

فالتفت عيسى إلى الحواريّين فقال: يا أولياء اللّه أكل الخبز اليابس بالملح الجريش و النّوم على المزابل خير كثير مع عافيه الدّنيا و الآخره.

و عن ابن أبى يعفور قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام: يقول: من تعلّق قلبه بالدّنيا تعلّق بثلاث خصال: همّ لا يفنى و أمل لا يدرك و رجاء لا ينال.

و عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال علىّ بن الحسين عليهما السّلام: إنّ الدّنيا قد ارتحلت مدبره و إنّ الآخره قد ارتحلت مقبله، و لكلّ واحده منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخره و لا تكونوا من أبناء الدّنيا.

ألا و كونوا من الزّاهدين فى الدّنيا الرّاغبين فى الآخره، ألا إنّ الزّاهدين فى الدّنيا اتّخذوا الأرض بساطا و التراب فراشا و الماء طيبا، و قرضوا من الدّنيا تقريضا.

ألا و من اشتاق إلى الجنّه سلا من الشّهوات، و من أشفق من النّار رجع عن المحرّمات، و من زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب، ألا إنّ للّه عبادا كمن رأى أهل الجنّه فى الجنه مخلّدين، و كمن رأى أهل النّار فى النار معذّبين، شرورهم مأمونه و قلوبهم محزونه، أنفسهم عفيفه و حوائجهم خفيفه، صبروا أياما قليله، فصاروا بعقبى راحه طويله.

أمّا الليل فصافّون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون إلى ربّهم يسعون فى فكاك رقابهم و أمّا النّهار فحكماء علماء بره أتقياء، كأنّهم القداح قد بريهم الخوف من العباده ينظر إليهم النّاظر فيقول: مرضى و ما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النّار و ما فيها.

و من عيون أخبار الرّضا عن أبيه عن سعد عن ابن هاشم عن ابن المغيره قال:

سمعت الرّضا عليه السّلام يقول

انک فى دار لها مدّهيقبل فيها عمل العامل

الاترى الموت محيط بهايكذب فيها امل الآمل

تعجل الذنب بما تشتهيو تأمل التوبه فى قابل

و الموت يأتى اهله بغتهما ذاک فعل الحازم العاقل

الترجمه

:

از جمله خطب شريفۀ آن حضرتست كه تزهيد مى فرمايد در آن بندگان را

ص:١٢

از دنیا و ترغیب می نماید ایشان را در اخری و می فرماید:

پس از حمد خدا و درود بر خاتم انبیا پس بتحقیق که دنیا رو گردانیده و اعلام کرده بوداع و فراق، و بدرستی که آخرت رو آورده و مشرف شده است بظهور و اطلاع، آگاه باشید که امروز که زمان مدت عمر است وقت گداختن بدنست و ریاضات نفسانیه بأعمال صالحه، و فردا که روز قیامت است پیشی جستن است و ترقی نمودن در درجات عالیه، و پیش برد اهل آن سرا بهشت جاویدانست، و منتهای کار این سرا آتش سوزان.

پس آیا هیچ توبه کنندهٔ نیست از گناهان خود پیش از رسیدن مرگ؟ و آیا هیچ عمل کنندهٔ نیست پیش از روز سختی و شدت؟ آگاه باشید بدرستی که شما هستید در روزگار امیدواری که از عقب اوست مرگ و گرفتاری، پس هر که عمل کند در روزهای امید خود پیش از حضور اجل او پس بتحقیق که زیان نبخشد او را عمل او و ضرر نرساند او را اجل او.

آگاه باشید پس عمل نمائید در زمان فراغت و رغبت همچنان که عمل می کنید در زمان خوف و خشیت، بدانید و آگاه باشید بدرستی که من ندیدم نعمتی همچو بهشت که بخوابد طالب او، و نه نقمتی مانند آتش سوزنده که بخوابد گریزندهٔ او، بدانید بتحقیق کسی که سود نرساند او را حق و راستی زیان رساند او را باطل و ناراستی، و هر که براه راست نیارد او را هدایت بکشد او را گمراهی بچاه هلاکت.

آگاه باشید بدرستی که شما امر کرده شده اید برفتن جانب خداوند احدیت و دلالت کرده شده اید بر ذخیره و توشهٔ این طریقت، و بدرستی که ترسناك ترین چیزی که می ترسم بر شما متابعت خواهشات نفسانیه است، و درازی امید بزخارف دنیویه، توشه بر دارید در دنیا از دنیا آن مقداری که با آن چیزی که بتوانید نگه بدارید با آن نفسهای خود را فردا.

ص:۱۳

و من خطبه له علیه السّلام و هی التاسعه

اشاره

و العشرون من المختار فی باب الخطب

خطب بها فی غاره الضّحاک بن قیس علی ما تعرفها تفصیلا و قد رواها فی شرح المعتزلی من ثقه الاسلام محمّد بن یعقوب الکلینی و العلامه المجلسی فی البحار من امالی الشّیخ و ارشاد المفید، و الشیخ السعید أبو المنصور احمد بن علی الطبرسی فی کتاب الاحتجاج باختلاف کثیر تطلع علیه بعد الفراغ من شرح ما اورده السّید فی الکتاب و هو قوله أیّها النّاس المجتمعه أبدانهم المختلفه أهوائهم، کلامکم یوهی الصّم الصّلاب، و فعلکم یطمع فیکم الأعداء، تقولون فی المجالس کیت و کیت، فإذا جاء الجهاد قلتم حیدی حیاد، ما عزّت دعوه من دعاکم و لا استراح قلب من قاساکم، أعالیل بأضالیل، و سألتمونی التّطویل، دفاع ذی الدّین المطول لا یمنع الضّیم الذّلیل، و لا یدرک الحقّ إلّا بالجدّ أیّ دار بعد دارکم تمنعون، و مع أیّ إمام بعدی تقاتلون، المغرور و اللّه من غررتموه، و من فاز بکم فقد فاز بالسّهم الأخیب، و من رمی بکم فقد رمی بأفوق ناصل أصبحت، و اللّه لا أصدّق قولکم، و لا أطمع فی نصرکم، و لا أوعد العدوّ بکم، ما بالکم ما دوائکم ما طبّکم، القوم رجال أمثالکم، أقولا بغیر علم، و غفله «و عفّه خ» من غیر ورع، و طمعا فی غیر حقّ.

ص:۱۴

(الوهى) الضّعف و وهى الحجر و السقاء كوقى انشقّ و اوهاه شقّه و (الصمّ) و (الصّلاب) من أوصاف الحجر و الصخره الصماء التى ليس فيها صدع و لا خرق و(كيت و كيت)كنايه عن القول و (حيدى حياد) قال الشّارح المعتزلى كلمه يقولها الهارب الفارّ و هى نظير قولهم: فيحى فياح اى اتّسعى، و أصلها من حاد الشيء أى انحرف و قال الشّارح البحرانى حياد اسم للمغاره و المعنى اعدلى عنا أيتها الحرب، و يحتمل أن يكون من اسماء الأفعال كنزال فيكون قد امر بالتنحّى مرّتين بلفظين مختلفين.

أقول: قال نجم الأئمه الرّضيّ فعال المبنى على أربعه أضرب: الاول اسم فعل كنزال الثانى المصدر نحو لا مساس أى لامس الثالث الصّفه المؤنثه و لم يجىء فى المذكر و جميعها يستعمل من دون الموصوف و هى بعد ذلك على ضربين: إما لازمه للنّداء سماعا نحو يا لكاع اى لكعاء و يا فساق و يا خباث اى يا فاسقه و يا خبيثه و أما غير لازمه للنّداء و هى على ضربين.

أحدهما ما صار بالغلبه علما جنسيّا كاسامه و جعل من هذا القسم حلاق و جباذ للمنيه كانت فى الأصل صفه لكل ما تحلق عامه و تجبذأى تجذب ثمّ اختصّت بجنس المنايا و فشاش و صمام و حياد للداهيه لأنّها تفش اى تخرج ريح الكبر و تحيداى تميل سمّيت بها تفولا و تصم اى تشتدّه يقال فشاش فشيه من استه الى فيه اى اخرجى ريح الكبر منه من استه مع فيه و يقال حيدى حياد أى ارجعى يا راجعه و يقال صمّى صمام اى اشتدّى يا شديده اى زيدى فى الشّدّه و أبقى على شدّتک و فياح للغاره يقولون فيحى فياح اى اتّسعى يا متّسعه على تأويل صمّى صمام.

قال فهذه و امثالها أعلام للجنس بدليل وصفها بالمعرفه نحو حناذ الطالعه و لو لم يكن معارف لم يجز حذف حرف النّداء معها فى نحو فشاش فشيه و حيدى حياد.

و الضّرب الثّانى من غير اللاّزمه للنّداء ما بقى على وصفيّتها نحو قطاط اى قاطه، و لزام اى لازمه، و بداد اى متبدّده متفرّقه و الرابع الأعلام الشّخصيه و جميع ألفاظها مؤّنثه و إن كان المسمّى بها مذكرا ايضا نحو لصاف منزل من منازل بنى

تميم و خصاف فحل و حضار كوكب و ظفار مدينه و قطام اسم امرأه إلى آخر ما ذكره.

و قد لخّصناه بطوله لعدم اقتضاء المجال إلاّ ذكر هذا القدر و قد تحصل منه أنّ حياد علم جنس للداهيه فعلى ما ذكره بطل ما توّهمه الشّارح البحرانى من جعلها علما للغاره او اسم فعل كنزال.

و (عز) فلان بالزّاء المعجمه المشدّده قوى بعد ذله و (قاساه) كابده و (اعاليل) و (اضاليل) قال البحرانى: جمع أعلال و أضلال و هما جمع علّه اسم لما يتعلل به من مرض و غيره و ضله اسم من الضّلال و (المطول) كصبور كثير المطال، و هو تطويل الوعد و تسويفه و (الضيّم) الظلم، و فى بعض النّسخ بدل تمنعون تمتّعون على التّفعل بحذف إحدى التّائين أى تنتفعون و (الاخيب) أشدّ خيبه و هى الحرمان و (الافوق) السّهم المكسور الفوق و هو موضع الوتر منه و (النّاصل) الذى لا نصل فيه و (غفله) فى بعض النّسخ عفّه بدله.

الاعراب

كلمه كيت لا تستعمل إلا مكرره بواو العطف، و هى مبتيّه لوقوعها موقع الجمله الغير المستحقه للاعراب.

فان قيل: و كان يجب أن لا تكون مبتيّه كالجمل.

قيل: يجوز خلوّ الجمل عن الاعراب و البناء لأنهما من صفات المفردات و لا يجوز خلوّ المفرد عنهما فلما وقع المفرد ما لا إعراب له فى الأصل و لا بناء و لم يجز أن يخلو أيضا عنهما مثله بقى على الأصل الذى ينبغى أن تكون الكلمات عليه و هو البناء إذ بعض المبتيّات و هو الخالى عن التركيب يكفيه عريه عن سبب الأعراب فعريه عن سبب الاعراب سبب البناء كما قيل عدم العلّه علّه العدم.

فان قلت: إنّها وضعت لتكون كنايه عن جمله لها محلّ من الاعراب نحو قال فلان كيت و كيت أى زيد قائم مثلا و هى فى موضع النّصب.

ص:۱۶

قيـل: إنّ الاـعراب المحلى فى الجمله عـارض فلم يعتـد به و كيف كـان فبنائها على الفتـح أكثر لثقل الياء كما فى أين و كيف و لكونهـا فى الأـغلب كنـايه عن الجمله المنصوبه المحـل، و يجوز بنائهـا على الضمّ و الكسـر أيضـا تشبيهـا بحيث و جير و حياد و امثالها مبنيّه على الكسر.

قال نجم الأئمه الرّضـىّ: و أمّا الأعلام الجنسيه فكان حقّها الاعراب لأنّ الكلمه المبنيّه إذا سمى بها غير ذلك اللفظ وجب إعرابها كمـا يسـمّى بـاين شـخص لكنّهـا بنيت لأـنّ الأعلاـم الجنسيّه أعلام لفظيه، فمعنى الوصف باق فى جميعها إذ هى أوصاف غالبه انتهى.

و فى اسـناد عزت إلى الـدّعوه توسع، و أعاليل خبر مبتـدأ محـذوف، و بأضاليل متعلقه بأعاليل نفسـها أى إذا دعوتكم إلى القتال تعللتم و هى أعاليل بالأضاليل التى لا جدوى لها.

و دفاع إمّا منصوب بحذف الجار تشبيها لدفاعهم بدفاع ذى الدّين، أو مرفوع استعاره لدفاعهم، و المغرور مبتدأ و من خبره، و هو أولى من جعله خبرا مقـدّما و من مبتـدأ لكونه أبلغ فى إثبات الغرور لمن اغترّبهم من حيث إفادته الحصـر دون العكس، و قولا و غفله و طمعا منصوبات بالأفعال المقدّره

المعنى

اشاره

قد أشرنا أنّ السّبب فى هذه الخطبه هو غاره الضّحاك بن قيس بعد قصّه الحكمين و عزمه على المسير الى الشام و ذلك على ما روى فى شرح المعتزلى و غيره من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثّقفى باختصار منّا هو:

أنّ معـاويه لمـا بلغه أنّ عليّاـ بعـد واقعه الحكمين تحمـل إليه مقبلاهـا له ذلـك فخرج من دمشق معسـكرا و بعث إلى كور الشّام فصاح فيها أنّ عليّا قد ساء إليكم فاجتمع إليه النّاس من كلّ كوره و أرادوا المسير إلى صفّين.

فمكثـوا يجيلون الرّأى يـومين أو ثلاـثه حتّى قـدمت عليهم عيونهم أنّ عليّاـ اختلف عليه أصـحابه ففـارقته منهم فرقه انكرت أمر الحكومه و أنّه قد رجع عنكم

ص:۱۷

إليهم فكبر النّاس سرورا لانصرافه عنهم و ما ألقى اللّه عزّ و جلّ من الخلاف بينهم.

فلم يزل معاويه معسكرا فى مكانه منتظرا لما يكون من علىّ و أصحابه و هل يقبل بالنّاس أم لا، فما برح حتّى جاء الخبر أنّ عليّا قد قتل اولئك الخوارج و أنّه أراد بعد قتلهم أن يقبل بالنّاس و أنّهم استنظروه و دافعوه فسرّ بذلك هو و من قبله من النّاس.

فعند ذلك دعى معاويه الضّحاك بن قيس الفهرى و قال له: سر حتّى تمر بناحيه الكوفه و ترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب فى طاعه علىّ فأغر عليه و إن وجدت له مسلحه أو خيلا فاغر عليها و إذا أصبحت فى بلده فامس فى اخرى و لا تقيمنّ لخيل بلغك أنّها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها.

فسرّحه فيما بين ثلاثه آلاف إلى أربعه آلاف، فأقبل الضّحاك فنهب الأموال و قتل من لقى من الأعراب حتّى مرّ بالثّعلبيه فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثمّ أقبل فلقى عمرو بن عميس بن مسعود الذّهلى و هو ابن أخى عبد اللّه بن مسعود صاحب رسول اللّه فقتله فى طريق الحاج عند القطقطانه و قتل معه ناسا من أصحابه فخرج علىّ عليه السّلام إلى النّاس و هو يقول على المنبر:

يا أهل الكوفه اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس و إلى جيوش لكم قد اصيب منهم طرف آخر اخرجوا فقاتلوا عدوّكم و امنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

فردّوا عليه ردّا ضعيفا و رأى منهم عجزا و فشلا فقال: و اللّه لوددت إنّ لى بكلّ ثمانيه منكم رجلا منهم و يحكم اخرجوا معى ثمّ فرّوا عنى ما بدا لكم فو اللّه ما أكره لقاء ربّى على نيتى و بصيرتى و فى ذلك لى روح عظيم و فرج من مناجاتكم و لمّا رأى تثاقل أصحابه و تقاعدهم عنه خطبهم بهذه الخطبه فقال:

(أيّها النّاس المجتمعه أبدانهم المختلفه أهوائهم) و المتفرّقه آرائهم (كلامكم يوهى) الجبال (الصّم الصّلاب) أى الضعيف القلوب الصّلبه التى هى كالحجاره أو أشدّ قسوه، و يظنّ السّامعون أنّ ورائه بأسا و نجده (و فعلكم يطمع فيكم الأعداء) أراد به تخاذلهم عن الجدال و تقاعدهم عن

القتال (تقولون فى المجالس) إذا حنيتم و أنفسكم (كيت و كيت) اى سنغلب عدوّنا و نقتل خصومنا و لا محلّ لهم منّا و نحو ذلك (و إذا جاء الجهاد) و شاهدتم الانجاد (قلتم حيدى حياد) و كنتم كالحمره المستنفره فرّت من قسوره.

(ما عزّت دعوه من دعاكم و لا استراح قلب من قاساكم) يعنى من دعاكم لم يعز بدعوته من ذلته، و من قاساكم لم يسترح قلبه من تعبه و إذا دعوتكم إلى الجهاد و القتال تعللتم بامور و هى (أعاليل) باطله (بأضاليل) لا- جدوى لها و لا- طائل تحتها (و سألتمونى) التّأخير (و التطويل) كلّ ذلك ذّبا عنكم و دفاعا عن أنفسكم (كدفاع ذى الدّين المطول) عن نفسه المماطل لدينه اللازم له (لا- يمنع الضيم الذّليل) الحقير (و لا- يدرك الحقّ الاّ بالجدّ) و الاجتهاد و التّشمير فى (ايّ دار) أو عن ايّ دار (بعد داركم) التى أنتم عليها و هو العراق أو دار الاسلام التى لا- نسبه لغيرها إليها (تمنعون) عدوّكم إذا أخرجوكم عن دياركم و مساكنكم (و مع أيّ امام بعدى تقاتلون) خصومكم إذ تركتم القتال و نئيتم عنه بجانبكم.

ليس (المغرور و اللّه) إلاّ- (من غررتموه) حيث اغترّبكم مع كثره ما يشاهد منكم من خلف المواعيد و التّثاقل عن الجهاد و ما يصدر عنكم من أفعال الرذول الاوغاد(و من فاز بكم فقد فاز بالسهم الاخيب)إخبار عن سوء حال من كانوا حزبه و من يقاتل بهم و التّعبير عن الابتلاء بهم بالفوز على التهكم و السّهم الأخيب التى لا غنم لها فى المسير كالثلاثه المسمّاه بالاوغاد أو التى فيها غرم كالتى لم تخرج حتّى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم و خيبه.

و قد شبّه نفسه و خصومه باللاعبين بالميسر و شبّه فوزه بهم بالفوز بأحد السّهام الخايبه فلأجل ملاحظه هذا الشّبه استعار لهم لفظ السّهم بصفه الاخيب و اطلاق الفوز هنا مجاز من باب اطلاق أحد الضّدّين على الآخر مثل تسميه السّيئه جزاء

ص:١٩

(و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل) شبّه إرسالهم فى الحرب بالرّمى بالسّهام و استعار لهم أوصاف السّهم من الأفوق و استعار لفظ الرّمى لمقاتلته بهم ثم خصّصهم بأرده الاوصاف للسّهم التى يبطل معها فايدته لمشابهتهم ذلك السّهم فى عدم الانتفاع بهم فى الحرب و عدم الظفر معهم بالمقصود.

(اصبحت و اللّه لا اصدّق قولكم) لكثره ما شاهدت منكم من العدات الباطله و الأقوال الكاذبه (و لا أطمع فى نصركم) مع تثاقلكم عن الجهاد و تقاعدكم عن القتال غير مرّه (و لا اوعد بكم العدوّ) اذ الوعيد بهم مع طول تخلّفهم و شعور العدوّ بذلك ممّا يوجب جرئه العدوّ و تسلّطه و جسارته.

(ما بالكم) و ما شأنكم الذى اوجب لكم التخاول و التّصامم عن ندائى و (ما دوائكم) و (ما طبكم) كى اداوى و اعالج للمرض الذى اضعفكم عن استماع دعائى.

و قيل انّ الطبّ بمعنى العاده على حدّ قوله:

فما ان طبّنا جبن و لكن منايانا و دوله آخرينا

و الأوّل هو الأظهر (القوم رجال أمثالكم) فما أخوفكم منهم.

قال الشّاعر:

قاتلوا القوم يا خزاع و لا يدخلكم من قتالهم فشل

القوم أمثالكم لهم شعر فى الرّأس لا ينشرون ان قتلوا

ثمّ عيّرهم على امور مستقبحه شرعا منفور عنها عاده.

احدها ما أشار إليه بقوله:(أ قولا بغير علم) أراد به قولهم إنّا نفعل بالخصوم كذا و كذا مع أنّه لم يكن فى قلوبهم إراده الحرب أو دعويهم الايمان و الطاعه مع عدم الاطاعه فكأنّهم لا يذعنون بما يقولون، و على الرّوايه الاخرى و هى أقولا بغير عمل كما هو الأظهر فيكون إشاره إلى ما يعدونه به من النّهوض إلى الحرب مع عدم وفائهم بالوعد و عدم قيامهم بما قالوا تذكيرا لهم بما فى ذلك من المقت الشديد و الخزى الأكيد، قال سبحانه: «لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ »

«تَقُولُوا ما لاٰ تَفْعَلُونَ » الثّانى ما أشار إليه بقوله (و غفله من غير ورع) أراد به غفلتهم عمّا يصلحهم من غير ورع يحجزهم عن المحارم و ينبّههم عن نوم الغفله.

الثّالث ما أشار إليه بقوله (و طمعا فى غير حقّ) لعله أراد به طمعهم فى أن يوفر عطياتهم و يمنحهم زياده على ما كان يؤتيهم، و كأنّه عقل من بعضهم أنّ سبب تسويفهم و تخلّفهم عن ندائه هو الطمع فى التّوفير كما فعل معاويه و الخلفاء قبله خذلهم اللّه، فردعهم عن ذلك بأنّه طمع من غير استحقاق هذا.

و روى فى شرح المعتزلى من كتاب الغارات لابراهيم الثّقفى أنّ عليّا دعا حجر بن عدىّ الكندى بعد غاره الضحاك فعقد له على أربعه ألف فخرج حجر حتّى مرّ بالسّماوه و هى أرض كلب فلقى بها امرء القيس بن عدىّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبى و هم أصهار الحسين بن علىّ بن أبى طالب فكانوا ولاءه فى الطريق و على المياه فلم يزل فى أثر الضّحاك حتى لقاه بناحيه ترمد فواقعه فاقتتلوا ساعه فقتل من أصحاب الضّحاك تسعه عشر رجلا، و قتل من أصحاب حجر رجلان و حجز الليل بينهما، فمضى الضّحاك فلما أصبحوا لم يجدوا له و لا لأصحابه أثرا، و كان الضّحاك يقول بعد، انا ابن قيس انا ابوانيس انا قاتل عمرو بن عميس.

تكمله

قد اشرنا سابقا إلى انّ هذه الخطبه مرويّه بطرق متعدّده، و المستفاد من روايه الاحتجاج و البحار من الارشاد انّها من الخطبه السّابعه و العشرين ملتقطه من خطبه طويله له عليه السّلام و لا بأس بذكر تلك الرّوايه زياده للبصيره.

فأقول: قال فى الاحتجاج و الارشاد على ما رواه من الأخير فى البحار: و من كلام له عليه السّلام يجرى مجرى الاحتجاج مشتملا على التّوبيخ لأصحابه على تثاقلهم عن قتال معاويه و التنفيذ متضمّنا للوم و الوعيد.

أيّها النّاس انّى استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا، و أسمعتكم فلم تجيبوا، و نصحت لكم فلم تقبلوا شهودا بالغيب، أتلو عليكم الحكمه فتعرضون عنها،

و أعظكم بـالموعظه البـالغه فتفرقون عنهـا، كـأنكم حمر مسـتنفره فرّت من قسوره، و أحثكم على جهاد أهل الجور، فما اتى عليّ آخر قـولى حتى اراكم متفرّقين أيـادى سـبا، ترجعون إلى مجالسـكم، تـتربعون حلقـا، تضـربون الأمثـال، و تنشـدون الأشـعار، و تجسّسون الأخبار.

حتّى إذا تفرّقتم تسـئلون عن الأشـعار جهله من غير علم، و غفله من غير ورع و تتبّعا من غير خوف، و نسـيتم الحرب و الاسـتعداد لهـا، فأصبحت قلوبكم فارغه من ذكرها، شـغلتموها بالأعاليل و الأضاليل، فالعجب كلّ العجب و كيف لا اعجب من اجتماع قوم على باطلهم و تخاذلكم عن حقّكم.

يا اهل الكوفه أنتم كامّ مجالد حملت فاملصت(۱) فمات قيّمها، و طال ايّمها، و ورثها ابعـدها و الذى فلق الحبّه و برء النّسـمه إنّ من ورائكم الأعور الأدبر جهنّم الدّنيا لا تبقى و لا تذر، و من بعده النهّاس(۲) الفراس الجموع المنوع.

ثمّ ليتوارثنكم من بنى اميّه عـدّه مـا لآخر بأرأف بكم من الأوّل ما خلا رجلا واحـدا(۳) ، بلاء قضاه اللّه على هـذه الامه لا محاله كـاين، يقتلون أخيـاركم، و يسـتعبدون أراذلكم، و يسـتخرجون كنوزكم و ذخـايركم من جوف حجـالكم نقمه بمـا ضـيّعتم من اموركم، و صلاح انفسكم و دينكم.

يا اهل الكوفه اخبركم بما يكون قبل ان يكون لتكونوا منه على حـذر، و لتنـذروا به من اتّعظ و اعتبر، كأنّى بكم تقولون: إنّ عليّا يكذب كما قالت قريش لنبيّها و سيّدها نبىّ الرّحمه محمّد بن عبد اللّه حبيب اللّه.

فيا ويلكم فعلى من اكذب؟ أعلى اللّه فأنا أوّل من عبد اللّه و وحّده، أم على

۱- (۱) املصت المره بولدها أسقطت.

۲- (۲) النهاس اللحم اخذه بمقـدم الاسـنان و نهس الحيه لسـعها و فرس الاسـد فريسـته دق عنقها و المراد بالنهاس الفراس، اما هشام بن عبد الملک لاشتهاره بالبخل او سليمان بن عبد الملک فانه الذى قنيت له الخلافه بعد وفات الحجاج بقليل بحار.

۳- (۳) عمر بن عبد العزيز.

رسول اللّه فأنا أوّل من آمن به و صدّقه و نصره، كلّا و لكنّها لهجه(۱) خدعه كنتم عنها أغنياء.

و الذى فلق الحبّه و برء النّسمه لتعلمنّ نبأها بعد حين، و ذلك إذا صيّرها، اليكم جهلكم لا ينفعكم عندها علمكم، فقبحا لكم يا أشباح الرّجال و لا رجال و حلوم الأطفال و عقول ربّات الحجال، أما و اللّه أيّها الشّاهده أبدانهم، الغائبه عنهم عقولهم، المختلفه أهوائهم، ما أعزّ اللّه نصر من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم، و لا قرّت عين من أراكم، كلامكم يوهن الصمّ الصّلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوّكم المرتاب.

يا ويحكم أىّ دار بعد داركم تمنعون، و مع أىّ إمام بعدى تقاتلون، المغرور و اللّه من غرر تموه، و من فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب، أصبحت لا أطمع فى نصرتكم و لا اصدّق قولكم، فرّق اللّه بينى و بينكم، و أعقبنى ربّكم من هو خير لى منكم، و أعقبكم من هو شرّ لكم منّى.

إمامكم يطيع اللّه و أنتم تعصونه، و إمام أهل الشّام يعصى اللّه و هم يطيعونه، و اللّه لوددت إنّ معاويه صارفنى بكم صرف الدّينار بالدّرهم فأخذ منّى عشره منكم و أعطانى واحدا منهم، و اللّه لوددت انّى لم أعرفكم و لم تعرفونى، فانّه معرفه جرّت ندما، لقد وريتم(۲) صدرى غيظا و أفسدتم علىّ أمرى بالخذلان و العصيان، حتى لقد قالت قريش إنّ عليّا رجل شجاع لكن لا علم له بالحرب.

للّه درّهم هل كان فيهم أطول لها مراسا منّى، و أشدّ لها مقاساه، لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين ثمّ ها أنا ذا قد ذرفت على السّتين و لكن لا أمر

۱- (۱) اى اذا قلت لكم ساظفر على الخصم انشاء اللّه فليس هذا من الكذب بل هو من مصالح الحرب و كذا اشباهه من مصالح و غيره و يحتمل ارجاع ضمير و لكنها الى ما ذكره من نسبته الى الكذب خصوصا على نسخه اغنيا بالنون اى ما ذكرتم لهجه خدعتم فيها من الشيطان و لم يكن لكم حاجه الى ذكرها بحار.

۲- (۲) ورى القيح جوفه يريه وريا اكله و الاسم الورى بالتحريك بحار.

لمن لا يطاع.

أما و اللّه لوددت أنّ ربى أخرجنى من بين أظهركم إلى رضوانه، فانّ المنيه لترصدنى(۱) فما يمنع أشقاها أن يخضبها، و ترك يده على رأسه و لحيته، عهدا عهده إليّ النّبىّ الامىّ، و قد خاب من افترى، و نجى من اتّقى و صدّق بالحسنى.

يا اهل الكوفه دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلا و نهارا و سرّا و إعلانا و قلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم فانّه ما غزى قوم فى عقر دارهم إلّا ذلّوا، فتواكلتم و تخاذلتم و ثقل عليكم قولى، و استصعب عليكم أمرى و اتّخذتموه ورائكم ظهرّيا، حتّى شنّت عليكم الغارات، و ظهرت فيكم الفواحش و المنكرات، تمسيكم(۲) و تصبحكم كما فعل بأهل المثلات من قبلكم حيث أخبر اللّه عن الجبابره العتاه الطغاه و المستضعفين الغواه فى قوله تعالى: «يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ » أما و الذى فلق الحبّه و برء النّسمه لقد حلّ بكم الذى توعدون، عاتبتكم يا أهل الكوفه بمواعظ القرآن فلم انتفع بكم و أعطيتكم بالدّره فلم تستقيموا لى، و عاقبتكم بالسّوط الذى يقام به الحدود فلم ترعووا، و لقد علمت أنّ الذى يصلحكم هو السّيف، و ما كنت متحرّيا صلاحكم بفساد نفسى، و لكن سيسلّط عليكم سلطان صعب لا يوقّر كبيركم، و لا يرحم صغيركم، و لا يكرم عالمكم، و لا يقسم الفىء بالسّويه بينكم، و ليضربنكم و ليذلّنكم و ليجهزنكم فى المغازى و يقطعنّ سبلكم

۱- (۱) رصده رقبه و الرصيد الرقيب بحار.

۲- (۲) تمسيكم و تصبحكم لعل الضمير المستتر فيهما راجع الى الفواحش و المنكرات اى يأتيكم اما صباحا او مساء عقوبات تلك المنكرات كما فعل بمن فيكم و الكاف اسمى اى يأتيكم مثل ما فعل بهم اوصله تقدير اى يأتيكم عقوبه كما فعل بهم او الضميران راجعان الى شنّ الغارات و ظهور الفواحش و المنكرات و يكون المراد ظهورها من المخالفين فيهم و هذه عقوبه اعمالهم بحار.

و ليحجبنّكم(۱) على بابه حتّى يأكل قويّكم ضعيفكم ثمّ لا يبعد اللّه إلاّ من ظلم و لقلّ ما أدبر شيء فأقبل و انّى لأظنكم على فتره و ما علىّ إلاّ النّصح لكم.

يا أهل الكوفه منيت منكم بثلاث و اثنتين صمّ و ذو أسماع، و بكم و ذو ألسن و عمى و ذو أبصار لا إخوان صدق عند اللّقاء و لا إخوان ثقه عند البلاء.

اللّهمّ قد مللتهم و ملّونى، و سئمتهم و سئمونى، اللّهمّ لا ترض عنهم أميرا، و لا ترضيهم عن أمير، و أمث قلوبهم كما يماث الملح فى الماء، أما و اللّه لو أجد بدّا من كلامكم و مراسلتكم ما فعلت، و لقد عاتبتكم فى رشدكم حتى لقد سئمت الحياه كلّ ذلك ترجعون بالهزو من القول، فرارا من الحقّ، و الحادا إلى الباطل الذى لا يغر اللّه بأهله الدّين.

و إنّى لأعلم بكم أنكم لا تزيدوننى غير تخسير كلّما أمرتكم بجهاد عدوّكم اثّاقلتم إلى الأرض، و سألتمونى التّأخير دفاع ذى الدّين المطول، إن قلت لكم فى القيظ: سيروا، قلتم: الحرّ شديد، و إن قلت لكم فى البرد: سيروا، قلتم: القرّ شديد، كلّ ذلك فرارا عن الحرب، إذا كنتم من الحرّ و البرد تعجزون فأنتم من حراره السّيف أعجز و أعجز، فانا للّه و إنا إليه راجعون.

يا أهل الكوفه قد أتانى الصّريح(۲) يخبر فى أنّ ابن غامد قد نزل بالأنبار على اهلها ليلا فى أربعه آلاف، فأغار عليهم كما يغار على الرّوم و الخزر(۳) فقتل بها عاملى ابن حسان و قتل معه رجالا صالحين ذوى فضل و عباده و نجده، بوّء اللّه لهم جنات النعيم و أنّه أباحها.

و لقد بلغنى أنّ العصبه(۴) من أهل الشّام كانوا يدخلون على المرأه المسلمه،

۱- (۱) ضمن معنى القيام و لذا عدى بعلى بحار.

۲- (۲) الصريح فى أكثر النسخ بالحاء المهمله و هو الرجل خالص النسب و كل خالص صريح و الاظهر إنه بالخاء المعجمه كما فى الارشاد اى المستغيث أو من يطلب الاغاثه بحار.

۳- (۳) بضم الخا و الزاء المعجمه و الراء اخيرا طائفه من الامم.

۴- (۴) العصبه من الرجال ما بين العشره الى الاربعين بحار.

و الاـخری المعاهـده فیهتکون سترهـا، و یأخـذون القنـاع من رأسـها، و الخرص من اذنهـا، و الأوضاح(۱) من یـدیها و رجلیهـا و عضـدیها، و الخلخال و المیزر عن سوقها، فما تمتنع ألاّ بالاسترجاع و النّداء یا للمسـلمین فلا یغیثها مغیث، و لا ینصـرها ناصـر فلو أنّ مؤمنا مات من دون هذا ما کان عندی ملوما بل کان عندی بارّا محسنا.

و اعجبـا کـلّ العجب من تظـافر هؤلاـء القوم علی باطلهم و فشـلکم عن حقکم قـد صـرتم غرضا یرمی و لا ترمون، و تغزون و لا تغزون، و یعصی اللّه و ترضون فترتب أیدیکم، یا أشباه الابل غاب عنها رعاتها، کلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست که توبیخ می فرماید در آن اصحاب خود را بسوء افعال و اعمال از جهت تسامح ایشان در جدال و قتال باین نحو که می فرماید.

ای مردمانی که مجتمع است بدن های ایشان و مختلفست خواهشات ایشان قولهای شما ضعیف می نماید سنگهای سخت را، و فعلهای شـما بطمع می اندازد در شـما دشـمنان را می گوئید در مجلسها چنین و چنان پس چون می آید وقت محاربه و مجادله می گوئید: حیدی حیاد یعنی بر گرد ای داهیه(۲) عزیز نشد دعوت آن کسی که دعوت نمود شما را، و راحت نگردید قلب آن کسی که کشید رنج شما را، زمانی که دعوت کنم شما را بجهاد عذر می آورید و آن عذرهای شما عذرهائیست با گمراهیها، و مدافعه شما محاربه را از خودتان مثل مدافعه کردن صاحب دین بسیار مماطله کننده است غریم خود را.

منع نمی نماید مرد ذلیل ظلم را از خود و ادراک نمی شود حق مگر بجهد

۱- (۱) نوع من الحلی یعمل من الفضه سمیت بها لبیاضها واحدها واضح.

۲- (۲) و لنعم ما قیل:در میان همـدگر مردانه ایـددر غزا چون عورتان خانه ایدبهر آن گفت آن سـپهد ارغیوبلا شـجاعه یا فتی قبل الحروب

و کوشش، از کدام خانه بعد از خانهٔ خودتان که دار اسلامست مانع می شوید، و با کدام امام بعد از من مقاتله می کنید، فریب داده شده بخدا سوگند آن کس است که شما فریب دادید او را و کسی که فایز شود بشما فایز می شود بسهمی که نومیدتر باشد از سهمهای قمار و کسی که تیر اندازد با شما بدشمنان پس بتحقیق که تیر انداخته به تیر شکستهٔ بی پیکان.

قسم بخداوند که گردیدم بمرتبهٔ که باور ندارم گفتار شما را، و طمع ندارم در یاری دادن شما، و نمی ترسانم دشمن را با شما، چیست حال شما چیست دوای شما علاج ناخوشی شما، گروهی که طرف مقابل شمایند مردانند مانند شما، آیا می گوئید گفتار بی اعتقاد، و غفلت می ورزید بدون ورع، و طمع تفضیل دارید بدون استحقاق.

و من کلام له علیه السّلام فی معنی قتل عثمان

اشاره

و هو الثلاثون من المختار فی باب الخطب

لو أمرت به لکنت قاتلا، أو نهیت عنه لکنت ناصرا، غیر أنّ من نصره لا یستطیع أن یقول خذله من أنا خیر منه، و من خذله لا یستطیع أن یقول نصره من هو خیر منی، و أنا جامع لکم أمره، استأثر فأساء الأثره، و جزعتم فأسأتم الجزع، و للّه حکم واقع فی المستأثر و الجازع.

اللغه

(الاستیثار) بالشّیء الانفراد به و الاسم الاثره بالتّحریک (و الجزع) الاضطراب و عدم الصّبر.

ص:۲۷

قوله: غير أنّ من نصره اه كلمه غير هنا للاستثناء فيفيد مفاد إلّا الاستثنائيه، لكن لا بطريق الاصاله بل بطريق الحمل على إلّا، و تقريره على ما ذكره نجم الأئمه الرّضى هو أنّ أصل غير الصّفه المفيده لمغايره مجرورها لموصوفها إمّا بالذّات نحو مررت برجل غير زيد، و إمّا بالصّفات نحو قولك: دخلت بوجه غير الوجه الذى خرجت به، فانّ الوجه الذى تبين فيه أثر الغضب كانّه غير الوجه الذى لا يكون فيه ذلك بالذّات.

و ماهيه المستثنى كما ذكر فى حدّه هو المغاير لما قبل أداه الاستثناء نفيا و اثباتا فلما اجتمع ما بعد غير و ما بعد أداه الاستثناء فى معنى المغاير لما قبلهما حملت أم أدواه الاستثنا أى إلّا على غير فى الصّفه و حملت غير على إلّا فى الاستثناء فى بعض المواضع.

و معنى الحمل أنّه صار ما بعد إلّا مغايرا لما قبلها ذاتا أو صفه كما بعد غير، و لا يعتبر مغايرته له نفيا و إثباتا كما كانت فى أصلها و صار ما بعد غير مغايرا لما قبلها نفيا و إثباتا كما بعد إلّا و لا يعتبر مغايرته له ذاتا أو صفه كما كانت فى الأصل إلّا أنّ حمل غير على إلّا أكثر من العكس، لأنّ غير اسم و التّصرف فى الأسماء أكثر منه فى الحروف، فوقع فى جميع مواقع إلّا إلّا أنّه لا يدخل على الجمله كإلّا لتعذّر الاضافه إليها هنا.

و امّا إعرابه فى الكلام الذى يقع فيه فهو إعراب الاسم التّالى إلّا فى ذلك الكلام فتقول: جاء القوم غير زيد بالنّصب كما تقول: إلّا زيدا، و ما جائنى أحد غير زيد بالنّصب و الرّفع.

و سرّ ذلك على ما ذكره الرّضىّ هو أنّ أصل غير من حيث كونه اسما جواز تحمل الاعراب و ما بعده الذى صار مستثنى بتطفل غير على إلّا مشغول بالجرّ لكونه مضافا إليه فى الأصل فجعل اعرابه الذى كان يستحقّه لو لا المانع المذكور أعنى اشتغاله بالجرّ على نفس غير عاريه لا بطريق الأصاله.

ص:٢٨

و إعرابه فی کلام الامام هو النصب لکونه استثناء منقطعا، و یجوز بنائه علی الفتح لعدم الخلاف بین علماء الأدبیّه فی جواز بنائه علی الفتح إذا اضیف إلی ان، و نظیره فیه ما وقع فی قوله غیر أنّی قد استعین(۱) علی الهمّ اذا خفّ بالثّوی النجاء، و قد صرّح الرّضیّ فیه بجواز الوجهین حسبما ذکرناه.

المعنی

اشاره

قوله:(لو أمرت به) ای بقتل عثمان (لکنت قاتلا) لأنّ القاتل و ان کان موضوعا فی اللغه للمباشر للقتل إلاّ أنّه یطلق فی العرف علی الأعمّ من السبب و المباشر فیستلزم الأمر به له عرفا (أو نهیت عنه لکنت ناصرا) لاستلزام النّهی عنه النّصره له و هو ظاهر.

و هاتان القضیّتان منتجتان لعدم مداخلته علیه السّلام فی قتله بالأمر و النهی. إذ باستثناء نقیض تا لییهما یثبت نقیض المقدمین، و المقصود بهذا الکلام إظهار التبرّی من دم عثمان وردّ ما نسبه إلیه معاویه و أتباعه من کونه دخیلا فیه، حیث إنّهم لم یستندوا فی الخروج علیه و المحاربه معه إلاّ بما شهروه بین النّاس من أنّه أمر بقتل عثمان هذا.

و ما ذکره الشّارح المعتزلی من أنّ هذا الکلام بظاهره یقتضی أنّه ما امر بقتله و لا نهی عنه، فیکون دمه عنده فی حکم الأمور المباحه التی لا یؤمر بها و لا ینهی عنها.

فیه أنّ غایه ما یستفاد من کلامه هو عدم مدخلیته فیه و أما أنّ جهه عدم المدخلیه هل هی استباحه دمه أو سایر الجهات فلا دلاله فی الکلام علیه.

لا یقال انّ قتله إمّا أن یکون واجبا عنده علیه السّلام، أو محرّما أو مباحا لا سبیل إلی الأوّلین إذ لو کان واجبا لکان آمرا به من باب الأمر بالمعروف، و لو کان محرّما لنهی عنه من باب النهی عن المنکر فحیث لم یأمر به و لم ینه عنه ثبت کونه مباحا عنده لأنا نقول أولا إنّ عدم الأمر به أعمّ من عدم الوجوب، لاحتمال أنّه لم یأمر

۱- (۱) ای استعین علی همی اذا خف بالمقیم الانطلاق و النجاء بمعنی الاسراع.

لعلمه بما يترتب عليه من المفاسد، و يؤيّده ما سنحكيه من البحار و ما روى عنه عليه السّلام اللّه قتله و أنا معه.

و ثانيا انّ عدم نهيه عنه أعمّ من عدم كونه منكرا عنده، لاحتمال أنّه ترک النّهى لعلمه بأنّه لا يترتب على ذلک ثمره، و وجوب إنكار المنكر إنّما هو إذا علم المنكر أو غلب على ظنّه تأثير إنكاره، و أما إذا علم أو غلب على ظنّه أنّ أنكاره لا يؤثّر و نهيه لا يثمر فيقبح حينئذ النّهى و الانكار، لأنه إن كان الغرض تعريف الفاعل قبح فعله، فذلک حاصل من دون الانكار و إن كان الغرض أن لا يقع المنكر فذلک غير حاصل.

و يؤيّد ذلک ما فى البحار من أنّه جمع النّاس و وعظهم ثمّ قال: لتقم قتله عثمان، فقام النّاس بأسرهم إلّا قليل و كان ذلک الفعل استشهادا منه عليه السّلام على عدم تمكنّه من دفعهم و يدلّ على ذلک بعض كلماته الآتيه أيضا(۱).

و ثالثا لا نسلم أنّه لم ينه عنه فقد روى فى البحار من الأمالى باسناده عن مجاهد عن ابن اعباس عنه قال: إن شاء النّاس قمت لهم خلف مقام إبراهيم فحلفت لهم باللّه ما قتلت عثمان و لا أمرت بقتله و لقد نهيتم فعصونى.

فان قلت: كيف الجمع بين هذه الرّوايه و بين قوله عليه السّلام: أو نهيت عنه لكنت ناصرا.

قلت: يمكن الجمع بأن يكون المراد به استثناء عين المقدم فينتج عين التّالى أى لكنى نهيت عنه فكنت ناصرا و كيف كان، فقد تحصّل ممّا ذكرنا أنّ كلامه عليه السّلام مجمل متشابه المراد كإجمال ساير ما روى عنه فى المقام و السرّ فى الاجمال هو ابهام المقصود على السامعين.

و ذلک لما رواه فى البحار من المناقب من أنّ أصحاب أمير المؤمنين كانوا

۱- (۱) و هو ما يأتى فى الكتاب بعنوان و من كلام له بعد ما بويع بالخلافه و قال له قوم من الصحابه لو عاقبت قوما ممن اصلب على عثمان فقال (عليه السلام) يا اخوتاه انى لست اجهل ما تعلمون و لكن كيف لى بقوه و القوم المجلبون على حدّ شوكتهم تملكوننا و لا نملكهم اه.

فرقتين احداهما اعتقدوا أنّ عثمان قتل مظلوما و يتولّاه و يتبرّء من أعدائه، و الاخرى و هم جمهور أهل الحرب و أهل العناء و البأس اعتقدوا أنّ عثمان قتل لأحداث أوجبت عليه القتل، و منهم من يصرّح بتكفيره و كلّ من هاتين الفرقتين تزعمّ أنّ عليّا موافق له على رأيه و كان عليه السّلام يعلم أنّه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الاخرى و أسلمته و تولّت عنه و خذلته فكان يستعمل فی كلامه ما يوافق كلّ واحده من الطائفتين.

أقول: و لأجل اشتباه كلامه على السّامعين قال شاعر الشّام الأبيات التی منها:

أرى الشّام تكره اهل العراق و أهل العراق لهم كارهونا

و كلّ لصاحبه مبغض يرى كلّ ما كان من ذاک دينا

إذا ما رمونا رميناهم و دنّاهم مثل ما يقرضونا

و قالوا علیّ إمام لنا و قلنا رضينا ابن هند رضينا

و قالوا نرى أن تدينوا لنا فقلنا ألا لا نرى أن تدينا

و من دون ذلک خرط القتاد و طعن و ضرب يقرّ العيونا

و كلّ يسرّ بما عنده يرى غثّ ما فی يديه سمينا

و ما فی علیّ لمستعتب يقال سوى ضمّه المحدثينا

و ايثاره اليوم أهل الذّنوب و رفع القصاص عن القاتلينا

اذا سئل عنه حذا شبهه و عمى الجواب على السّائلينا

فليس براض و لا ساخط و لا فی النّهات و لا الآمرينا

و لا هو ساء و لا سرّه و لا بدّ من بعض ذا أن يكونا

هذا و قد تلخّص ممّا ذكرنا أنّه عليه السّلام كان بنائه على ابهام المرام فیّ تلك الواقعه للمصالح المترتّبه على ذلك إلّا أنّه غير خفی على أهل البصيره و الحجى أنّ و جنات حاله عليه السّلام مع أفعاله و أقواله فی تلک الواقعه يدلّ على أنّه كان منكرا لأفعاله و خلافته راضيا بدفعه.

ص:٣١

قال المجلسى: و لم يأمر بقتله صريحا لعلمه بما يترتّب عليه من المفاسد أو تقيّه و لم ينه القاتلين أيضا لأنّهم كانوا محقّين، و كان يتكلّم فى الاحتجاج على الخصوم على وجه لا يخالف الواقع و لا يكون للجهّال و أهل الضلال ايضا عليه حجّه، و كان هذا ممّا يخصّه من فصل الخطاب و ممّا يدلّ على و فور علمه فى كلّ باب، و يمكن استشمام ذلك من ترجيحه الخاذلين على الناصرين بقوله:(غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، و من خذله لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير منّى).

قال الشّارح المعتزلى معناه إنّ خاذليه كانوا خيرا من ناصريه لأنّ الذين نصروه كانوا فسّاقا كمروان بن الحكم و احزابه و خذله المهاجرون و الانصار.

أقول: كون ناصرى الرّجل منحصرا فى مروان الفاسق و نظرائه و خاذليه وجوه الصّحابه من المهاجر و الأنصار غير خفىّ على العارف الأريب ما فيه من الاشاره الى حاله و رتبته، و إلى كون المنصور مثل النّاصر و العاقل يكفيه الاشاره (و أنا جامع لكم أمره) اى مبيّن له بلفظ وجيز.

قال الفيومى: و كان عليه السّلام: يتكلّم بجوامع الكلم أى كان كلامه قليل الألفاظ كثير المعانى (استأثر فأساء الأثره) اى استبدّ برأيه فى الخلافه و إحداث ما أحدث فى الاستبداد و الاستقلال حيث ادّى إلى فساد نظم الخلافه حتّى انجرّ الأمر إلى قتله (و جزعتم) من افعاله (فأساتم الجزع) حيث قتلتموه و قد كان ينبغى عليكم التثبّت و إصلاح الأمر بينكم و بينه بدون القتل و بخلعه من الخلافه و إقامه غيره مقامه.

و قيل: أراد أنكم أسأتم الجزع عليه بعد القتل و قد كان ينبغى منكم ذلك الجزع قبل القتل (و للّه حكم واقع) اى ثابت محقّق فى علمه تعالى يحكم به فى الآخره أو الاولى، أو سيقع أو يتحقّق خارجا فى الآخره أو الدّنيا لأنّ مجموعه لم يتحقّق بعد و إن تحقّق بعضه (فى المستأثر و الجازع) و الأظهر انّ المراد خصوص الحكم الاخروى

يعنى أنّ له سبحانه حكما واقعا فيهما يحكم به يوم القيامه بمقتضى عدله فيعاقب المذنب و يثيب المصيب.

تذييل

فى الاشاره إلى كيفيّه قتل عثمان إجمالا على ما رواه فى شرح المعتزلى من الواقدى و الطبرى و هو أنّه أحدث أحداثا مشهوره نقمها النّاس عليه من تأمير بنى اميّه و لا سيّما الفسّاق و أرباب السّفه و قلّه الدّين، و إخراج مال الفىء إليهم و ما جرى فى أمر عمّار و أبى ذر و عبد اللّه بن مسعود و غير ذلك من الامور التى جرت فى أواخر خلافته، فلما دخلت سنه خمس و ثلاثين كاتب أعداء عثمان و بنى اميّه فى البلاد و حرّض بعضهم بعضا على خلعه من الخلافه و عزل عمّا له من الأمصار فخرج ناس من مصر و كانوا فى ألفين، و خرج ناس من أهل الكوفه فى ألفين، و خرج ناس من أهل البصره و أظهروا انّهم يريدون الحجّ، فلما كانوا من المدينه على ثلث تقدّم أهل البصره فنزلوا ذا خشب و كان هواهم فى طلحه، و تقدّم أهل الكوفه فنزلوا الأعوص و كان هواهم فى الزّبير، و جاء أهل مصر فنزلوا ذا المروه و كان هواهم فى علىّ، و دخل ناس منهم المدينه يخبرون ما فى قلوب النّاس لعثمان فلقوا جماعه من المهاجرين و الأنصار و لقوا أزواج النّبىّ و قالوا: إنّما نريد الحجّ و نستعفى من عما لنا.

ثم لقى جماعه من المصرّيين عليّا و هو متقلّد سيفه عند أحجار الزّيت فسلّموا عليه و عرضوا عليه أمرهم فصاح و طردهم و قال: لقد علم الصّالحون أنّ جيش ذى المروه و ذى خشب و الأعوص ملعونون على لسان محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانصرفوا عنه، و أتى البصريّون طلحه فقال لهم مثل ذلك، و أتى الكوفيّون الزّبير فقال لهم مثل ذلك فتفرّقوا و خرجوا من المدينه إلى أصحابهم.

فلما أمن أهل المدينه منهم و اطمأنّوا إلى رجوعهم لم يشعروا إلّا و التّكبير فى نواحى المدينه و قد نزلوها و أحاطوا بعثمان و نادى مناديهم: يا أهل المدينه من كفّ يده عن الحرب فهو آمن.

ص:٣٣

فحصروه فى منزله إلاّ أنّهم لم يمنعوا النّاس من كلامه و لقائه، فجاءهم جماعه من رؤساء المهاجرين و سألوهم ما شأنهم؟ فقالوا: لا حاجه لنافى هذا الرّجل ليعتزلنا لنولّى غيره لم يزيد و هم على ذلك.

و خرج عثمان يوم الجمعه فصلّى بالنّاس و قام على المنبر فقال: يا هؤلاء اللّه اللّه فو اللّه إنّ أهل المدينه يعلمون أنّكم ملعونون على لسان محمّد صلّى اللّه عليه و آله فامحوا الخطاء بالصّواب، فقام محمّد بن مسلمه الأنصارى فقال: نعم أنا أعلم ذلک فاقعده حكيم بن جبله البصرى، و قام زيد بن ثابت فأقعده قنيره بن وهب المصرى.

و ثار القوم فحصبوا النّاس حتّى أخرجوهم من المسجد و حصبوا عثمان حتّى صرع عن المنبر مغشيّا عليه فادخل داره و أقبل علىّ و طلحه و الزّبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته و عند عثمان نفر من بنى اميّه منهم مروان بن الحكم فقالوا لعلىّ أهلكتنا و صنعت هذا الذى صنعت و اللّه إن بلغت هذا الأمر الذى تريده ليمرن عليك الدّنيا فقام مغضبا و خرج جماعه الذين معه إلى منازلهم.

ثمّ إنّ أهل المدينه تفرّقوا عنه و لزموا بيوتهم لا يخرج أحد منهم إلاّ بسيفه يمتنع به فكان حصاره أربعين يوما.

و فى روايه الطبرى فما نزل القوم ذا خشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عمّا يكرهون و علم عثمان ذلك جاء إلى منزل علىّ فدخل و قال: يابن عمّ إنّ قرابتى قريبه و قد جاء ما ترى من القوم و هم مصبحى و لك عند النّاس قدروهم يسمعون منك و أحبّ أن تركب إليهم و تردّهم عنّى فانّ فى دخولهم علىّ و هنا لأمرى و جرئه علىّ.

فقال عليه السّلام: على أىّ شىء أردّهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أمرت به و رأيت فىّ، فقال علىّ إنّى قد كلّمتک مرّه بعد اخرى فكلّ ذلك تخرج و تقول و تعد ثمّ ترجع و هذا من فعل مروان و معاويه و ابن عامر و عبد اللّه بن سعد فانك أطعتهم و عصيتنى.

قال عثمان فانى أعصيهم و اطيعك، فأمر علىّ عليه السّلام النّاس أن يركبوا معه فركب معه ثلاثور

ص:۳۴

رجلا من المهاجر و الأنصار فأتوا المصريّين فكلّموهم فكان الذى يكلّمهم علىّ عليه السّلام و محمّد بن مسلمه فسمعوا منهما و رجعوا بأصحابهم يطلبون مصر.

و رجع علىّ حتّى دخل على عثمان فأشار عليه أن يتكلّم بكلام يسمعه النّاس منه ليسكنوا إلى ما يعدهم به من النّزوع، و قال: إنّ البلاد قد تمحّصت عليك و لا امن أنّه يجىء ركب من جهه اخرى فتقول لى يا على اركب إليهم فان لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك و استخففت بحقّك.

فخرج عثمان فخطب الخطبه التى ينزع فيها و أعطى النّاس من نفسه التّوبه و قال لهم: أنا أوّل من اتعظ و استغفر اللّه و أتوب إليه فمثلى نزع و تاب فاذا نزلت فليأتنى أشرافكم فليرون رأيهم، و ليذكر كلّ واحد ظلامته لأكشفها و حاجته لأقضيها فو اللّه لان ردّنى الحق عبد الأسننّ سنّه العبيد، و لا ذلنّ ذلّ العبيد، و ما عن اللّه مذهب إلا إليه و اللّه لأعطينكم الرّضا و لا يحننّ مروان و ذريه و لا أحتجب عنكم.

فلما نزل وجد مروان و سعدا و نفرا من بنى اميّه فى منزله قعودا لم يكونوا شهدوا خطبته و لكنها بلغهم.

فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين أ أتكلم؟ فقالت نائله: امرأه عثمان:

لابل تسكت، فأنتم و اللّه قاتلوه و موتموا أطفاله إنّه قد قال مقاله لا ينبغى أن ينزع عنها، فقال لها مروان: و ما أنت و ذلك؟ و اللّه لقد مات أبوك و ما يحسن أن يتوضّأ، فقالت: مهلا يا مروان عن ذكر أبى إلّا بخير و اللّه لو لا أنّ أباك عمّ عثمان و أنّه يناله غمّه و عيبه لأخبرتك بما لا أكذب فيه عليه، فأعرض عنه عثمان.

ثمّ عاد فقال: ءأتكلّم أم أسكت؟ فقال: تكلّم، فقال و اللّه لوددت أنّ مقالتك هذه كانت و أنت ممتنع أوّل من رضى بها و أعان عليها، و لكنك قلت و قد بلغ الحزام الطبيين و جاوز السّيل الزّبى، و اللّه لاقامه على خطيئه تستغفر اللّه منها أجمل من توبه تخوف عليها ما زدت على أن جرئت عليك النّاس.

فقال عثمان قد كان من قولى ما كان، و إنّ الفايت لا يردّ و لم آل خيرا فقال مروان: إنّ النّاس قد اجتمعوا ببابك أمثال الجبال قال: ما شأنهم؟ قال: أنت دعوتهم

ص:٣۵

إلى نفسک، فهذا يذكر مظلمه و هذا يطلب مالا و هذا سأل نزع عامل من عمّا لک و هذا ما جنيت على خلافتک.

و لو استمسکت و صبرت کان خيرا لک، قال: فاخرج أنت إلى النّاس فكلّمهم فانّى أستحى أن أكلّمهم و ردّهم فخرج مروان إلى النّاس و قد رکب بعضهم بعضا، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كانّكم جئتم لنهب، شاهت الوجوه أ تريدون ان تنزعوا ملكنا من أيدينا، أعزبوا عنّا و اللّه ان رمتمونا لنمرّن عليكم ما حلا ـ و لنحلن بكم ما لا يسركم و لا تحمدوا فيه رأيكم، ارجعوا إلى منازلكم، فانّا و اللّه غير مغلوبين على ما فى أيدينا.

فرجع النّاس خايبين يشتمون عثمان و مروان و أتى بعضهم عليّا فأخبره الخبر، فأقبل عليّ على عبد الرّحمن بن الاسود بن عبد يغوث الزّهرى، فقال أحضرت خطبه عثمان؟ قال: نعم قال أ فحضرت مقاله مروان للنّاس قال: نعم.

فقال عليه السّلام: اى عباد اللّه، ياللّه للمسلمين إنّى قعدت فى بيتى، قال لى تركتنى و خذلتنى و إن تكلمت فبلغت له ما يريد جاء مروان و يلعب به حتّى قد صار سيقه له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السّنّ و قام مغضبا من فوره حتى دخل على عثمان، فقال عليه السّـلام له أما يرضى مروان منک إلاّ ـ أن يحرّفک عن دينک و عقلک فانت معه كجمل الظعينه يقاد حيث يسار به، و اللّه ما مروان بذى رأى فى دينه و لا عقله، و انى لأراه يوردک ثمّ لا يصدرک و ما أنا عايد بعد مقامى هذا لمعا تبتک أفسدت شرفک و غلبت على رأيک ثمّ نهض.

فدخلت نائله فقالت قد سمعت قول عليّ لک و أنّه ليس براجع إليک و لا معاود لک و قد أطعت مروان يقودک حيث يشاء قال فما أصنع؟ قالت تتقى اللّه و تتبع سنّه صاحبيک، فانک متى أطعت مروان قتلک، و ليس لمروان عند النّاس قدر و لا هيبه و لا محبّه و إنّما ترکک النّاس لمكانه، و إنّما رجع عنک أهل مصر لقول عليّ عليه السّلام، فأرسل إليه فاستصلحه، فانّ له عند النّاس قدما و أنّه لا يعص فأرسل إلى عليّ فلم يأته و قال:

قد أعلمته أنّى غير عايد.

ص:٣۶

و فی البحار من الامالی عن أحمد بن محمّد بن الصّلت عن ابن عقده الحافظ عن جعفر بن عبد اللّه العلویّ عن عمه القاسم بن جعفر بن عبد اللّه عن عبد اللّه بن محمّد بن عبد اللّه عن ابیه عن عبد اللّه بن أبی بکر عن ابی جعفر علیه السّلام قال حدثنی عبد الرّحمن بن أبی عمره الانصاری:

قال لمّا نزل المصریّون بعثمان بن عفّان فی مرّتهم الثّانیه، دعی مروان بن الحکم فاستشاره، فقال له: انّ القوم لیس هم لأحد أطوع منهم لعلیّ بن أبی طالب علیه السّلام، و هو أطوع النّاس فی النّاس، فابعثه إلیهم فلیعطهم الرضا و لیأخذ لک علیهم الطاعه و یحذّرهم الفتنه.

فکتب عثمان إلی علیّ بن أبی طالب: سلام علیک، أمّا بعد قد جاز السّیل الزّبی(۱) ، و بلغ الحزام الطبیین، و ارتفع امر النّاس بی فوق قدر، و طمع فیّ من کان یعجز عن نفسه، فاقبل علیّ و تمثل:

فان کنت ماکولا فکن خیر آکل و إلاّ فأدرکنی و لمّا امزّق و السّلام.

فجائه علیّ فقال: یا أبا الحسن ائت هؤلاء القوم فادعهم إلی کتاب اللّه و سنّه نبیّه فقال: نعم إن أعطیتنی عهد اللّه و میثاقه علی أن تفی لهم بکلّ شیء أعطیته عنک، فقال: نعم فأخذ علیه عهدا غلیظا و مشی إلی القوم فلما دنی منهم قالوا وراءک قال:

لا، قالوا: وراءک، قال: لا.

۱- (۱) قال فی البحار قال فی النهایه الزبی هی جمع الزبیه و هی الزابیه و هی الرابیه التی لا یعلوها الماء و قیل انما اراد الحفره للسبوع و لا تحفر الا فی مکان عال من الارض لئلا یبلغه السیل و هو مثل یضرب للامر بما تجاوز الحد و یتفاقم و قال الاطباء واحدها طبی بالضم و الکسر و قیل یقال لموضع الاخلاف من الخیل و السباع اطباء کما یقال لذوات الخف و الظلف خلف و ضرع و قوله و بلغ الحزام الطبیین کنایه عن المبالغه فی تجاوزه حد الشر و الاذی لان الحزام اذا انتهی الی الطبیین فقد انتهی الی بعد غایته فکیف اذا جاوزه منه.

فجاء بعضهم ليدفع فى صدره فقال القوم بعضهم لبعض: سبحان اللّه أتاكم ابن عمّ رسول اللّه يعرض كتاب اللّه، اسمعوا منه و اقبلوا، قالوا تضمن لنا كذلك، قال:

نعم فأقبل معه أشرافهم و وجوههم حتّى دخلوا على عثمان فعاتبوه فأجابهم إلى ما أحبّوا فقالوا اكتب لنا على هذا كتابا و ليضمن عليّ عنك ما فى الكتاب قال اكتبوا أنى شئتم فكتبوا بينهم:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هذا ما كتب عبد اللّه عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين و المسلمين إنّ لكم عليّ أن أعمل بكتاب اللّه و سنّه نبيّه، و أنّ المحروم يعطى، و أنّ الخائف يؤمن، و أنّ المنفيّ يردّ، و أنّ المبعوث لا يجمر، و أنّ الفيء لا يكون دوله بين الأغنياء، و عليّ بن أبى طالب ضامن للمؤمنين و المسلمين على عثمان الوفاء لهم على ما فى الكتاب شهد الزّبير بن العوام و طلحه بن عبيد اللّه و سعد ابن مالك و عبد اللّه بن عمر و أبو أيوب بن زيد، و كتب فى ذى القعده سنه خمس و عشرين.

فأخذوا الكتاب ثمّ انصرفوا فلما نزلوا ايله، إذا هم براكب فأخذوه فقالوا من أنت؟ قال: أنا رسول عثمان إلى عبد اللّه بن سعد قال بعضهم لبعض: لو فتّشناه لئلّا يكون قد كتب فينا، ففتّشوه فلم يجدوا معه شيئا.

فقال كنانه بن بشر النجيبى: انظروا إلى أدواته فان للنّاس حيلا، فاذا قاروره مختومه بموم فاذا فيها كتاب إلى عبد اللّه بن سعد إذا جاءك كتابى هذا فاقطع أيدى الثلاثه مع أرجلهم فلما قرءوا الكتاب رجعوا حتّى أتوا عليّا، فأتاه فدخل عليه، فقال استعتبك القوم فاعتبتهم ثمّ كتبت هذا كتابك نعرفه الخط الخط و الخاتم الخاتم فخرج عليّ مغضبا و أقبل النّاس عليه فخرج سعد من المدينه فلقاه رجل فقال: يا أبا إسحاق أين تريد؟ قال: إنى فررت بدينى من مكّه إلى المدينه و أنا اليوم أهرب بدينى من المدينه إلى مكّه.

و قال الحسن بن عليّ لعليّ عليه السّلام حين أحاط النّاس بعثمان: اخرج من المدينه

ص:۳۸

و اعتزل فانّ النّاس لا بدّ لهم منك و انّهم ليأتونك و لو كنت بصنعاء، و أخاف أن يقتل هذا الرّجل و أنت حاضره.

فقال يا بنىّ أخرج عن دار هجرتى و ما أظنّ يجترى على هذا القول كلمه، و قام كنانه بن بشر فقال: يا عبد اللّه أقم لنا كتاب اللّه فانا لا نرضى بالقول دون الفعل قد كتبت و اشهدت لنا شهودا و أعطيتنا عهد اللّه و ميثاقه، فقال ما كتبت بينكم كتابا.

فقام إليه المغيره بن الأخنس و ضرب بكتابه وجهه و خرج إليهم عثمان ليكلّمهم فصعد المنبر و رفعت عايشه قميص رسول اللّه و نادت ايّها النّاس هذا قميص رسول اللّه لم يبل و قد غيّرت سنّته، فنهض النّاس و كسر اللغط و حصبوا عثمان حتى نزل من المنبر، و دخل بيته.

فكتب نسخه واحده إلى معاويه و عبد اللّه بن عامر: أمّا بعد فانّ أهل السّفه و البغى و العدوان من أهل العراق و مصر و المدينه أحاطوا بدارى و لن يرضيهم منّى دون خلعى أو قتلى، و أنا ملاقى اللّه قبل أن اتابعهم على شيء من ذلک فأعينونى.

فلما بلغ كتابه ابن عامر قام و قال: أيّها النّاس إنّ امير المؤمنين عثمان ذكر أنّ شر ذمه من أهل مصر و العراق نزلوا بساحته فدعاهم إلى الحقّ فلم يجيبوا فكتب إلىّ أن ابعث إليه منكم ذوى الدّين و الرّأى و الصّلاح، لعلّ اللّه أن يدفع عنه ظلم الظالم و عدوان المعتدى فلم يجيبوه إلى الخروج.

ثم انّه قيل لعلىّ إنّ عثمان قد منع الماء فأمر بالرّوايا فعكمت و جاء النّاس إلى علىّ عليه السّلام فصاح بهم صيحه انفرجوا فدخلت الرّوايا فلما رأى علىّ اجتماع النّاس دخل على طلحه بن عبد اللّه و هو متكى على و سائد، فقال: إنّ الرّجل مقتول فامنعوه فقال: أم و اللّه دون أن تعطى بنو أميّه الحقّ من أنفسها.

و فى شرح المعتزلى عن الطبرى عن عبد اللّه بن عياش بن أبى ربيعه المخزومى قال: دخلت على عثمان فأخذ بيدى فأسمعنى كلام من على بابه من النّاس فمنهم من يقول: ما تنتظرون به، و منهم من يقول: لا تعجلوا به فعساه ينزع و يراجع

فبينا نحن إذ مرّ طلحه فقام إليه ابن عـديس البلوى فناجاه ثمّ رجع ابن عـديس فقال لأصـحابه: لاتتركوا احدا يدخل إلى عثمان و لا يخرج من عنده، قال لی عثمان هذا ما امره به طلحه.

اللّهمّ اكفنى طلحه فانّه حمل هؤلاء القوم و اكبّهم علیّ، و اللّه لأرجو ان يكون منها صـفرا و ان يسفك دمه قال فأردت ان اخرج فمنعونى حتّى امرهم محمّد بن ابى بكر فتركونى اخرج.

قـال الطبرى: فلمـا طـال الأمر و علم المصـريّون انهم قـد اجرموا إليه جرمـا كجرم القتـل و أنّه لا فرق بين قتله و بين ما اتوا إليه و خافوا على نفوسـهم من تركه حيّا راموا الدخول عليه من باب داره، فاغلقت الباب، و قام رجل من اسلم يقال له: نيار بن عياض و كان من الصّحابه فنادى عثمان و أمره أن يخلع نفسه، فبينا هو يناشده و يسوّمه خلع نفسه رماه كثير بن الصّلت الكندى و كان من أصحاب عثمان من أهل الدار نسبهم فقتله.

فصاح المصريّون و غيرهم عند ذلك: ادفعوا إلينا قاتل ابن عياض لنقتله به، فقال عثمان: لم اكن لأدفع إليكم رجلا نصرنى و أنتم تريدون قتلى فثاروا إلى الباب فاغلق دونهم فجاءوا بنار فأحرقوه و أحرقوا السقيفه التى عليه.

و خرج مروان بسـيفه يحاله النّاس فضربه رجل من بنى ليث على رقبته فأثبته و قطع احد عيباوته فعاش مروان بعد ذلك اوقص، و قتل المغيره بن الاخنس و هو يحامى عن عثمان بالسّيف.

و اقتحم القوم الـدار و دخـل كثير منهم الـدّور المجـاوره لها و تسوّروا من دار عمرو بن حزم اليها حتّى ملئوها و غلب النّاس على عثمان و نـدبوا رجلا لقتله، فدخل إليه البيت فقال له: اخلعها و ندعک، فقال: و يحک و اللّه ما كشـفت عن امرئه فی جاهليه و لا اسـلام و لا تغنيت و لا تمنيت و لا وضـعت يمينى على عورتى منذ بايعت رسول اللّه و لست بخالع قميصا كسانيه اللّه حتى يكرم اهل السّعاده و يهين اهل الشقاوه.

فخرج عنه فقـالوا له ما صـنعت قال: إنى لم اسـتحلّ قتله فادخلو إليه رجلا من الصـحابه فقال له: لست بصاحبى إنّ النبیّ دعا لک أن يحفظك يوم كذا

و لن تصنع فرجع عنه، فادخلوا إليه رجلا من قريش فقال له: ان رسول اللّه استغفر لک يوم كذا فلن يقارف دما حراما فرجع.

فدخل عليه محمّد بن أبى بكر و فى روايه الواقدى انّه أوّل من دخل عليه فقال له عثمان: و يحک أعلى اللّه تغضب هل لى إليک جرم إلّا أنّى أخذت حقّ اللّه منک، فأخذ محمّد بلحيته و قال: أخزاک اللّه يا نعثل، قال: لست بنعثل، و لكنّى عثمان و أمير المؤمنين فقال: ما أغنى عنک معاويه و فلان و فلان، فقال عثمان: يابن أخى دعها من يدک فما كان أبوک ليقبض عليها، فقال: لو عملت ما عملت فى حياه أبى لقبض عليها و الذى اريد بک أشدّ من قبضى عليها، فقال: استنصر اللّه عليک و استعين بک فتركه و خرج.

و قيل: بل طعن جنبه بمشقص كان فى يده فثار سودان بن حمران، و ابو حرب الغانقى و قنبره بن وهب السكسكى فضربه الغانقى بعمود كان فى يده و ضرب المصحف برجله و كان فى حجره فنزل بين يديه و سال عليه الدّم، و جاء سودان ليضربه بالسّيف فاكبّت عليه امرأته نائله و ألقت السّيف بيدها و هى تصرخ فنفح أصابعها فأطنها فولت فغمرت بعضهم إوراكها و قال إنّها لكبيره العجز و ضرب سودان عثمان فقتله.

و قيل: بل قتله كنانه بن بشير النّجيبى، و قيل: بل قنبره بن وهب، و دخل غلمان عثمان و مواليه فضرب أحدهم عنق سودان فقتله، فوثب قنبره بن وهب على ذلک الغلام فقتله، فوثب غلام آخر على قنبره فقتله، و نهب دار عثمان و اخذ ما على نسائه و ما كان فى بيت المال.

و كان فيه غزارتان دراهم و وثب عمرو بن الحمق على صدر عثمان و به رمق فطعنه تسع طعنات و قال: أما ثلاث منها فانى طعنتهن للّه و أما ستّ منها فلما كان فى صدرى عليه و أرادوا قطع رأسه فوقع عليه زوجتاه فضجن و ضربن الوجوه فقال ابن عديس: اتركوه.

و اقبل عمير بن الصّابى فوثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه و قال له سجنت أبى حتّى مات فى السّجن.

ص:۴۱

و كان قتله يوم الثامن عشر من ذى الحجه سنه خمس و ثلاثين، و كان عمره ستّا و ثمانين سنه و دفن فى حشّ كوكب(۱) بعد ثلاثه ايّام باذن علىّ على ما مرّ فى شرح الخطبه الشّقشقّيه.

الترجمه

:

از جمله كلام بلاغت نظام آن امام عاليمقامست در معنى قتل عثمان و اظهار تبرى خود از مداخلهٔ آن مى فرمايد.

اگر امر مى كردم بقتل او هر آينه قاتل او مى شدم، و اگر نهى مى كردم از قتل او هر آينه ناصر مى شدم إلّا اين كه كسى كه نصره نمود او را نمى تواند كه گويد خار نمود او را كسى كه من بهترم از او، و كسى كه خار نمود او را نمى تواند كه گويد يارى نمود او را كسى كه او بهتر است از من، و من بيان كننده ام به لفظ مختصر كار او را، سر خود نمود او امور عظيمه را بى مشاورت ديگران، پس بد نمود آن استقلال برأى را، و بيصبرى كرديد پس بد كرديد شما در بى صبرى، و مر خداوند راست حكم عدلى كه واقع مى شود در روز قيامت در حق مستقل برأى و در حق بى صبرى كننده، يعنى جزاى عملى كه شد از خطا يا صواب بصاحب عمل خواهد رسيد.

و من كلام له عليه السّلام قاله لابن عباس لما انفذه الى الزبير

اشاره

يستفيئه الى طاعته قبل حرب الجمل و هو الاحد

و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

لا تلقين طلحه فإنّك إن تلقه تجده كالثّور عاقصا قرنه يركب الصّعب، و يقول هو الذّلول، و لكن ألق الزّبير، فإنّه ألين عريكه،

۱- (۱) اسم يهودى كان بالمدينه منه.

فقل له يقول لک ابن خالک عرفتنى بالحجاز، و أنكرتنى بالعراق، فما عدا ممّا بدا. أقول: و هو عليه السّلام أوّل من سمعت منه هذه اللّفظه أعنى فما عدا ممّا بدا.

اللغه

(يستفيئه) أى يسترجعه من فاء يفيء إذا رجع و (تلقه) فى بعض النّسخ بالفاء أى تجده (عقص) الثّور قرنه بالفتح متعدّ و عقص بالكسر لازم و الأعقص من التّيوس ما التوى قرناه على اذنيه من خلفه و المعقاص الشاه المعوّجه القرن (و الصعب) نقيض الذلول و هى المنقاده من الدّواب، و الجمع ذلل كرسول و رسل و (العريكه) الطبيعه يقال فلان ليّن العريكه إذا كان سلسا و (عداه) عن الأمر عدوا و عدوانا صرفه و شغله، و عدا الأمر دعته جاوزه و (بدا) ظهر.

الاعراب

عاقصا إمّا مفعول ثان لتجده أو حال عن الثور، كلمه ما للاستفهام، و مفعول عدا محذوف أى ما عداک على حدّ قوله سبحانه: «وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رُسُلِنا » أى أرسلناه، و كلمه من فى قوله ممّا بدا بمعنى عن على حدّ قوله سبحانه: «فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَهِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ » و قال الشّارح البحرانى: إنّها لتبيين الجنس، و الأوّل أظهر.

المعنى

قوله (لا تلقينّ طلحه) نهى لابن عباس عن لقاء طلحه من أجل يأسه عنه لمكان الغرور و الكبر الذى كان فيه على ما أشار اليه بقوله(فانّک إن تلقه تجده كالثور عاقصا)أى عاطفا(قرنه)على اذنه.

قال الشّارح البحرانى: شبهه بالثّور فى عقص قرنه و كنّى بلفظ القرن عن شجاعته، لأنّ القرن آله القوّه للثّور، و منع ما يراد به عن نفسه، و كذلک الشّجاعه يلزمها الغلبه و القوّه و منع الجانب، و كنّى بلفظ العقص لما يتبع تعاطيه

ص:۴۳

بالقوّه و الشجاعه من منع الجانب و عدم الانقیاد تحت طاعه الغیر اللازم عن الکبر و العجب الذی قد یعرض للشجاع.

و ذلک لأنّ الثّور عند اراده الخصام یعقص قرنیه أی یرخی رأسه و یعطف قرنیه لیصوبهما إلی جهه خصمه و یقارن ذلک منه نفخ صادر عن توهم غلبته لمقاومه و انّه لا قدر له عنده.

و کذلک الشّبه ههنا علم منه علیه السّلام أنّه عند لقاء ابن عباس له یکون مانعا جانبه متهیّئا للقتال مقابلا للخشونه و عدم الانقیاد له الصّادر عن عجبه بنفسه و غروره لشجاعته فلذلک حسن التشبیه.

و قوله:(یرکب الصّعب و یقول هو الذّلول) یعنی أنّه یستهین بالمستصعب من الامور ثمّ إنّه لمّا نهاه عن لقاء طلحه أمره بلقاء الزّبیر بقوله:(و لکن ألق الزّبیر) معلّلا بقوله:(فانّه ألین عریکه) أی احسن طبیعه و أسهل جانبا (فقل له یقول لک ابن خالک).

التّعبیر بابن الخال للاستماله و الملاطفه و الاذکار بالنسب و الرّحم علی حدّ قوله: «اِبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی وَ کادُوا یَقْتُلُونَنِی فَلا تُشْمِتْ بِیَ الْأَعْداءَ » فانّ هارون لما رأی غضب موسی خاطبه بقوله یا بن أمّ، لکونه أدعی إلی عطفه علیه من أن یقول یا موسی أو یا أیها النّبیّ و نحو ذلک.

و کذلک لقوله: یقول لک ابن خالک فی القلب موقع لیس لقوله یقول لک أمیر المؤمنین، و أما کونه علیه السّلام ابن خال الزّبیر فلأنّ صفیّه أمّ الزّبیر کانت اختا لأبی طالب بنت عبد المطلب.

و قوله:(عرفتنی بالحجاز و أنکرتنی بالعراق) یعنی أنّک بایعتنی بالمدینه و کنت أشدّ النّاس حمایه لی یوم الشّوری و السّقیفه، و أنکرتنی بالبصره حیث نکثت بیعتی و بارزتنی بالمحاربه (فما عدا ممّا بدا) أی أیّ شیء صرفک عمّا ظهر منک أولا و ما الذی صدّک عن طاعتی بعد اظهارک لها.

و قال الشّارح البحرانی: عدا بمعنی جاوز و من لبیان الجنس، و المراد

ص:۴۴

ما لذی جاوز بک عن بیعتی ممّا بدا لک بعدها من الامور التی ظهر لک و الأظهر ما ذکرناه هذا.

و روی فی شرح المعتزلی عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبیه عن جدّه علیهم السلام قال: سألت ابن عباس رضی اللّه عنه عن ذلک فقال: انّی أتیت الزّبیر فقلت له:

فقال: قال له انی ارید ما ترید کأنّه یقول الملک لم یزدنی علی ذلک فرجعت إلی علیّ فأخبرته و روی عن محمّد بن إسحاق الکلبی عن ابن عباس قال قلت الکلمه للزّبیر فلم یزدنی علی أن قال: قل له أنا مع الخوف الشدید لنطمع، و سئل ابن عباس عمّا یعنی بقوله هذا، فقال: أنا علی الخوف لنطمع أن نلی من الأمر ما ولیتم.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرتست در حینی که فرستاد عبد اللّه بن عباس را بسوی زبیر پیش از واقع شدن جنک در روز جمل تا باز گرداند او را بسوی طاعت او، فرمود ابن عباس را که:

البته ملاقات مکن با طلحه پس بدرستی که اگر تو ملاقات کنی با او یا بی او را مثل گاو عاصی در حالتی که پیچیده باشد شاخ خود را بر گرداگرد گوش خود، سوار می شود بر دابه سرکش و بی آرام و با وجود این می گوید که رام است، و ملاقات کن با زبیر پس بتحقیق که او نرمتر است از روی طبیعت، پس بگوی او را که می گوید تو را پسر خال تو شناختی تو مرا در حجاز و بیعت کردی و انکار کردی مرا در عراق و تمرّد از طاعت نمودی پس چه چیز منع نمود و بگردانید تو را از آنچه ظاهر شد از اطاعت من.

تمّ الجزء الأوّل من شرح نهج البلاغه بحمد اللّه و حسن توفیقه، و نسأل اللّه سبحانه التوفیق لشرح ما یتلو ذلک من خطبه المختاره و من کلامه المختار فی باب الخطب الجاری مجری الخطبه، و کان الفراغ من ذلک لیله عید الغدیر من أعیاد

ألف و ثلاثمأه سنه، و الحمد للّه أوّلا و آخرا و ظاهرا و باطنا سنه ۱۳۰۰(۱)بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه الذى أرانا آيات قدرته و جبروته فى الانفس و الآفاق، و هدانا إلى مشاهد سلطنته و عظموته بما رقم فى صفحات السّبع الطباق، و دلّنا على مشاهده انوار جماله فى ملكوت السّموات و الارض، و مطالعه اسرار جلاله فى الحجب و السّرادقات ذات الطول و العرض، فأشهد أنّه الواحد الأحد الفرد الصّمد الذى دلّ على وحدانيته بوجوب وجوده، و على قدرته و حكمته ببدايع خلقه وجوده، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله المنتجب، و صفيّه و أمينه المنتخب، أرسله لايضاح النهج و ابلاغ المنهج، و شرع الدّين و اتمام الحجج، فأوضح المحجّه و أتمّ الحجّه، و أقام أعلام الاهتدآء و أنار منار الضياء، و جعل قوائم الاسلام قويمه بعد اعوجاجه، و دعائم الايمان متينه بعد انفراجه:

رأيتك يا خير البريّه كلّها نشرت كتابا جاء بالحقّ معلما

سننت لنا فيه الهدى بعد جورنا عن الحقّ لما أصبح الحقّ مظلما

و نوّرت بالبرهان أمرا مدمسا(۲) و أطفات بالبرهان جمرا تضرّما

ص:۴۶

۱- (۱) الى هنا ينتهى الجزء الاول من شرح نهج البلاغه حسب تجزءه المصنفت أعلى اللّه مقامه على ما فى الطبعه الاولى، ثم يشرع (ره) فى الجزء الثانى و يصدره بالخطبه أولا ثم يأتى بالمقصود، و نحن نثبتها هنا كما هى حفظا للامانه فى النقل.قال (ره) بعد البسمله: الحمد للّه الذى أرانا آيات قدرته و جبروته: الى آخر ما فى المتن «المصحح»

۲- (۲) الى هنا ينتهى الجزء الاول من شرح نهج البلاغه حسب تجزءه المصنفت أعلى اللّه مقامه على ما فى الطبعه الاولى، ثم يشرع (ره) فى الجزء الثانى و يصدره بالخطبه أولا ثم يأتى بالمقصود، و نحن نثبتها هنا كما هى حفظا للامانه فى النقل.قال (ره) بعد البسمله: الحمد للّه الذى أرانا آيات قدرته و جبروته: الى آخر ما فى المتن «المصحح»

اقمت سبيل الحقّ بعد اعوجاجها و دانت قديما وجهها قد تهدّما

صلى اللّه عليه و آله الـذينهم مرابيع النعم، و مصابيح الظلم لا تفتح الخيرات الاّ بمفاتحهم، و لا تكشف الظلمات الاّ بمصابيحهم، قوّام اللّه على خلقه و عرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنّه إلاّ من عرفهم و عرفوه، و لا يدخل النّار إلاّ من أنكرهم و أنكروه.

فمن لم يكن يعرف امام زمانه و مات فقد لاقى المنيّه بالجهل

لا سيّما من أخـذ بضـبعيه فى الغدير و قد شـهد هذا المشـهد الجمّ الغفير فأقامه للنّاس علما و اماما، و للدّين قيما و قواما، و نادى بصوت جهورى يقرع الاسماع، و يملاء القلوب و الصّماخ، من كنت مولاه فعلىّ مولاه، فسلّم قوم ففازوا، و تولّى آخرون و غاظوا فخاضوا، ثمّ فتح أبواب العلم، و أورثه جوامع الكلم، و علمه تبليغ الرّسالات، و تأويل الآيات، و تمام الكلمات، فاجتهد سـلام اللّه عليه و آله فى تاسيس قواعـد الكلم، و تشييد ضوابط الحكم، و هـدانا إلى نهـج البلاغه ببـديع بيانه، و سـلك بنا منهاج البراعه بعذب لسانه، و أرشدنا إلى شرايع الدّين بأنواره، و أوضح لنا سبل اليقين بآثاره:

عليم بما قد كان أو هو كائن و ما هو دقّ فى الشرائع أو جل

مسمّى مجلا فى الصّحايف كلّها فسل أهلها و اسمع تلاوه من يتلو

و لو لا قضاياه التى شاع ذكرها لعطّلت الأحكام و الفرض و النّفل

و بعـد فهـذا هو المجلّـد الثّـانى من مجلّـدات منهـاج الـبراعه إملاـء راجى عفو ربّه الغنى حـبيب اللّه بن محمـد بن هـاشم العلوى الموسوى غفر اللّه له و لوالديه، و احسن إليهما و إليه، فانّه تعالى ولىّ الاحسان، و الغفور المنان، فأقول و به التّكلان:

قال السيد «ره»:

و من خطبه له علیه السلام و هی الثانیه و الثلاثون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و رواها المحدّث العلامه المجلسی (ره) فی البحار من کتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحه، قال قال علیه السّلام یوما فی مسجد الکوفه و عنده وجوه النّاس:

أیّها النّاس إنّا قد أصبحنا فی دهر عنود، و زمن شدید (کنود خ)، یعدّ فیه المحسن مسیئا، و یزداد الظّالم فیه عتوّا، لا ننتفع بما علمنا، و لا نسئل عمّا جهلنا، و لا نتخوّف قارعه حتّی تحلّ بنا، فالنّاس علی أربعه أصناف:

منهم من لا یمنعه الفساد فی الأرض إلّا مهانه نفسه، و کلاله حدّه، و نضیض و فره. و منهم المصلت بسیفه، و المعلن بشرّه، و المجلب بخیله و رجله، قد أشرط نفسه و أوبق دینه، لحطام ینتهزه، أو مقنب یقوده، أو منبر یفرعه، و لبئس المتجر أن تری الدّنیا لنفسک ثمنا، و ممّا لک عند اللّه عوضا. و منهم من یطلب الدّنیا بعمل الآخره و لا یطلب الآخره بعمل الدّنیا، قد طامن بشخصه، و قارب من خطوه، و شمّر من ثوبه، و زخرف من نفسه للأمانه، و اتّخذ ستر اللّه ذریعه إلی المعصیه.

ص:۴۸

و منهم من أقعده عن طلب الملك ضئوله نفسه، و انقطاع سببه فقصّرته الحال على حاله، فتحلّى باسم القناعه، و تزيّن بلباس أهل الزّهاده، و ليس من ذلك فى مراح و لا مغدى. و بقى رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع، و أراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نادّ، و خائف مقموع، و ساكت مكعوم، و داع مخلص، و ثكلان موجع، قد أخملتهم التّقيّه، و شملتهم الذّلّه، فهم فى بحر أجاج، أفواههم ضامزه، و قلوبهم قرحه، قد و عظوا حتّى ملّوا، و قهروا حتّى ذلّوا، و قتلوا حتّى قلّوا، فلتكن الدّنيا فى أعينكم أصغر من حثاله القرظ، و قراضه الجلم، و اتّعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم، و ارفضوها ذميمه، فإنّها قد رفضت من كان أشعف بها منكم.

قال السّيد (ره) أقول هذه الخطبه ربّما نسبها من لا علم لها إلى معاويه و هى من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام الذى لا شك فيه، و أين الذّهب من الرّغام و العذب من الاجاج، و قد دلّ على ذلك الدّليل الخرّيت و نقده النّاقد البصير: عمرو بن بحر الجاحظ، فانّه ذكر هذه الخطبه فى كتاب البيان و التّبيين، و ذكر من نسبها إلى معاويه، ثمّ قال: هى بكلام علىّ عليه السّلام أشبه و بمذهبه فى تصنيف النّاس و فى الاخبار عمّا هم عليه من القهر و الاذلال و من التقيه و الخوف أليق، قال: و متى وجدنا معاويه فى حال من الأحوال سلك فى كلامه مسلك الزّهاد و مذاهب العبّاد.

اللغه

(عنود) على وزن صبور من عند القصد عنودا من باب قعد مال، و فى بعض النسخ بدل الشديد (الكنود) و هو ككفور لفظا و معنى قال سبحانه: «إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ » قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى تفسيره: الكنود الذى يأكل وحده و يمنع رفده و يضرب عبده (و العتوّ) مصدر من عتا الرّجل يعتو من باب قعد إذا استكبر و تجاوز عن الحدّ (و القارعه) الدّاهيه و (مهانه) النّفس بالفتح ذلّها و (كلّ) السّيف كلّا و كلاله لم يقطع و (نضيض و فره) اى قلّه ماله من نضّ الماء نضّا و نضيضا سال قليلا قليلا و خرج رشحا.

و (المصلت) من أصلت سيفه إذا جرّده عن غمده و (المجلب) اسم فاعل من أجلب عليهم اى أعال عليهم و (الرّجل) جمع راجل كالركب و راكب قال سبحانه:

«وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ » و (اشرط) نفسه أعدّها للفساد فى الارض و (حطام) الدنيا متاعها و أصله ما تكسر من اليبس و (الانتهاز) بالزاء المعجمه الاغتنام و (المقنب) بالكسر ما بين الثلاثين و الأربعين من الخيل و (يفرعه) يعلوه و (طامن) ظهره حناه و خفضه و (شمر) ثوبه قصّره و رفعه و (زخرف) نفسه زيّنها و (ضئوله) النّفس بفتح الضّاد حقارتها و (المراح) بضمّ الميم حيث تاوى الماشيه بالليل و المناخ و المأوى مثله.

و فى بعض النسخ بفتح الميم و هو الموضع الذى يروح منه القوم أو يرجعون اليه يقال ما ترك فلان من ابيه مغدى و لا مراحا و مغداه و لا مراحه و (الشريد) من شرد البعير اذا نفر و (الناد) المنفرد و (المقموع) المغلوب و (كعم) البعير من باب منع فهو مكعوم و كعيم شدّ فاه لئلا يأكل أو يقضّ، و منه الكعام، و هو ما يجعل فى فم البعير عند الهياج.

و (الضامزه) بالزاء المعجمه الساكنه و (القرظ) محرّكه ورق السّلم يدبغ به و (الجلم) بالتحريك أيضا المقصّ يجزّبه أو بارا لابل، و قراضته ما يقع من قرضه و قطعه و (الرّغام) تراب لين او رمل مختلط بتراب و (الخريت) بالكسر و تشديد الرّاء الدّليل الحاذق و (صنّف) النّاس تصنيفا جعلهم صنفا صنفا.

ص:٥٠

الاعراب

نسبهإلى الدّهر من باب التّوسع، و اضافه النّضيض إلى الموفر من باب اضافه الصّفه إلى الموصوف، و الباء فى بسيفه و بشره و بخيله زايده، و لبئس المتجر بئس فعل ذمّ و المتجر فاعله، و ان ترى الدّنيا مؤل بالمصدر مخصوص بالذمّ و هو فى محلّ الرّفع على كونه مبتداء و بئس فاعله خبر اله أو على أنه خبر حذف مبتدؤه، و قوله بعمل الدنيا الباء للآله، و من فى قوله من شخصه للزّياده كالثلاث بعدها، لأنّ الافعال الأربعه متعدّيه بنفسها.

المعنى

اعلم أنّ الزّمان لما كان من الاسباب المعدّه لحصول ما يحصل فى عالم الكون و الفساد من الشّرور و الخيرات صحّ بذلك توصيف بعض الازمنه بالخير فيقال: زمان خير و زمان عدل لكثره ما يكون فيه بشهاده الاستقراء من الخير و انتظام حال الخلق و مواظبتهم على القوانين الشّرعيه و السّنن النبويه، و توصيف بعضها بالشرّ فيقال زمان جائر و زمان صعب شديد لكثره ما يقع فيه من الشرور و المفاسد و عدم انتظام أمر الخلق فيه من حيث المعاش أو المعاد، إذا عرفت ذلك فأقول: قوله عليه السّلام:(أيّها النّاس انا قد أصبحنا فى دهر عنود و زمن شديد) ذمّ لزمانه عليه السّلام بالجور و العدوان و الشّده و الكفران من حيث غلبه الضّلال و دوله الجهّال و اضمحلال الحق و استيلاء الباطل و رجوع أغلب النّاس بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى أعقابهم القهقرى و ارتدادهم عن الامام الحق و اقتدائهم بالامام الباطل، و عدم تمكنه عليه السّلام من اقامه المعروف و إزاحه المنكر و من ذلك نشأ الشّرور و المفاسد التى عدوها و هى امور.

الاول انّه (يعدّ فيه المحسن مسيئا) و ذلك لغلبه الاساءه من حيث كثره المسيئين و قلّه الاحسان لقلّه المحسنين، فيعدّ المسىء إحسان المحسن إساءه كما أنّه يعدّ إساءه نفسه إحسانا، لكون السّنه فى نظره بدعه و البدعه سنّه، أو أنّه يحمل احسان المحسن على الاسائه كحمله عبادته على الرّياء و السّمعه، و انفاقه

ص:51

على الخوف او الرّغبه فى المجازاه و نحو ذلك من الامور الناشئه من سوء الظنّ من أجل تنزيله حال الغير منزله نفسه.

(و) الثانى انّه (يزداد الظالم فيه عتوا) و ذلك لقيام المقتضى لظلمه و عدم رادع له عن ذلك فيزداد فيه شيئا فشيئا و حينا فحينا.

بيان ذلك أنّ المقتضى لظلم الظالم هو نفسه الأماره بالسّوء، فلو كانت فى زمان العدل تكون مقهوره تحت حكم الحاكم العادل غير متمكّنه من القيام و الاقدام على الظلم و الجور، و لما لم يتمكّن عليه السّلام فى زمانه من قمع الباطل حقّ التّمكن، لا جرم ازداد الظالم فيه على ظلمه و بلغ الغايه فى استكباره و عتوّه باقتضاء دواعى نفسه.

و الثالث انّه (لا نتنفع بما علمنا) و الاتيان بصيغه المتكلّم من قبيل ايّاك أعنى و اسمعى يا جاره، و المقصود به توبيخ العالمين لتقصيرهم عن القيام بوظايف العلم إذ الانتفاع بالعلم إنّما يكون إذا وافقه العمل، لأنّ العلم و العمل كالرّوح و الجسد يتصاحبان و يتكاملان معا و كلّ مرتبه من العلم يقتضى عملا معينا بحسبه و كلّ عمل يتهيأ به لضرب من العلم.

و إلى ذلك أشار فى روايه الكافى عن اسماعيل بن جابر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: العلم مقرون إلى العمل فمن علم عمل، و من عمل علم، و العلم يهتف بالعمل فان أجابه و الاّ ارتحل عنه:

فان المراد بهتفه للعمل هو اقتضاؤه العمل و استدعاؤه له و من ارتحاله عدم الانتفاع به أو زواله بالمرّه.

و فيه عن علىّ بن هاشم بن البريد عن أبيه قال: جاء رجل إلى علىّ بن الحسين عليه السّلام فسأله عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال علىّ بن الحسين عليهما السّلام:

مكتوب فى الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون و لما تعملوا بما علمتم، فانّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلاّ كفرا، و لم يزدد من اللّه إلاّ بعدا.

(و) الرابع انّه (لا نسأل عمّا جهلنا) و هو توبيخ للجاهلين المقصّرين فى

طلب العلم و سؤال العلماء لعدم معرفتهم فضل العلم و عدم رغبتهم فی العمل و لذلک قال الصادق علیه السّلام لحمران بن أعین فی شیء سأله إنّما هلک النّاس لأنّهم لا یسألون رواه فی الکافی.

و فیه أیضا عن علیّ بن إبراهیم عن محمّد بن عیسی عن یونس عمّن ذکره عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: افّ لرجل لا یفرغ نفسه فی کلّ جمعه لأمر دینه فیتعاهده و یسأل عن دینه.

و عن الحسین بن محمّد عن علیّ بن محمّد بن سعد رفعه عن أبی حمزه عن علیّ ابن الحسین علیهما السّلام قال: لو یعلم النّاس ما فی طلب العلم لطلبوه و لو بسفک المهج و خوض اللّجج إنّ اللّه تعالی أوحی إلی دانیال انّ أمقت عبیدی إلیّ الجاهل المستخفّ بحقّ أهل العلم التّارک للاقتداء بهم، و انّ أحبّ عبیدی إلیّ التّقیّ الطالب للثواب الجزیل اللاّزم للعلماء التّابع للحکماء القایل عن الحکماء.

(و) الخامس انّه (لا نتخوف قارعه) و داهیه (حتّی تحلّ بنا) و هو توبیخ للغافلین و المشغولین بلذایذ الدّنیا الحاضره الغیر الملتفتین إلی البلیات و الدّواهی النّازله.

ثمّ إنّه علیه السّلام بعد شکایته من زمانه قسّم أهل الزّمان إلی أقسام خمسه، و وجه القسمه أنّ النّاس إمّا مریدون للآخره و هم الذین أفردهم بالذّکر فی مقابل الأقسام الاربعه و أشار إلیهم بقوله و بقی رجال غضّ أبصارهم (إلخ) و إمّا مریدون للدنیا و هؤلاء إمّا قادرون علیها بالسّلطنه و الاستیلاء، و إمّا عاجزون عنها، و هؤلاء إمّا غیر محتالین للدّنیا، أو محتالون لها، و المحتالون إمّا مقصودهم من الاحتیال هو خصوص ملک الدّنیا و مالها، أو الأعمّ من ذلک فهذه أقسام خمسه أربعه منهم أهل الدّنیا و واحد أهل الآخره.

و أشار إلی الأوّلین بقوله (فالنّاس علی أربعه أصناف) الأول (منهم) العاجز عن الدّنیا غیر المحتال لها و هو (من لا یمنعه) من العلوّ و (الفساد فی الأرض إلاّ مهانه نفسه) و حقارتها (و کلاله حدّ) سیف (ه) و وقوعه عن القطع و عدم الحقیقه

للمنظور إليه (و نضيض وفره) اى قلّه ماله، و هذه كلّها إشاره إلى عدم تمكن هذا الرّجل من الوصول إلى مطلوبه و عدم قدرته على تحصيل مقصوده لانقطاع الاسباب دونه مضافا إلى ضعف نفسه.

(و) الثّانى (منهم) القادر على الدّنيا بالسّلطنه و الاستيلاء و هو (المصلت بسيفه) الشّاهر له(و المعلن بشره و المجلب بخيله و رجله)و هو كنايه عن جمعه أسباب الظلم و الغلبه و الاستعلاء (قد اشرط نفسه) و اهلها للفساد فى الأرض(و اوبق دينه لحطام ينتهزه)و يغتنمه، و تشبيه مال الدّنيا بالحطام لكونه قليل النّفع بالنّسبه إلى الأعمال الصالحه الباقى نفعها فى الآخره، كما أنّ اليبس من النّبات قليل المنفعه بالقياس إلى ما تبقى خضرته (او مقنب) اى خيل (يقوده او منبر يفرعه) و يعلوه.

و هذه الأوصاف المذكوره لهذا القسم مطابق المصداق مع خلفاء بنى اميّه و بنى العباس لعنهم اللّه و أشار إلى خسران هؤلاء فى أفعالهم بقوله:(و ليئس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمنا و ممّا لك عند اللّه عوضا) كما قال تعالى:

«مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَهَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَهَ وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ».

(و) الثّالث (منهم) العاجز عن الوصول إلى الدّنيا المحتال لها بالسّمعه و الرّياء و يرائى بالزّىّ و الهيئه و هو (من يطلب الدّنيا بعمل الآخره) لكون همّه فيها (و لا يطلب الآخره بعمل الدّنيا) لعدم رغبته إليها أصلا، و المراد بعمل الدّنيا ما يفعله المكلف فيها أو ما يصير بانضمام القربه و التّوصل إلى الطاعه طاعه (قد طامن من شخصه) اظهارا للتّواضع (و قارب من خطوه) اظهارا للوقار (و شمّر من ثوبه) اظهارا للطهاره و التنزه من النّجاسه (و زخرف من نفسه) اى زيّنها للنّاس بزينه الصّلحاء و الاتقياء.

ص:۵۴

و مقصوده من ذلک کلّه أن یفتتن به النّاس و یرغب إلیه قلوبهم و یعظم قدره عندهم و یروه أهلا (للأمانه) و یسکنوا إلیه فی أماناتهم و یثقوا به فی اموراتهم، فویل لهذا الرّجل تحبّب إلی العباد بالتّبغض إلی اللّه و تزیّن لهم بالشّین عند اللّه و تحمّد إلیهم بالتذمّم عند اللّه (و اتّخذ ستر اللّه) الذی حمی به أهل التّقوی أن یردوا موارد الهلکه (ذریعه إلی المعصیه) و وسیله إلی ما اتیه من الدّنیا الفانیه.

قال فی البحار: قال الکیدری: فی کتاب المضاف و المنسوب ستر اللّه الاسلام و الشیب و الکعبه و ضمایر صدور الناس یعنی جعل ظاهر الاسلام و ما یجنّه صدره بحیث لا یطلع علیه مخلوق وسیله و طریقا إلی معصیه اللّه.

و أقول: یحتمل أن یکون المراد أنّه اتخذ ستر اللّه علی عیوبه حیث لم یفضحه و لم یطلع الناس علی بواطنه ذریعه إلی أن یخدع النّاس.

(و) الرّابع (منهم) العاجز المحتال الذی رغبته فی الملک و المال و هو (من أقعده) فی بیته (عن طلب الملک ضئوله نفسه) و حقارتها (و انقطاع سببه) من عدم البضاعه و نحوها من الاسباب المحصله لمطلوبه،(ف) لأجل ذلک (قصرته الحال علی حاله) ای وقفت به حال القدر علی حاله التی لم یبلغ معها ما أراد و قصرته علیها، (ف) لذلک عدل إلی الحیله الجاذبه لرغبات الخلق إلیه (فتحلّی باسم القناعه و تزیّن بلباس أهل الزّهاده) و قام بالطاعات و واظب علی العبادات (و) الحال انّه (لیس من ذلک) ای من القناعه و الزهد (فی مراح و لا مغدی).

یعنی إنّه لیس منهما فی شیء و إنّما اتّصافه بهما ظاهریّ و صوریّ لا حقیقیّ و واقعیّ، و یحتمل أن یکون الاشاره بذلک إلی أهل الزّهاده و یکون المعنی أنّه لیس یومه کیومهم فی الصّوم و غیره، و لا لیله کلیلهم فی العبادات هذا.

و لما فرغ من أصناف أهل الدّنیا الأربعه و أوصافها أشار إلی أهل الآخره المقابل لهم بقوله:(و بقی رجال) و میّزهم بأوصاف مخصوصه بهم متمیّزین بها عن غیرهم و هی انّه (قد غض أبصارهم ذکر المرجع) عن النظر إلی محارم اللّه أو عن الالتفات إلی مطلق ما سوی اللّه.

و ذلک لانّ القلب إذا کان مشغولا بذکر اللّه مستغرقا فی شهود جمال الحقّ

ص:۵۵

و ملاحظه جلاله عارفا بأنّ المسير و المنقلب إليه سبحانه، يكون الحسّ تابعا له لا محاله لكونه رئيس الأعضاء و الحواسّ، فلا يكون له حينئذ التفات إلى الغير و توجه من طريقه إلى أمر آخر (و أراق دموعهم خوف المحشر) و هول المطلع فانّ بين الجنّه و النّار عقبه لا يجوزها إلاّ البكاءون من خشيه اللّه كما رواه فى عدّه الدّاعى و فيه أيضا عن الصادق عليه السّلام كلّ عين باكيه يوم القيامه إلاّ ثلاث عيون: عين غضّت عن محارم اللّه، و عين سهرت فى طاعه اللّه، و عين بكت فى جوف الليل من خشيه اللّه.

و عنه عليه السّلام ما من شىء إلاّ و له كيل أو وزن إلاّ الدّموع فانّ القطره يطفى بحارا من النّار، فاذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق(۱) قتر و لا ذلّه، فاذا فاضت حرّمه اللّه على النّار و لو أنّ باكيابكى فى امّه لرحموا.

و عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا أحبّ اللّه عبدا نصب فى قلبه نائحه من الحزن فانّ اللّه يحبّ كلّ قلب حزين و أنّه لا يدخل النّار من بكى من خشيه اللّه تعالى حتّى يعود اللّبن إلى الضّرع، و أنّه لا يجتمع غبار فى سبيل اللّه و دخان جهنّم فى منخرى مؤمن أبدا و إذا أبغض اللّه عبدا جعل قلبه مزارا «مزمارا» من الضّحك و إنّ الضّحك يميت القلب و اللّه لا يحبّ الفرحين.

و كيف كان (فهم بين شريد نادّ) أى نافر عن الخلق و منفرد عنهم و متوّحش منهم إمّا لكثره أذى الظالمين فى الأوطان، لانكاره المنكر أو لقلّه صبره على مشاهده المنكرات (و خائف مقموع و ساكت مكعوم) كان التّقيه سدّت فاه من الكلام (و داع مخلص) للّه فى دعائه (و ثكلان موجع) إمّا لمصابه فى الدّين أو من كثره أذى الظالمين.

و فى البحار و لعلّ المعنى أنّ بعضهم ترك الأوطان أو مجامع النّاس لما ذكر، و بعضهم لم يترك ذلك و ينكر منكرا، ثمّ يخاف ممّا يجرى عليه بعد ذلك و منهم من هو بينهم و لا ينهاهم تقيّه و معرض عنهم و مشتغل بالدّعاء، و منهم من هو

۱- (۱) رهقه بالكسر اى غشيه.

بینهم بالضّروره و یری أعمالهم و لا یؤثر نهیه فیهم فهو کالثّکلان الموجع (قد أخملتهم التّقیه) من الظالمین (و شملتهم الذّله) بسبب التّقیه منهم (فهم فی بحر اجاج).

یعنی أنّ حالهم فی الدّنیا کحال العطشان فی البحر الاجاج یرید عدم انتفاعهم بها و عدم استمتاعهم فیها کما لا یستغنی ذو العطاش بالماء المالح (أفواههم ضامزه) ای ساکته و ساکنه من الکلام (و قلوبهم قرحه) من خشیه الرّب تعالی أو لکثره مشاهده المنکرات مع عدم التمکن من دفعها و رفعها (قد وعظوا حتّی ملّوا) من الوعظ لعدم التفات الخلق الیهم و عدم تأثیر موعظتهم فیهم.

(و قهروا حتّی ذلّوا) بین النّاس(و قتلوا حتّی قلّوا)نسبه القتل إلی الجمیع مع بقاء البعض من باب اسناد حکم البعض إلی الکلّ، و هو شایع یقال: بنو فلان قتلوا فلانا، و إنّما قتله بعضهم و إذا کان حال کرام النّاس الزّاهدین فی الدّنیا ذلک (فلتکن) لکم بهم أسوه حسنه و لتکن (الدّنیا) الدّنیه (فی أعینکم اصغر) و احقر (من حثاله القرظ و قراضه الجلم) و هو أمر للسّامعین باستصغار الدّنیا و استحقارها إلی حدّ لا یکون فی نظرهم أحقر منها، و الغرض من ذلک ترکهم لها و اعراضهم عنها.

قیل: أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله مرّ علی سخله منبوذه علی ظهر الطریق فقال صلّی اللّه علیه و آله اترون هذه هینه علی أهلها فو اللّه الدّنیا أهون علی اللّه من هذه علی أهلها، ثمّ قال:

الدّنیا دار من لا دار له، و مال من لا مال له، و لها یجمع من لا عقل له، و شهواتها یطلب من لا فهم له، و علیها یعادی من لا علم له، و علیها یحسد من لا فقه له، و لها یسعی من لا یقین له.

(و اتّعظوا بمن کان قبلکم قبل أن یتّعظ بکم من بعدکم) و هو أمر بالاتّعاظ بالامم السّالفه و تنبیه علی أنّهم مفارقون للدّنیا لا محاله و کاینون عبره لغیرهم، کما أنّ السّابقین علیهم صاروا عبره لهم (و ارفضوها ذمیمه) أی فارقوا عنها و اترکوها حال کونها مذمومه عند العقلا و أولی البصیره.

و ذلک لزوال نعیمها و فناء سرورها و نفاد صحبتها و انقطاع لذّتها (فانّها)

لو دام سرورها و بهجتها لأحد لدامت فی حقّ أحبّ الخلق إلیها مع أنّها لم تدم فی حقّهم بل (قد رفضت من کان أشعف بها منکم) و ترکت من کان أشدّ حرصا إلیها، و إذا کان طباعها رفض کلّ محبّ فالأولی للعاقل رفضه لها قبل رفضها له.

روی انّ عیسی علیه السّلام کوشف بالدّنیا فرآها فی صوره عجوزه هتماء علیها من کلّ زینه فقال لها کم تزوّجت؟ قال: لا احصیهم، قال: فکلّهم مات عنک أو طلّقوک؟ قال: بل کلّهم قتلت قال عیسی علیه السّلام: بؤسا لأزواجک الباقین کیف لا یعتبرون بأزواجک الماضین، کیف أهلکتهم واحدا واحدا و لا یکونون منک علی حذر، و لنعم ما قیل:

یا طالب الدّنیا یغرّک وجهها و لتندمنّ إذا رأیت قفاها

الترجمه

:

از جمله خطب آن حضرتست که شکایت میکند در آن از اهل زمان خود و می فرماید:

ای مردمان بدرستی که ما صباح کرده ایم در روزگار بسیار ستیزه کننده و ستمکار و در زمان بسیار ناسپاس در نعمت آفریدکار که شمرده می شود در او نیکو کار بد کردار و زیاده می کند در آن ستمکار سرکشی و افتخار را و منتفع نمی شویم به آنچه دانسته ایم، و سؤال نمی کنیم از آنچه ندانسته ایم و نمی ترسیم از بلاهای خطرناک که کوبندۀ دلهاست تا این که نازل شود آن بلاها بما.

پس مردمان دنیا چهار صنفند: یکی از ایشان کسی است که باز نمی دارد او را از فتنه و فساد مگر رذالت و خاری نفس او و کند بودن تیزی شمشیر او و کمی مال و ثروت او.

دوّمی از ایشان کسیست که کشنده است شمشیر خود را و آشکار کننده است شرّ خود را و کشنده است سواره و پیادۀ خود را، یعنی اسباب سلطنت و ظلم در حق او و مهیاست بتحقیق این مرد مهیا نموده از برای شرارت نفس خود را و تباه ساخته دین خود را از برای متاع دنیا که غنیمت می شمارد آنرا یا از برای سوارانی که

بکشد ایشان را یا از برای منبری که بالا می رود بر او و هر آینه بد تجارتیست آن که به بینی دنیا را از برای نفس خودت ثمن و بها و از آنچه مر تو راست در نزد خدای تعالی از نعم آن سرا عوض و سزا.

و سیّمی از ایشان کسی است که طلب کند دنیا را بعمل آخرت و طلب نمی کند آخرت را بعمل دنیا، بتحقیق که این شخص پست کرد تن خود را بجهت اظهار تواضع، و نزدیک نهاد کام خود را بجهت اظهار وقار و برچید دامن جامهٔ خود را بجهت اظهار احتیاط از نجاست، و زینت داد نفس خود را برای امانت و دیانت، و فرا گرفته طریقهٔ خدا را وسیلهٔ رفتن بسوی معصیت.

و چهارمی از ایشان کسی است که نشانده او را از طلب ملك و مال حقارت نفس او و بریده شدن علاج او، پس کوتاه ساخته او را حال تنکی او بر حالتی که اراده نموده از رفعت و مرتبت پس آراسته است خود را باسم قناعت و پیراسته بلباس اهل زهد و طاعت، و حال آنکه نیست از اهل قناعت و زهد نه در محل شب و نه در محل روز یعنی در هیچ وقت در سلك زاهدان حقیقی نیست بلکه زهد و قناعت او صوری و ظاهریست.

و باقیماند مردمانی که اهل آخرت هستند که پوشانید چشمهای ایشان را از محارم یا از مطلق ما سوی اللّه یاد کردن بازگشت او نزد خداوند سبحانه و ریخت اشکهای ایشان را ترس روز محشر پس آنها میان رمیده هستند و مطرود شده و ترسنده و مقهور گردیده و خاموش شونده و ممنوع از کلام و دعا کننده با اخلاص و فریاد کننده و رنجور شده.

بتحقیق که افکنده است ایشان را بگوشهٔ خمول تقیه و پرهیزکاری و شامل شده ایشان را ذلت و خاری، دهنهای ایشان خاموش است از سخن، و قلبهای ایشان مجروحست از خشیه خداوند ذو المنن، بتحقیق که موعظه فرمودند تا این که ملول شدند، و مقهور گشتند تا این که ذلیل گردیدند، و کشته شدند تا این که اندك ماندند.

چون حال روزگار غدار در حق این طایفهٔ عالیمقدار بر این منوالست، پس باید که باشد دنیای فانی در نظر شما خارتر از دردی برک سلم که بآن دباغی می کنند و از ریزهای پشم بزکه از مقراض می افتد، و نصیحت بپذیرید با کسانی که بودند پیش از شما پیش از آنکه پند گیرند با شما آن کسانیکه می آیند بعد از شما و بگذارید و ترک نمائید متاع دنیا را در حالتی که مذموم است و معیوب نزد اهل دانش و بینش، پس بتحقیق که ترک کرده است دنیا کسی را که حریص تر بود و مایل تر بآن از شما.

و من خطبه له علیه السّلام عند خروجه

اشاره

لقتال اهل البصره و هی الثالثه و الثلاثون من

المختار فی باب الخطب

قال ابن عباس دخلت علی أمیر المؤمنین علیه السّلام بذی قار و هو یخصف نعله فقال لی: ما قیمه هذا النعل؟ فقلت: لا قیمه لها: فقال علیه السّلام:

و اللّه لهی أحبّ إلیّ من إمرتکم إلاّ أن أقیم حقّا أو ادفع باطلا ثمّ خرج فخطب النّاس فقال:

إنّ اللّه سبحانه بعث محمّدا و لیس أحد من العرب یقرأ کتابا و لا یدّعی نبوّه، فساق النّاس حتّی بوّاهم محلّتهم، و بلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، و اطمأنّت صفاتهم، أما و اللّه إن کنت لفی ساقتها حتّی تولّت بحذافیرها ما عجزت، و لا جبنت، و إنّ مسیری هذا لمثلها، و لأنقبنّ (و لأبقرّن خ) الباطل حتّی یخرج الحقّ من خاصرته (جنبه خ ل)، ما لی و لقریش و اللّه لقد قاتلتهم کافرین، و لاقاتلنّهم

مفتونين، و إنّى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم.

اللغه

(ذو قار) موضع قرب البصره، و هو المكان الذى كان فيه الحرب بين العرب و الفرس و نصرت العرب على الفرس و فيه عين يشبه لون مائه القير و (خصف النعل) خرزها و هى مؤنثه سماعيّه و (بواه) المكان أسكنه فيه و (المنجاه) موضع النّجاه و (القناه) الرّمح و هو إذا كانت معوجا لا يترتّب عليه الأثر و (الصّيفاه) بفتح الصاد الحجر الصّيلبه الضّخم لا ينبت و (السّاقه) جمع سائق كالحاكه و الحائك ثمّ استعملت للأخير لأن السّائق إنّما يكون فى آخر الرّكب أو الجيش (تولّت) و فى نسخه الشّارح المعتزلى ولت بالواو و كليهما بمعنى واحد أى أدبرت هاربا و (الحذافير) جمع الحذ فار بكسر الحاء و هو الجانب و الشّريف و الجمع الكثير يقال أخذه بحذافيره بأسره أو بجوانبه أو بأعاليه و (ضعف و جبن) بضمّ العين من باب كرم و (النّقب) الثّقب و فى بعض النسّخ بدل لأنقبنّ لأبقرنّ من البقر و هو الشّق.

الاعراب

جمله و ليس احد، اه حاليّه و ان كنت لفى ساقتها ان بالكسر مخفّفه من الثّقيله و اسمها محذوف، و اللام فى قوله لفى ساقتها عوض عن المحذوف على حدّ قوله سبحانه:

«وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً » و قيل فصل باللاّم بين ان المخفّفه و بين غيرها من أقسام ان.

و عن الكوفيّين أنّ إنّ المشدّده لا تخفّف و أنّ إن فى هذه الموارد بمعنى ما النّافيه، و اللاّم بمعنى إلاّ فاذا قلت: إن زيد لمنطلق فمعناه ما زيد إلاّ منطلق و ردّ اوّلا بانّ وقوع اللاّم بمعنى إلاّ لم يثبت سماعا و لا قياسا، و ثانيا بأنّ هذا ينافى اعمالها مع التّخفيف و قد حكى عن سيبويه إن عمروا لمنطلق بالنصب و قرء الحرميان و أبو بكر:

«وَ إِنَّ كُلًّا لَمّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ » و جمله ما عجزت حاليه، و لمثلها بكسر اللاّم على ما فى أكثر النسخ أو بفتحها على أنّها للتّوكيد على ما فى بعضها، و مالى و لقريش استفهام على سبيل إنكار معاندتهم له و جحودهم لفضله، و كافرين و مفتونين منصوبتان على الحال

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه مسوقه لاظهار انّ غرضه من حرب أهل الجمل كان إقامه الحقّ و إزاحه الباطل و أنّ حربه معهم جارى مجرى حربه مع الكفار و أهل الجاهليه فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لذلك أشار أولا إلى بعثه الرّسول ثمّ رتّب عليها مقصوده فقال:(إنّ اللّه سبحانه بعث محمّدا) صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و ليس أحد من العرب) فى زمان بعثه (يقرأ كتابا و لا يدّعى نبوّه).

يحتمل أن يكون المراد بالعرب أقلّهم، فانّ أكثرهم لم يكن لهم يومئذ دين و لا كتاب كما مرّ تفصيلا فى الفصل السّادس عشر من فصول الخطبه الاولى عند شرح قوله عليه السّلام: و أهل الارض يومئذ ملل متفرّقه اه.

و امّا على إراده العموم كما هو ظاهر العباره فيمكن الجواب بانّ الكتاب الذى كان بأيدى اليهود و النّصارى حين بعثه لم يكن بالتّوراه و الانجيل المنزل من السماء، لمكان التّحريف و التّغيير الذى وقع فيهما كما يشهد به قوله تعالى:

«وَ إِنَّ مِنْهُمْ »(۱) «لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ».

قال أبو على الطبرسى فى مجمع البيان قيل: نزلت فى جماعه من أخبار اليهود

۱- (۱) اى من أهل الكتاب و هو عطف على قوله و من أهل الكتاب إلخ مجمع البيان.

كتبوا بأيديهم ما ليس فى كتاب اللّه من بعث النّبىّ و غيره و أضافوه إلى كتاب اللّه، و قيل: نزلت فى اليهود و النّصارى حرّفوا التّوراه و الانجيل و ضربوا كتاب اللّه بعضه ببعض و الحقوا به ما ليس منه و أسقطوا منه الدّين الحنيف.

قال ابن عباس و كيف كان فالمقصود أنّ النّاس يوم بعث النبىّ كانوا أهل جاهليه غافلين عن الكتاب و السنّه (فساق) صلوات اللّه و سلامه عليه و آله (النّاس حتى بوّاهم محلّتهم) يعنى أنّه ضرب النّاس بسيفه حتى أسكنهم منزلتهم و مرتبتهم التى خلقوا لاجلها (و بلغهم منجاتهم) التى لا خوف على من كان بها و لا سلامه للمنحرف عنها.

و المراد بهما هو الاسلام و الدّين و بذلك يحصل النّجاه من النّار و يتقى من غضب الجبار و يسكن دار القرار، و ذلك هو المراد من خلقه الانسان و به يحصل مزّيته على ساير أنواع الحيوان(فاستقامت به قناتهم)التى كانت معوّجه(و اطمأنّت صفاتهم)التى كانت متزلزله مضطربه.

قال الشّارح البحرانى: و المراد بالقناه القوّه و الغلبه و الدّوله التى حصلت لهم مجازا من باب اطلاق السبب على المسبب، فانّ الرّمح سبب للقوّه و الشدّه، و معنى إسناد الاستقامه إليها انتظام قهرهم و دولتهم، و لفظ الصفات استعاره لحالهم التى كانوا عليها.

و وجه المشابهه أنّهم كانوا قبل الاسلام فى مواطنهم و على أحوالهم متزلزلين لا يقرّ بعضهم بعضا فى موطن و لا على حال بل كانوا أبدا فى النّهب و الغاره و الجلاء، فكانوا كالواقف على حجر أملس متزلزل مضطرب فاطمأنّت أحوالهم و سكنوا فى مواطنهم (أما و اللّه ان كنت لفى ساقتها) شبّه أمر الجاهليه إمّا بعجاجه ثائره(۱) أو بكتيبه مقبله للحرب.

فقال إنّى طردتها فولّت بين يدى و لم أزل فى ساقتها أنا أطردها و هى تنفر أمامى (حتّى تولّت) هاربه (بحذافيرها) و لم يبق منها شيء (ما عجزت) من سوقها

۱- (۱) الثور هو الهيجان.

(و لا جبنت) من طردها (و أنّ مسيرى هذا لمثلها) أى لمثل تلك الحال التى كنت عليها معهم فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله من سوق كتائبهم و طردها من غير ضعف و لا جبن.

(و لأبقرّن الباطل حتّى يخرج الحقّ من خاصرته) شبّه الباطل بحيوان ابتلع جوهرا ثمنيا أعزّ منه قيمه فاحتيج إلى شقّ بطنه فى استخلاص ما ابتلع، و أراد بذلك تميز الحقّ من الباطل و تشخيص الصلاح من الفساد (ما لى و لقريش) يجحدون فضيلتى و يستحلّون محاربتى و ينقضون بيعتى (و اللّه لقد قاتلتهم كافرين) بالكفر و الجحود (و لاقاتلنّهم مفتونين) بالافتنان و البغى ليرجعوا من الباطل إلى الحقّ و يفيئوا إليه.

روى فى الوسائل عن الحسن بن محمّد الطوسى فى مجالسه عن أبيه عن المفيد معنعنا عن محمّد بن عمر بن على عن أبيه عن جدّه أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال له: يا علىّ إنّ اللّه قد كتب على المؤمنين الجهاد فى الفتنه من بعدى كما كتب عليهم الجهاد مع المشركين معى، فقلت: يا رسول اللّه و ما الفتنه التى كتب علينا فيها الجهاد؟ قال: فتنه قوم يشهدون أن لا إله إلاّ اللّه، و أنّى رسول اللّه، و هم مخالفون لسنّتى و طاعنون فى دينى، فقلت فعلى م نقاتلهم يا رسول اللّه و هم يشهدون أن لا اله إلاّ اللّه و أنّك رسول اللّه؟ فقال على إحداثهم فى دينهم و فراقهم لأمرى و استحلالهم دماء عترتى هذا.

قال الشّارح المعتزلى فى شرح قوله و لاقاتلهم مفتونين: أنّ الباغى على الامام مفتون فاسق، و هذا الكلام يؤكد قول أصحابنا أنّ أصحاب صفّين و الجمل ليسوا بكفّار خلافا للاماميّه.

و ردّ بأن المفتون من أصابه الفتنه و هى تطلق على الامتحان و الضّلال و الكفر و الاثم و الفضيحه و العذاب و غير ذلك، و المراد بالمفتون ما يقابل الكافر الأصلى الذى لم يدخل فى الاسلام أصلا و لم يظهره إذ لا شك فى أنّ من حاربه عليه السّلام كافر لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم حربك حربى و غير ذلك من الأخبار و الادلّه.

أقول: المستفاد من كلام الشّارح أنّ الاماميه يقولون بكون البغاه كفارا

ص:۶۴

كساير الكفّار من المشركين و منكرى الرّساله و ساير ما ثبت ضروره من دين الاسلام و ليس كذلك و إلّا لحكموا بجواز سبى ذراريهم و تملّك نسائهم و أموالهم الغير المنقوله كساير الكفار من أهل الحرب مع أنّهم قد اجمعوا على عدم جواز شىء من ذلك.

كيف و لو كان بناؤهم على ذلك لم يفصلوا فى البغاه بين ذوى الفتنه كأصحاب الجمل و معاويه، و بين غيرهم كالخوارج حيث قالوا: فى الأوّلين باجهاز جريحهم و اتباع مدبرهم و قتل أسيرهم، و فى الآخرين بوجوب الاكتفاء بتفريقهم من غير أن يتّبع لهم مدبر أو يقتل لهم أسير أو يجهز على جريح، و لم يختلفوا أيضا فى قسمه أموالهم التى حواها العسكر، بل حكموا فى كل ذلك بحكم الكافر الحربى.

و ممّا ذكرنا ظهر ما فى كلام المورد أيضا مضافا إلى ما فيه من أنّه لو كان المراد بالمفتون فى كلامه عليه السّلام هو المرتدّ عن دين الاسلام على ما فهمه المورد لزم الحكم بعدم قبول توبه أكثر البغاه لو تابوا و بقسمه أموالهم و باعتداد زوجتهم عدّه الوفاه، لأنّ اكثر أهل البغى قد ولدوا على الفطره مع أنّه لم يحكم أحد بذلك.

و تحقيق الكلام فى المقام على ما يستفاد من كلام بعض علمائنا الأبرار و أخبار أئمتنا الاطهار سلام اللّه عليهم ما تعاقب اللّيل و النّهار هو:

أنّ البغاه محكوم بكفرهم باطنا إلّا أنّه يعامل معهم فى هذا الزّمان المسمّى بزمان الهدنه معامله المسلم الحقيقى فيحكم بطهارتهم و جواز ملاقاتهم بالرّطوبه و بحلّ أكل ذبايحهم و حرمه أموالهم و صحه مناكحاتهم إلى غير ذلك من أحكام الاسلام حتّى يظهر الدّوله الحقّه عجّل اللّه تعالى ظهورها فيجرى عليهم حينئذ حكم الكفّار الحربيين.

و يشهد بذلك ما رواه فى الوسايل باسناده عن عبد اللّه بن سليمان قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: إنّ النّاس يروون أنّ عليّا عليه السّلام قتل أهل البصره و ترك أموالهم فقال: إنّ دار الشرّك يحلّ ما فيها و انّ دار الاسلام لا يحلّ ما فيها فقال إنّ عليّا إنّما منّ عليهم كما منّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على أهل مكّه و إنّما ترك عليّ عليه السّلام لأنّه كان

يعلم انّه سيكون له شيعه و انّ دوله الباطل ستظهر عليهم، فأراد أن يقتدى به فى شيعته و قد رأيتم آثار ذلك هو ذا يسار فى النّاس بسيره على و لو قتل علىّ عليه السّلام أهل البصره جميعا و اتّخذ أموالهم لكان ذلك له حلالا لكنّه منّ عليهم ليمنّ على شيعته من بعده.

و عن اسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: مال النّاصب و كلّ شيء يملكه حلال إلّا امرأته، فانّ نكاح أهل الشرّك جايز، و ذلك أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال:

لا تسبّوا أهل الشّرك فانّ لكل قوم نكاحا و لو لا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم و رجل منكم خير من ألف رجل منهم لأمرناكم بالقتل لهم و لكن ذلك إلى الامام.

و عن أبى بكر الحضرمى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: لسيره علىّ فى أهل البصره كانت خيرا لشيعته ممّا طلعت عليه الشّمس إنّه علم أنّ للقوم دوله فلو سباهم لسبيت شيعته، قلت: فأخبرنى عن القائم يسير بسيرته؟ قال: لا إنّ عليّا سار فيهم بالمنّ لما علم من دولتهم و إنّ القائم يسير فيهم بخلاف تلك السّيره لأنّه لا دوله لهم.

و عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن القائم إذا قام بأىّ سيره يسير فى النّاس؟ فقال: بسيره ما سار به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتّى يظهر الاسلام، قلت و ما كانت سيره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ قال: أبطل ما كان فى الجاهليّه و استقبل النّاس بالعدل، و كذلك القائم إذا قام يبطل ما كان فى الهدنه ممّا كان فى أيدى النّاس و يستقبل بهم العدل.

و روى عن الدّعائم عن علىّ عليه السّلام أنّه سئل عن الذين قاتلهم من أهل القبله أ كافرون هم؟ قال عليه السّلام: كفروا بالأحكام و كفروا بالنّعم ليس كفر المشركين الذين دفعوا النبوّه و لم يقرّوا بالاسلام، و لو كانوا كذلك ما حلّت لنا مناكحهم و لا ذبايحهم و لا مواريثهم.

إلى غير ذلك من النّصوص الدالّه على جريان حكم المسلمين على البغاه

ص:۶۶

من حيث البغى فى زمن الهدنه فضلا عمّا هو المعلوم من تتبع كتب السّير و التّواريخ من مخالطه الأئمه عليهم السّلام معهم و عدم التجنّب من أسآرهم و غير ذلك من أحكام المسلمين و إن وجب قتالهم إذا ندب عليه الامام عموما او خصوصا أو ندب عليه المنصوب من قبله عليه السّلام لكن ذلك أعمّ من الكفر و يأتى تمام الكلام إنشاء اللّه تعالى فى شرح الكلام المأه و الخامسه و الخمسين.

نعم الخوارج منهم قد اتّخذوا بعد ذلك دينا و اعتقدوا اعتقادات صاروا بها كفّارا لا من حيث كونهم بغاه فافهم جيّدا و قوله عليه السّلام:(إنّى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم) إشاره إلى عدم تغيّر حالته عن التى بها قاتلهم كافرين، و فيه تهديد لهم و تذكير لشدّه بأسه و سطوته و شجاعته هذا.

و فى نسخه الشّارح المعتزلى بعد قوله صاحبهم اليوم:

و اللّه ما تنقم منّا قريش إلاّ أنّ اللّه اختارنا عليهم فأدخلناهم فى خيرنا فكانوا كما قال الأوّل:

ادمت لعمرى شربك المحض صابحا و اكلك بالزّبد المقشّره البجرا

و نحن وهبناك العلاء و لم تكن عليا و حطنا حولك الجرد و السمرا

أقول: (المحض) اللبن الخالص، و (الصّابح) و الصّبوح ما صلب من اللّبن بالغداه و ما أصبح عندهم من شراب و (المقشّره) التّمره التى اخرج منها نواتها و(البجر)بالضّم الأمر العظيم و العجب و لعلّه هنا كنايه عن الكثره أو الحسن أو اللطافه، و يحتمل أن يكون مكان المفعول المطلق يقال بجر كفرح فهو بجر امتلأ بطنه من اللبن و لم يروّ، و تبجر النّبيذ ألحّ فى شربه و (الجرد) بالضّم جمع الأجرد و هو الفرس الذى دقت شعرته و قصرت و هو مدح و (السّمر) جمع الاسمر و هو الرّمح

تكمله

يأتى إنشاء اللّه روايه هذه الخطبه فى الكتاب بطريق آخر و هى الخطبه المأه و الثّالثه، و نوردها بطريق ثالث فى الشّرح ثمّه فانتظر.

ص:۶۷

تبصره

روى الشّارح المعتزلى عن أبى مخنف عن الكلبى عن أبى صالح عن زيد بن علىّ عن ابن عباس قال: لما نزلنا مع علىّ عليه السّلام ذاقار قلت: يا أمير المؤمنين ما أقلّ من يأتيک من أهل الكوفه فيما أظنّ؟ فقال: و اللّه ليأتينى منهم ستّه ألف و خمسمائه و ستّون رجلا- لا- يزيدون و لا- ينقصون قال ابن عبّاس فدخلنى و اللّه من ذلك شكّ شديد فى قوله و قلت فى نفسى و اللّه إن قدموا لأعدّنهم.

قال أبو مخنف فحدّث ابن اسحاق عن عمّه عبد الرّحمن بن يسار قال: نفر إلى علىّ إلى ذى قار من الكوفه فى البرّ و البحر ستّه ألف و خمسمائه و ستّون رجلا و أقام علىّ عليه السّلام بذى قار خمسه عشر يوما حتّى سمع صهيل الخيل و شجيج البغال حوله قال: فلما سار منقله قال ابن عباس، و اللّه لأعدّنهم فان كانوا كما قال و إلاّ أتممتهم من غيرهم فانّ النّاس قد كانوا سمعوا قوله، قال: فعرضهم فو اللّه ما وجدتهم يزيدون رجلا و لا ينقصون رجلا فقلت: اللّه أكبر صدق اللّه و رسوله ثمّ سرنا.

الترجمه

از جملۀ خطب آن حضرتست كه فرموده هنگام رفتن او بمحاربۀ أهل بصره گفت عبد اللّه بن عباس كه داخل شدم بر امير المؤمنين در منزل ذى قار و آن حضرت مى دوخت نعلين خود را پس گفت بمن كه اى ابن عباس چيست قيمت اين نعل؟ من عرض كردم كه قيمت ندارد و بچيزى نمى ارزد، فرمود بخدا سوگند كه اين نعل محبوب تر است به سوى من از اماره من در ميان شما مگر اين كه اقامه نمايم حقى را يا بر طرف سازم باطلى را پس آن حضرت بيرون تشريف آورد پس خطبه خواند از براى مردم پس فرمود:

بدرستى كه خداوند تعالى مبعوث فرمود محمّد بن عبد اللّه صلوات اللّه و سلامه عليه را در حالتى كه نبود هيچ احدى از عرب كه كتاب بخواند و نه شخصى كه دعوى نبوت نمايد، پس راند حضرت رسالت مردم را تا اين كه ساكن فرمود ايشان را در

منزل ایشان و رسانید ایشان را در محل رستگاری ایشان، پس راست شد نیزهای ایشان و آرام گرفت سنک هموار ایشان.

مقصود انتظام دولت ایشانست و آسودگی بلاد ایشان بخدا سوگند بدرستی که بودم در میان مردمانی که رانندگان عساکر خصم بودند تا این که پشت برگرداند لشکر خصم و رو بر فرار نهادند تماما در حالتی که عاجز نشدم و ترسناک نگشتم، و بدرستی که این سیر و حرکت من بقتال اهل بصره هر آینه مثل آن حالت سابقه است که بودم بر آن از دلیری و شجاعت.

پس هر آینه می شکافم باطل را تا این که بیرون آید حق از شکم او چیست مرا و قریش را که بیعت مرا شکستند و فضیلت مرا انکار کردند بخدا سوگند که مقاتله کردم با ایشان در حالتی که کافر بودند، و مقاتله میکنم با ایشان در حالتی که مفتون هستند، و بدرستی که من مصاحب ایشان بودم دیروز، همچنان که مصاحب ایشانم امروز و تفاوت در حالت من نبوده

و من خطبه له علیه السلام فی استنفار الناس

اشاره

الی اهل الشام و هی الرابعه و الثلاثون

من المختار فی باب الخطب

خطب بها بعد فراغه من قتال الخوارج علی ما تعرفه تفصیلا إن شاء اللّه أفّ لکم لقد سئمت عتابکم، أرضیتم بالحیاه الدّنیا من الآخره عوضا، و بالذّلّ من العزّ خلفا، إذا دعوتکم إلی جهاد عدوّکم دارت

أعينكم كأنّكم من الموت فی غمره، و من الذّهول فی سكره، يرتج عليكم حوارى فتعمهون، فكأنّ قلوبكم مألوسه فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لی بثقه سجيس اللّيالی و ما أنتم بركن يمال بكم، و لا زوافر عزّ يفتقر إليكم، ما أنتم إلّا كابل ضلّ رعاتها فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر، لبئس لعمر اللّه سعر نار الحرب أنتم تكادون و لا تكيدون، و تنتقص أطرافكم فلا تمتعضون، لا ينام عنكم و أنتم فی غفله ساهون، غلب و اللّه المتخاذلون. و أيم اللّه إنّی لأظنّ بكم أن لو حمس الوغا و استحرّ الموت قد انفرجتم عن ابن أبی طالب انفراج الرّأس، و اللّه إنّ امرء يمكّن عدوّه من نفسه يعرق لحمه و يهشم عظمه و يفری جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك إن شئت، فأمّا أنا فو اللّه دون أن أعطی ذلك ضرب بالمشرفيّه تطير منه فراش الهام، و تطيح السّواعد و الأقدام، و يفعل اللّه بعد ذلك ما يشاء. أيّها النّاس إنّ لی عليكم حقّا، و لكم علیّ حقّ، فأمّا حقّكم علیّ فالنّصيحه لكم، و توفير فيئكم عليكم، و تعليمكم، كيلا تجهلوا، و تأديبكم كيما تعلموا، و أمّا حقّی عليكم فالوفاء بالبيعه و النّصيحه

فی المشهد و المغیب، و الاجابه حین أدعوکم، و الطّاعه حین آمرکم.

اللغه

(افّ) بالضّم و التّشدید و التّنوین کلمه تضجّر، و لغاتها أربعون و (سئم) الشّیء یسام کفرح ساما و سامه ملّ و (الغمره) الشّده، و غمرات الموت سکراته التی یغمر فیها العقل و (السّکر) بالفتح ضدّ الصّحو و الاسم بالضّم، و سکره الموت شدّته و غشیته و (رتج) کفرح استغلق علیه الکلام کارتج علیه بالبناء للمفعول (و الحوار) بالکسر المحاوره و المخاطبه.

و (عمه) الرّجل کعلم إذا تحیّر فی الضّلال و تردّد فی المنازعه و (الالس) بسکون اللاّم الجنون و اختلاط العقل و (سجیس اللّیالی) کلمه یقال للأبد تقول لا أفعله سجیس اللیالی أی أبدا و مثلها سجیس الأوجس و سجیس عجیس و (الزّوافر) جمع زافره و زافره الرّجل أنصاره و عشیرته و (الابل) اسم جمع و (سعر نار الحرب) جمع ساعر و اسعار النّار و سعرها ایقادها و (الامتعاض) الغضب و (حمس) کفرح اشتد.

و أصل (الوغا) الصّوت و الجلبه و اطلق علی الحرب لما فیها من الاصوات و الجلبه و (عرق اللحم) کنصر اکله و لم یبق منه علی العظم شیئا و (هشم) العظم کضرب کسره و (فریت) الشیء قطعته و (الجوانح) الاضلاع التی تحت الترائب و هی مما یلی الصّدر کالضّلوع مما یلی الظهر.

و (ما ضمت علیه) هو القلب و (المشرفیّه) بفتح المیم و الرّاء سیوف منسوبه إلی مشارف الیمن و (فراش الهام) بالفتح العظام الرّقیقه التی تلی القحف و (طاح) یطیح ای سقط.

الاعراب

عوضا و خلفا نصبهما علی التّمیز، و جمله یرتج علیکم حالیّه، و سجیس اللیالی منصوب علی الظرفیه و زوافر فی اکثر النّسخ بالجرّ عطفا علی المجرور، و فی بعضها بالنّصب عطفا علی الظرف أعنی برکن، و قوله لبئس لعمر اللّه اللاّم جواب القسم و التکریر للتّاکید، و العمر بالفتح العمر و هو قسم ببقاء اللّه سبحانه، و أیم

ص:۷۱

مخفّف أيمن و هو جمع يمين أى أيم اللّه قسمى.

و قوله: ان لو حمس الوغا أن بفتح الهمزه مخففه من الثقيله اسمها ضمير شأن، و جمله لو حمس آه خبرها، و هى مع اسمها و خبرها قائمه مقام مفعولى أظن و لعظيم عجزه خبر إن و اللاّم للتّأكيد، و الجملات بين الاسم و الخبر منصوب المحلّ إلاّ أنّ انتصاب الأولى على الوصفيّه و الثلاث الأخيره على الحاليّه من مفعول يمكّن.

و قوله: فامّا أنا مبتدأ، و ضرب بالمشرفيه خبره من باب زيد عدل و قوله:

كيلا نجهلوا كى إمّا تعليليّه و ان مضمره بعدها، أو مصدريّه و اللاّم مقدّره قبلها، و مثله فى الاحتمالين قوله سبحانه: «كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً » و قوله: كيما تعلموا كى تعليليّه و ما إمّا مصدريّه أو كافه و مثله فى الاحتمالين قوله:

اذا أنت لم تنفع فضرّ فانّما يرجّى الفتى كيما يضرّ و ينفع

المعنى

اشاره

اعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام، خطب بهذه الخطبه بعد فراغه من أمر الخوارج روى أنّه قام بالنّهروان فحمد اللّه و أثنى عليه و قال: أمّا بعد فانّ اللّه قد أحسن نصركم فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدّوكم من أهل الشّام، فقاموا إليه و قالوا له:

يا أمير المؤمنين قد نفدت نبالنا و كلّت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح عدتنا، و لعلّ أمير المؤمنين يزيد فى عددنا مثل من هلك منّا لنستعين به فأجابهم.

«يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ ».

فتلكّأوا عليه و قالوا: إنّ البرد شديد فقال: إنّهم يجدون البرد كما تجدون فتلكّأوا و أبوا، فقال: أفّ لكم انها سنّه جرت ثمّ تلى قوله تعالى:

«قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبّارِينَ وَ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنّا داخِلُونَ ».

«قالُوا یا مُوسی إِنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِیها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ » خ ل» فقام ناس منهم و اعتذروا بکثره الجراح فی النّاس و طلبوا أن یرجع بهم إلی الکوفه أیّاما ثمّ یخرج، فرجع بهم غیر راض و أنزلهم النّخیله و أمر النّاس أن یلزموا معسکرهم و یقلوا زیاره أهلهم و أبنائهم حتّی یسیر بهم الی عدوّهم.

فلم یقبلوا و دخلوا الکوفه حتّی لم یبق معه من النّاس إلاّ رجال من وجوههم قلیل، و بقی المعسکر خالیا فلا من دخل الکوفه رجع إلیه، و لا من أقام معه صبر، فلما رأی ذلک دخل الکوفه فخطب النّاس فقال:

أیّها النّاس استعدّوا لقتال عدوّ فی جهادهم القربه إلی اللّه و درک الوسیله عنده قوم حیاری عن الحقّ لا ینصرونه مورغین(۱) بالجور و الظلم لا یعدلون به و جفاه عن الکتاب نکب عن الدین یعمهون فی الطغیان و یتمکعون(۲) فی غمره الضّلاله، ف «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَیْلِ »، و توکّلوا علی اللّه و کفی باللّه و کیلا فلم ینفروا فترکهم أیّاما ثمّ خطبهم فقال: (افّ لکم لقد سئمت) و مللت (من عتابکم) بمالا ارتضیه من أفعالکم و أقوالکم و کثره تثاقلکم عن قتال خصومکم (ا رضیتم بالحیاه الدّنیا من الآخره عوضا) حیث ترکتم الجهاد حبّا للبقاء و رغبه إلی الحیاه، و رغبتم عمّا یترتّب علیه من الثّمرات الاخرویه من الدّرجات الرّفیعه و الرّحمه و المغفره.

مضافه إلی ما فیه من فضله علی الأعمال و فضل عامله علی العمّال، إذ به یدفع عن الدّین، و یستقام شرع سیّد المرسلین، و به اشتری اللّه من المؤمنین أنفسهم و أموالهم بالجنّه مفلحا منجحا (و بالذلّ من العزّ خلفا) حیث إنّ قعودکم عن الجهاد مستلزم

۱- (۱) ورغه بالشیء اغراه.

۲- (۲) مکع کمنع و فرح مشی مشیا متعسفا لا یدری این یأخذ من بلاد اللّه و تحیر کتمکع.

لطمع العدوّ فيكم و قصد بلادكم و الاستيلاء عليكم و استباحه دمائكم و أموالكم و سبى ذراريكم، و قد مضى فى شرح الخطبه السابعه و العشرين ما يوجب زياده توضيح المقام.

ثمّ انّه عليه السّلام بعد توبيخهم و تبكيتهم على سوء أفعالهم أشار إلى حالتهم التى كانوا عليها حين دعوتهم إلى الجهاد بقوله: (اذا دعوتكم الى جهاد عدوّكم) تحيرتم و تردّدتم بين النّهوض الى العدوّ و القعود عنه جبنا و خوفا ف (دارت أعينكم) من شدّه الخوف (كأنكم من الموت فى غمره و) شخصت أبصاركم كأنكم (من الذّهول) و الغفله (فى سكره) كما قال سبحانه:

«فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ » و هو الذى قرب من حال الموت و غشيته أسبابه فيذهل و يذهب عقله و يشخص بصره فلا يطرف، و كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم و تحار أعينهم من شدّه الخوف (يرتج عليكم حوارى) و يغلق عليكم خطابى (فتعمهون) فى الضلال و تردّدون فى الشّخوص إلى القتال (فكان قلوبكم مألوسه) و افئدتكم مجنونه (فأنتم لا تعقلون) ما أقول و لا تفقهون صلاح الأمر (ما أنتم لى بثقه) أثق بكم و أعتمد عليكم و أتقوّى بكم على اعدائى.

(سجيس الليالى) لكثره ما شاهدت فيكم من كذب الوعد و خلف العهد (و ما أنتم بركن يمال بكم) و يستند اليكم (و لا زوافر عزّ) يعتصم بكم و (يفتقر اليكم) لما فيكم من الذّلّ و الفشل و العجز و الرذاله (ما أنتم الا ك) عجاجه (ابل) او قطيعه غنم (ضلّ رعاتها فكلّما جمعت من جانب انتشرت من) جانب (آخر) و ذلک من أجل ما فيكم من اختلاف الأهواء و تستّت الآراء المانع من اجتماعكم على ما فيه نظم أمر المعاش و صلاح حال المعاد (لبئس لعمر اللّه سعر نار الحرب أنتم) مع ما فيكم من الفشل و الخوف مضافا إلى سوء الرأى و ضعف التّدبير و بذلک

أنتم (تكادون و لا تكيدون) و يمكر بكم عدوّكم و لا تمكرون.

(و تنتقص اطرافكم) و نواحى بلادكم باغاره العدوّ عليها و قتل خيار أهلها و إحداث الخراب فيها (فلا) تغضبون و لا (تمتعضون لا ينام عنكم) العيون (و أنتم فى غفله ساهون غلب و اللّه المتخاذلون) المتثاقلون و أنتم منهم فستغلبون و تقهرون (و ايم اللّه إنّى لأظنّ بكم أن لو حمس الوغا و) اشتدّ الهيجا (استحر الموت) و استعر القتل (قد انفرجتم عن ابن ابى طالب انفراج الرّاس) و تفرّقتم عنه تفرّقا لا رجوع بعده أبدا.

و انفراج الراس مثل أوّل من تكلّم به على ما قيل أكثم بن صيفى فى وصيه له:

يا بنىّ لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرّاس فانّكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ و فى معناه أقوال:

الأوّل ما عن ابن دريد و هو إنّ الرّاس إذا انفرج عن البدن لا يعود.

الثّانى ما عن المفضل أنّ الرّاس اسم رجل ينسب إليه قريه من قرى الشّام يقال لها بيت الرأس تباع فيها الخمر، و هذا الرّجل قد انفرج عن قومه و مكانه فلم يعد فضرب به المثل.

الثّالث أنّ الرّاس إذا انفرج بعض عظامه من بعض كان بعيدا عن الالتيام و العود إلى الصّحه.

الرابع ما عن القطب الرّاوندى و هو أنّه أراد به انفرجتم عنى رأسا أى قطعا، وردّه الشّارح المعتزلى بأنّ رأسا لا يعرف.

الخامس ما عنه أيضا من أنّ المعنى انفراج رأس من ادنى رأسه إلى غيره ثمّ حرف راسه عنه، وردّه الشّارح أيضا بأنه لا خصوصيه فى الرّاس فى ذلك فانّ اليد و الرّجل إذا ادنيتهما من شخص ثمّ حرفتهما عنه فقد تفرّج ما بين ذلك العضو و بينه، فاىّ معنى لتخصيص الرّاس بالذّكر.

السّادس أنّ المعنى انفراج من يريد أن ينجو برأسه.

السابع انّ المراد انفراج المرأه عن راس ولدها حاله الوضع، فانّه حينئذ

يكون(۱) فی غایه الشدّه نظیر قوله علیه السّلام فی موضع آخر: انفراج المرأه عن قبلها.

الثّامن أنّ الرّاس الرّجل العزیز، لأنّ الاعزّاء لا یبالون بمفارقه أحد، و علی أیّ تقدیر فالمقصود شدّه تفرّقهم عنه علیه السّلام (و اللّه انّ امرء یمکّن عدوّه من نفسه) حال کونه (یعرق لحمه) و یأکله (و یهشّم عظمه) و یکسّره (و یفری جلده) و یقطعه أی یسلّط عدوه علیه بالنّهب و الاسر و الاستیصال (لعظیم عجزه) و (ضعیف ما) یعنی قلبه الذی (ضمّت علیه جوانح صدره)ثمّ خاطبهم بخطاب مجمل من غیر تعیین للمخاطب تقریعا و تنفیرا لهم عمّا یلزمهم من الأحوال الرّدیه بتمکینهم العدوّ من أنفسهم فقال:(أنت فکن ذاک ان شئت) أی أنت أیّها الممکّن من نفسه و المسلط له علیه کن ذاک المرء الموصوف بالعجز و الجبن و الضّعف.

و یأتی فی روایه الأمالی و کتاب الغارات أنّ المخاطب بذلک هو الأشعث و لا باس بأن یکون الخطاب له و المقصود عمومه لکلّ من أمکن العد و تنفیرا و توبیخا و تبکیتا (فامّا أنا فو اللّه) لا اتحمّل ذلک التّخاذل و لا احتمل أن امکّن عدوّی من نفسی و اسلّطه علیّ یفعل ما یشاء و یرید و (دون ان اعطی ذلک ضرب ب) السّیوف (المشرفیّه) الذی (تطیر منه فراش الهام و تطیح) به (السّواعد و الأقدام و یفعل اللّه بعد ذلک) الجهاد و المناجزه (ما یشاء) من جعل الغلبه لی أو للعدوّ علی ما یقتضیه الحکمه البالغه و المصلحه الکامله.

(أیّها النّاس إنّ لی علیکم حقا) یجب علیکم القیام به (و لکم علیّ حقّ) مثله (فأمّا حقّکم) الذی (علیّ ف) أمور أربعه.

الأوّل (النّصیحه لکم) فی السّر و العلانیه و حثکم علی محاسن الاخلاق و مکارم الآداب و ترغیبکم علی ما فیه حسن الثواب فی المعاش و المآب (و) الثانی (توفیر فیئکم علیکم) و تفریقه فیکم بالقسط و العدل من دون حیف فیه و میل (و)

۱- (۱) قال الشاعر: کان سبیئه من بیت رأسیکون مزاجها عسل و ماء، منه

الثّالث (تعليمكم) ما فيه صلاح حالكم فى المعاش و المعاد (كيلا تجهلوا و) الرابع (تأديبكم) بالآداب الشّرعيه (كيما تعلموا) و تعملوا.

(و أما حقى) الذى (عليكم ف) أربعه أيضا الأوّل (الوفاء بالبيعه) الذى هو أهمّ الامور و به حصول النّظام الكلّى (و) الثانى (النصيحه) لى (فى المشهد و المغيب) و الذبّ عنى فى الغيبه و الحضور (و) الثّالث (الاجابه) لدعائى (حين أدعوكم) من غير تثاقل فيه و توان و فتور (و) الرّابع (الطاعه) لامرى (حين امركم) و الانتهاء عن نهيى حين انهيكم.

و غير خفىّ أنّ منفعه هذه الامور ايضا عايده اليهم فى الحقيقه إمّا فى الدّنيا و إمّا فى الآخره إذ قيامهم بها يوجب انتظام الحال و حسن المآل، و مخالفتهم فيها يوجب خذلان الدّنيا و حرمان الآخره و اختلال الحال مع شدّه النّكال.

تنبيه

قيل آكد الاسباب فى تقاعد النّاس عن أمير المؤمنين أمر المال فانّه عليه السّلام لم يكن يفضل شريفا على مشروف، و لا عربيّا على عجميّ و لا يصانع الرّؤساء و امراء القبايل كما يصنع الملوك و لا يستميل أحدا إلى نفسه، و كان معاويه بخلاف ذلك فترك النّاس عليّا و التحقوا بمعاويه، فشكى علىّ عليه السّلام إلى الاشتر تخاذل اصحابه و فرار بعضهم إلى معاويه.

فقال الاشتر: يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصره و أهل الكوفه و رأى النّاس واحده، و قد اختلفوا بعد و تعادوا و ضعفت النّيه و قلّ العدد و أنت تأخذهم بالعدل و تعمل فيهم بالحقّ و تنصف الوضيع من الشّريف، فليس للشّريف عندك فضل منزله على الوضيع، فضجّت طائفه ممّن معك إذ عموا به و اغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه.

و رأوا صنايع معاويه عند أهل الغناء و الشّرف فتاقت أنفس النّاس إلى الدّنيا و قلّ من ليس للدّنيا بصاحب و أكثرهم يحتوى الحقّ و يشترى الباطل و يؤثر الدّنيا، فان تبذل المال يا امير المؤمنين يميل إليك أعناق الرّجال و تصفو نصيحتهم لك،

و يستخلص ودّهم صنع اللّه لک يا امير المؤمنين و كبت أعدائک و فرق جمعهم و اوهن كيدهم و شتت امورهم «إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » فقال علىّ عليه السّلام أمّا ما ذكرت من عملنا و سيرتنا بالعدل فانّ اللّه يقول:

«مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وَ ما رَبُّکَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ » و أنا من أن أكون مقصّرا فيما ذكرت أخوف.

و أمّا ما ذكرت من أنّ الحقّ ثقل عليهم ففارقونا لذلک فقد علم اللّه انّهم لم يفارقونا من جور و لا لجئوا إذا فارقونا إلى عدل و لم يلتمسوا إلّا دنيا زايله عنهم كان قد فارقوها و ليسألن يوم القيامه: الدّنيا أرادوا، أم للّه عملوا.

و أمّا ما ذكرت من بذل الأموال و اصطناع الرّجال فانّه لا يسعنا أن نؤتى امرأ من الفىء اكثر من حقّه و قد قال اللّه سبحانه و قوله الحقّ:

«كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَ اللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ » و قد بعث اللّه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فكثّره بعد القلّه، و أعزّ فئته بعد الذّله و إن يرد اللّه أن يولينا هذا الأمر يذلل لنا صعبه و يسهل لنا حزنه و أنا قايل من رأيک ما كان للّه عزّ و جلّ رضا و أنت من امن النّاس عندى و انصحهم لى و أوثقهم فى نفسى إن شاء اللّه.

أقول: و يؤيد ذلک ما رواه الكلينى فى كتاب الرّوضه من الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن يونس عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال انّ مولى لأمير المؤمنين سأله مالا فقال يخرج عطائى فاقاسمک هو «عطائى خ ل» فقال: لا اكتفى و خرج إلى معاويه فوصله، فكتب إلى امير المؤمنين عليه السّلام يخبره بما أصاب من المال، فكتب إليه أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه:

أمّا بعد فانّ ما فى يدک من المال قد كان له أهل قبلک و هو صائر إلى أهل بعدک و إنّما لک منه ما مهّدت لنفسک فاثر نفسک على صلاح ولدک، فانّما أنت جامع لاحد رجلين إمّا رجل عمل فيه بطاعه اللّه فسعد بما شقيت، و إمّا رجل عمل

فیه بمعصیه اللّه فشقی بما جمعت له، و لیس من هذین أحد بأهل أن تؤثره علی نفسک و لا تبرد(۱) له علی ظهرک، فارج لمن مضی برحمه اللّه، وثق لمن بقی برزق اللّه.

و فی الرّوضه أیضا عن عدّه من أصحابنا عن سهل بن زیاد عن یعقوب بن یزید عن محمّد بن جعفر العقبیّ رفعه قال: خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

ایّها النّاس إنّ آدم لم یلد عبدا و لا أمه، و إنّ النّاس کلّهم أحرار و لکن اللّه خوّل(۲) بعضکم فمن کان له بلاء فصبر فی الخیر فلا یمنّ به علی اللّه جلّ و عزّ الا و حضر شیء و نحن مسوّون فیه بین الأسود و الأحمر.

فقال مروان لطلحه و الزّبیر: أراد بهذا غیر کما، قال فأعطی کلّ واحد ثلاثه دنانیر و أعطی رجلا من الأنصار ثلاثه دنانیر، و جاء بعد غلام اسود فأعطاه ثلاثه دنانیر، فقال الأنصاری یا أمیر المؤمنین هذا غلام اعتقته بالامس تجعلنی و إیاه سواء؟ فقال إنّی نظرت فی کتاب اللّه فلم أجد لولد إسماعیل علی ولد اسحاق فضلا.

و فی شرح المعتزلی عن هارون بن سعد قال قال عبد اللّه بن جعفر بن ابی طالب لعلیّ علیه السّلام یا أمیر المؤمنین لو أمرت لی بمعونه أو نفقه فو اللّه مالی نفقه إلاّ أن أبیع دابّتی، فقال علیه السّلام: لا و اللّه ما أجد لک شیئا إلاّ أن تأمر عمّک یسرق فیعطیک.

و عن علیّ بن یوسف المداینی إنّ طایفه من أصحاب علیّ مشوا إلیه فقالوا:

یا أمیر المؤمنین اعط هذه الأموال و فضّل هؤلاء الأشراف من العرب و قریش علی الموالی و العجم، و استمل من تخاف خلافه من النّاس و فراره، و إنّما قالوا له ذلک لما کان معاویه یصنع فی المال.

فقال لهم أ تامروننی أن أطلب النّصر بالجور، لا و اللّه لا افعل ما طلعت شمس

۱- (۱) قال الفیروز آبادی عیش بارد ای هنیء و المعنی لا تبرد له العیش حاملا وزره علی ظهرک، منه.

۲- (۲) التخویل بالخاء المعجمه الاعطاء، منه.

و ما لاح فى السّماء نجم، و اللّه لو كان المال لى لواسيت بينهم فكيف و إنّما هى اموالهم، ثمّ سكت طويلا و اجما، ثمّ قال: الأمر أسرع من ذلك قالها ثلاثا.

و يأتى روايه هذا الكلام فى الكتاب إنشاء اللّه من السّيد بنحو آخر و هو المأه و السادس و العشرون من المختار فى باب الخطب.

تكمله

اعلم انّ هذه الخطبه رواها المحدّث المجلسى فى المجلد السّابع عشر من البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحه إلى قوله و يفعل اللّه بعد ذلك ما يشاء، و روى فقراتها الأخيره السّيد المحدّث البحرانى فى كتاب غايه المرام من كتاب سليم بن قيس الهلالى فى ضمن حديث طويل، و رواها المحدّث المجلسى ايضا فى المجلد الثامن من البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالى ايضا، و سيأتى نقل تلك الرّوايه فى التذييل الثّانى من تذييلى الكلام السّابع و الثلاثين، و رواها فيه ايضا من كتاب الغارات بزياده و نقصان احببت روايتها هنا على ما هو دأبنا فى هذا الشّرح.

فأقول فى البحار من كتاب الغارات باسناده عن جندب، و من مجالس المفيد عن الكاتب عن الزّعفرانى عن الثقفى عن محمّد بن إسماعيل عن زيد بن المعدّل عن يحيى بن صالح عن الحرث بن حصيره عن أبى صادق عن جندب بن عبد اللّه الازدى قال سمعت أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يقول لأصحابه و قد استنفرهم أياما إلى الجهاد فلم ينفروا:

أيّها النّاس انّى قد استنفرتكم فلم تنفروا، و نصحت لكم فلم تقبلوا، فأنتم شهود كأغياب، و صمّ ذووا أسماع، أتلو عليكم الحكمه، و أعظكم بالموعظه الحسنه، و أحثكم على جهاد عدّوكم الباغين، فما اتى على آخر منطقى حتّى أراكم متفرّقين أيادى سبا، فاذا أنا كففت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلقا(۱) عزين

۱- (۱) الحلق جمع حلقه و العزه الفرقه من الناس و الهاء عوض من الياء و الجمع عزى على فعل و عزون و عزون ايضا بالضم، البحار.

تضربون الامثال و تناشدون الاشعار، و تسألون الاخبار، قد نسيتم الاستعداد للحرب، و شغلتم قلوبكم بالاباطيل تربّت أيديكم، اغزوا القوم من قبل أن يغزوكم فو اللّه ما غزى قوم قط فى عقر ديارهم إلاّ ذلوا.

و ايم اللّه ما اريكم تفعلون حتّى يفعلون، و لوددت أنّى لقيتهم على نيّتى و بصيرتى فاسترحت من مقاساتكم فما أنتم إلاّ كابل جمه ضلّ (١) راعيها، فكلّما ضمّت من جانب انتشرت من جانب آخر، و اللّه لكأنى بكم لو حمس الوغا و احم(٢) الباس قد انفرجتم عن علىّ بن ابى طالب انفراج الرّاس و انفراج المرأه عن قبلها.

فقام إليه أشعث بن قيس الكندى فقال له: يا أمير المؤمنين فهلّا فعلت كما فعل ابن عفان؟ فقال عليه السّلام له: يا عرف النّار و يلك إنّ فعل ابن عفّان لمخزاه على من لا دين له و لا حجّه معه فكيف و أنا على بيّنه من ربى، الحقّ فى يدى و اللّه انّ امرأ يمكّن عدوّه من نفسه يخذع(٣) لحمه و يهشم عظمه و يفرى جلده و يسفك دمه لضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره أنت فكن كذلك إن أحببت فأما أنا فدون أن أعطى ذلك ضرب بالمشر فى يطير منه فراش الهام و تطيح منه الأكفّ و المعاصم و يفعل اللّه بعد ما يشاء.

فقام أبو أيوّب الأنصارى خالد بن زيد صاحب منزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال:

١- (١) اضل راعيها فى بعض النسخ ضل فى الصحاح قال ابن السكيت اضللت بعيرى اذا ذهب معك و ضللت المسجد و الدار اذا لم تعرف موضعهما، بحار.

٢- (٢) حم الشيء و احم قدر و احمه امرى اى اهمه و احم خروجنا اى دنا و فى ساير الروايات و حمى البأس قوله يا عرف النار لعله شبه بعرف الديك لكونه راسا فيما يوجب دخول النار او المعنى انك من القوم الذين يتبادرون دخول النار من غير رويه كقوله و المرسلات عرفا، بحار.

٣- (٣) خذع اللحم و ما لا صلابه فيها كمنع حزره و قطعه فى مواضع، قاموس.

أيّها الناس إنّ أمير المؤمنين قد أسمع من كانت له اذن واعيه و قلب حفيظ، إنّ اللّه قد اكرمكم بكرامه لم تقبلوها حقّ قبولها، إنّه نزل بين أظهركم ابن عمّ نبيّكم و سيّد المسلمين من بعده يفقهكم فی الدّين و يدعوكم إلى جهاد المحلسين(۱).

فكانّكم صمّ لا يسمعون أو على قلوبكم غلف مطبوع عليها فانتم لا تعقلون، أفلا نستحيون عباد اللّه أ ليس انما عهدكم بالجور و العدوان أمس قد شمل البلاء و شاع فی البلاد قد دحق محروم و ملطوم وجهه و موطاء بطنه و يلقى بالعراء تسفى عليه الأعاصير لا يكنه من الحرّ و القرّ و صهر(۲) الشّمس و الضّح إلا الأثواب الهامده و بيوت الشّعر الباليه.

حتّى جائكم اللّه بأمير المؤمنين عليه السّلام فصدع بالحق و نشر العدل و عمل بما فی الكتاب، يا قوم فاشكروا نعمه اللّه عليكم و لا تولّوا مدبرين، و لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا و هم لا يسمعون، اشحذوا السّيوف، و استعدّوا لجهاد عدوّكم، فاذا دعيتم فأجيبوا، و إذا امرتم فاسمعوا و أطيعوا، و ما قلتم فليكن ما اضمرتم عليه تكونوا بذلک من الصّادقين.

الترجمه

از جملهٔ خطب آن حضرتست در طلب خروج مردمان بمحاربهٔ اهل شام كه مى فرمايد:

اف و پريشانى باد مر شما را بتحقيق كه من ملول شدم از عتاب كردن شما آيا راضى شديد بزندگانى دنيا از حيثيت عوض شدن در آخرت، و بذلت از حيثيت بدل بودن از عزت، هر وقت كه شما را دعوت ميكنم بجنگ دشمنان خودتان چشمهاى شما مى گردد بمنزلهٔ اين كه شما از شدّت مرگ در گرداب سخت افتاده ايد

۱- (۱) الحلس ككتف الشجاع و الحريص و يكنى من البائس، ق.

۲- (۲) صهرته الشمس كمنع صخرته و الشىء اذا به و الصهر بالفتح الحار و اصهار تلالا ظهره من حر شمس و الضح بالكسر الشمس و ضوئها و الهمود الموت و تقطع الثوب من طول الطى و الهامد البالى المسود المتغير، قاموس.

و در غفلت و مدهوشی فرو رفته اید، در حالتی که بسته می شود بر شما خطاب کردن با من.

پس متحیر و سرگردان می مانید در سخن گفتن و گویا قلبهای شما مجنونست و دیوانگی عارض او شده پس شما عقل ندارید و نمی فهمید و نیستید شما از برای من معتمد و محل وثوق ابدا، و نیستید شما رکنی که میل شده باشد بشما در دفع اعداء، و نیستید یاری دهندگان عزت که احتیاج پیدا شود بشما، نیستید مگر بمنزله شترانی که گمشده باشد راعیان ایشان پس هر گاه جمع کرده شوند آن شترها از طرفی پراکنده میشوند بطرف دیگر.

قسم ببقای خدا که بزبانهای آتش حزبید شما، مکر میکنند بشما دشمنان و شما مکر نمی کنید بایشان، و نقصان می پذیرد اطراف بلاد شما بجهت قتل و غارت أعداء و شما غضب و خشم نمی گیرید از بی غیرتی و بی حمیتی، خواب کرده نمی شود از شما یعنی دشمنها جهت کشتن شما چشم بالای هم نمی گذارند و شما در خواب غفلت حیرانید، و مغلوب شدند بخدا سوگند فرو گذارندگان حرب با دشمنان.

و سوگند بحق خدا بدرستی که گمان می برم بشما آنکه سخت شود کار جنگ و گرم گردد معرکه مرگ جدا می شوید از پسر أبی طالب جدا شدن سر از بدن، قسم بذات خدا بدرستی مردی که متمکن سازد دشمن خود را از نفس خود در حالتی که بخورد آن دشمن گوشت او را. و بشکند استخوان او را، و پاره پاره کند پوست او را، هر آینه بزرگست عجز آن مرد و سست است آن چیزی که فراهم آورده شده است بر آن چیز جوانب سینهٔ او.

یعنی ضعیف القلب و جبانست پس تو باش مثل این عاجز کاهل اگر خواهی متصف باشی باین صفات، پس أما من بحق خدا که متحمل این نمی شوم و نزد این حال که بدهم بدشمن تمکین و تسلط را، پس زد نیست بشمشیر مشرفی که به پرد از و کاسهٔ سر و تباه شود از او ساعدها و قدمها، و میکند خداوند بعد از این حال

ص:۸۳

آن چیزی را که بخواهد بمقتضای حکمت بالغهٔ خود.

ای مردمان بدرستی که مرا بر شما حقی است و شما راست بر من حقی، پس أما حق شما بر من پس نصیحت کردن من است بر شما در نهان و آشکار و تمام کردن غنیمت شماست بر شما و تعلیم دادنست بر شما تا این که جاهل نشوید و ادب دادنست بر شما تا این که عالم شوید و عمل نمائید، و أما حق من بر شما پس وفا کردن شماست بر بیعت، و اخذ نصیحت است در حضور و غیبت و جواب دادنست در زمانی که خوانم شما را و فرمان برداری نمودنست در زمانی که فرمایم شما را و اللّه اعلم بالصواب.

و من خطبه له علیه السلام بعد التحکیم

اشاره

و هی الخامسه و الثلاثون من المختار فی

باب الخطب

الحمد للّه و إن أتی الدّهر بالخطب الفادح و الحدث الجلیل، و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه لیس معه إله غیره، و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّی اللّه علیه و آله. أمّا بعد فانّ معصیه النّاصح الشّفیق العالم المجرّب تورث الحسره، و تعقّب النّدامه، و قد کنت أمرتکم فی هذه الحکومه أمری، و نخلت لکم مخزون رأیی، لو کان یطاع لقصیر أمر، فأبیتم علیّ إباء

المخالفين الجفاه، و المنابذين العصاه، حتّى ارتاب النّاصح بنصحه، و ضنّ الزّند بقدحه، فكنت و إيّاكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمرى بمنعرج اللّوى فلم تستبينوا النّصح إلاّ ضحى الغد

اللغه

(الخطب) الأمر العظيم و (الفادح) الثّقيل من فدحه الدّين إذا أثقله و (المجرّب) قال الجوهرى: الذى قد جرّبته الأمور و أحكمته، فان كسرت الرّاء جعلته فاعلا إلاّ أنّ العرب تكلّمت به بالفتح و (نخل) الشىء إذا صفّاه، و منه نخل الدقيق بالمنخل و (الجفاه) جمع الجافى و هو الذى خشن طبعه و (النبذ) طرحك الشىء أمامك و ورائك أو عام و منه قوله سبحانه:

«وَ لَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ » و (الزّند) العود الذى يقدح به النّار و هو الأعلى و السّفلى الزّنده بالهاء و الجمع زناد مثل سهم و سهام و (هوازن) قبيله و (منعرج) الوادى اسم فاعل حيث يميل يمنه و يسره من انعرج الشىء انعطف و (اللوى) كالى ما التوى من الرّمل.

الاعراب

اضافه المخزون إلى رائى من قبيل اضافه الصّفه إلى الموصوف، قوله:

لو كان يطاع لقصير أمر كلمه لو إما للتّمنّى على ما ذهب إليه بعضهم فى قوله: سبحانه:

«لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً » و لا تحتاج حينئذ إلى الجواب أو حرف شرط و الجواب محذوف بقرينه المقام، و القصير

ص:85

اسم رجل یضرب به المثل لکلّ ناصح عصی لقصّته التی یأتی إلیه الاشاره، و تقدیر الکلام لو کان یطاع لی أمر أی لو أطعتمونی لما اصابتکم حسره و ندامه إلاّ أنّکم أبیتم علیّ إباء المخالفین فحلّت بکم النّدامه و صرت و إیّاکم کما قال اخو هوازن اه هذا.

و تقدیر الجواب بما ذکرناه أولی ممّا قدّره الشّارح البحرانی حیث قال:

و التّقدیر إنّی أمرتکم أمری فی هذه الحکومه و نصحت لکم فلو أطعتمونی لفعلتم ما أمرتکم به و محضت لکم النّصیحه فیه فافهم جیّدا، و قوله: أخو هوازن الاضافه لأدنی المناسبه من حیث انتساب الشّاعر إلی تلک القبیله، و هذه الاضافه شایعه فی کلام العرب قال سبحانه:

«وَ اذْکُرْ أَخا عادٍ »، و «قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ » إلی غیر ذلک.

المعنی

اعلم أنّه قد روی إنّ عمرو بن العاص و أبا موسی الأشعری لما التقیا بدومه الجندل و قد حکما فی أمر النّاس کان أمیر المؤمنین یومئذ قد دخل الکوفه ینتظر ما یحکمان به فلما تمّت خدعه عمرو لأبی موسی و بلغه علیه السّلام ذلک اغتمّ له غمّا شدیدا و وجم منه و قام فخطب النّاس فقال:

(الحمد للّه و إن أتی الدهر بالخطاب الفادح) الثّقیل (و الحدث) العظیم (الجلیل) نسبه الاتیان بالخطب و الحدث إلی الدّهر من قبیل نسبه الشّر إلیه علی ما تقدّم بیانه فی شرح الخطبه الحادیه و الثلاثین، و فی الاتیان بان الوصلیه إشاره إلی أنّه سبحانه لا یختص حمده بحال دون حال بل لا بدّ ان یحمده العبد علی کلّ حال من النّعمه و البلاء و الشده و الرضاء و السّرآء و الضراء.

(و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه لیس معه إله غیره) تأکید لمعنی کلمه التّوحید و تقریر لمقتضاها (و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أما بعد فانّ معصیه النّاصح) الذی یصدّق فکره و یمحض رأیه و (الشّفیق) الذی یبعثه شفقته علی النّصح و علی

التروّى فى الامر و ايقاع الرأى فيه من جدّ و اجتهاد و (العالم) الذى يعلم وجه المصلحه فى الامور و يكون فيها على بصيره و (المجرّب) الذى حصلت له التّجارب فكان رأيه و قوله أغلب الاصابه للواقع (تورث الحسره و تعقب النّدامه).

إذا المشير الموصوف بالصفات الاربع المذكوره يكون رأيه أغلب المطابقه مع الواقع فاطاعه المستشير له موجبه لظفره على المقصود و وصوله إلى مطلوبه و مخالفته مفوّته للغرض معقّبه للحسره خصوصا إذا كان المشير مثله عليه السّلام المتّصف بالعلم اللدنى المطابق رأيه للواقع دائما يكون معصيه معقّبه للنّدامه ألبتّه و موقعه فى الضّلاله لا محاله.

و لذلك أردف عليه السّلام كلامه بالاشاره إلى خطائهم فى أمر الحكومه النّاشى من مخالفتهم له و إبائهم عن امتثال أمره فقال: (و قد كنت أمرتكم فى هذه الحكومه امرى) الصّواب (و نخلت لكم مخزون رأيى) المصاب (لو كان يطاع لقصير أمر) لما حصلت الحسره و النّدامه و قصير هذا هو قصير بن سعد مولى جزيمه الابرش من ملوك العرب.

روى انّ جزيمه قتل أبا الزّباء ملكه الجزيره، فبعث إليه عن حين ليتزوّج بها خدعه و سألته القدوم عليها فأجابها إلى ذلك و خرج فى ألف فارس و خلف باقى جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدى، و أشار قصير الى جزيمه أن لا يتوجه إليها فلم يقبل رأيه فلما قرب جزيمه من الجزيره استقبله جنود الزباء بالعده و لم ير منهم إكراما له فأشار قصير إليه بالرّجوع عنها و قال إنّها امرأه و من شان النّساء الغدر فلم يقبل فلما دخل عليها غدرت به و قتلته فعند ذلك قال قصير: لا يطاع لقصير أمر فيضرب به المثل لكلّ ناصح عصى و هو مصيب فى رأيه.

(فأبيتم علىّ اباء المخالفين الجفاه و المنابذين العصاه حتّى ارتاب الناصح بنصحه) هذا محمول على المبالغه لما ذكرنا من أنّه عليه السّلام متّصف بالعلم اللدنّى فلا يمكن شكه فيما رآه صوابا، و يشهد بذلك قوله عليه السّلام فى الخطبه الرابعه ما شككت فى الحقّ مذ رأيته، و قوله عليه السّلام فى الخطبه العاشره: و إنّ معى لبصيرتى ما لبّست على نفسى

و لا لَبس على.

فالمقصود بـذلك الاشاره إلى شدّه اتفاقهم على الخلاف، فانّ المشـير النّاصح إذا كثر مخالفوه إنّما يشكّ فى أنّ نصـحه هل هو صواب إذ اسـتخراج وجوه الصّـلاح فى الأمر أمر اجتهادىّ منوط على الامارات الظنّيه و مع اطباق آراء جمع كثير على خلاف ما رآه المشير و اتّفاق ظنونهم على أنّ الصّواب فى خلافه يجوز له أن يتشكك فيما رآه أنّه هل هو صواب أم لا.

(و) قوله:(ضنّ الزنـد بقـدحه)مثل يضـرب لمن يبخل بفوايده من أجل عدم وجدانه القابل لها و الاهل لاسـتفادتها، و الزند كنايه عن القلب و القدح عن الآراء الصّادره منه صدور النّار من الزّناد،و هوأيضا جار على المبالغه، و المقصود به أنّه عليه السّلام لشدّه مـا لقى منهـم مـن الاباء و الخلاف و العصيان لـم يقـدح له رأى صالـح(فكنت و إيّاكم) أى كـان حـالى معكم فى نصـحى و مخالفتكم على مع حلول النّدامه بكم (كما قال) وريد بن الصمه (اخو هوازن) فى جمله أبيات له:

أمرتهم امرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النّصح الأضحى الغد

و قبله

نصحت لعارض و اصحاب عارضو رهط بنى السّوداء و القوم تمهدى

فقلت لهم ظنوا بالفى مذحجسراتهم فى الفارسى المسرّد

و بعده

فلما عصونى كنت منهم و قد أريغوايتهم و انّنى غير مهتد

و ما أنا إلا من غزيه إن غوتغوت و إن ترشد غزيه ارشد

و قصه وريد فى هذه القصـيده أنّ أخاه عبد اللّه بن صمه من بنى جشم بن معاويه بن بكر ابن هوازن غزا بنى بكر بن هوازن فغنم منهم و اسـتاق إبلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال: لا و اللّه لا أبرح حتّى أنحر النقيعه و هى ما ينحر من النّهب قبل القسـمه و اجيل السـهام، فقـال له أخوه وريـد: لاـ تفعل فانّ القوم فى طلبك فأبى عليه و نحر النقيعه و بات، فلما أصبـح هجم القوم عليهم و طعن عبد اللّه بن الصمه فاستغاث باخيه وريد

فنهنه عنه القوم حتى طعن هو أيضا و صرع و قتل عبد اللّه و حال الليل بين القوم فنجا وريد بعد طعنات و جراح حصل له فقال القصيده هذا.

و عن نصر بن مزاحم فى كتاب الصّفين أنّه بعد روايته هذه الخطبه مثل ما رواه السّيد زاد فى آخرها: ألا إنّ هذين الرّجلين الذين اختر تموهما قد نبذا حكم الكتاب، و أحييا ما أمات و اتّبع كلّ منهما هواه و حكم بغير حجّه و لا بيّنه و لا سنه ماضيه و اختلفا فيما حكما فكليهما لم يرشد اللّه، فاستعدّوا للجهاد و تأهّبوا للمسير و أصبحوا فى معسكر كم يوم كذا.

و ينبغى أن نذكر فى المقام كيفيّه التّحكيم، و قد رواه أرباب السّير و التواريخ و نقله فى شرح المعتزلى عن نصر بن مزاحم و إبراهيم بن و يزيل و غيرهما مع إطناب مملّ و نحن نرويه على ما فى الشّرح مع تلخيص منّا فأقول:

قال الشّارح: الذى دعا إلى التحكيم طلب أهل الشّام و اعتصامهم به من سيوف أهل العراق فقد كانت أمارات القهر و الغلبه لاحت و دلائل النصر و الظفر و ضحت، فعدل أهل الشّام عن القراع إلى الخداع و كان ذلك برأى عمرو بن العاص، و هذه الحال وقعت عقيب ليله الهرير التى يضرب بها المثل.

قال نصر بن مزاحم فى كتاب الصّفين و هو ثقه ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى و لا إدغال، و هو من رجال أصحاب الحديث: حدّثنا عمرو بن شمر قال:

حدّثنى أبو ضرار قال: حدّثنى عمّار بن ربيعه قال: غلس علىّ عليه السّلام بالنّاس صلاه الغداه يوم الثّلثاء عاشر شهر ربيع الأول سنه سبع و ثلاثين، و قيل عاشر شهر صفر ثمّ زحف إلى أهل الشّام بعسكر العراق و النّاس على راياتهم، و زحف إليهم أهل الشّام و قد كانت الحرب أكلت الفريقين و لكنّها فى أهل الشّام أشدّ نكايه و أعظم وقعا فقدملوا الحرب و كرهوا القتال و تضعضعت أركانهم.

قال: فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب عليه السّلاح لا يرى منه إلّا عيناه و بيده الرمح فجعل يضرب رءوس أهل العراق بالقناه، و يقول: سوّوا صفوفكم رحمكم اللّه حتّى إذا عدل الصّفوف و الرّايات استقبلهم بوجهه و ولى أهل

الشّام ظهره ثمّ حمد اللّه و أثنى عليه و قال:

الحمد للّه الذى جعل فينا ابن عمّ نبيّه أقدمهم هجره و أوّلهم اسلاما سيف من سيوف اللّه صبّه اللّه على أعدائه فانظروا إذا حمى الوطيس(۱) و ثار القتام و تكسر المرءان و جالت الخيل بالابطال فلا اسمع إلاّ غمغمه أو همهمه فاتّبعونى و كونوا فى اثرى، ثمّ حمل على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثمّ رجع فاذا هو الاشتر.

قال: و خرج رجل من أهل الشام فنادى بين الصّفين يا أبا الحسن يا علىّ ابرز الىّ فخرج إليه علىّ عليه السّلام حتى اختلف أعناق دابتيهما بين الصّفين، فقال انّ لک يا على تقدما فى الاسلام و الهجره هل لک فى أمر اعرضه عليک يكون فيه حقن هذه الدماء و تأخر هذه الحروب حتى ترى رايک؟ قال علىّ عليه السّلام: و ما هو؟ قال: ترجع إلى عراقك فنخلّى بينك و بين العراق و نرجع نحن إلى شامنا فتخلّى بيننا و بين الشّام فقال علىّ عليه السّلام قد عرفت ما عرضت إنّ هذه لنصيحه و شفقه و أهمّنى هذا الامر و أسهرنى و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلاّ القتال أو الكفر بما أنزل اللّه على محمّد صلّى اللّه عليه و آله إنّ اللّه تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى فى الارض و هم سكوت مذعنون لا يأمرون بمعروف و لا ينهون عن منكر، فوجدت القتال أهون علىّ من معالجه الأغلال فى جهنّم.

قال فرجع الرّجل و هو يسترجع و زحف النّاس بعضهم إلى بعض فارتموا بالنّبل و الحجاره حتّى فنا، ثمّ تطاعنوا بالرّماح حتّى تكسرت و اندقت، ثمّ مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسّيوف و عمد الحديد فلم يسمع السّامعون إلاّ وقع الحديد بعضه على بعض لهو أشد هولا فى صدور الرّجال من الصّواعق و من جبال تهامه يدک بعضه بعضا و انكسف الشّمس بالنّقع و ثار القتام و القسطل(۲) و ضلّت الألويه و الرّايات

۱- (۱) الوطيس شبه التنورا و الضراب فى الحراب و اذا حمى الوطيس اى اشتد الحرب و القتام الغبار و المرآن كعثمان الرماح و الغمغمه اصوات الابطال عند القتال و الكلام الذى لا يبين لغه

۲- (۲) النقع و القسطل الغبار

و أخذ الأشتر يسير فيما بين الميمنه و الميسره فيأمر كلّ قبيله أو كتيبه من القراء بالاقلام على التى يليها، فاجتلدوا بالسّيوف و عمد الحديد من صلاه الغداه من اليوم المذكور إلى نصف الليل لم يصلّو اللّه صلاه، فلم يزل الاشتر يفعل ذلك حتّى أصبح و المعركه خلف ظهره و افترقوا على سبعين ألف قتيل فى ذلك اليوم و تلك الليله.

و هى ليله الهرير المشهوره، و كان الأشتر فى ميمنه النّاس و ابن عبّاس فى الميسره و علىّ فى القلب و النّاس يقتتلون، ثمّ استمرّ القتال من نصف الليل الثانى إلى ارتفاع الضّحى و الاشتر يقول لأصحابه و هو يزحف بهم نحو أهل الشّام: ازحفوا قيد(١) رمحى هذا و يلقى رمحه فاذا فعلوا ذلك قال ارجفوا قاب هذا القوس فاذا فعلوا ذلك سألهم مثل ذلك حتّى ملّ أكثر النّاس من الاقدام فلمّا رأى ذلك قال: اعيذكم باللّه ان ترضعوا الغنم ساير اليوم، ثمّ دعا بفرسه و ركز رايته و كانت مع حيّان بن هوذه النّخعى و سار بين الكتائب و هو يقول: ألا من يشرى نفسه للّه و يقاتل مع الأشتر حتّى يظهر أو يلحق باللّه فلا يزال الرّجل من النّاس يخرج إليه فيقاتل معه قال نصر: و حدّثنى عمرو قال: حدّثنى أبو ضرار قال حدّثنى عمّار بن ربيعه قال: مرّبى الأشتر فأقبلت معه حتّى رجع إلى المكان الذى كان به، فقام فى أصحابه فقال: شدّ و افداء لكم عمّى و خالى شدّه ترضون بها اللّه و تغزون بها الدين إذا أنا حملت فاحملوا، ثمّ نزل و ضرب وجه دابّته و قال لصاحب رايته: تقدّم فتقدّم بها ثمّ شدّ على القوم و شدّ معه أصحابه فضرب أهل الشام حتّى انتهى بهم إلى معسكرهم فقاتلوا عند العسكر قتالا شديدا و قتل صاحب رايتهم و أخذ علىّ عليه السّلام لما راى الظفر قد جاء من قبله يمدّه بالرّجال.

و روى نصر عن رجاله قال: لمّا بلغ القوم إلى ما بلغوا إليه قام علىّ عليه السّلام خطيبا فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:

١- (١) القيد و القاب المقدار لغه

أيّها النّاس قـد بلغ بكم الامر و بعـدوّكم ما قد رأيتم و لم يبق منهم إلاّ آخر نفس و إنّ الامور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأوّلها، و قد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغنا منهم مـا بلغنـا، و أنـا غـاد عليهم بالغـداه احاكمهم إلى اللّه قال فبلغ ذلك معاويه، فـدعا عمرو بن العاص و قال: يا عمرو إنّماهى الليله حتّى يغد و علىّ علينا بالفضل فما ترى؟ قال: إنّ رجالك لا يقومون لرجاله و لست مثله هو يقاتلك على امر و أنت تقاتله على غيره، أنت تريـد البقاء و هو يريد الفناء و أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، و أهـل الشّام لا يخافون عليّا إن ظفر بهم و لكن ألق إلى القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا و إن ردّوه اختلفوا ادعهم إلى كتاب اللّه حكما فيما بينك و بينهم، فانّك بالغ به حاجتك فى القوم و إنّى لم أزل ادّخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه، فعرف معاويه ذلك و قال له صـدقت قال نصـر: و حدّثنا عمرو بن شـمر عن جابر بن نمير الانصارى قال: و اللّه لكأنّى أسـمع عليّا يوم الهرير و ذلك بعد ما طحنت رحى مدحج فيما بينها و بين عك و لخم و جذام و الأشـعريين بأمر عظيم تشـيب منه النواصـى حتّى اسـتقامت الشّمس و قـام قـائم الظهر و علىّ عليه السّـلام يقول لأصـحابه: حتّى متى نخلّى بين هـذين الحيّين قـد فنيا و أنتم وقوف تنظرون أما تخافون مقت اللّه ثمّ اسـتقبل القبله و رفع يـديه إلى اللّه عزّ و جل و نادى: يا اللّه يا رحمن يا رحيم يا واحـد يا أحـد يا صـمد يا اللّه يا اله محمّد اللهمّ إليك نقلت الأقدام و أفضت القلوب و رفعت الأيدى و مدّت الأعناق و شخصت الأبصار و طلبت الحوائج، اللهمّ إنّا نشـكو إليك غيبه نبيّنا و كثره عدوّنا و تشتّت أهوائنا، ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين، سيروا على بركه اللّه، ثمّ نادى لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر قال: فلا و الـذى بعث محمّدا بالحقّ نبيّا ما سـمعنا رئيس قوم منذ خلق اللّه السّـماوات و الأرض أصـاب بيـده فى يوم واحـد مثـل مـا أصاب عليه السّـلام إنّه قتل فيما ذكره العادون زياده على خمسـمائه من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنيا فيقول معذره إلى

اللّه و إليكم من هذا لقد هممت أن افلقه(۱) و لكن يحجزنى عنه إنّى سمعت رسول اللّه يقول: لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا علىّ و أنا قاتل به دونه(۲).

قال فكنّا نأخذه فنقوّمه ثمّ يتناوله من أيدينا فينقحم به فى عرض الصّف فلا و اللّه ما ليث بأشدّ نكايه منه فى عدوه و لنعم ما قال فى كشف الغمه فى وصف حاله عليه السّلام فى ليله هذا اليوم و هى ليله الهرير: فما لقى عليه السّلام شجاعا إلّا أراق دمه، و لا بطلا إلّا زلزل قدمه، و لا مريدا إلّا أعدمه، و لا قاسطا إلّا قصر عمره و أطال ندمه، و لا جمع نفاق إلّا فرّقه، و لا بناء ضلال إلّا هدمه، و كان كلّما قتل فارسا أعلى بالتكبير فاحصيت تكبيراته ليله الهرير فكانت خمسمائه و ثلاثا و عشرين تكبيره بخمسمائه و ثلاثه و عشرين قتيلا من أصحاب السّعير.

و قيل إنّه فتق نيفق(۳) درعه لثقل ما كان يسيل من الدّم على ذراعه و قيل إنّ قتلاه عرفوا بالنّهار فانّ ضرباته كانت على و تيره واحده إن ضرب طولا قدّ أو عرضا قطّ، و كانت كأنها مكوّاه بالنّار قال نصر: فحدّثنا عمرو بن شمر عن جابر قال: سمعت تميم بن جزيم يقول:

لمّا أصبحنا من ليله الهرير نظرنا فاذا أشباه الرّايات أمام أهل الشّام فى وسط الفليق(۴) حيال موقف علىّ و معاويه، فلمّا أسفرنا إذا هى المصاحف قد ربطت فى أطراف الرّماح و هى عظام مصاحف العسكر، و قد شدّوا ثلاثه رماح جميعا و ربط عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشره رهط قال نصر: و قال أبو جعفر و أبو الطّفيل: استقبلوا عليّا عليه السّلام بمأه مصحف و وضعوا فى كلّ مخبيه(۵) مأتى مصحف فكان جميعها خمسمائه مصحف، قال أبو جعفر

۱- (۱) الفلق الشق

۲- (۲) اى عنده

۳- (۳) نيفق كحيدر جاى بندازار و شلوار و مانند آن معرب نيفه و بكسر النون عند العامه منتهى الارب.

۴- (۴) الفليق الداهيه

۵- (۵) المخبيه بفتح النون كمقدمه و المخبيتان الميمنه و الميسره

ثمّ قال الطفیل بن أدهم حیال علیّ علیه السّلام، و قام أبو شریح حیال المیمنه، و ورقا بن المعتمر حیال المیسره ثمّ نادوایا معشر العرب اللّه اللّه فی النساء و البنات و الأبناء من الرّوم و الأتراک و أهل الفارس غدا إذا فنیتم اللّه اللّه فی دینکم هذا کتاب اللّه بیننا و بینکم.

فقال علیّ علیه السّلام: اللهمّ إنّک تعلم أنهم ما الکتاب یریدون، فاحکم بیننا و بینهم إنّک أنت الحقّ المبین فطائفه قالت القتال و طائفه قالت المحاکمه إلی الکتاب و لا یحلّ لنا الحرب، و قد وعینا إلی حکم الکتاب فعند ذلک بطلت الحرب و وضعت أو زارها.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام قال: لما کان الیوم الأعظم قال أصحاب معاویه: و اللّه لا نبرح الیوم العرصه حتّی نموت أو یفتح لنا، و قال أصحاب أمیر المؤمنین علیه السّلام: مثل ذلک فباکروا القتال غدوه فی یوم من إیّام الشعری طویل شدید الحرّ، فتراموا حتّی فنیت النّبال و تطاعنوا حتّی تقصفصت الرّماح.

ثمّ نزل القوم عن خیولهم و مشی بعضهم إلی بعض بالسّیوف حتّی تکسرت جفونها، و قام الفرسان فی الرکب، ثمّ اضطربوا بالسیّوف و عمد الحدید، فلم یسمع السّامعون إلاّ تغمغم القوم و صلیل(۱) الحدید فی الهام و تکادم(۲) الافواه و کسفت الشّمس و ثار القتام و صلت الالویه و الرّایات و مرّت مواقیت أربع صلاه ما یسجد فیهنّ للّه الاّ تکبیرا و نادت المشیخه(۳) فی تلک الغمرات: یا معشر العرب اللّه فی الحربات من النساء و البنات، قال جابر فبکی أبو جعفر علیه السّلام و هو یحدّثنا بهذا الحدیث.

قال نصر و أقبل الاشتر علی فرس کمیت محذوف و قد وضع مغفره علی قربوس

۱- (۱) صل المسمار یصل صلیلا صوّت.

۲- (۲) الکدم العض بادنی الغم کما یکدم الحمار

۳- (۳) المشیخه جمع الشیخ

السّـرج و هو يقول: اصبروا يا معشـر المؤمنين فقد حمى الوطيس و رجعت الشّـمس من الكسوف و اشـتدّ القتال و اخذت السباع بعضها بعضا.

فقال رجل فى تلك الحال: اى رجل هذا لو كانت له نيّه، فقال له صاحبه:

و اىّ نيه أعظم من هـذه ثكتك امّك و هبلتك انّ رجلا كما ترى قد سـبح فى الدّم و ما اضـجرته الحرب و قد غلت هام الكماه من الحرب و بلغت القلوب الحناجر و هو كما ترى جزع يقول هذه المقاله اللهمّ لا تبقنا بعد هذا.

قال نصـر: و روى الشّعبى عن صعصعه انّه بدر من الأشعث بن قيس لعنه اللّه ليله الهرير قول نقله الناقلون إلى معاويه فاغتنمه و بنا عليه تدبيره.

و ذلك انّه خطب أصـحابه من كنده تلك الليله و قال فى خطبته: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان فى يومكم هذا الماضى و ما قـد فنى فيه من العرب فو اللّه لقـد بلغت من السنّ ما شاء اللّه ان ابلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط، الا فليبلغ الشاهد الغايب إنّا ان نحن تواقفنا غدا انّه لفنت العرب وضيّعت الحرمات أما و اللّه ما أقول هذه المقاله جزعا عن الحرب و لكنى رجل مسنّ أخاف على النّسـاء و الـذّرارى غـدا إذا فنينـا و نحو ذلـك ممّا يخـذلهم عن القتال فلمّا بلغ ذلك معاويه قال: أصاب و ربّ الكعبه فـدبّر تلك الليله ما دبّر من رفع المصاحف على الرّماح، فأقبلوا بالمصاحف و رفعوها فى رءوس الرّماح و قد قلدوها الخيل و مصـحف دمشق الأعظم يحمله عشـره رجال على رءوس الرّماح و هم ينادون كتاب اللّه بيننا و بينكم قال: فجاء عدىّ بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين إنّه لم يصب منّـا عصـبه إلاّ و قـد اصـيب منهم مثلها، و كلّ مقروح و لكنّا أمثل بقيّه منهم و قـد جزع القوم و ليس بعد الجزع إلاّ ما نحبّ فناجزهم و قام الأشتر فقال يا أمير المؤمنين إنّا و اللّه ما أجبناك و لا نصـرناك على الباطل و لا أجبنا إلاّ اللّه و لا طلبنا إلاّ الحقّ، و لو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه

لاستشری(۱) فیه اللّجاج و طال فیه النّجوی و قد بلغ الحقّ مفطمه و لیس لنا معک رأی.

فقام الاشعث بن قیس مغضبا و قال: یا أمیر المؤمنین انالک الیوم علی ما کنّا علیه أمس و لیس آخر أمرنا کأوّله و ما من القوم أحد أحنی علی أهل العراق و لا أوتر لأهل الشّام منّی فأجب القوم إلی کتاب اللّه عزّ و جل فانّک أحقّ به منهم و قد أحبّ النّاس البقاء و کرهوا القتال فقال علیّ علیه السّلام هذا أمر ننظر فیه فنادی النّاس من کلّ جانب الموادعه، فقال علیّ علیه السّلام أیّها النّاس إنّی أحقّ من أجاب إلی کتاب اللّه و لکن معاویه و عمرو بن العاص و ابن أبی معیط و ابن أبی سرج و ابن مسله لیسوا بأصحاب دین و لا قرآن إنی أعرف بهم منکم صحبتهم صغارا و رجالا فکانوا شرّ صغار و شرّ رجال و یحکم إنها کلمه حقّ یراد بها باطل إنهم ما رفعوها إنهم یعرفونها و لا یعملون و لکنها الخدیعه و الوهن و المکیده أعیرونی سواعدکم و جماجمکم ساعه واحده فقد بلغ الحقّ مقطعه و لم یبق إلاّ ان یقطع دابر الذین ظلموا فجائه من أصحابه زهاء عشرین ألفا مقنعین فی الحدید شاکی سیوفهم علی عواتقهم و قد اسودت جباههم من السجود یتقدّمهم مسعر بن فدکی و زید بن حصین و عصابه من القراء الذین صاروا خوارج من بعد فنادوه باسمه لا بامره المؤمنین: یا علیّ أجب القوم إلی کتاب اللّه اذ دعیت إلیه و إلاّ قتلناک کما قتلنا ابن عفان فو اللّه لنفعلنّها إن لم تجبه فقال لهم و یحکم أنا أوّل من دعا إلی کتاب اللّه و أوّل من أجاب إلیه و لیس یحلّ لی و لا یسعنی فی دینی أن ادعی إلی کتاب اللّه فلا أقبله إنّی إنما أقاتلهم لیدینوا بحکم القرآن فانهم قد عصوا اللّه فیما أمرهم و نقضوا عهده و نبذوا کتابه، و لکنی قد

۱- (۱) و شری الشر بینهم کهنی استطار و البرق لمع کاشری و زید غضب و لجّ کاستشری و منه الشراه للخوارج ق

اعلمتكم أنّهم قد كادوكم و أنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فابعث إلى الاشتر ليأتينك و قد كان الاشتر صبيحه ليله الهرير قد اشرف على عسكر معاويه ليدخله.

قال نصر: فحدثنى فضيل بن خديج قال سأل مصعب إبراهيم بن الاشتر عن الحال كيف كانت، فقال كنت عند علىّ حين بعث إلى الاشتر ليأتيه و قد كان الأشتر أشرف على عسكر معاويه ليدخله فأرسل إليه علىّ عليه السّلام يزيد بن هانى أن ائتنى به، فأتاه فأبلغه فقال له الاشتر: آتيه فقل له ليس هذه السّاعه التى ينبغى لک أن تزيلنى عن موقفى إنّى قد رجوت الفتح فلا تعجلنى.

فرجع يزيد إليه عليه السّلام فأخبره فما هو إلّا أن انتهى حتّى ارتفع الرّهج(١) و علت الأصوات من قبل الأشتر و ظهرت دلايل الفتح و النّصر لأهل العراق و دلائل الخذلان و الادبار لأهل الشّام فقال القوم لعلىّ عليه السّلام و اللّه ما نراک أمرته إلّا بالقتال قال: أرايتمونى شاورت رسولى إليه أليس إلّا كلّمته على رؤوسكم علانيه و أنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتک و إلّا و اللّه اعتزلناک.

فقال عليه السّلام ويحک يا يزيد قل له: أقبل إلىّ فانّ الفتنه قد وقعت فأتاه فأخبره فقال الأشتر: أ برفع هذه المصاحف؟ قال: نعم قال: أما و اللّه لقد ظننت أنّها حين رفعت سيوقع اختلافا و فرقه إنّها مشوره ابن النّابغه، ثمّ قال ليزيد بن هانى ويحک ألا ترى إلى الفتح ألا ترى إلى ما يلقون ألا ترى إلى الذى يصنع اللّه لنا أ ينبغى أن ندع هذا و ننصرف عنه.

فقال له يزيد: أتحبّ أنک ظفرت ههنا و أن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو يفرج عنه و يسلم إلى عدّوه، فقال: سبحان اللّه لا و اللّه لا ـ أحبّ ذلک، قال: فانّهم قد قالوا له و حلفوا عليه: لترسلنّ الى الأشتر فليأتينّک أو لنقتلنّک بأسيافنا كما قتلنا عثمان، أو لنسلّمنک إلى عدوّک.

فأقبل الاشتر حتّى انتهى إليهم فصاح يا أهل الذلّ و الوهن أحين علوتم القوم و ظنوا

١- (١) الرهج و يحرّک الغبار

أنّكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها و قدو اللّه تركوا ما أمر اللّه فيها، و تركوا سنّه من انزلت اليه فلا تجيبوهم أمهلونى فواقا، فانّى قد احسست بالفتح، قالوا: لا نمهلك، قال: فامهلونى عدوه الفرس فانّى قد طمعت النّصر، قالوا:

إذن ندخل معك فى خطيئتك.

قال: فحدّثونى عنكم و قد قتل أماثلكم و بقى أراذلكم متى كنتم محقّين أحين كنتم تقتلون أهل الشّام فأنتم الآن حين أمسكتم عن قتالهم مبطلون، أم أنتم الآن فى إمساككم عن القتال محقّون فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم و أنّهم خير منكم فى النّار.

قالوا: دعنا منك يا أشتر قاتلناهم فى اللّه و ندع قتالهم فى اللّه إنّا لسنا نطيعك فاجتنبا(۱) فقال: خدعتم و اللّه فانخدعتم، و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السّود كنا نظنّ صلاتكم زهاده فى الدّنيا و شوقا إلى لقاء اللّه فلا أرى فراركم إلّا إلى الدّنيا و من الموت ألا فقبحا يا اشباه النيب(۲) الجلاله ما أنتم برائين بعدها عزّا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمين، فسبّوه و سبّهم و ضربوا بسياطهم وجه دابته و ضرب بسوطه وجوه دوابّهم و صاح بهم علىّ عليه السّلام فكفّوا.

و قال الاشتر: يا أمير المؤمنين أحمل الصّف على الصف نصرع القوم فتصايحوا أن أمير المؤمنين قد قبل الحكومه و رضى بحكم القرآن، فقال الأشتر: إن كان أمير المؤمنين، قد قبل و رضى فقد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين، فأقبل النّاس يقولون قد قبل أمير المؤمنين قد رضى أمير المؤمنين و هو عليه السّلام ساكت لا يفيض بكلمه مطرق إلى الأرض ثمّ قام فسكت النّاس كلّهم.

فقال عليه السّلام: أيّها النّاس إنّ أمرى لم يزل معكم على ما أحبّ إلى أن أخذت منكم الحرب، و قدو اللّه أخذت منكم و تركت و أخذت من عدوّكم فلم تترك و إنها فيهم أنكى و أنهك إلّا أنّى كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأمورا، و كنت ناهيا فأصبحت منهيا، و قد أحببتم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ما تكرهون، ثمّ قعد،

۱- (۱) اجتنبه و تجنبه و تجانبه بعد منه.

۲- (۲) النبوب و الانيب الناقه المسنه ق.

ثمّ تكلّم رءوس القبايل فكلّ قال ما يراه و يهواه إمّا من الحرب أو من السّلم.

قال نصر: ثمّ إنّ أهل الشّام لما أبطأ عنهم علم حال أهل العراق هل أجابوا إلى الموادعه أم لا جزعوا فقالوا: يا معاويه ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه فأعدها خدعه فانك قد غمرت بدعائك القوم و أطمعتهم فيك.

فدعا معاويه عبد اللّه بن عمرو بن العاص فأمره أن يكلّم أهل العراق و يستعلم له ما عندهم، فأقبل حتّى إذا كان بين الصّفين نادى يا أهل العراق أنا عبد اللّه بن عمرو بن العاص إنّه قد كان بيننا و بينكم أمور للدّين و الدّنيا، فان يكن للدّين فقد و اللّه أعذرنا و أعذرتم، و إن يكن للدّنيا فقد و اللّه أسرفنا و أسرفتم، و قد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم، فان يجمعنا و إيّاكم الرضا فذاك من اللّه فاغتنموا هذه الفرجه عسى أن يعيش فيها المحترق و ينسى فيها القتيل، فانّ بقاء المهلك بعد الهالك قليل فأجابه سعد بن قيس الهمدانى فقال: أمّا بعد يا أهل الشّام إنّه قد كانت بيننا و بينكم امور حاسبنا فيها على الدّين و سمّيتموها عذرا و إسرافا و قد دعوتمونا اليوم على ما قتلناكم عليه أمس و لم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم و أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل اللّه سبحانه فقام النّاس الى علىّ عليه السّلام فقالوا له أجب القوم إلى المحاكمه.

قال نصر: فجاء الأشعث إلى علىّ فقال يا أمير المؤمنين ما أرى النّاس إلاّ و قد رضوا و سرّهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم اليه من حكم القرآن، فان شئت اتيت معاويه فسألته ما يريد و نظرت ما الذى يسأل.

قال عليه السّلام: آتيه ان شئت فأتاه فسأله يا معاويه لأىّ شىء رفعتم هذه المصاحف قال: لنرجع نحن و أنتم الى ما أمر اللّه به فيها فابعثوا رجلا منكم ترضون به و نبعث منّا رجلا و نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب اللّه و لا يعد و انه ثمّ نتبع ما اتفقا عليه.

فقال الأشعث: هذا هو الحقّ و انصرف الى علىّ فأخبره، فبعث علىّ عليه السّلام

قرّاء من أهل العراق و بعث معاويه قرّاء من أهل الشّام فاجتمعوا بين الصّفين و معهم المصحف فنظروا فيه و تدارسوا و اجتمعوا على أن يحيوا ما أحيى القرآن و يميتوا ما أمات القرآن و رجع كلّ فريق إلى أصحابه.

فقال أهل الشّام: إنّا قد رضينا و اخترنا عمرو بن العاص، و قال الأشعث و القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: و قد رضينا نحن و اخترنا أبا موسى الأشعرى فقال لهم علىّ عليه السّلام فانّى لا أرضى بأبى موسى و لا أرى ان اوليه فقال الأشعث و زيد ابن حصين و مسعر بن فدكى فى عصابه من القراء: إنّا لا نرضى إلّا به فانّه قد كان حذّرنا ما وقعنا فيه.

فقال علىّ عليه السّلام: فانّه ليس لى برضا و قد فارقنى و خذل النّاس عنّى و هرب منّى حتّى امنته بعد أشهر و لكن هذا ابن عباس اوليه ذلك، قالوا: و اللّه مانبالى اكنت أنت أو ابن عباس و لا نريد إلّا رجلا و هو منك و من معاويه على حدّ سواء ليس إلى واحد منكما أدنى من الآخر قال علىّ عليه السّلام: فانى أجعل الأشتر، فقال:

الاشعث: و هل سعّر الأرض علينا إلّا الأشتر و هل نحن إلّا فى حكم الأشتر، قال علىّ عليه السّلام و ما حكمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسّيف حتّى يكون ما أردت و ما أراد.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر محمّد بن علىّ عليه السّلام قال لما أراد النّاس عليّا أن يضع الحكمين قال لهم: إنّ معاويه لم يكن ليضع لهذا الامر أحدا هو أوثق برأيه و نظره من عمرو بن العاص، و إنّه لا يصلح للقرشى إلّا مثله فعليكم بعبد اللّه بن عباس فارموه به فانّ عمرا لا يعقد عقده إلّا حلّها عبد اللّه و لا يحلّ عقده الّا عقده و لا يبرم أمرا الّا نقضه و لا ينقض أمرا إلّا أبرمه.

فقال الأشعث لا و اللّه لا يحكم فينا مضريان حتّى تقوم السّاعه، و لكن اجعل رجلا من أهل اليمن إذا جعلوا رجلا من مضر، فقال علىّ عليه السّلام إنّى أخاف أن يخدع يمنّيكم فانّ عمرا ليس من اللّه فى شيء إذا كان له فى أمر هوى، فقال الأشعث و اللّه لان يحكما ببعض ما نكره و أحدهما من أهل اليمن أحبّ إلينا من أن يكون

بعض ما نحبّ فى حكمهما و هما مضريّان.

قال نصـر: فقال علىّ عليه السّـلام قد أبيتم إلاّ أبا موسـى، قالوا: نعم قال: فاصـنعوا ما شـئتم، فبعثوا إلى أبى موسى و هو بأرض من أرض الشّام يقال لها عرض قد اعتزل القتال فأتاه مولى له فقال: إنّ النّاس قد اصطلحوا فقال: الحمد للّه ربّ العالمين قال:

فقد جعلوک حكما قال: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون.

فجاء أبو موسى حتّى دخل عسكر علىّ عليه السّـلام و جاء الأشتر عليّا عليه السّـلام فقال: يا أمير المؤمنين ألزّنى(۱) بعمرو بن العاص فو اللّه الذى لا إله غيره لئن ملأت عينى منه لأقتلنّه.

و جاء الأحنف بن قيس عليّا فقال يا أمير المؤمنين إنّک قد رميت بحجر الأرض و من حارب اللّه و رسوله انف الاسلام و إنّى قد عجمت(۲) بهذا الرّجل يعنى أبا موسى و حلبت اشطره(۳) فوجدته كليل الشّفره(۴) قريب القعر و أنّه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتّى يكون فى أكفّهم و يتباعد منهم حتّى يكون بمنزله النّجم منهم فان شئت أن تجعلنى حكما فاجعلنى به و إن شئت أن تجعلنى ثانيا أو ثالثا فان عمرا لا يعقد عقدا إلاّ حللتها، و لا يحلّ عقده إلاّ عقدت لک أشدّ منها فعرض علىّ عليه السّلام ذلک على النّاس فأبوه و قالوا: لا يكون إلاّ أبا موسى.

قال نصر: فبعث أيمن بن حزيم الاسدى و كان معتزلا لمعاويه بهذه الأبيات و كان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق.

۱- (۱) اللز لزوم الشىء بالشىء و الزامه به ق.

۲- (۲) عجمتک الامور اى جربتک من العجم و هو العض يقال عجمت العود اذا عصمت لتنظر أصلب هو أم رخو، نهايه.

۳- (۳) اشطر جمع الشطر و هو خلف الناقه يقال حلب فلان الدهر شطره اى اختبر صروفه من خيره و شره نشبيها بحلب جميع اخلاف الناقه، منه.

۴- (۴) السكين العظيم.

لو كان للقوم رأى يعصمون به من الضّلال رموكم بابن عباس

للّه درّ أبيه أيّما رجل ما مثله لفصال الخطب فى النّاس

لكن رموكم بشيخ من ذوى يمن لا يهتدى ضرب أخماس من أسداس

ان يخل عمرو به يقذفه فى لجج يهوى به النجم ينشأ بين أتياس(١)

ابلغ لديك عليّا غير عايبه قول امرء لا يرى بالحقّ من ناس

ما الاشعرى بمأمون أبا حسن فاعلم هديت و ليس العجز كالرّاس

فاصدم بصاحبك الادنى زعيمهم إنّ ابن عمّك عبّاس هو الاسى

فلما بلغ الناس هذا الشّعر طارت هواء أقوام من أولياء علىّ عليه السّلام و شيعته إلى ابن عباس و أبت القراء إلاّ أبا موسى.

قال نصر: فلما رضى أهل الشّام بعمرو و أهل العراق بأبى موسى أخذوا فى سطر كتاب الموادعه و كان صورته: هذا ما تقاضى عليه علىّ أمير المؤمنين و معاويه ابن أبى سفيان فقال معاويه بئس الرّجل أنا إن أقررت أنّه أمير المؤمنين ثمّ قاتلته و قال عمرو: بل نكتب اسمه واسم أبيه إنّما هو أميركم فأمّا أميرنا فلا فلما اعيد عليه الكتاب أمر بمحوه.

فقال الأحنف: لا تمح اسم أمير المؤمنين عنك فانّى أتخوّف إن محوتها ألاّ ترجع إليك أبدا فلما تمحها.

فقال علىّ عليه السّلام إنّ هذا اليوم كيوم الحديبيّه حين كتب الكتاب عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هذا ما تصالح عليه محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سهيل بن عمرو، فقال سهيل لو أعلم أنك رسول اللّه لم أخالفك و لم أقاتلك إنّى إذن لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت اللّه الحرام و أنت رسوله، و لكن اكتب: من محمّد بن عبد اللّه فقال لى رسول اللّه يا على إنّى لرسول اللّه و أنا محمّد بن عبد اللّه و لن يمحو عنّى الرّساله كتابى لهم من محمّد

١- (١) اتياس جمع تيس الذكر من الظباء و المعز و الوعول ق.

ابن عبد اللّه فاكتبها و امح ما أراد محوه أما أنّ لك مثلها(۱) ستعطيها مضطهدا(۲).

قال نصر: و قد روى إنّ عمرو بن العاص أعاد بالكتاب إلى علىّ عليه السّلام فطلب منه أن يمحو اسمه من إمره المؤمنين فقصّ عليه و على من حضر قصّه صلح الحديبيه قال: إنّ ذلك الكتاب انا كتبته بيننا و بين المشركين و اليوم اكتبه الى أبنائهم كما كان رسول اللّه كتبه إلى آبائهم شبها و مثلا.

فقال عمرو: سبحان اللّه أتشبّهنا بالكفّار و نحن مسلمون، فقال علىّ عليه السّلام:

يابن النابغه و متى لم تكن للكافرين وليّا و للمسلمين عدوّا، فقام عمرو و قال:

و اللّه لا يجمع بينى و بينك بعد هذا اليوم مجلس، فقال: علىّ عليه السّلام أما و اللّه إنّى لأرجو أن يظهر اللّه عليك و على أصحابك، و جاءت عصابه قد وضعت سيوفها على عواتقها فقالوا يا أمير المؤمنين مرنا بم شئت فقال لهم سهل بن حنيف أيّها النّاس اتهموا(۳) رأيكم فلقد شهدنا صلح رسول اللّه يوم الحديبيّه و لو نرى قتالا لقاتلنا.

قال نصر: و قد روى أبو إسحاق الشّيبانى قال قرئت كتاب الصّلح عند سعيد بن أبى برده فى صحيفه صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها و خاتم من أعلاها على خاتم علىّ عليه السّلام محمّد رسول اللّه و على خاتم معاويه محمّد رسول اللّه، و قيل لعلىّ عليه السّلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاويه و أهل الشّام أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال علىّ عليه السّلام: ما اقرّ لمعاويه و لا لأصحابه انهم مؤمنون مسلمون و لكن يكتب معاويه ما شاء و يقرأ بما شاء لنفسه و لأصحابه و يسمّى نفسه بما شاء و أصحابه فكتبوا: هذا ما تقاضى عليه علىّ بن أبى طالب و معاويه بن أبى سفيان قاضى علىّ بن ابى طالب على اهل العراق و من كان معه من شيعته من المؤمنين و المسلمين، و قاضى معاويه بن ابى سفيان على أهل الشّام و من كان معه من شيعته من المؤمنين و المسلمين.

انّنا ننزل عند حكم اللّه تعالى و كتابه و لا يجمع بيننا إلاّ إياه و انّ كتاب اللّه

۱- (۱) اى مثل هذه القضيه.

۲- (۲) ضهده كمنعه قهره كاضطهده ق.

۳- (۳) تهم الدهن و اللحم تغير اى غيروا رأيكم منه.

سبحانه بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيى ما احيى القرآن، و نميت ما أمات القرآن فان وجد الحكمان ذلک فى كتاب اللّه ابتغاه، و إن لم تجداه أخذا بالسّنه العادله غير المفرقه و الحكمان عبد اللّه بن قيس و عمرو بن العاص.

و قد أخذ الحكمان من علىّ و معاويه و من الجندين أنّهما أمينان على أنفسهما و أموالهما و أهلهما، و الامّه لهما أنصار و على الذى يقضيان عليه و على المؤمنين و المسلمين من الطائفتين عهد اللّه ان يعمل بما يقضيان عليه ممّا وافق الكتاب و السّنه و أنّ الأمن و الموادعه و وضع السّلاح متّفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم و على كلّ واحد من الحكمين عهد اللّه ليحكمنّ بين الامّه بالحقّ لا بالهوى.

و أجل الموادعه سنه كامله فان أحبّ الحكمان أن يعجّلا الحكم عجّلاه، و أن توفى أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا لا يألو الحقّ و العدل، و إن توفى أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممّن يرضون أميره و يحمدون طريقته اللّهمّ إنّا نستنصرک على من ترک ما فى هذه الصّحيفه و أراد فيها الحادا و ظلما.

قال نصر: هذه روايه محمّد بن علىّ بن الحسين عليهما السّلام و الشّعبى، و روى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات على هذه النّسخه.

أقول: و ذكر تلک الرّوايه و ساقها إلى أن قال: و شهد فيه من أصحاب علىّ عليه السّلام عشره و من أصحاب معاويه عشره و تاريخ كتابته لليله بقيت من صفر سنه تسع و ثلاثين.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن سعيد قال: حدّثنى أبو حباب عن عمّاره بن ربيعه الحرمى قال: لما كتبت الصّحيفه دعا لها الأشتر ليشهد الشهود عليه فقال: لا صبحتنى يمينى و لا نفعتنى بعدها الشّمال إن كتب لى فى هذه الصّحيفه اسم الصّلح أو الموادعه، أو لست على بيّنه من أمرى و يقين من ضلال عدوّى أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على

الخور(۱) فقال له رجل: و اللّه ما رأيت ظفرا و لا خورا هلمّ فاشهد على نفسك و اقرر بما كتب فى هذه الصّحيفه فانّه لارغبه لك عن النّاس فقال: بلى و اللّه إنّ لى لرغبه عنك فى الدّنيا للدّنيا و فى الآخره للآخره و لقد سفك اللّه بسيفى هذا دماء رجال ما أنت عندى بخير منهم و لا أحزم دما.

قال نصر: و كان الرّجل هو الأشعث فكأنّما قصع على أنفه الحمم ثمّ قال الأشتر: و لكنى قد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين و دخلت فيما دخل فيه و خرجت مما خرج منه فانّه لا يدخل إلاّ فى الهدى و الصّواب.

قال نصر: فحدّثنا عمر بن سعد عن أبى حباب الكلبى عن اسماعيل بن شفيع عن سفيان بن مسلمه قال: فلما تمّ الكتاب و شهدت فيه الشّهود و تراضى النّاس خرج الأشعث و معه ناس بنسخه الكتاب يقرؤها على النّاس و يعرضها عليهم.

فمرّ به على صفوف من أهل الشام و هم على راياتهم فأسمعهم إيّاه فرضوا به ثمّ مرّ به على صفوف من أهل العراق و هم على راياتهم فأسمعهم إيّاه فرضوا به حتّى مرّ برايات غنزه و كان معه عليه السّلام منهم أربعه ألف فلما مرّ بهم الأشعث يقرأ عليهم قال فتيان منهم: لا حكم إلاّ للّه ثمّ حملا على أهل الشّام بسيوفهما حتّى قتلا على باب رواق معاويه.

ثمّ مرّ بها على مراد فقال صالح بن شقيق و كان من رؤوسهم: لا حكم إلاّ للّه و لو كره المشركون، ثمّ مرّ على رايات بنى راسب فقرأها عليهم فقال رجل منهم: لا حكم إلاّ للّه لا نرضى و لا يحكم الرّجال فى دين اللّه، ثمّ مرّ على رايات تميم فقرأها عليهم فقال رجل منهم: لا حكم إلاّ للّه يقضى الحقّ و هو خير الفاصلين و خرج عروه التّميمى فقال أ تحكمون الرّجال فى أمر اللّه لا حكم إلاّ للّه فأين قتلانا يا أشعث؟ ثمّ شدّ بسيفه على الأشعث ليضربه فأخطأه و ضرب عجز دابته ضربه خفيفه.

فانطلق الأشعث إلى علىّ فقال يا امير المؤمنين انّى عرضت الحكومه على صفوف أهل الشّام و أهل العراق فقالوا جميعا رضينا و مررت برايات بنى راسب و نبذ

۱- (۱) الخور بالتحريك الضعف ق.

من النّاس سواهم فقالوا لا ـ نرضى لا ـ حكم إلاّ ـ للّه فمر بأهل العراق و أهل الشّام عليهم حتى يقتلهم. فقال هل هى غير رايه او رايتين و نبذ من النّاس قال: لا قال: فدعهم.

قال نصر: فظن علىّ عليه السّلام انّهم قليلون لايعباء بهم فما راعه إلاّ نداء النّاس من كلّ جهه لا حكم إلا اللّه، الحكم للّه يا على لا لك لا نرضى بأن يحكم الرّجال فى دين اللّه إنّ اللّه قد أمضى حكمه فى معاويه و أصحابه أن يقتلوا و يدخلوا تحت حكمنا عليهم، و قد كنا زللنا و أخطانا حين رضينا بالحكمين و قد بان لنا زللنا و خطاؤنا فرجعنا اللّه و تبنا فارجع أنت يا على كما رجعنا و تب إلى اللّه كما تبنا و إلاّ برئنا منك.

فقال علىّ عليه السّلام: و يحكم أبعد الرضا و الميثاق و العهد نرجع أ ليس اللّه تعالى قد قال:

«أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » و قال: «أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ».

فابى علىّ عليه السّلام أن يرجع و أبت الخوارج إلاّ تضليل التّحكيم و الطعن فيه، فبرءوا من علىّ و برء علىّ منهم.

قال نصر: و حدّثنى عمرو بن نمير عن أبى الوارك قال: لما تداعى النّاس إلى المصاحف و كتبت صحيفه الصّلح و التّحكيم قال علىّ إنّما فعلت ما فعلت لما بدء فيكم من الخور و الفشل عن الحرب، فجاءت اليه همدان كانّها ركن حصين فيهم سعيد بن قيس و ابنه عبد الرّحمن غلام له ذوابه، فقال سعيد: ها اناذ او قومى لا نردّ أمرك فقل ما شئت نعمله، فقال: أمّا لو كان هذا قبل سطر الصّحيفه لأزلتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتى(۱) و لكن انصرفوا راشدين.

۱- (۱) قال ابن الاثير فى النهايه فى حديث الحديبيه لا قاتلنهم حتى تنفرد سالفتى هى صفحه العنق و مجمعها و هما سالفتان من جانبيه و كنا بانفرادها عن الموت لانها لا تنفرد عما يليها الا بالموت و قيل اراد حتى يفرق بين راسى و جسدى قاله فى البحار، منه ره.

قال نصر: و روى الشّعبى أن عليّا قال يوم صفّين حين اقرّ النّاس بالصّلح: انّ هولاء القوم لم يكونوا لينيبوا إلى الحقّ و لا ليجيبوا إلاّ لكلمه سواء حتّى يرموا بالمناسر(۱) تتبعها العساكر و حتّى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلايب(۲) ، و حتّى يجرّ ببلادهم الخميس(۳) يتلوه الخميس، و حتّى يدعق(۴) الخيول فى نواحى أرضهم و باحناء مشاربهم و مسارحهم، و حتّى يشنّ عليهم الغارات من كلّ فجّ و حتى تتلقّاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم و موتاهم فى سبيل اللّه إلاّ جدّا فى طاعه اللّه و حرصا على لقاء اللّه.

و لقد كنّا مع رسول اللّه يقتل آبائنا و اخواننا و اخوالنا و اعمامنا لا يزيدنا ذلك إلاّ ايمانا و تسليما و مضيّا على أمض الألم وجدّا على جهاد العدوّ و الاستقلال بمبارزه الاقران.

و لقد كان الرّجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، و يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون فمرّه لنا من عدّونا و مرّه لعدوّنا منّا فلما رآنا اللّه صدقا صبرا أنزل بعدوّنا الكبت و أنزل علينا النصر و لعمرى لو كنا فى مثل الذى اتيتم ما قام الدّين و لاعزّ الاسلام.

و روى نصر: عن عمرو بن شمر عن فضيل بن جديح قال: قيل لعليّ عليه السّلام لما كتبت الصّحيفه: انّ الاشتر لم يرض بما فى الصّحيفه و لا يرى الاّ قتال القوم، فقال عليّ عليه السّلام بلى انّ الاشتر ليرضى اذا رضيت و قد رضيت و رضيتم و لا يصلح الرّجوع بعد الرّضا و لا التّبديل بعد الاقرار إلاّ أن يعصى اللّه أو يتعدّى ما فى كتابه، و أمّا الذى ذكرتم من تركه أمرى و ما أنا عليه فليس من أولئك و لا أعرفه على ذلك، و ليت

۱- (۱) المنسر هو قطعه من الجيش تمر قدام الجيش الكثير ق.

۲- (۲) الجلايب و الجلوبه ذكور الابل التى يحمل عليها متاع القوم الجمع و الواحد سواء ق.

۳- (۳) الحميس بالحاء المهمله و بالخاء المعجمه الجيش لا نقسامه على خمس: القلب و الميمنه و الميسره و المقدمه و المؤخره، منه ره.

۴- (۴) الدعق الوطىء ق.

فیکم مثله اثنان، بل لیت فیکم مثله واحد یری فی عدوّی مثل رأیه إذن لخفّت مؤنتکم علیّ و رجوت أن یستقیم لی بعض اودکم.

قال نصر: ثمّ انّ النّاس أقبلوا علی قتلاهم فدفنوهم، و روی الشّعبی عن زیاد بن النّصر انّ علیّا بعث أربعمائه علیهم شریح بن هانی و معه عبد اللّه بن العباس یصلّی بهم و معهم أبو موسی الأشعری و بعث معاویه عمرو بن العاص فی أربعمائه، ثمّ إنّهم خلوا بین الحکمین فکان رأی عبد اللّه بن قیس فی عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، و کان یقول و اللّه ان استطعت لأحیینّ سنّه عمر.

قال نصر: و فی حدیث محمّد بن عبید اللّه الجرجانی قال: لما أراد أبو موسی المسیر قام الیه شریح بن هانی فأخذ بیده و قال: یا أبا موسی قد نصب لأمر عظیم لا یجبر صدعه و لا یستقال فتنته، و مهما نقل من شیء علیک أو لک تثبت حقّه و تری صحّته و ان کان باطلا، و أنّه لا بقاء لأهل العراق إن ملکهم معاویه، و لا بأس لأهل الشّام إن ملکهم علیّ علیه السّلام.

و قد کان منک تثبیطه أیام الکوفه و الجمل فان تشفعها بمثلها یکن الظنّ بک یقینا والرّجاء منک یأسا فقال أبو موسی: ما ینبغی لقوم اتّهمونی إن یرسلونی لا دفع عنهم باطلا أو أجری إلیهم حقّا.

و روی المداینی فی کتاب صفّین قال: لما اجتمع أهل العراق علی طلب أبی موسی و احضروه للتّحکیم علی کره من علیّ علیه السّلام أتاه عبد اللّه بن عباس و عنده وجوه النّاس و الاشراف فقال له: یا أبا موسی إنّ النّاس لم یجتمعوا علیک و یرضوا بک لفضل لا تشارک فیه و ما أکثر أشباهک من المهاجرین و الأنصار المتقدّمین قبلک، و لکن أهل العراق أبوا إلاّ أن یکون الحکم یمانیّا و رأوا أنّ معظم أهل الشّام یمان و أیم اللّه انی لأظنّ ذلک شرا لک و لنا، فانه قد ضمّ الیک داهیه(۱) العرب، و لیس فی معاویه خله یستحقّ بها الخلافه، فان تقذف بحقک علی باطله تدرک حاجتک منه، و ان

۱- (۱) المراد بالداهیه عمرو بن العاص قال فی القاموس الدها النکر وجوده الرای و الادب و رجل داهی و ذو داهیه منه.

يطمع باطله فى حقّك يدرک حاجته منک.

و اعلم يـا أبـا موسـى أنّ معاويه طليق الاسـلام و أنّ أباه رأس الأحزاب يـدعى الخلافه من غير مشوره و لا بيعه فان زعم لک أنّ عمر و عثمان اسـتعملاه فلقد صدق اسـتعمله عمر و هو الوالى عليه بمنزله الطبيب يحميه ما يشـتهى و يوجره ما يكره، ثمّ استعمله عثمان برأى عمر و ما أكثر ما استعملا ممّن لم يدّع الخلافه.

و اعلم أنّ لعمر و مع كـلّ شـيء يسرّک خبيئـا يسوءک و مهما نسـيت فلا تنس انّ عليّا بايعه القوم الـذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان، و أنّها بيعه هدى و أنّه لم يقاتل إلّا العاصين و النّاكثين.

فقـال أبو موسـى: رحمک اللّه و اللّه مالى إمام غير علىّ عليه السّـلام و إنّى لواقف عنـد ما راى و انّ حقّ اللّه أحبّ إلىّ من رضـا معاويه و أهل الشّام و ما أنا و أنت إلّا باللّه.

قال نصر: و كان النّجاشى الشّاعر صديقا لأبى موسى فكتب اليه يحذّره من عمرو بن العاص:

يؤمّل أهل الشّام عمرا و انّنى لامل عبد اللّه عند الحقائق

و انّ أبا موسى سيدرک حقّنا إذا مارمى عمرا باحدى البوائق

و للّه ما يرمى العراق و أهله به منه إن لم يرمه بالصّواعق

فكتب اليه ابو موسى إنى لأرجو أن تنجلى هذا الأمر و أنا فيه على رضا اللّه سبحانه.

قال نصـر: ثمّ إنّ شريح بن هانى جهزّ أبا موسى جهازا حسنا و عظم أمره فى النّاس ليشرف فى قومه فقال الأعور الشّنى فى ذلک يخاطب شريحا:

زففت ابن قيس زفاف العروس شريح الى دومه الجندل

و فى زفّک الأشعرى البلاء و ما يقض من حادث ينزل

و ما الأشعرىّ بذى اربه و لا صاحب الخطه الفيصل

و لا آخذا حظّ أهل العراق و لو قيلها خذه لم يفعل

يحاول عمرا و عمرو له خدايع يأتى بها من عل

فان يحكما بالهدى يتبعا و إن يحكما بالهوى الأميل

يكونا كتيسين فى فقره اكيلى نقيف من الحنظل

فقال شريح: و اللّه لقد تعجّلت رجال مسائتنا فى أبى موسى و طعنوا عليه بأسواء الظنّ و ظنّوا فيه ما اللّه عصمه منه إنشاء اللّه.

قال نصر: و كان آخر من ودّع أبا موسى الأحنف بن قيس أخذ بيده، ثمّ قال له: يا أبا موسى اعرف خطب هذا الأمر و اعلم أنّه له ما بعده و انّك إن أضعت العراق فلا عراق، اتّق اللّه فانّها تجمع لك دنياك و آخرتك و إذا لقيت غدا عمرا فلا تبدءه بالسّلام فانّها و إن كانت سنّه إلّا أنّه ليس من أهلها، و لا تعطه يدك فانّها أمانه و ايّاك أن يقعدك على صدر الفراش فانّها خدعه، و لا تلقه إلّا وحده، و حذر أن يكلّمك فى بيت فيه مخدع تخباء لك فيه الرّجال و الشّهود.

ثمّ أراد أن يبوء(۱) ما فى نفسه لعلىّ عليه السّلام فقال له: فان لم يستقم لك فيه الرضا بعلىّ فليتخير أهل العراق من قريش الشام من شاءوا أو فليتخير أهل الشام العراق من شاءوا، فقال أبو موسى: قد سمعت ما قلت و لم ينكر ما قاله من زوال الأمر عن علىّ فرجع الأحنف إلى علىّ فقال له: أخرج أبو موسى زبده سقائه فى أوّل مخضه لا أرانا إلا بعثنا رجلا لا ينكر خلعك فقالا علىّ عليه السّلام: اللّه غالب على أمره.

قال نصر: و شاع و فشا أمر الأحنف و أبى موسى فى النّاس فبعث الصّلتان العبدى و هو بالكوفه الى دومه الجندل بهذه الأبيات:

لعمرك لا ألقى مدا الدهر خالعا عليّا بقول الأشعرىّ و لا عمرو

فان يحكما بالحقّ نقبله منهما و إلّا اثرناها كراعيه البكر

و لسنا نقول الدّهر ذاك إليهما و فى ذاك لو قلناه قاصمه الظهر

و لكن نقول الأمر و النهى كلّه إليه و فى كفّيه عاقبه الأمر

و ما اليوم الأمثل أمس و إنّما لفى وشل الضحضاح(۲) أو لجّه البحر

۱- (۱) هو الاختيّار.

۲- (۲) الماء اليسير و الوشل الماء القليل.

فلّما سمع النّاس ذلك أعنى قول الصّيلتان شحذهم ذلك على أبى موسى و استبطائه القوم و ظنوا به الظنون و مكث الرّجلان بدومه الجندل لا يقولان شيئا، و قد كان الأخبار أبطات على معاويه، فبعث إلى رجال من قريش كانوا ان يعينوه فى حربه إنّ الحرب قد وضعت أوزارها، و التقى هذان الرّجلان فى دومه الجندل فاقد مواعلّى فأتاه جمع منهم عبد اللّه بن الزبير و عبد اللّه بن عمر بن الخطّاب و المغيره بن شعبه فقال له يا مغيره ما ترى؟ قال: يا معاويه لو و سعنى أن أنصرك لنصرتك و لكن على ان آتيك بأمر الرجلين فرحل حتّى أتى دومه الجندل، فدخل على أبى موسى، فقال يا أبا موسى ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر و كره هذه الدّماه؟ قال، اولئك خير النّاس خفّت ظهورهم من دمائهم و خصمت بطونهم من أموالهم.

ثمّ أتى عمرا فقال: يا أبا عبد اللّه ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر و كره الدّماء؟ قال: شرار الناس لم يعرفوا حقّا و لم ينكروا باطلا، فرجع مغيره إلى معاويه فقال له: قد ذقت الرّجلين أما عبد اللّه بن قيس فخالع صاحبه و هواه فى عبد اللّه بن عمر، و أمّا عمرو فهو صاحبك الذى تعرف، و قد ظنّ الناس أنّه يرومها لنفسه و أنّه لا يرى أنّك أحقّ بهذا الأمر منه.

قال نصر: و فى حديث عمرو بن شمر قال أقبل أبو موسى إلى عمرو فقال: يا عمرو هل لك فى أمر هو للامّه صلاح و لصلحاء النّاس رضا نولّى هذا الأمر عبد اللّه بن عمر بن الخطاب الذى لم يدخل فى شىء من هذه الفتنه و لا هذه الفرقه قال: و كان عبد اللّه بن عمرو بن العاص و عبد اللّه بن الزّبير قريبا يسمعان هذا الكلام.

فقال عمرو: فأين أنت يا أبا موسى من معاويه، فابى عليه أبو موسى فقال عمرو:

أ لست تعلم أنّ عثمان قتل مظلوما؟ قال: بلى أشهد، ثمّ قال: فما يمنعك من معاويه و هو ولىّ دم عثمان و قد قال تعالى:

«وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً » ثمّ انّ بيت معاويه من قريش ما قد علمت فان خشيت أن يقول الناس ولى معاويه

و ليست له سابقه فانّ لک أن تقول وجدته ولىّ العثمان الخليفه المظلوم و الطالب بدمه الحسن السّياسه الحسن التّدبير و هو أخوامّ حبيبه أمّ المؤمنين و زوج النبىّ و قد صحبه و هو أحد الصّحابه.

ثمّ عرض له بالسّلطان فقال له: إن هو ولى الأمر أكرمك كرامه لم يكرمك أحد قطّ مثلها.

فقال أبو موسى: اتّق اللّه يا عمرو أمّا ما ذكرت من شرف معاويه فانّ هذا الأمر ليس على الشّرف إنّما هو لأهل الدّين و الفضل مع أنى لو كنت أعطيته أفضل قريش شرفا أعطيته علىّ بن أبى طالب، و أمّا قولك إنّه ولىّ عثمان فانى لم أكن أوليه إيّاه لنسبه من عثمان، وادع المهاجرين الأوّلين، و أمّا تعريضك لى بالامره و السّلطان فو اللّه لو خرج لى من سلطانه ما وليته و لا كنت أرتشى فى اللّه و لكنك إن شئت أحيينا سنه عمر بن الخطاب.

قال نصر: و حدّثنى عمر بن سعد عن أبى حباب انّ أبا موسى قال غير مرّه:

و اللّه إن استطعت لا حيينّ اسم عمر بن الخطاب، فقال عمرو بن العاص: إن كنت إنما تبايع ابن عمر لدينه فما يمنعك من ابنى عبد اللّه، و أنت تعرف فضله و صلاحه، فقال: إنّ ابنك لرجل صدق و لكنك قد غمسته فى هذه الفتنه قال نصر: و روى عن النضر بن صالح قال: كنت من شريح بن هانى فى غزوه سجستان فحدّثنى أنّ عليّا أو صاه بكلمات إلى عمرو بن العاص و قال له قل لعمرو:

إذ القيته إنّ عليّا يقول لك:

إنّ أفضل الخلق من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه و إن نقصه و إنّ أبعد الخلق من اللّه من كان العمل بالباطل أحبّ إليه و إن زاده، و اللّه يا عمرو إنك لتعلم اين موضع الحقّ فلم تتجاهل؟ أبأن اوتيت طمعا يسيرا صرت للّه و لأوليائه عدوّا؟ فكأن ما قد اوتيت قد زال عنك، فلا تكن للخائنين خصيما، و للظالمين ظهيرا، اما انى اعلم انّ يومك الذى أنت فيه نادم هو يوم وفاتك و سوف تتمنّى أنك لم تظهر لى عداوه و لم

تأخذ على حكم اللّه رشوه.

قـال شـريح: فـأبلغته ذلـك يوم لقيته فمغر وجهه قال: و متى كنت قابلا مشوره علىّ أو منيبا إلى رأيه أو معتمـدا بأمره، فقلت و ما يمنعك يابن النابغه أن تقبل من مولاك و سيّد المسـلمين بعد نبيّهم مشورته، لقد كان من هو خير منك أبو بكر و عمر يستشـير انه و يعملان برأيه؟ فقـال إنّ مثلى لا يكلّم مثلـك، فقلت: بأىّ أبويك ترغب عن كلامى بأبيك الوشـيظ (۱) أو بامك النّابغه، فقام من مكانه و قمت.

قال نصـر: و روى أبو حباب الكلبى انّ عمرا و أبا موسـى لما التقيا بـدومه الجندل أخذ عمرو يقدّم أبا موسـى فى الكلام و يقول: إنّـك صـحبت رسول اللّه قبلى و انت أكبر منى سـنّا فتكلّم أنت ثمّ أتكلّم أنا فجعل ذلك سـنّه و عاده بينهما، و إنّما كان مكرا و خديعه و اغترارا له أن يقدّمه فيبدأ بخلع علىّ عليه السّلام ثمّ يرى رأيه.

و قال ابن و يزيل فى كتاب صفّين أعطاه عمرو صدر المجلس و كان يتكلّم قبله، و أعطاه التّقدّم فى الصّلاه و فى الطعام لا يأكل حتّى يأكل و إذا خاطبه فانّما يخاطبه بأجلّ الأسماء و يقول له: يا صاحب رسول اللّه حتّى اطمأنّ إليه وظنّ أنّه لا يغشيه.

قـال نصر فلّمـا انمخضت الزبـده بينهما قال له عمرو: أخبرنى ما رأيك يا أبا موسـى؟ قال: أرى أن أخلع هـذين الرّجلين و نجعل الأـمر شورى بين المسـلمين يختـارون من شـاءوا، فقـال عمرو: الرّأى و اللّه مـا رأيت، فأقبلا إلى النّاس و هم مجتمعون فتكلّم أبو موسى فحمـد اللّه و أثنى عليه ثمّ قـال: رأيى و رأى عمرو قـد اتّفق على أمر نرجو أن يصـلح اللّه به شأن هـذه الامـه فقال عمرو صدق.

ثمّ قال له: تقدّم يا أبا موسـى فتكلّم، فقام ليتكلّم فدعاه ابن عباس فقال ويحك إنّى لأظنه خدعك إن كنتما قد اتّفقتما على رأى فقـدّمه قبلـك ليتكلّم ثمّ تكلّم أنت بعـده فـانّه رجـل غـدّار و لا آمن أن يكون أعطـاك الرّضا فيما بينك و بينه فاذا قمت به فى النّاس خالفك، و كان أبو موسى رجلا مغفّلا، فقال: ايها عنك إنّا

ص:۱۱۳

۱- (۱) الوشيظ كامير الاتباع و الخدام و الاجلاف و لفيف من الناس ليس اصلهم واحدا و هم وشيظه فى قومهم حشوفيهم، ق.

قد اتّفقنا فتقدّم أبو موسى فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: أيها النّاس إنّا قد نظرنا فى أمر هذه الامه فلم نر شيئا هو أصلح لأمرها و لا ألم لشعثها من أن لا يبتز(۱) امورها و قد اجتمع رأيي و رأى صاحبى على خلع علىّ و معاويه و ان يستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين يولّون امورهم من أحبّوا، و إنّى قد خلعت عليّا و معاويه فاستقبلوا أموركم و ولّوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلا ثمّ تنحّى.

فقام عمرو بن العاص فى مقامه فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: انّ هذا قد قال ما سمعتم و خلع صاحبه و أنا أخلع صاحبه كما خلعه و اثبت صاحبى فى الخلافه فانّه ولىّ عثمان و الطالب بدمه و أحقّ النّاس بمقامه.

فقال له أبو موسى: ما لک لا وفّقک اللّه قد غدرت و فجرت، إنّما مثلک «كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ».

فقال له عمرو: إنّما مثلک «كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً»، و حمل شريح بن هانى على عمرو، فقنعه بالسّوط و حمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسّوط، و قام النّاس فحجزوا بينهما، فكان شريح يقول بعد ذلک ما ندمت على شىء ندامتى أن لا أكون ضربت عمرا بالسيّف بدل السّوط لكن أتى الدّهر بما أتى به و التمس أصحاب علىّ أبا موسى فركب ناقته و لحق بمكّه، و كان ابن عباس يقول:

قبّح اللّه أبا موسى لقد حذرته و هديته إلى الرّأى فما عقل، و كان أبو موسى يقول: لقد حذّرنى ابن عبّاس غدره الفاسق و لكنى اطمأننت إليه و ظننت أنّه لا يؤثر شيئا على نصيحه الامه.

قال نصر: و رجع عمرو إلى منزله من دومه الجندل فكتب إلى معاويه بهذه الأبيات:

أتتک الخلافه من فوقه هنيئا مريئا تقرّ العيونا

۱- (۱) اى النزع و اخذ الشيء بجفاء و قهر ق.

تزّف إليك زفاف العروس بأهون من طعنك الدّارعينا

و ما الأشعرىّ بصلد الزّناد و لا خامل الدّار فى الأشعرينا

و لكن اتيحت له حيّه يظلّ الشّجاع له مستكينا

فقالوا و قلت و كنت امرء أجهجه بالخصم حتّى يلينا

فخذها ابن هند على بعدها فقد واقع اللّه ما تحذرونا

و قد صرّف اللّه عن شأنكم عدوّا مبينا و حزبا زبونا

قال نصر: فقام سعيد بن قيس الهمدانى فقال: و اللّه لو اجتمعنا على الهدى ما زدتما بأعلى ما نحن الآن عليه، و ما ضلالكما بلازم لنا و ما رجعتما إلاّ بما بدأتما به، و إنّا اليوم لعلى ما كنا عليه أمس، و قام كردوس بن هانى مغضبا فقال:

الا ليت من يرضى من النّاس كلّهم بعمرو و عبد اللّه فى لجّه البحر

رضينا بحكم اللّه لا حكم غيره و باللّه ربّا و النّبىّ و بالذّكر

و بالأصلع الهادى علىّ إمامنا رضينا بذاك الشيخ فى العسر و اليسر

رضينا به حيّا و ميتا و انّه إمام هدى فى الحكم و النهى و الأمر

فما قال لا قلنا بلى إنّ أمره لأفضل ما نعطاه فى ليله القدر

و ما لابن هند بيعه فى رقابنا و ما بيننا غير المثقفه(۱) السّمر

و ضرب يزيل الهام عن مستقرّه و هيهات هيهات الرّضا آخر الدّهر

أتت لى أشياخ الأراقم سبّه أبت بها حتّى اغيّب فى القبر

و تكلّم جماعه اخرى بمثل كلامه فى الرّضا بخلافه علىّ عليه السّلام و إنكار خلافه معاويه و حكم الحكمين قال نصر: و كان علىّ عليه السّلام لما سمع ما خدع به عمرو أبا موسى غمّه ذلك و سائه و خطب النّاس فقال: الحمد للّه و إن أتى الدّهر بالخطب الفادح إلى آخر ما مرّ فى الكتاب مع الزّياده التى ذكرناها(۲).

۱- (۱) ثقّفه تثقيفا سوّاه و الرّياح المثقّفه المسوّاه منه.

٢- (٢) رجل درع عليه درع ق.

قال نصـر: فكان عليّ عليه السّـلام بعد الحكومه إذا صـلّى الغداه و المغرب و فرغ من الصـلاه قال: اللهمّ العن معاويه و عمرا و أبا موسى و حبيب بن مسلمه و عبد الرّحمن بن خالد و الضّحاك بن قيس و الوليد بن عقبه.

و روى ابن و يزيل إنّ أبا موسى كتب من مكّه إلى عليّ عليه السّـلام أمّا بعـد فقد بلغنى أنك تلغنى فى الصّـلاه و يؤمّن خلفك الجاهلون و إنّى أقول كما قال موسى:

«رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ »

الترجمه

از جمله خطب آن حضـرتست بعد از حكم قرار دادن مردم أبو موسـى اشعرى و عمرو عاص عليهما اللعنه و العذاب را و اختيار كردن عمرو عاص ملعون اماره معاويۀ بدبنياد را، و خيانت كردن ابو موسـى بدنهاد در حق آن امام انس و جان و سرور عالميان كه مى فرمايد:

حمد بى قياس خداوند را سزاست و اگر چه آورد روزگار غدار بكار بزرگ و ثقيل و حادثه عظيم و جليل، و شهادت مى دهم بر اين كه هيـچ مسـتحق معبوديه نيست مگر معبود بحق و خداونـد مطلق در حالتى كه نيست با او خـدائى كه بوده باشد با او، و شهادت مى دهم باين كه محمّد بن عبد اللّه صـلوات اللّه و سلامه عليه بندۀ بر گزيده و فرستادۀ پسنديدۀ اوست، پس از ستايش الهى و درود حضرت رسالت پناهى.

پس مخالفت كردن و عصيان نمودن نصيحت كننـدۀ مهربان و داناى تجربه كار باعث مى شود بحسـرت و از پى در مى آورد افسوس و ندامت را، و بتحقيق كه بودم امر نمودم شـما را در باب اين حكومه حكمين به امر خود و خالص نمودم از براى شـما در اين باب راى صواب خود را كه در گنجينۀ ضمير بور اگر مى بود كه اطاعت مى شد مر قصير بن سعد را امرى پشيمان نمى شديد و بورطه حسرت نمى افتاديد، پس إبا و امتناع نموديد بر من مثل امتناع اختلاف كنندگان جفا كار و عهد شـكنندگان نا فرمان بردار تا اين كه بشك افتاد پند دهنده به پند خود و بخل ورزيد آتش زنه به

بیرون دادن آتش خود.

پس بود حال من و شـما در نصـیحت دادن من و مخالفت کردن شما مثل آنچه که گفت برادر هوازن در شعر خود که فرمودم شما را بامر خود و پند دادم شـما را در منزل منعرج اللوی پس ندانستید ثمرهٔ نصـیحت مگر در چاشـتگاه روز دیگر که در دیار زخار خونخوار گرفتار شدیـد، یعنی همچنان که قوم وریـد شاعر نصـیحت او را گوش ندادند و بورطه هلاکت افتادند همچنین شما از فرمان من معصیت ورزیدند که مستعقب حسرت و ندامت گردیده دچار بلا و محنت شدید.

و من خطبه له علیه السلام فی تخویف اهل النهروان

اشاره

و هی السادسه و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

فأنـا لکم نـذیر أن تصـبحوا صـرعی بأثناء هـذا النّهر، و بأهضام هـذا الغایط، علی غیر بیّنه من ربّکم، و لا سـلطان مبین معکم، قد طوّحت بکم الـدّار، و احتبلکم المقـدار، و قد کنت نهیتکم عن هذه الحکومه فأبیتم علیّ اباء المخالفین المنابذین، حتّی صـرّفت رأیی إلی هواکم، و أنتم معاشر أخفّاء الهام، سفهاء الأحلام لم آت لا أبا لکم بجرا و لا أردت بکم ضرّا.

اللغه

(النّهروان) بفتح النّون و تثلیث الرّاء و من العرب من یضمّ النّون أیضا

ثلاث قرى أعلا و أوسط و أسفلهنّ بين واسط و بغداد، و فى المصباح بلده يقرب من بغداد أربعه فراسخ و (صرعى) جمع صريع و (ثنى) الوادى بكسر الثّاء المثلّثه منعطفه و الجمع أثناء و فى بعض النّسخ بأكناف هذا النّهر و هو جمع كنف كسبب و أسباب بمعنى الجانب و (الأهضام) جمع هضم بفتح الهاء و قد يكسر بطن الوادى و المطمئنّ من الأرض و (الغايط) ما سفل من الأرض.

و (طاح) يطوح و يطيح هلك و سقط، و طوحه فتطوح توهيه فرمى هو بنفسه ههنا و ههنا، و طوحته الطوايح قذفته القواذف و (احتبل) الصّيد أوقعه فى الحباله و (المقدار) هو القدر و الفضاء و (الهامه) الرّأس و الجمع الهام.

و (البجر) بضمّ الباء و سكون الجيم المعجمه الدّاهيه و الشرّ، و فى بعض النّسخ هجرا و هو السّاقط من القول، و فى نسخه ثالثه نكرا و هو الأمر المنكر و فى رابعه عرّا و العر و المعرّه إلا ثم و العرّ أيضا داء يأخذ الابل فى مشافرها و يستعار للداهيه.

الاعراب

نسبه طوحت إلى الدّارو احتبل إلى المقدارمن التوسّع،و جمله و أنتم معاشراه حاليّه و العامل صرفت، و بجرا مفعول لم آت و جمله لا ابا لكم معترضه بينهما و هى تستعمل فى المدح كثيرا و فى الذمّ أيضا و فى مقام التّعجب و الظاهر هنا الذّم أو التعجب.

المعنى

اشاره

روى فى شرح المعتزلى عن محمّد بن حبيب قال: خطب علىّ عليه السّلام الخوارج يوم النّهر فقال لهم: نحن أهل بيت النّبوه و موضع الرّساله و مختلف الملائكه و عنصر الرّحمه و معدن العلم و الحكمه، نحن افق الحجاز بنا يلحق البطىء و الينا يرجع التّائب أيّها القوم (فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى) أى مصر و عين مطرّحين على الارض (بأثناء هذا النهّر و بأهضام هذا الغايط على غير بيّنه) و حجّه شرعيّه (من ربكم و لا سلطان مبين) و برهان عقلى (معكم) تتمسّكون به فى خروجكم (قد طوحت

بكم الدّار) و رمت بكم المرامی و هلکتکم (و احتبلکم المقدار) أی أوقعکم القدر النازل بکم فی حبالته کالصّید لا یستطیع الخروج منها (و قد کنت نهیتکم عن هذه الحکومه) التی ندمتم علیها و ما کنت راضیا بها و راغبا إلیها (فأبیتم علیّ إباء المخالفین) الجفاه (و المنابذین) العصاه (حتی صرفت رایی إلی هواکم) و أقدمت علی التحکیم برضاکم من دون أن یکون لی رضا فی ذلک و (أنتم معاشر اخفاء الهام) لعدم ثباتکم فی الرّای و (سفهاء الأحلام) لعدم کما لکم فی العقل انکم أمس کنتم معتقدین وجوب التحکیم و الیوم تزعمونه کفرا و تجعلونه ضرارا و (لم آت لا- أبا لکم بجرا و لا- اردت بکم ضرّا) و إنّما ورد علیکم ذلک الضّرر و نزلت بکم تلک الداهیه بسوء تدبیرکم و قلّه عقلکم و انّ إرادتی من التحکیم و غرضی منه بعد اکراهکم إیّای علیه لم یکن إلا الخیر و المنفعه فانعکست القضیه و انجرّت إلی المضرّه.

و ینبغی تذییل المقام بامرین

الاول

فی ذکر ما ورد من إخبار النّبی صلّی اللّه علیه و آله لقتال الخوارج و کفرهم من طریق

الخاصه و العامه

فأقول:

فی البحار من کتاب کشف الغمه قال: ذکر الامام أبو داود سلیمان بن الأشعث فی مسنده المسمّی بالسّنن یرفعه إلی أبی سعید الخدری و أنس بن مالک أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال: سیکون فی امّتی اختلاف و فرقه، قوم یحسنون القیل و یسیئون الفعل یقرءون القرآن لا- یجاوز تراقیهم، یمرقون من الدّین کما یمرق السّهم من الرّمیه، هم شرّ الخلق طوبی لمن قتلهم و قتلوه یدعون إلی کتاب اللّه و لیسوا منه فی شیء من قاتلهم کان أولی باللّه منهم.

و نقل مسلم بن حجّاج فی صحیحه و وافقه أبو داود و سندهما عن زید بن وهب أنّه کان فی الجیش الذین کانوا مع علیّ علیه السّلام قال علیّ أیّها النّاس إنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: یخرج قوم من امّتی یقرءون القرآن لیس قراءتکم إلی قراءتهم بشیء و لا صلاتکم إلی صلاتهم بشیء و لا صیامکم إلی صیامهم بشیء یقرءون القرآن یحسبون أنّه لهم و هو علیهم لا یجاوز قراءتهم تراقیهم یمرقون من الدّین کما یمرق

السهم من الرّميه(۱) لو یعلم الجیش الذین یصیبونهم ما قضی لهم علی لسان نبیّهم لنکلوا عن العمل، و آیه ذلک أنّ فیهم رجلا له عضد لیس له ذراع علی عضده مثل حلمه الثدی علیه شعرات البیض فتذهبون إلی معاویه و أهل الشّام و تترکون هؤلاء یخلفونکم فی ذراریکم و أموالکم و اللّه إنّی لأرجو أن یکون هولاء القوم فانّهم قد سفکوا الدّم الحرام و أغاروا علی سرح النّاس فتسیروا.

و من کتاب الأمالی للشیخ باسناده عن عبد اللّه بن أبی أوفی قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: الخوارج کلاب أهل النّار.

و من کتاب المناقب لابن شهر آشوب من تفسیر القشیری و ابانه العکبری عن سفیان عن الأعمش عن سلمه عن کهیل عن أبی الطفیل أنّه سأل ابن الکوا أمیر المؤمنین علیه السّلام عن قوله تعالی:

«قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً » فقال علیه السّلام إنّهم أهل حرورا ثمّ قال:

«اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً » فی قتال علی بن أبی طالب «أُولئِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِیمُ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ وَزْناً ذلِکَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ » بما کفروا بولایه علی «و اتّخذوا آیات - القرآن - و رسلی» یعنی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «هزوا» استهزءوا بقوله: ألا من کنت مولاه فعلیّ مولاه، و انزل فی اصحابه:

«إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ » الآیه.

فقال ابن عباس: نزلت فی أصحاب جمل.

ص:۱۲۰

۱- (۱) فی حدیث خوارج یمرقون من الذین مروق السهم من الرمیه. ای یجوزونه و یخرقونه و یتعدونه کما یمزق السهم الشیء المرمی به و یخرج منه. و الرمیه الصید الذی ترمیه فتقصده و ینفذ فیها سهمک و قیل هی کل دابه مرمیه «نهایه»

و من تفسير الفلكى عن أبى امامه قال النبّى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قوله تعالى:

«يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ » الآيه هم الخوارج.

و فى شرح المعتزلى قد تظاهرت الاخبار حتّى بلغت حد التّواتر بما وعد اللّه قاتلى الخوارج من الثّواب على لسان نبيّه.

و فى الصّحاح المتفق عليها أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بينا هو يقسم قسما جاءه رجل يدعا ذا الحو يضره فقال: أعدل يا محمّد فقال: قد عدلت فقال له ثانيه: اعدل يا محمّد فانّك لم تعدل فقال: ويلك و من يعدل إذا لم أكن أعدل.

فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول اللّه ائذن لى أضرب عنقه فقال: دعه فانّه يخرج من ضئضئ(۱) هذا قوم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّميه ينظر أحدكم إلى نضيه فلا يجد شيئا فينظر إلى نضيه(۲) ثمّ ينظر إلى القذذ فكذلك سبق الفرث و الدّم يخرجون على خير فرقه من النّاس يحتقر صلاتكم فى جنب صلاتهم و صومكم عند صومهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم آيتهم رجل أسود أو قال صلّى اللّه عليه و آله اوعج مخدج إليه احدى يديه كانّها ثدى امرأه أو بضعه تدردر(۳).

و فى بعض الصّحاح أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لأبى بكر و قد غاب الرّجل عن عينه: قم فاقتله، فقام ثمّ عاد و قال: وجدته يصلّى فقال لعمر: مثل ذلك فعاد و قال وجدته يصلّى فقال لعلىّ عليه السّلام: مثل ذلك فعاد و قال: لم أجده فقال رسول اللّه: لو قتل هذا

۱- (۱) الضئضى الاصل يقال ضئضئ صدق وضوء ضوء صدق و حكى بعضهم ضئضئ بوزن قنديل يريده انه يخرج من نسله و من عقبه نهايه.

۲- (۲) النضى هو السهم قبل ان ينحت اذا كان قدحا و قيل النضى هو النصل و الاولى الاول لدلاله الروايه على التغاير و قيل هو من السهم ما بين الريش و النصل و قيل سمى نضيا لكثره البرى و النحت فكانه جعل نضوا قاله فى النهايه و فيه ايضا القذذريش السهم واحدتها قذه منه.

۳- (۳) تدردر أى ترجرج تجىء و تذهب و الاصل تتدردر فحذف احدى التائين تخفيفا نهايه.

لکان أوّل فتنه و آخرها أما أنّه سیخرج من ضئضئ هذا الحدیث.

و فی مسند أحمد بن حنبل عن مسروق قال: قالت عایشه إنّک من ولدی و من أحبّهم إلیّ فهل عندک علم من المخدج؟ فقلت قتله علیّ بن أبی طالب علی نهر یقال لأعلاه تأمر و لأسفله نهروان بین لخاقین و طرفاء، قالت ابغنی علی ذلک بینه فأقمت رجالا شهدوا عندها بذلک، قال: فقلت لها سألتک بصاحب القبر ما الذی سمعت من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیهم؟ قالت نعم: سمعته یقول إنّهم شرّ الخلق و الخلیقه یقتلهم خیر الخلق و الخلیقه أقربهم عند اللّه وسیله.

الثانی

فی کیفیه قتال الخوارج و بعض احتجاجاته صلوات اللّه علیه و آله معهم

فأقول:

قال فی شرح المعتزلی روی ابن و یزیل فی کتاب صفّین عن عبدّ الرحمن بن زیاد، عن خالد بن حمید، عن عمر مولی غفره، قال: لما رجع علیّ من صفین إلی الکوفه أقام الخوارج حتّی جموا ثمّ خرجوا إلی صحراء بالکوفه یسمّی حروراء، فتنادوا لا حکم إلّا للّه و لو کره المشرکون ألا إنّ علیّا و معاویه أشرکا فی حکم اللّه.

فأرسل علیّ علیه السّلام إلیهم عبد اللّه بن العباس فنظر فی أمرهم و کلّمهم ثمّ رجع إلی علیّ علیه السّلام فقال له ما رأیت؟ فقال ابن عباس: و اللّه ما أدری ما هم فقال: أرأیتهم منافقین فقال: و اللّه ما سیماهم سیماء منافقین انّ بین أعینهم لأثر السّجود یتأوّلون القرآن فقال دعوهم ما لم یسفکوا دما أو یغصبوا مالا.

و أرسل الیهم ما هذا الذی أحدثتم و ما تریدون؟ قالوا نرید أن نخرج نحن و أنت و من کان معنا بصفین ثلاث لیال و نتوب إلی اللّه من أمر الحکمین ثمّ نسیر إلی معاویه فنقاتله حتّی یحکم اللّه بیننا و بینه، فقال علیّ علیه السّلام فهلّا قلتم حین بعثنا الحکمین و أخذنا منهم العهد و أعطینا هموه الا ـ قلتم هذا حینئذ قالوا: کنا قد طالت الحرب علینا و اشتدّ الباس و کثر الجراح و کلّ الکراع(۱)

۱- (۱) الکراع من الدابه قوایمها ق.

و السّلاح.

فقال لهم أ فحين اشتدّ البأس عليكم عاهدتم فلما وجدتم الجمام(۱) قلتم ننقض العهد إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يفى للمشركين أ فتأمروننى بنقضه، فمكثوا مكانهم لا يزال الواحد منهم يرجع إلى علىّ و لا يزال الآخر منهم يخرج من عند علىّ عليه السّلام.

فدخل الواحد منهم على علىّ عليه السّلام بالمسجد و الناس حوله فصاح لا حكم إلّا للّه و لو كره المشركون فتلفت(۲) الناس فقال: لا حكم إلّا للّه و لو كره المتلفتون فرفع علىّ عليه السّلام رأسه إليه فقال: لا حكم إلّا للّه و لو كره أبو حسن فقال عليه السّلام إنّ أبا حسن لا يكره أن يكون الحكم للّه، ثمّ قال حكم اللّه انتظر فيكم، فقال النّاس هلّاملت يا أمير المؤمنين على هولاء النّاس فأفنيتهم؟ فقال: إنهم لا يفنون إنّهم لفى أصلاب الرّجال و أرحام النّساء إلى يوم القيامه.

و روى أنس بن عياض المدنى، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام أنّ عليّا كان يوما يؤمّ النّاس و هو يجهر بالقرائه فجهر ابن الكوا من خلفه:

«وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ » فلما جهر ابن الكوا من خلفه بها سكت علىّ عليه السّلام فلما أنهاها ابن الكوا أعاد علىّ عليه السّلام فأتمّ قراءته، فلما شرع علىّ عليه السّلام فى القرائه أعاد ابن الكوا الجهر بتلك الآيه فسكت علىّ عليه السّلام فلم يزالا كذلك يسكت هذا و يقرأ هذا مرارا حتّى قرء علىّ عليه السّلام:

«فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ »

۱- (۱) جم الفرس جما و جما ما ترك فلم يركب فعفى عن تعبه.

۲- (۲) لفته يلفته لواه و صرفه عن رايه و منه الالتفات و التلفت ق.

فسکت ابن الکوا و عاد علیّ علیه السّلام إلی قراءته.

و ذکر الطبری صاحب التّاریخ أنّ علیّا علیه السّلام لما دخل الکوفه دخل معه کثیر من الخوارج و تخلّف منهم بالنخیله و غیرها خلق کثیر لم یدخلوها، فدخل حرقوص بن زهیر السعدی و زرعه البرج الطائی و هما من رءوس الخوارج علی علیّ علیه السّلام فقال له حرقوص: تب من خطیئتک و اخرج بنا إلی معاویه نجاهده، فقال علیه السّلام إنّی کنت نهیت عن الحکومه فأبیتم ثمّ الآن تجعلونها ذنبا أما أنّها لیست بمعصیه و لکنّها عجز من الرّأی و ضعف فی التّدبیر و قد نهیتکم عنه.

فقال زرعه: أما و اللّه لئن لم تتب من تحکیمک الرّجال لأقتلنک اطلب بذلک وجه اللّه و رضوانه، فقال له علیّ علیه السّلام: بوسا لک ما أشقاک کأنی بک قتیلا یسفی علیک الرّیاح، قال زرعه: وددت أنّه کان ذلک قال: و خرج علیّ علیه السّلام یخطب فصاحوا به من جوانب المسجد لا حکم إلاّ للّه و صاح به رجل:

«وَ لَقَدْ أُوحِیَ إِلَیْکَ وَ إِلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکَ لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ » فقال علیّ علیه السّلام: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ لا یَسْتَخِفَّنَّکَ الَّذِینَ لا یُوقِنُونَ ».

قال أبو العباس المبرّد: و یقال أوّل من حکم عروه بن اوّیه، و اویّه جدّه له جاهلیه و هو عروه جدیر أحد بنی ربیعه، و قال قوم أوّل من حکم رجل من بنی محارب یقال له سعید و لم یختلفوا فی اجتماعهم علی عبد اللّه بن وهب الرّاسبی و أنّه امتنع علیهم و اومأ إلی غیره فلم یقنعوا إلاّ به، فکان امام القوم و کان یوصف برأی.

فامّا اوّل سیف سلّ من الخوارج فسیف عروه بن اوّیه، و ذاک أنّه أقبل علی الأشعث فقال: ما هذه الدنیه یا أشعث و ما هذا التّحکیم أشرط أوثق من شرط اللّه عزّ و جل، ثمّ شهر علیه السّیف و الأشعث مولّ فضرب به عجز بغلته.

ص:۱۲۴

قال أبو العباس: و عروه هـذا من النّفر الذين نجوا من حرب النّهروان فلم يزل باقيا مدّه من ايّام معاويه ثمّ أتى به زياد و معه مولى له فسأله عن أبى بكر و عمر فقال خيرا، فقال له: فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان و فى أبى تراب «قال ظ» فتولى عثمان ستّ سنين من خلافته ثمّ شـهد عليه بالكفر و فعل فى أمر علىّ عليه السّلام مثل ذلك إلى أن حكم ثمّ شـهد عليه بالكفر ثمّ سأله عن معاويه فسبه سبّا قبيحا ثمّ سأله عن نفسه فقال أوّلك لزينه و آخرك لدعوه و أنت بعد عاص لربّك فأمر به فضربت عنقه.

ثمّ دعا مولاه فقال: صف لى اموره قال: اطنب أم اختصر، قال: بل اختصر، قال: ما أتيته بطعام بنهار قط و لا فرشت له فراشا بليل قط.

قال المبرّد: و سبب تسميتهم الحرورى انّ عليّا لما ناظرهم بعد مناظره ابن عباس إياهم كان فيما قال لهم: ألا تعلمون أنّ هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم إنّ هـذه مكيـده و وهن و لو أنّهم قصدوا إلى حكم المصاحف لآتونى و سألونى التّحكيم أ فتعلمون أنّ أحدا أكره على التحكيم منّى قالوا صدقت.

قال فهل تعلمون أنّكم استكر هتمونى على ذلك حتّى أجبتكم فاشرطت أنّ حكمهما نافذ ما حكما بحكم اللّه فمتى خالفاه فأنا و أنتم من ذلك براء. و أنتم تعلمون أنّ حكم اللّه لا يعدونى، قالوا: اللهمّ نعم، قال: و كان معهم فى ذلك الوقت ابن الكوا و هـذا من قبل أن يـذبحوا عبـد اللّه بن خباب و إنّما ذبحوه فى الفرقه الثانيه بكسكر فقالوا له: حكمت فى دين اللّه برأينا و نحن مقرونّ بأنّا كنّا كفرنا و لكن الآن تائبون فاقرّ بمثل ما اقررنا به و تب ننهض معك إلى الشام.

فقال: أما تعلمون أنّ اللّه قد أمر بالتّحكيم فى شقاق بين الرّجل و امرأته فقال سبحانه:

«فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها » و فى صيد اصيب كارنب يساوى نصف درهم فقال:

«يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ » فقالوا له: فانّ عمرا لما أبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ما كتبه عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافه و كتبت علىّ بن أبى طالب فقد خلعت نفسك فقال عليه السّلام: لى اسوه برسول اللّه حين أبى عليه سهل بن عمرو أن يكتب هذا ما كتبه محمّد رسول اللّه و سهيل بن عمرو، و قال لو أقررت بأنك رسول اللّه ما خالفتك و لكنى اقدّمك لفضلك فاكتب محمّد بن عبد اللّه فقال لى: يا على امح رسول اللّه فقلت يا رسول اللّه لا تشجعنى نفسى على محو اسمك من النّبوه قال: فقفنى عليه فمحاه بيده، ثمّ قال اكتب محمّد بن عبد اللّه، ثمّ تبسّم إلىّ و قال: إنك ستسام (أى تعامل) مثلها فتعطى.

فرجع معه عليه السّلام منهم الفان من الحر وراء، و قد كانوا تجمعوا بها فقال لهم على ما نسمّيكم؟ ثمّ قال: أنتم الحروريه لاجتماعكم بحروراء.

قال المبرّد: إنّ عليّا فى أوّل خروج القوم عليه دعا صعصعه بن صوحان العبدى و قد كان وجّهه إليهم و زياد بن نضر الحارثى مع عبد اللّه بن العباس فقال لصعصعه: بأىّ القوم رأيتم أشدّ إطاعه، فقال: بيزيد بن قيس الأرحبى، فركب إلى حروراء فجعل يتخلّلهم حتّى صار إلى مضرب يزيد بن قيس فصلّى فيه ركعتين ثمّ خرج فاتكاء على قوسه و اقبل على النّاس.

فقال هذا مقام من فلج فيه فلج إلى يوم القيامه ثمّ كلّمهم و ناشدهم، فقالوا إنّا أذنبنا ذنبا عظيما بالتّحكيم و قد تبنافتب إلى اللّه كما تتنا نعدلك، فقال علىّ عليه السّلام:

أنا استغفر اللّه من كلّ ذنب فرجعوا معه و هم ستّه ألف فلما استقرّوا بالكوفه أشاعوا أنّ عليّا رجع عن التّحكيم و رآه ضلالا، و قالوا: إنّما ينتظر أن يسمن الكراع و يجىء المال ثمّ ينهض بنا إلى الشّام.

فأتى الأشعث عليّا فقال: يا أمير المؤمنين إنّ النّاس قد تحدّثوا أنك رأيت الحكومه ضلالا، و الاقامه عليها كفرا فقام علىّ عليه السّلام فخطب فقال: من زعم أنّى

ص:۱۲۶

رجعت عن الحكومه فقد كذب و من رآها ضلالا فقد ضلّ فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت.

قال الشّارح المعتزلی: قلت كلّ فساد كان فی خلافه علیّ علیه السّلام و كلّ اضطراب حدث فأصله الأشعث و لو لا محاقته أمیر المؤمنین فی معنی الحكومه فی هذه المرّه لم یكن حرب النهروان، و لكان أمیر المؤمنین ینهض بهم إلی معاویه و یملك الشّام فانّه علیه السّلام حاول أنّ یسلك معهم مسلك التّعریض و المواریه و فی المثل النبویّ صلوات اللّه علی قائله: الحرب خدعه.

و ذلك انّهم قالوا له: تب إلی اللّه مما فعلت كما تبنا ننهض معك إلی حرب الشام، فقال لهم كلمه مجمله مرسله یقولها الأنبیاء و المرسلون و المعصومون، و هی قوله:

استغفر اللّه من كل ذنب فرضوا بها و عدوها اجابه لهم إلی سؤالهم، وصفت لهم نیاتهم، و استخلصت بها ضمایرهم من غیر أن یتضمّن تلك الكلمه اعترافا بكفر أو ذنب.

فلم یتركه الأشعث و جاء إلیه مستفسرا و كاشفا عن الحال و هاتكا ستر التوریه و الكنایه و مخرجا لها من مشكله الاجمال إلی تفسیرها بما یفسد التّدبیر و یوعر الصّدور، و یعید الفتنه، فخطب بما صدع به عن صوره ما عنده مجاهره فانتقض ما دبّره و عادت الخوارج إلی شبهها الاولی و راجعوا التّحكیم و هكذا الاوّل التی یظهر فیها أمارات الزّوال و الانقضاء یتاح لها مثال الأشعث اولی الفساد فی الأرض.

«سُنَّهَ اللّهِ فِی الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللّهِ تَبْدِیلاً » ثمّ قال: قال المبرّد: ثمّ مضی القوم إلی النهروان و قد كانوا أرادوا المضیّ إلی المداین فمن طریق أخبارهم أنّهم أصابوا فی طریقهم مسلما و نصرانیا فقتلوا المسلم لأنّه عندهم كافر إذا كان علی خلاف معتقدهم، و استوصوا بالنّصرانی و قالوا احفظوا ذمه نبیّكم.

قال: و لقاهم عبد اللّه بن خباب فی عنقه مصحف علی حمار و معه امرأه و هی حامل فقالوا له: إنّ هذا الذی فی عنقك لیأمرنا بقتلك فقال لهم: ما أحیاه القرآن فأحیوه

ص:۱۲۷

و ما اماته فأميتوه، فوثب رجل منهم على رطبه سقطت من نخله فوضعها فى فيه فصاحوا به، فلفظها تورّعا و عرض لرجل منهم خنزير فضربه و قتله، فقالوا: هذا فساد فى الأرض و أنكروا قتل الخنزير.

ثمّ قالوا لابن خباب: حدّثنا عن أبيك، فقال سمعت أبى يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ستكون بعدى فتنه يموت فيها قلب الرّجل كما يموت بدنه يمسى مؤمنا و يصبح كافرا فكن عند اللّه المقتول و لا تكن القاتل، قالوا: فما تقول فى أبى بكر و عمر؟ فأثنى خيرا، قالوا. فما تقول فى علىّ قبل التّحكيم و فى عثمان فى السّنين الستّ الأخيره؟ فأثنى خيرا قالوا: فما تقول فى علىّ بعد التّحكيم و الحكومه؟ قال: إنّ عليّا أعلم باللّه و أشد توقيا على دينه و أنفذ بصيره، فقالوا: إنّك لست تتّبع الهدى انما تتّبع الرّجال على أسمائهم ثمّ قرّبوه إلى شاطىء النهر فأضجعوه فذبحوه.

قال المبرّد: و ساوموا رجلا نصرانّيا بنخله له فقال هى لكم، فقالوا: ما كنا لنأخذها إلاّ بثمن، فقال: و اعجباه أ تقتلون مثل عبد اللّه بن خباب و لا تقبلون خبا نخله إلاّ بثمن.

قال أبو عبيده: و استنطقهم علىّ عليه السّلام بقتل ابن خباب فأقرّوا به، فقال، انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبه كتيبه، فتكتبوا كتائب و أقرّت كلّ كتيبه بما أقرّت به الاخرى من قتل ابن خباب، و قالوا: لنقتلنك كما قتلناه، فقال: و اللّه لو أقرّ أهل الدّنيا كلّهم بقتله هكذا و أنا أقدر على قتلهم به لقتلهم، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: شدّوا عليهم فأنا أوّل من يشدّ عليهم فحمل بذى الفقار حمله منكره ثلاث مرّات كلّ حمله يضرب به حتّى يعوج متنه، ثمّ يخرج فيسوّيه بركبتيه ثمّ يحمل به حتّى أفناهم.

و روى قيس بن سعد بن عباده أنّ عليّا عليه السّلام لما انتهى إليهم قال لهم: اقيدونا بدم عبد اللّه بن خباب، فقالوا: كلّنا قتله فقال عليه السّلام: احملوا عليهم.

و روى مسلم الضّبى أيضا عن حبه العرنى: قال لما انتهينا إليهم رمونا،

فقلنا لعلیّ: یا أمیر المؤمنین قدرمونا، فقال: کفوا ثمّ رمونا فقال: کفوا، ثمّ الثالثه فقال: الآن طاب القتال احملوا علیهم.

و روی المحدّث العلامه المجلسی فی البحار من کتاب الخرائج قال: روی عن جندب بن زهیر الأزدی، قال: لما فارقت الخوارج علیّا خرج علیه السّلام إلیهم و خرجنا معه فانتهینا إلی عسکرهم فاذا لهم دویّ کدویّ النّحل فی قراءه القرآن و فیهم أصحاب البرانس و ذوو الثّفنات(۱).

فلما رأیت ذلک دخلنی شکّ و نزلت عن فرسی و رکزت رمحی و وضعت ترسی و نثرت علیه درعی و قمت أصلّی و أنا أقول فی دعائی: اللّهمّ إن کان قتال هؤلاء القوم رضا لک فأرنی من ذلک ما أعرف به أنّه الحقّ، و إن کان لک سخطا فاصرف عنّی إذ أقبل علیّ فنزل عن بغله رسول اللّه و قام یصلّی إذ جاءه رجل فقال: قطعوا النّهر، ثمّ جاء آخر یشدّ دابته فقال: قطعوه و ذهبوا، فقال أمیر المؤمنین ما قطعوه و لا یقطعونه و لیقتلنّ دون النّطفه عهد من اللّه و رسوله.

و قال لی یا جندب تری الشّک؟ قلت: نعم قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: حدّثنی أنّهم یقتلون عنده، ثمّ قال انا نبعث إلیهم رسولا یدعوهم إلی کتاب اللّه و سنّه نبیّه فیرشقون وجهه بالنّبل و هو مقتول، قال: فانتهینا إلی القوم فاذا هم فی معسکرهم لم یبرحوا و لم یترحّلوا، فنادی النّاس و ضمّهم.

ثمّ أتی الصّف و هو یقول من یأخذ هذا المصحف و یمشی به إلی هؤلاء القوم فیدعوهم إلی کتاب اللّه و سنّه نبیّه و هو مقتول و له الجنّه فما أجابه احد إلاّ شابّ من بنی عامر بن صعصعه، فلما رأی علیه السّلام حداثه سنّه قال له: ارجع إلی موقفک، ثمّ أعاد فما أجابه إلاّ ذلک الشّاب.

قال خذه أما أنّک مقتول فمشی به حتّی إذا دنی من القوم حیث یسمعهم ناداهم إذ رموا وجهه بالنّبل، فأقبل علینا و وجهه کالقنفذ، فقال علیّ علیه السّلام دونکم القوم فحملنا علیهم، قال جندب ذهب الشّک عنّی و قتلت بکفّی ثمانیه.

۱- (۱) الثفنه بالکسر من البعیر رکبته ق.

و من كتاب المناقب لابن شهر آشوب لما دخل علىّ عليه السّلام الكوفه جاء إليه زرعه بن البرج الطائى، و حرقوص بن زهير التّميمى ذو الثديه، فقال لا حكم إلا للّه فقال علىّ عليه السّلام كلمه حقّ يراد بها باطل، قال حرقوص: فتب من خطيئتك و ارجع عن قصتك و اخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتّى نلقى ربّنا، فقال علىّ عليه السّلام قد أردتكم على ذلك فعصيتمونى، و قد كتبنا بيننا و بين القوم كتابا و شروطا و أعطينا عليها عهودا و مواثيق، و قد قال اللّه تعالى:

«وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ » فقال حرقوص: ذلك ذنب ينبغى أن نتوب عنه فقال علىّ عليه السّلام ما هو بذنب و لكنّه عجز من الرّأى و ضعف فى القعل، و قد تقدّمت فنهيتكم عنه، فقال ابن الكواء:

الآن صحّ عندنا أنّك لست بامام، و لو كنت إماما لما رجعت، فقال علىّ عليه السّلام:

ويلكم قد رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عام الحديبيّه عن قتال أهل مكّه.

ففارقوا أمير المؤمنين و قالوا: لا حكم إلاّ للّه و لا طاعه المخلوق فى معصيه الخالق، و كانوا إثنا عشر ألفا من أهل الكوفه و البصره و غيرهما، و نادى مناديهم أنّ أمير القتال شيث بن ربعى و أمير الصّلاه عبد اللّه بن الكوّا، و الأمر شورى بعد الفتح، و البيعه للّه على الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر، و استعرضوا النّاس و قتلوا عبد اللّه بن خباب و كان عامله عليه السّلام على النهروان.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: يابن عبّاس امض إلى هؤلاء القوم فانظر ما هم عليه و لما ذا اجتمعوا، فلما وصل إليهم قالوا: ويلك يا بن عباس أكفرت بربّك كما كفر صاحبك علىّ بن أبى طالب. و خرج خطيبهم عتاب بن الأعور الثّعلبى.

فقال ابن عبّاس: من بنا الاسلام؟ فقال: اللّه و رسوله، فقال النّبىّ أحكم اموره و بيّن حدوده أم لا؟ قال بلى، قال: فالنّبىّ بقى فى دار الاسلام أم ارتحل؟ قال: بل ارتحل، قال: فامور الشرع ارتحلت معه أم بقى بعده؟ قال: بل بقيت، قال: فهل قام أحد بعده بعماره ما بناه؟ قال: نعم الذّريه و الصّحابه، قال: أ فعمروها او خربوها؟

قال: بل عمروها؟ قال: فالآن هى معموره أم خراب؟ قال: بل خراب، قال: خربها ذريته أم امّته؟ قال: بل أمّته، قال: أنت من الذرّيه أو من الامه؟ قال: من الأمه، قال: أنت من الأمّه و خربت دار الاسلام فكيف ترجو الجنّه، و جرى بينهم كلام كثير.

فحضر أمير المؤمنين فى مأئه رجل، فلما قابلهم خرج إليه ابن الكوا فى مأئه رجل، فقال: انشدكم اللّه هل تعلمون حيث رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلى كتاب اللّه فقلت لكم إنّى أعلم بالقوم منكم و ذكر مقاله إلى أن قال فلّما أبيتم إلاّ الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن و أن يميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكمه، و إن أبيا فنحن منه براء.

فقالوا له: اخبرنا أ ترى عدلاتحكيم الرّجال فى الدّماء؟ فقال: إنا لسنا الرّجال حكمنا و إنما حكمنا القرآن، و القرآن إنّما هو خط مستور بين دفتين لا ينطق إنّما يتكلّم به الرّجال.

قالوا: فأخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك و بينهم؟ قال ليعلم الجاهل و يثبت العالم، و لعلّ اللّه يصلح فى هذه المدّه هذه الامه، و جرت بينهم مخاطبات فجعل بعضهم يرجع، فأعطى أمير المؤمنين عليه السّلام رايه أمان مع أبى ايّوب الأنصارى فناداهم أبو أيوب: من جار إلى هذه الرّايه أو خرج من بين الجماعه فهو آمن، فرجع منهم ثمانيه الآف، فأمرهم أمير المؤمنين أن يتميّزوا منهم، و أقام الباقون على الخلاف و قصدوا إلى نهروان، فخطب أمير المؤمنين و استفزّهم(۱) فلم يجيبوه فتمثّل بقوله:

امرتكم امرى بمنعرج اللّوى فلم تستبينوا النّصح إلاّ ضحى الغد

ثمّ استنفرهم فنفر ألفا رجل يقدمهم عدىّ بن حاتم و هو يقول:

إلى شرّ خلق من شراه تخرّبوا و عادوا إله النّاس ربّ المشارق

فوجّه أمير المؤمنين نحوهم و كتب إليهم على يدى عبد اللّه بن أبى عقب و فيها:

۱- (۱) اى استخفّه و اخرجه من داره و ازعجه ق.

و السّعيد من سعدت به رغبته، و الشّقى من شقيت به رغبته، و خير النّاس خيرهم لنفسه، و شرّ النّاس شرّهم لنفسه، ليس بين اللّه و بين أحد قرابه «و «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » فلما أتاهم أمير المؤمنين عليه السّلام فاستعطفهم فأبوا إلاّ قتاله و تنادوا أن دعوا مخاطبه علىّ عليه السّلام و أصحابه، و بادروا الجنّه و صاحوا: الرّواح الرّواح إلى الجنّه و أمير المؤمنين يؤبى أصحابه و نهاهم أن يتقدّم إليهم أحد، فكان أوّل من خرج أخنس من العزيز الطائى و جعل يقول:

ثمانون من حىّ جديله(۱) اقتلوا على النهر كانوا يخصبون العواليا

ينادون لا لاحكم إلاّ لرّبنا حنانيك فاغفر حوبنا و المسائيا

هم فارقوا من جاز فى اللّه حكمه فكلّ على الرحمن أصبح ثاويا

فقتله أمير المؤمنين عليه السّلام و خرج عبد اللّه بن وهب الرّاسبى يقول:

انا ابن وهب الرّاسبى الشّارى أضرب فى القوم لأخذ الثّار

حتّى تزول دوله الأشرار و يرجع الحقّ إلى الأخيار

و خرج مالك بن الوضّاح و قال:

انّى لبايع ما يفنى بباقيه و لا اريد لدى الهيجاء تربيصا(۲)

و خرج أمير المؤمنين و الوضاح بن الوضاح من جانب، و ابن عمه حرقوص من جانب فقتل الوضاح و ضرب ضربه على رأس الحرقوص فقطعه و وقع رأس سيفه على الفرس فشرد و رجله فى الرّكاب حتّى أوقعه فى دولاب خراب فصارت الحروريه:

«كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عاصِفٍ »

ص:۱۳۲

۱- (۱) القبيله، ق.

۲- (۲) التربيص الانتظار.

فکان(۱) المقتولون من أصحاب علیّ روبه بن وبر البجلی، و رفاعه بن وابل الأرجی و الفیاض بن خلیل الازدی، و کیسوم بن سلمه الجهنی و حبیب بن عاصم الأزدی إلی تمام تسعه و انفلت من الخوارج تسعه و کان ذلک لتسع خلون من صفر سنه ثمان و ثلاثین(۲).

و من کتاب کشف الغمّه قال: قال ابن طلحه لمّا عاد أمیر المؤمنین من صفین إلی الکوفه بعد إقامه الحکمین أقام ینتظر انقضاء المدّه التی بینه و بین معاویه لیرجع إلی المقاتله و المحاربه إذا انخزلت طائفه من خاصّه أصحابه فی أربعه آلاف فارس و هم العباد و النساک، فخرجوا من الکوفه و خالفوا علیّا علیه السّلام، و قالوا: لا حکم إلّا اللّه و لا طاعه لمن عصی اللّه، و انحاز نیف عن ثمانیه آلاف ممّن یری رأیهم فصاروا اثنا عشر ألفا، و ساروا لی أن نزلوا الحروراء، و أمّروا علیهم عبد اللّه ابن الکوا.

فدعا علیّ علیه السّلام عبد اللّه بن عبّاس فأرسله إلیهم فحاثّهم فلم یرتدعوا، و قالوا:

لیخرج الینا علیّ علیه السّلام بنفسه لنسمع کلامه عسی أن یزول ما بأنفسنا إذا سمعناه، فرجع ابن عبّاس فأخبره فرکب فی جماعه ومضی إلیهم فرکب ابن الکوّا فی جماعه منهم، فوافقه.

فقال له علیّ علیه السّلام: یابن الکواّ إنّ الکلام کثیر فابرز إلیّ من أصحابک

۱- (۱) و فی مناقب ابن شهر آشوب قال الاعثم المقتولون من اصحاب امیر المؤمنین رویبه بن و بر العجلی و سعد بن خالد السبیعی و عبد اللّه بن حماد الارحبی و القیاض بن خلیل الازدی و کیسوم ابن سلمه الجهنی و عبید بن عبید الخولانی و جمیع بن جشم الکندی و ضب بن عاصم الاسدی، انتهی أقول و هؤلاء ثمانیه و سقط التاسع من قلم الراوی أو الکاتب منه.
۲- (۲) هکذا فی نسخه البحار و الظاهر انه غلط و الصحیح تسع و ثلاثین اذ قد مضی فی شرح الخطبه السابقه ان مانع المصالحه فی صفین کان تسعا و ثلاثین و وقعه النهروان کانت بعد ما و اللّه العالم منه.

لاكلمك فقال: و أنا آمن من سيفك، فقال: نعم فخرج إليه فى عشره من أصحابه فقال له: عن الحرب مع معاويه و ذكر له رفع المصاحف على الرّماح و أمر الحكمين، فقال: ألم أقل لكم إن أهل الشّام يخدعونكم بها، فانّ الحرب قد عضّتهم فذرونى أناجزهم فأبيتم، ألم أرد نصب ابن عمّى و قلت إنّه لا ينخدع فأبيتم إلّا أبا موسى و قلتم رضينا به حكما، فأجبتكم كارها، و لو وجدت فى ذلك الوقت أعوانا غيركم لما أجبتكم، و شرطت على الحكمين بحضوركم أن يحكما بما أنزل اللّه من فاتحته إلى خاتمته و السّنه الجامعه و أنّهما إن لم يفعلا فلا طاعه لهما علىّ كان ذلك، أو لم يكن؟ قال ابن الكوّا: صدقت كان هذا كلّه فلم لا ترجع الآن إلى حرب القوم؟ فقال: حتّى ينقضى المدّه التى بيننا و بينهم، قال ابن الكوّا: و أنت مجمع على ذلك، قال: نعم لا يسعنى غيره، فعاد ابن الكوا و العشره الذين معه إلى أصحاب علىّ عليه السّلام راجعين عن دين الخوارج و تفرّق الباقون و هم يقولون، لا حكم إلّا للّه و أمّروا عليهم عبد اللّه بن واهب الرّاسبى و حرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثّديه و عسكروا بالنّهروان.

و خرج علىّ حتّى بقى على فرسخين منهم و كاتبهم و راسلهم فلم يرتدعوا فاركب إليهم ابن عبّاس و قال: سلهم ما الذى نقموه و أنا ردفك فلا تخفف منهم، فلما جاءهم ابن عبّاس قال: ما الذى نقمتم من أمير المؤمنين عليه السّلام قالوا: نقمنا أشياء لو كان حاضرا لكفرناه بها، و علىّ عليه السّلام ورائه يسمع ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين قد سمعت كلامهم و أنت أحقّ بالجواب.

فتقدّم و قال: أيّها النّاس أنا علىّ بن أبى طالب فتكلّموا بما نقمتم علىّ.

قالوا: نقمنا عليك أوّلا إنّا قاتلنا بين يديك بالبصره فلمّا أظفرك اللّه بهم أبحتنا ما فى عسكرهم و منعتنا النّساء و الذرّيه فكيف حلّ لنا ما فى العسكر و لم يحلّ لنا النّساء؟ فقال لهم: يا هؤلاء إنّ أهل البصره قاتلونا و بدءونا بالقتال فلمّا ظفرتم أقسمتم

سلب من قاتلکم و منعتکم من النّساء و الـذرّیه فانّ النساء لم یقاتلن و الذرّیه و لدوا علی الفطره و لم ینکثوا و لا ذنب لهم، و لقد رأیت رسول اللّه منّ علی المشرکین فلا تعجبوا أن مننت علی المسلمین فلم أسب نسائهم و لا ذرّیتهم.

و قالوا: نقمنا علیک یوم صفّین کونک محوت اسمک من امره المؤمنین فاذن لم تکن أمیرنا فلا نطیعک و لست أمیرا لنا.

قال: یا هؤلاء إنّما اقتدیت برسول اللّه حین صالح سهیل بن عمرو و قد تقدّمت(۱).

قـالوا: فانّا نقمنـا علیک أنّک قلت للحکمین: انظرا کتاب اللّه فان کنت أفضل من معاویه فاثبتانی فی الخلافه فاذا کنت شاکّا فی نفسک فنحن فیک أشدّ و أعظم شکّا.

فقـال: إنّمـا أردت بـذلک النّصـفه فـانّی لو قلت: احکمـا لی دون معـاویه لم یرض و لم یقبـل، و لو قال النّبیّ لنصاری نجران لما قدموا علیه تعالوا نبتهل ثمّ اجعل لعنه اللّه علیکم لم یرضوا، و لکن انصفهم من نفسه کما أمره اللّه فقال:

«فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ » فأنصـفهم من نفسه فکـذلک فعلت أنـا و لم أعلم بمـا أراد عمرو بن العـاص من خـدعه أبی موسی.

قـالوا: فانّا نقمنا علیک أنک حکمت حکما فی حقّ هو لک فقال: إنّ رسول اللّه حکم سـعد بن معاذ فی بنی قریظه و لو شاء لم یفعل، و أنا اقتدیت به فهل بقی عندکم شیء؟ فسکتوا و صاح جماعه منهم من کلّ جانب: التّوبه التّوبه یا أمیر المؤمنین و استأمن إلیه ثمـانیه آلاـف و بقی علی حربه أربعه آلاـف، فأمر المسـتأمنین بالاعتزال عنهم فی ذلک الوقت، و تقـدّم بأصـحابه حتّی دنی منهم.

و تقدّم عبد اللّه بن وهب و ذو الثّدیه حرقوص و قالا ما نرید بقتالنا إیّاک

۱- (۱) ای قصه مصالحه سهیل بن عمرو و هو صلح الحدیبیه منه.

إلّا وجه اللّه و الدّار الآخره، فقال عليه السّلام:

«هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً » ثمّ التحم القتال بين الفريقين، و استعرّ الحرب بلظاها و اسفرت عن زرقه صبحها و حمره ضحاها، فتجادلوا و تجالدوا بالسنه رماحها و حداد ظباها(۱) فحمل فارس من الخوارج يقال له الأخنس الطائى و كان شهد صفّين مع علىّ عليه السّلام فحمل و شقّ الصّفوف يطلبه عليه السّلام فبدره علىّ بضربه فقتله.

فحمل ذو الثّديه ليضرب عليّا فسبقه علىّ عليه السّلام و ضربه ففلق البيضه و رأسه فحمله فرسه و هو لما به فألقاه فى آخر المعركه فى جرف داليه على شط النّهروان، و خرج من بعده عمّه مالك بن الوضاح و حمل على علىّ فضربه فقتله.

و تقدّم عبد اللّه بن وهب الرّاسبى فصاح يابن أبى طالب و اللّه لا نبرح من هذه المعركه حتّى تأتى على أنفسنا أو ناتى على نفسك فابرز إلىّ و أبرز إليك و ذر الناس جانبا، فلما سمع علىّ عليه السّلام كلامه تبسّم و قال: قاتله اللّه من رجل ما أقلّ حياؤه أما أنّه ليعلم أنه لحليف السّيف و خدين(۲) الرّمح و لكنّه قد يئس من الحياه، و أنّه ليطمع طمعا كاذبا ثمّ حمل على علىّ، فحمله علىّ عليه السّلام فضربه و قتله و ألحقه بأصحابه القتلى.

و اختلطوا فلم تكن إلّا ساعه حتّى قتلوا بأجمعهم و كانوا أربعه آلاف، فما أفلت منهم إلّا تسعه أنفس: رجلان هربا إلى خراسان إلى أرض سجستان و بها نسلهما و رجلان صارا إلى بلاد عمّان و فيها نسلهما و رجلان صارا إلى اليمن فبها نسلهما، و هم الاباضيه، و رجلان

۱- (۱) ظبا كهدى جمعه ظبه حدّ سيف اوسنان ق.

۲- (۲) الخدين الصديق لغه.

صارا إلى بلاد الجزيره إلى موضع يعرف بالسن(۱) و البوازيخ و إلى شاطى الفرات و صار آخر إلى تلّ موزون.

و غنم أصحاب علىّ غنايم كثيره، و قتل من أصحاب علىّ تسعه بعدد من سلم من الخوارج، و هى من جمله كرامات علىّ عليه السّلام فانّه قال نقتلهم و لا يقتل منّا عشره و لا يسلم منهم عشره، فلما قتلوا قال علىّ عليه السّلام التمسوا المخدج(۲) فالتمسوه فلم يجدوه فقام علىّ عليه السّلام بنفسه حتّى أتى ناساقد قتل بعضهم على بعض فقال أخّروهم فوجدوه ممّا يلى الأرض فكبّر علىّ عليه السّلام و قال صدق اللّه و بلغ رسوله.

قال أبو الوضيئى فكانّى أنظر إليه حبشى عليه قريطق إحدى يديه مثل ثدى المرأه عليها شعرات مثل شعر ذنب اليربوع، و هذا أبو الوضيئى هو عباد بن نسيب القيسى تابعى يروى عنه هذا القول أبو داود.

و فى كتاب المناقب لابن شهر آشوب عن أبى نعيم الاصفهانى عن سفيان الثورى إنّ أمير المؤمنين أمر أن يفتش على المخدج بين القتلى فلم يجدوه فقال رجل: و اللّه ما هو فيهم فقال علىّ عليه السّلام ما كذبت و لا كذبت.

و عن تاريخ الطبرى و ابانه بن بطه و مسند أحمد عن عبد اللّه بن أبى رافع و أبى موسى الوابلى و جندب و أبى الوضيئى و اللفظ له قال علىّ عليه السّلام اطلبوا المخدج فقالوا: لم نجده فقال و اللّه ما كذبت و لا كذبت يا عجلان ايتينى ببغله رسول اللّه، فأتاه بالبغله فركبها و جال فى القتلى ثمّ قال: اطلبوه ههنا، قال: فاستخرجوه من تحت القتلى فى نهر و طين.

و عن تاريخ القمى أنّه رجلا أسود عليه شعرات عليه قريطق(۳) مخدج اليد أحد ثدييه كثدى المرأه عليه شعيرات مثل ما يكون على ذنب اليربوع.

۱- (۱) السن جبل بالمدينه و موضع بالراى و بلد على دجله و بوازيخ بلد قريب تكريت ق.

۲- (۲) رجل مخدج اليد ناقصها ق.

۳- (۳) فى حديث منصور جاء الغلام و عليه قرطق ابيض اى قباء و هو تعريب كرته و قد يضم طاؤه و ابدال القاف من الهاء فى الاسماء المعربه كثير و منه حديث الخوارج كانى انظر إليه حبشى عليه قريطق هو تصغير قرطق نهايه.

و عن أبى داود بن بطه انّه قال علىّ من يعرف هـذا؟ فلم يعرفه أحـد قال رجل أنا رأيت هـذا بالحيره فقلت: إلى أين تريـد؟ فقال إلى هذه و أشار إلى الكوفه و ما لى بهذا معرفه فقال علىّ عليه السّلام: صدق هو من الجانّ و فى روايه هو من الجنّ.

و فى روايه أحمد قال أبو الوضى: لا يأتينّكم أحد يخبركم من أبوه، قال:

فجعل النّاس يقول: هذا ملكك هذا ملكك و يقول على: ابن من.

و فى مسند الموصلى فى حديث: من قال من النّاس أنّه رآه قبل مصرعه فهو كاذب.

و فى مسند أحمد عن أبى الوضـى أنّه قال علىّ عليه السّلام: أما ان خليلى أخبرنى بثلاثه اخوه من الجنّ هذا أكبرهم، و الثّانى له جمع كثير و الثالث فيه ضعف.

و فى شرح المعتزلى عن ابن و يزيل عن الأعمش عن زيـد بن وهب قـال: لمّا شجرهم علىّ عليه السّلام بالرّماح قال: اطلبوا اذا الثّديه فطلبوه طلبا شديـدا حتّى وجـدوه فى وهـده من الأرض تحت ناس من القتلى، فاتى به و إذا رجل على يـديه مثل سبلات السّنور، فكبّر علىّ عليه السّلام و كبر النّاس معه سرورا بذلك.

و عن ابن و يزيـل أيضا عن مسلم الضبى عن حبه العرنى قال: كان رجلا أسود منتن الرّيـح له يـد كثـدى المراه إذا مـدّت كانت بطول اليـد الاخرى، و إذا تركت اجتمعت و تقلّصت و صارت كثـدى المرأه عليه شعرات مثل شوارب الهرّه، فلما وجـدوه قطعوا يـده و نصبوها على رمح، ثمّ جعل علىّ يقول صـدق اللّه و بلغ رسوله، و لم يزل يقول ذلك هو و أصحابه بعـد العصر الى أن غربت الشّمس أو كادت.

و عن العوام بن الحوشب، عن أبيه، عن جدّه يزيـد بن رويم، قـال: قـال علىّ عليه السّلام يقتـل اليوم أربعه آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثّديه، فلما طحن القوم و رام استخراج ذى الثّديه فأتعبه، أمرنى أن أقطع له أربعه آلاف قصبه، فركب بغله رسول اللّه و قـال اطرح على كلّ قتيل منهم قصبه، فلم يزل كـذلك و أنا بين يـديه و هو راكب خلفى و النّاس يتّبعونه حتّى بقيت فى يـدى واحده فنظرت و إذا وجهه أربد، و إذا

هو يقول: و اللّه ما كذبت و لا كذبت فاذا حزير(۱) ماء عند موضع دالبه، فقال:

فتّش هذا، ففتشته فاذا قتيل قد صار فی الماء و اذا رجله فی يدی فجذ بتها، و قلت هذه رجل انسان فنزل عن البغله مسرعا فجذب الرجل الاخرى و جررناه حتّى صار على التّراب، فاذا هو المخدج فكبرّ علیّ بأعلى صوته ثمّ سجد فكبّر النّاس كلّهم هذا.

و بقيّه الكلام فی اقتصاص وقعه الخوارج تأتی إن شاء اللّه عند شرح بعض الخطب الآتيه المسوقه لهذا الغرض و اللّه الموفق و المعين.

الترجمه

از جملهٔ خطب شريفه آن سرور أولياء عليه و آله آلاف التّحيه و الثّناست در ترسانيدن أهل نهروان كه مى فرمايد:

پس من ترسانندهٔ شما هستم از اين كه صباح نمائيد جان داده و افتاده در اثناى اين جوى و در زمينهاى هموار اين كودال در حالتى كه هيچ حجه شرعيّه نبوده باشد شما را از جانب پروردگار خود در خروج و نه برهان عقلى باشد با شما در ارتكاب اين امر، بتحقيق كه متحير و سرگشته ساخت يا اين كه بورطهٔ هلاكت انداخت شما را دنياى فانى و در حباله و دام واقع نمود شما را قضا و قدر ربانى و بتحقيق كه بودم نهى كردم شما را از اين حكومت حكمين پس ابا و امتناع كرديد بر من مثل ابا كردن مخالفان و شكنندگان پيمان تا اين كه صرف نمودم راى خود را بميل و خواهش شما و حال آنكه شما جماعتى هستيد سبک مغز و شوريده عقل نياوردم من بشما حادثهٔ و داهيهٔ را پدر مباد شما را، و اراده نكردم در حقّ شما شر و ضرر را بلكه جزاى سوء تدبير خودتان است كه مى بريد.

۱- (۱) الحزير صوت الماء و الريح ق.

و من كلام له عليه السلام يجرى مجرى

اشاره

الخطبه و هو السابع و الثلاثون من المختار

فى باب الخطب

فقمت بالأمر حين فشلوا، و تطلّعت حين تقبّعوا، و نطقت حين تعتعوا، و مضيت بنور اللّه حين وقفوا، و كنت أخفضهم صوتا، و أعلاهم فوتا، فطرت بعنانها، و استبددت برهانها، كالجبل لا تحرّكه القواصف، و لا تزيله العواصف، لم يكن لأحد فىّ مهمز، و لا لقائل فىّ مغمز، الذّليل عندى عزيز حتّى آخذ الحقّ له، و القوىّ عندى ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه، رضينا عن اللّه قضاءه، و سلّمنا للّه أمره، أ ترانى أكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اللّه لأنا أوّل من صدّقه، فلا أكون أوّل من كذب عليه، فنظرت فى أمرى فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى، و إذا الميثاق فى عنقى لغيرى.

اللغه

(فشل) كفرح فهو فشل ضعف و كسل و تراخى و جبن و (التّطلع) هو الاشراف من عال و تطلعه أشرف عليه و علم به و (التّقبع) التّقبض يقال قبع القنفذ

ص:۱۴۰

أدخل رأسه فی جلده، و قبع الرّجل فی قمیصه دخل و تخلّف عن أصحابه و (التّعتعه) فی الکلام التّردّد و الاضطراب فیه من حصر أوعیّ و (الفوت) السّبقه یقال فاته فلان بذراع سبقه بها و منه یقال افتات فلان افتیاتا اذا سبق بفعل شیء و (استبدّ) برأیه و استبدّ بالشّیء استقلّ به و انفرد.

و (الرّهان) إما جمع الرّهن کالرّهون و الرّهن و هو ما یوضع عندک لینوب مناب ما یؤخذ منک، او مصدر کالمراهنه یقال راهنت فلانا علی کذا رهانا و تراهن القوم اخرج کلّ واحد رهنا لیفوز السّابق بالجمیع اذا غلب، و الثانی هو الأظهر و علیه فالمراد به ما یرهن و یستبق علیه.

و (القواصف) جمع القاصف یقال قصفت الرّیح العود قصفا فانقصف مثل کسرته فانکسر و زنا و معنا و (العواصف) جمع العاصف یقال عصفت الرّیح عصفا اشتدّت فهی عاصف و عاصفه، و الاولی یجمع علی العواصف و الثّانیه علی العاصفات صرّح به الفیومی فی المصباح و (المهمز) و (المغمز) المطعن اسم مکان من الهمز و الغمز یقال همزه همزا اعتابه فی غیبته و غمزه غمزا اشار إلیه بعین أو حاجب، و لیس فیه مغمزه و لا غمیزه أی عیب.

الاعراب

صوتا و فوتا منصوبان علی التّمیز، و الباء فی بعنانها للاستعانه و فی قوله برهانها للصّله، و یحتمل کونها بمعنی فی فلا بدّ حینئذ من ابقاء الرّهان علی معناه المصدری فیکون المعنی انفردت من الأقران فی مقام المراهنه و الرّهان، و جمله لا تحرّکه القواصف کالجملات التی بعدها منصوبه المحلّ علی الحالیّه، و قوله: حتّی اخذ بنصب المضارع بنفس حتّی کما یقوله الکوفیّون، أو بأن مضمره نظرا إلی أن حتّی خافضه للأسماء و ما تعمل فی الأسماء لا تعمل فی الأفعال، و کذا العکس.

المعنی

اشاره

اعلم انّ المستفاد من شرح المعتزلی هو أنّ هذا الکلام له فصول أربعه یلتقطه من کلام طویل له قاله بعد وقعه النّهروان مشتمل علی وصف حاله منذ توفّی

ص:۱۴۱

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الى آخر وقته، فجعل السيّد (ره) ما التقطه سردا فصار عند السّامع كانّه يقصد به مقصدا و احدا.

فالفصل الاول

مشتمل على ذكر مناقبه الجميله الممتاز بها عن غيره

و هو قوله:(فقمت بالأمر حين فشلوا) و المراد به قيامه عليه السّلام بتشييد أمر الدّين و تأسيس أساس اليقين و ترويج سنّه سيد المرسلين فى الحروب و الخطوب حين ضعف عنه ساير أصحابه صلوات اللّه عليه، و فشلوا و جبنوا و كسلوا و كان ذلك دأبه و ديدنه فى زمن الرّسول و بعده.

و قال الشّارح المعتزلى: الاشاره بذلك الفصل إلى قيامه بالأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر أيّام أحداث عثمان و كون المهاجرين كلّهم لم ينكروا و لم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه به و ينهاه عنه، فمعنى قمت بالأمر قيامه عليه السّلام بالنّهى عن المنكر حين فشل أصحاب محمّد انتهى.

و الأظهر هو ما ذكرنا إلاّ أن يكون فى بيان الذى أسقطه السّيد (ره) من كلامه قرينه على ما ذكره الشّارح عثر عليه هو و لم يعثر عليه بعد (و تطلّعت حين تقبّعوا) اى اشرفت على حقايق المعقولات و دقايق المحسوسات و اطلعت عليها حين قصر عنه ساير الأصحاب فحصل لى التّطاول فيها و لهم القصور (و نطقت حين تعتعوا) أراد به تكلّمه فى الأحكام المشكله و المسائل المفصله و غيرها بكلام واف بالمراد كاف فى أداء المقصود مطابق لمقتضى الحال و المقام على ما كان يقتضيه ملكه الفصاحه و البلاغه التى كانت فيه، و أمّا غيره عليه السّلام فقد عييوا به و عجزوا من أدائه و اضطربوا فيه و لم يهتد و الوجهه و طرقه.

(و مضيت بنور اللّه حين وقفوا) حايرين بايرين جاهلين مفتونين، و المراد بنور اللّه هو علم الامامه المتلقّى من منبع النّبوه و الرساله و إليه الاشاره بآيه النور على ما رواه فى البحار من جامع الأخبار باسناده عن فضيل بن يسار قال:

قلت لأبى عبد اللّه الصّادق عليه السّلام: «اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » قال عليه السّلام

كـذلك قـال اللّه عزّ و جـلّ قلت «مَثَلُ نُورِهِ » قال لى محمّـد صـلّى اللّه عليه و آله قلت «كَمِشْـكاةٍ » قال صـدر محمّـد قلت «فِيها مِصْـباحٌ » قال فيه نور العلم يعنى النّبوه قلت «اَلْمِصْباحُ فِي زُجاجَهٍ » قال علم رسول اللّه صدر إلى قلب علىّ قلت «كَأَنَّها » قال لأىّ شىء تقرء كانّها؟ قلت فكيف جعلت فداك؟ قال كانّه «كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ » قلت «يُوقَدُ مِنْ شَـجَرَهٍ مُبارَكَهٍ زَيْتُونَهٍ لا شَرْقِيَّهٍ وَ لا غَرْبِيَّهٍ » قال ذاك أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب لا يهودىّ و لا نصـرانى قلت «يَكادُ زَيْتُها يُضِـىءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَـسْهُ نارٌ » قال يكاد العلم يخرج من فم آل محمّد من قبل أن ينطق به قلت «نُورٌ عَلى نُورٍ » قال الامام على أثر الامام.

(و كنت أخفضهم صوتا) لأنّ خفض الصوت دليل الدّعه و الاستكانه و التّواضع و رفع الصّوت علامه الجلافه و التّكبر و التجبّر و قد كان مشركو العرب يتفاخرون بالأصوات الرافعه فوبّخهم اللّه بما حكاه من وصيّه لقمان لابنه بقوله:

«وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ».

هـذا كلّه مضافا إلى أنّ السـكوت و خفض الصّوت فى الحروب دليل العزم و الثّبات و القوه و رفعه علامه الضّعف و الجبن كما قال عليه السّلام فى بعض كلماته السابقه:

و قد أرعدوا و أبرقوا و مع هذين الأمرين الفشل و لسنا نرعد حتّى نوقع، و لا نسيل

حتّی نمطر.

و لما کان الخفض علامه القوّه و عدم المبالات حسن إردافه بقوله (و أعلاهم فوتا) إذ لا شكّ أنّ من کان أشدّ ثباتا و قوّه کان أشدّ تقدّما و سبقه إلی مراتب الکمال و السّعاده حائزا قصب السّبق فی مضمار البراعه(فطرت بعنانها و استبددت برهانها)الضّمیران راجعان إلی الفضایل النّفسانیه و الکمالات المعنوّیه و ان لم یجر لها ذکر لفظیّ فی الکتاب.

قال الشّارح البحرانی: استعار ههنا لفظ الطیران للسّبق العقلی لما یشترکان فیه من معنی السّرعه و استعار لفظی العنان و الرّهان الّذین هما من متعلّقات الخیل للفضیله التی استکملها نفسه تشبیها لها مع فضایل نفوسهم بخیل الجلبه و وجه المشابهه أن الصّحابه لما کانوا یقتنون الفضایل و یستبقون بها إلی رضوان اللّه و سعادات الآخره کانت فضایلهم التّی علیها یستبقون کخیل الرّهان، و لما کانت فضیلته أکمل فضایلهم و أتمّها کانت بالنّسبه إلی فضایلهم کالفرس لا یشقّ غباره فحسن منه أن یستعیر لسبقه بها لفظ الطیران و یجری علیها لفظ العنان و الرّهان

و الفصل الثانی

مشتمل علی ذکر حاله فی زمن الخلافه

و حین انتهائها إلیه علیه السّلام یقول کنت لما ولیت الأمر (کالجبل) العظیم فی الثّبات علی الحقّ و الوقوف علی القانون العدل فکما (لا تحرّکه) الرّیاح (القواصف) عن مکانه (و لا تزیله) الزّعازع (العواصف) عن مقامه فکذلک أنا لا یحرّکنی عن سواء السّبیل و عن الصّراط المستقیم مراعاه هوی النّاس و متابعه طباعهم المایله إلی خلاف ما یقتضیه السّنه النّبویّه و الأوامر الالهیّه.

و حاصله أنّه لا یأخذنی فی اللّه لومه لایم (لیس لأحد فی مهمز و لا لقائل فی مغمز) أی لا یسع لأحد أن یعیب علیّ و یطعن فیّ فی الغیبه و الحضور فی شیء من الحلال و الحرام و الحدود و الأحکام کما عابوا علی من کان قبلی من المتخلّفین لأحداث

ص:۱۴۴

وقعت منهم و جراير صدرت عنهم (الذّليل عندى عزيز حتّى آخذ الحقّ له) ممّن ظلم فى حقّه (و القوىّ عندى ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه) و أنتصفه للمظلوم.

و الفصل الثالث

مشتمل على الرّضا بالقضا و تسليم الأمر للّه سبحانه و تعالى، لمّا تفرّس فى طائفه من قومه أنّهم يتّهمونه بالكذب فيما يخبرهم به من الغيوبات و الملاحم الواقعه فى القرون المستقبله كما يأتى شطر منها فى شرح كلامه السّادس و الخمسين، و يأتى فى تلك الأخبار أنّ بعضهم واجهه بالشّك و التّهمه فعند ذلك قال:(رضينا عن اللّه قضائه و سلّمنا له أمره) و ذلك لأنّه لمّا كان القضاء الالهى قد جرى على قوم بالتّكذيب له و التّهمه فيما يقول لاجرم كان أولى بلزوم باب الرّضا و التّسليم إلى اللّه فيما جرى عليه قلم القضاء، ثمّ ابطل أوهامهم على سبيل الاستفهام الانكارىّ الابطالى و قال:

(أ ترانى) الخطاب لكلّ من أساء الظنّ فى حقّه (أكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله) و كيف لى بذلك (فو اللّه لأنا أوّل من صدّقه فلا أكون أوّل من كذب عليه)

الفصل الرابع

يذكر فيه حاله بعد وفات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنّه قد عهده النّبىّ بعدم المنازعه فى الأمر و أوصى له بطلبه بالرفق و المداراه فان حصل له و إلاّ فليمسك عنه و ليحقن دمه كما قال:(فنظرت فى أمرى) اى أمر الخلافه التى هى حقّ لى (فاذا طاعتى قد سبقت بيعتى) أى وجوب طاعتى لرسول اللّه فيما أمرنى به من ترك القتال عند عدم الأعوان قد سبق على بيعتى للقوم فلا سبيل لى إلى الامتناع (و إذا الميثاق فى عنقى لغيرى) اى ميثاق الرّسول و عهده إلىّ بترك الشّقاق و المنازعه فلم يحلّ لى أن أتعدّى أمره، أو أخالف نهيه.

و ينبغى التنبيه على أمرين

الاول

قال الشّارح المعتزلى بعد شرح الفصل الأخير من كلامه عليه السّلام على نحو ما شرحناه: فان قيل: فهذا تصريح بمذهب الاماميّه.

ص:۱۴۵

قيل: ليس الأمر كذلك بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديّين لأنّهم يزعمون أنّه الأفضل و الأحقّ بالامامه و أنّه لو لا ما يعلمه اللّه و رسوله من الأصلح للمكلّفين من تقديم المفضول عليه لكان من تقدّم عليه هالكا، فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أعلمه أنّ الامامه حقه و أنّه أولى بها من النّاس أجمعين و أعلمه أنّ فى تقديم غيره و صبره على التأخّر عنها مصلحه للدّين راجعه إلى المكلّفين، و أنّه يجب عليه أن يمسك عن طلبها و يغضى عنها لمن هو دون مرتبته، فامتثل أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لم يحرجه تقدّم من تقدّم عليه من كونه الأفضل و الأولى و الأحقّ.

ثمّ قال: و قد صرّح شيخنا أبو القاسم البلخى بهذا و صرّح به تلامذته و قالوا:

لو نازع عقيب وفات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سلّ سيفه لحكمنا بهلاك كلّ من خالفه و تقدّم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، و لكنّه مالك الأمر و صاحب الخلافه إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، و إذا أمسك عنها وجب علينا القول بعداله من اغضى له عليها و حكمه فى ذلك حكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأنّه قد ثبت عنه فى الأخبار الصّحيحه أنّه قال علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ يدور حيثما دار، و قال صلّى اللّه عليه و آله له غيره مرّه: حربك حربى و سلمك سلمى و هذا المذهب هو أعدل المذاهب عندى و به أقول انتهى كلامه.

أقول: ما ذكره هنا ملخّص ما ذكره فى شرح الخطبه الشّقشقيّه و قد نقلنا كلامه فى المقدّمه الثّانيه من مقدّمات تلك الخطبه، و ذكرنا هنالك ما يتوجّه عليه من وجوه الكلام و ضروب الملام.

و نقول ههنا مضافا إلى ما سبق هناك: أن تقدّم غيره عليه إمّا أن يكون بفعل اللّه سبحانه و فعل رسوله، و إمّا أن لا يكون بفعلهما بل تقدّم الغير بنفسه لاعتقاده أنّه أحقّ بها منه عليه السّلام، أو قدّمه من ساير الصّحابه و المكلّفين إمّا بهوى أنفسهم أو رعايه المصلحه العامّه.

أمّا الأوّل ففيه أولا أنّهم لا يقولون به، لاتّفاقهم على عدم النّصّ من اللّه

و من رسول له فی باب الامامه و ثانیا أنّه لو کان ذلک بفعلهما لم یکن لتشکّیه من القوم وجه و لما نسبهم إلی التّظلیم و لما کان یقول مـدّه عمره و اللّه ما زلت مظلوما مدفوعا عن حقّی مستأثرا علیّ منذ قبض اللّه رسوله و لکان الواجب أن یعذرهم فی ذلک و ثالثا أنّ تقدیم المفضول علی الفاضل و الأفضل قبیح عقلا و بنصّ القرآن قال سبحانه:

«أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلاّ أَنْ یُهْدی » الآیه و قال أیضا: «هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ ».

و مع کونه قبیحا کیف یمکن صدوره من اللّه سبحانه أو من رسوله.

فان قلت: تقدیم المفضول إذا کان لمصلحه الدّین راجعه إلی المکلّفین فلا نسلّم قبحه قلت: بعد تسلیم الصّغری أوّلا و تسلیم کون الحسن و القبح فی الأشیاء مختلفا بالوجوه و الاعتبارات ثانیا إنّ أمیر المؤمنین إذا کان عالما بالمصلحه فی تقدّم الغیر علی ما صرّح به من أنّ رسول اللّه أعلمه به، کان اللازم حینئذ له السّکوت، إذ المعلوم بالضّروره من حاله أنّ طلبه للخلافه لم یکن للدّنیا و حرصا علی الملک، بل إنّما کان غرضه بذلک حصول نظام الدّین و انتظام أمر المکلّفین و إقامه الحقّ و إزاحه الباطل، کما صرّح علیه السّلام به فی قوله فی الخطبه الثّالثه و الثّلاثین، و اللّه لهی أحبّ إلیّ من أمارتکم هذه إلاّ أن اقیم حقّا أو أدفع باطلا، فاذا کان حصول هذا النّظام و الانتظام و صلاح المکلّفین بتقدّم الغیر لا بدّ و أن یکون مشعوفا به و راضیا بذلک أشدّ الرّضا لا شاکیا و مظهرا للتظلّم و الشّکوی کما مرّ فی الخطبه الشّقشقیّه، و فی قوله فی الخطبه السّادسه و العشرین فنظرت فاذا لیس لی معین اه.

و أمّا الثّانی و هو أنّ تقدّم الغیر علیه إنّما کان لزعم الغیر أنّه أحقّ بها

ص:۱۴۷

منه علیه السّلام ففیه أنّ الأمر إذا دار بین متابعه رای الأفضل و متابعه رأی المفضول کان اللّازم ترجیح الأوّل علی الثّانی دون العکس و هو واضح.

و أمّا الثّالث و هو أنّ التّقدّم کان بتقدیم المکلّفین بمقتضا هوی أنفسهم الأماره بالسّوء و لما کان فی صدورهم من الحسد و السّخایم فهو الحقّ و الصّواب من دون شکّ فیه و ارتیاب.

و لنعم ما قال أبو زید النّحوی الخلیل بن أحمد حین سئل عنه ما بال أصحاب رسول اللّه کأنّهم بنو أمّ واحده و علیّ علیه السّلام کأنّه ابن عله(۱) ؟ قال تقدّمهم إسلاما و بذّهم شرفا وفاقهم علما و رجهم حلما و کثرهم هدی فحسدوه و النّاس إلی أمثالهم و أشکالهم أمیل.

و قال ابن عمر لعلیّ علیه السّلام کیف تحبّک قریش و قد قتلت فی یوم بدر و احد من ساداتهم سبعین سیدا تشرب انوفهم الماء قبل شفاههم؟ فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام ما ترکت بدر لنا مذیقا(۲) و لا لنا من خلفنا طریقا.

و سئل زین العابدین علیه السّلام و ابن عباس أیضا لم أبغضت قریش علیّا؟ قال: لأنّه أورد أوّلهم النّار و آخرهم العار.

و قال أبو زید النّحوی: سألت الخلیل بن أحمد العروضی لم هجر النّاس علیّا و قرباه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قرباه و موضعه من المسلمین موضعه و عناؤه فی الاسلام عناؤه، فقال: بهر و اللّه نوره أنوارهم و غلبهم علی صفو کلّ منهل، و النّاس إلی أشکالهم أمیل أما سمعت الأوّل حیث یقول:

و کلّ شکل لشکله ألف أما تری الفیل یألف الفیلا

قال: و أنشد الرّیاشی فی معناه عن العباس بن الأحنف:

و قائل کیف تهاجرتما فقلت قولا فیه إنصاف

لم یک من شکلی فهاجرته و النّاس أشکال و آلاف

ص:۱۴۸

۱- (۱) اولاد العلاء الذین ابوهم واحد امّهاتهم مختلفه، نهایه.

۲- (۲) اللّبن الممزوج بالماء.

و أمّا الرّابع ففيه أنّ التّقديم إمّا أنّه كان بفعل جميع المكلّفين أو بفعل البعض و الاول ممنوع لما قد عرفت فى شرح الخطبه الشّقشقيه من تخلّف وجوه الصّحابه عن البيعه و عرفت هناک أيضا قول الشّارح بأنّه لو لا عمر لم يثبت لأبى بكر أمر و لا قامت له قائمه و الثانى لا حجّيه فيه، هذا مضافا إلى أنّه كيف يمكن أن يخفى عليه عليه السّلام ما لم يخف على غيره من وجوه المصلحه التّى لا حظوها فى التّقديم على زعمك، إذ قد ذكرنا أنّه لو علم المصلحه فى ذلك لسكت و لم يتظلّم.

فان قيل: انّ هذا يجرى مجرى امرأه لها اخوه كبار و صغار فتولّى أمرها الصغار فى التزويج فانّه لا بدّ أن يستوحش الكبار و يتشكّوا من ذلک.

قيل: إنّ الكبير متى كان دّينا خائفا من اللّه فانّ استيحاشه و ثقل ما يجرى على طبعه لا يجوز أن يبلغ به إلى إظهار الكراهه للعقد و الخلاف فيه و ايهام أنّه غير ممضى و لا صواب، و كلّ هذا جرى من أمير المؤمنين فيكشف ذلک كلّه عن عدم المصلحه فى تقدّم الغير عليه بوجه من الوجوه.

ثمّ إنّ ما حكاه من شيخه أبى القاسم البلخى و بنا عليه مذهبه من أنّه صاحب الخلافه و مالک الأمر إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها و إذا أمسک عنها وجب القول بعداله من غضى لها:

فيه أنّ الشرطيه الاولى مسلّمه و المقدّم فيها حقّ فوجب القول بتفسيق المنازعين و الدّليل على طلبه عليه السّلام لها واضح لمن له أدنى تتبع فى الأخبار، و يكفى فى ذلک قوله فى الخطبه التى رواها الشّارح المعتزلى فى شرح كلامه لما قلّد محمّد بن أبى بكر المصر، و قد مضت روايتها منّا فى شرح الخطبه السّادسه و العشرين و هو قوله عليه السّلام: ثمّ قالوا هلمّ فبايع و إلّا جاهدناک، فبايعت مستكرها و صبرت محتسبا، فقال قائلهم: يابن أبى طالب انک على هذا الأمر لحريص، فقلت أنتم أحرص منّى و أبعد أيّنا أحرص أنا الذى طلبت تراثى و حقّى الذى جعلنى اللّه و رسوله أولى به، ام أنتم تضربون وجهى دونه و تحولون بينى و بينه، فبهتوا و اللّه لا يهدى القوم الظالمين إلى آخر ما مرّ.

ص:۱۴۹

و يشـهد بذلک ما رواه الشّارح أيضا فى شرح الخطبه المذکوره من أنّ قوله عليه السّلام: فنظرت فاذا ليس لى معين إلاّ أهل بيتى فضننت بهم عن الموت فتقول ما زال يقوله و لقد قاله عقيب وفات رسول اللّه و قال لو وجدت أربعين ذوى عزم.

و يـدلّ عليه مـا رواه أيضـا فى شـرح الخطبه المـذکوره حيث قال: و من کتاب معاويه المشـهور، و عهـدک أمس تحمل قعيـده. بيتـک ليلاـ على حمـار و يـداک فى يـدى ابنيک الحسن و الحسـين يوم بويع أبو بکر الصّـِديق، فلم تـدع أحـدا من أهل بـدر و السّوابـق إلاّـ دعـوتهم إلى نفسـک و مشيت إليهم بامرئتـک و أوليت إليهم بابنيـک و استنصـرتهم على صـاحب رسول اللّه، فلم يجبـک منهم إلاّـ أربعه أو خمسه، إلى غير ذلـک ممّـا مضـى و يأتى فى تضاعيف الکتاب، و بالجمله فمطالبته لها واضـح لاولى الأبصار کالشّمس فى رابعه النّهار.

و يعجبنى أن اورد هنا حکايه مناسبه للمقام، و هو ما نقله شـيخنا البهائى فى الکشـکول قال: کتب علىّ بن صـلاح الدّين يوسف ملک الشّام إلى الامام الناصر لدين اللّه يشکو أخويه أبا بکر و عثمان لما خالفا وصيه أبيهم له:

مولاى إنّ أبا بکر و صاحبه عثمان قد غصبا بالسّيف حق على

و کان بالأمس قد ولّاه والده فى عهده فأضاعا الأمر حقد ولى

فانظر إلى حظ هذا الاسم کيف لقى من الأواخر مالاقا من الاول

إذ خالفاه و حلّا عقد بيعته و ابينهما و النّصّ فيه جلى

فوقّع الخليفه النّاصر على ظهر کتابه:

و افا کتابک يا بن يوسف منطقا بالخير يخبر انّ أصلک طاهر

منعوا عليّا إرثه إذ لم يکن بعد النّبىّ له بيثرب ناصر

فاصبر فانّ غدا علىّ حسابهم و ابشر فناصرک الامام النّاصر

و أمّا الشّرطيه الثّانيه فممنوعه إذ الامساک عنها لا دلاله فيه على عـداله من غضـى لها، نعم إنّما يدلّ عليها إذا لم يکن للامساک وجه إلاّ الرّضا و طيب النّفس و أمّا إذا کان هناک احتمال أن يکون وجهه هو الخوف و التّقيه فلا.

ص:۱۵۰

و قال المرتضى «ره» و ليس لأحد أن يقول: كيف يجوز على شجاعته و ما خصّه اللّه به من القوّه الخارجه للعاده أن يخاف منهم و لا يقدم على قتالهم لو لا أنّهم كانوا محقّين؟ و ذلک إنّ شجاعته و إن كانت على ما ذكرت و أفضل فلا يبلغ أن يغلب جميع الخلق و يحارب ساير النّاس و هو مع الشّجاعه بشر يقوى و يضعف و يخاف و يأمن و التّقيه جايزه على البشر الذين يضعفون عن دفع المكروه عنهم هذا.

و أمّا الحديث الذى رواه من قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ فمن الأحاديث المعروفه المعتبره المستفيضه بل لا يبعد دعوى تواتره، و قد رواه السّيد المحدّث البحرانى فى كتاب غايه المرام بخمسه عشر طريقا من طرق العامه و أحد عشر طريقا من طرق الخاصّه.

ففى بعض الطرق العاميّه عن شهر بن حوشب قال: كنت عند أمّ سلمه (رض) إذا استاذن رجل فقالت من أنت؟ فقال: أنا أبو ثابت مولى علىّ عليه السّلام، فقالت أمّ سلمه:

مرحبا بک يا أبا ثابت ادخل. فدخل فرحّبت به ثمّ قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبک حين طارت القلوب مطايرها؟ قال: تبع علىّ عليه السّلام قالت: وفّقت و الذى نفسى بيده لقد سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: علىّ مع الحقّ و القرآن، و الحقّ و القرآن مع علىّ و لن يغترقا حتى يردا علىّ الحوض.

و فى بعضها عن عايشه قالت: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض.

و فى روايه موفق بن أحمد باسناده عن سليمان الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمه و الاسود قالا: سمعنا أبا أيوّب الأنصارى قال: سمعت النّبى صلّى اللّه عليه و آله يقول لعمار ابن ياسر، يا عمّار تقتلک الفئه الباغيه و أنت مع الحقّ و الحق معک، يا عمّار إذا رأيت عليّا سلک واديا و سلک واديا غيره فاسلک مع علىّ ودع النّاس، إنّه لن يدلّک على ردى و لن يخرجک عن الهدى، يا عمّار إنّه من تقلّد سيفا أعان به عليّا على عدوّه قلّده اللّه يوم القيامه و شاحا(۱) من درّ، و من تقلّد سيفا أعان به عدوّ علىّ قلّده يوم

۱- (۱) الوشاح بالضم كرسان من لؤلؤ و جوهر منظومان يخالف بينهما معطوف احدهما على الاخر، و اديم عريض يرصّع بالجوهر تشدّه المرأه بين عاتقيها و كشحيها جمعه و شيح كذا قاله صاحب القاموس فيه.

القيامه وشاحا من نار قال قلت: حسبک.

أقول: لا خفاء فی دلاله هذا الخبر علی عصمته و إمامته، و بطلان خلافه الثلاثه غیر خفیّه من وجوه عدیده:

الأوّل أنّه أخبر بکون الحقّ معه علیه السّلام و هو یقتضی عصمته إذ لا یجوز أن یخبر علی الاطلاق بأنّ الحقّ مع علیّ مع جواز وقوع القبیح عنه علیه السّلام، لأنّه إذا وقع کان اخباره بذلک کذبا و هو محال فلا بدّ أن یکون معصوما.

الثّانی أنّ لن إمّا لنفی التّابید أو لنفی المستقبل فتدلّ علی التّقدیرین علی عدم انفکاک الحقّ منه، فاذا کان الحقّ لا ینفکّ عنه أبدا ثبت إمامته و بطل خلافه من خالفه.

الثّالث أنّ قوله: لعمّار إذا رأیت علیّا سلک وادیا و سلک وادیا غیره فاسلک مع علیّ نصّ صریح فی وجوب الاقتداء به و عدم جواز الاقتداء بغیره و لا سیّما بملاحظه تعلیله بأنّه لن یدلّک علی ردی و لن یخرجک عن الهدی، فانّه یدلّ علی أنّه إن سلک سبیل الغیر یکون خارجا من الهدی إلی الرّدی، و لذلک إنّ عمّار لازم علیّا و أنکر علی الأوّل و تخلّف عن البیعه حتّی أکرهوه علی البیعه فبایع بعد بیعه مولاه علیه السّلام بکره و اجبار هذا.

و من العجب العجاب أنّ بعض النّاصبین(۱) قال: إن صحّ الخبر دلّ علی أنّ علیّا کان مع الحقّ أینما دار و هذا شیء لا یرتاب فیه حتّی یحتاج إلی دلیل، بل هذا دلیل علی حقیّه الخلفاء، لأنّ الحقّ کان مع علیّ و علیّ کان مع الخلفاء حیث تابعهم و ناصحهم، فثبت من هذا خلافه الخلفاء و أنّها کانت حقّا صریحا، و أمّا من خالف علیّا من البغاه فمذهب أهل السّنه و الجماعه أنّ الحقّ کان مع علیّ و هم کانوا علی الباطل، و لا شکّ فی هذا انتهی.

۱- (۱) و هو شارح کشف الحق فضل بن روزبهان، منه.

و يتوجّه عليه اولاـ أنّ صحّه الخبر ممّا لا مجال للكلام فيها و ثانيا أنّ كونه مع الخلفاء و تابعهم ممنوع إلّا بمعنى كونه معهم فى سكون المدينه و بمعنى التّابعه الاجباريّه و المماشاه فى الظاهر، و إلّا فما وقع بينهم من المخالفات و التنازع و المشاجرات قد بلغ فى الظهور إلى حدّ لا مجال للاخفاء و فى الشناعه إلى مرتبه لا تشتبه على الآراء كما مضى و سيجىء أيضا إنشاء اللّه تعالى، و أمّا نصحه لهم فمسلّم لكن لامور الدّين و انتظام شرع سيّد المرسلين، لا لأجل ترويج خلافتهم و نظم أسباب شوكتهم و جلالتهم.

و ثالثا أنّ التّفرقه بين الخلفاء و بين البغاه بكون الآخرين على الباطل دون الأوّلين لا وجه له، إذ كلّ من الفرقتين كان مريدا لقتله عليه السّلام غايه الأمر أنّه وجد هناك أعوانا فقاتلهم ذويهم عن نفسه و لم يجد ههنا ناصرا فبايعهم اجبارا و كفّ عن القتال و حقن دمه، فلو أنّه وجد أعوانا له يومئذ لشهر عليهم سيفه و جاهدهم و يشهرون سيفهم عليه و يقاتلونه، كما أنّه لو يجد أعوانا مع البغاه و كفّ عنهم و تابع آرائهم لم يكونوا مقاتلين له و لم يجادلوا معه عليه السّلام.

هذا كلّه مضافا إلى أنّ بغى البغاه و خروجهم عليه عليه السّلام من بركه البرامكه و من ثمره هذه الشجّره الملعونه عذبهم اللّه عذابا اليما.

الثانى

قد عرفت أنّ سبب تقاعده عليه السّلام عن جهاد من تقدّم عليه هو عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إليه بالكفّ عنهم، حيث لم يجد أعوانا و فيه مصالح اخر قد أشير إليها فى أخبار الأئمه الأطهار، و لا بأس بالاشاره إلى تلك الأخبار و الأخبار التى اشير فيها إلى معاهده النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إليه حتّى يتّضح الأمر و يظهر لك بطلان ما زعمه العامه من إنّ سكوته و عدم نهوضه إليهم دليل على رضاه بتقدّمهم و على كونهم محقّين فأقول و باللّه التّوفيق:

روى الشّيخ السّعيد عزّ الدّين أبو المنصور أحمد بن علىّ بن أبى طالب الّطبرسى (ره) فى الاحتجاج، قال: روى أنّ أمير المؤمنين كان جالسا فى بعض مجالسه بعد

رجوعه من نهروان فجرى الكلام حتّى قيل له لم لا حاربت أبا بكر و عمر كما حاربت الطلحه و الزّبير و معاويه؟ فقال إنّى كنت لم أزل مظلوما مستأثرا علىّ حقّى، فقام إليه أشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين لم لم تضرب بسيفك و لم تطلب بحقّك؟ فقال: يا أشعث قد قلت قولا فاسمع الجواب وعه و استشعر الحجّه إنّ لى اسوه بستّه من الأنبياء عليهم السّلام.

أوّلهم نوح عليه السّلام حيث قال: رَبِّ «أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ » فان قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، و إلاّ فالوصىّ أعذر.

و ثانيهم لوط عليه السّلام حيث قال: «لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّهً أَوْ آوِى إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » فان قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، و إلاّ فالوصىّ أعذر.

و ثالثهم إبراهيم خليل اللّه عليه السّلام حيث قال: «وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ » فان قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، و إلاّ فالوصىّ أعذر.

و رابعهم موسى عليه السّلام حيث قال: «فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ » فان قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، و إلاّ فالوصىّ أعذر.

و خامسهم أخوه هارون عليه السّلام حيث قال: يَا «ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِى »

ص:۱۵۴

فان قال قائل إنّه قال هذا لغير خوف فقد كفر، و إلا فالوصىّ أعذر.

و سادسهم أخى محمّد صلّى اللّه عليه و آله خير البشر حيث ذهب إلى الغار و نوّمنى على فراشه، فان قال قائل إنّه ذهب إلى الغار لغير خوف فقد كفر و إلاّ فالوصىّ أعذر فقام إليه النّاس بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين قد علمنا أنّ القول قولك و نحن المذنبون التّائبون و قد عذرك اللّه.

و فيه أيضا عن أحمد بن همام قال: أتيت عباده بن الصّامت فى ولايه أبى بكر فقلت: يا عباده أ كان النّاس على تفضيل أبى بكر قبل ان يستخلف؟ فقال: يا أبا ثعلبه إذا سكتنا عنكم فاسكتوا عنّا و لا تبحثونا، فو اللّه لعلىّ بن أبى طالب أحقّ بالخلافه من أبى بكر كما كان رسول اللّه أحقّ بالنّبوه من أبى جهل.

قال: و ازيدكم انّا كنّا ذات يوم عند رسول اللّه فجاء علىّ و أبو بكر و عمر إلى باب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فدخل أبو بكر ثمّ دخل عمر ثمّ دخل علىّ عليه السّلام على اثرهما، فكانّما سفى(۱) وجه رسول اللّه الرّماد، ثمّ قال: يا علىّ أيتقدّمك هذان و قد أمّرك اللّه عليهما؟ فقال أبو بكر: نسيت يا رسول اللّه، و قال عمر: سهوت يا رسول اللّه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما نسيتما و لا سهوتما و كأنى بكما قد أ سلبتماه ملكه و تحاربتما عليه و أعانكما على ذلك أعداؤه و أعداء رسول اللّه و كأنى بكما قد تركتما المهاجرين و الأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسّيف على الدّنيا، و كأنّى بأهل بيتى و هم المقهورون المشتتون(۲) فى أقطارها، و ذلك لأمر قد قضى.

ثمّ بكى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتّى سالت دموعه، ثمّ قال: يا على الصّبر الصّبر حتّى ينزل الأمر، و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلىّ العظيم، فانّ لك من الأجر فى كلّ يوم ما لا يحصيه كاتباك، فاذا أمكنك الأمر فالسّيف السّيف فالقتل القتل حتّى يفيئوا إلى أمر اللّه و أمر رسوله، فانّك على الحقّ و من ناواك على الباطل، و كذلك

۱- (۱) سفت الريح التراب ذرته ق.

۲- (۲) التشتت التفرق و ضمير اقطارها راجع إلى الارض، منه.

ذریّتک من بعدک إلی یوم القیامه.

و فی تفسیر علیّ بن إبراهیم القمیّ عن أحمد بن علی قال: حدّثنا الحسین بن عبد اللّه السّعدی، قال: حدّثنا الحسن بن موسی الخشاب، عن عبد اللّه بن الحسین، عن بعض أصحابه عن فلان(۱) الکرخی قال: قال رجل لأبی عبد اللّه علیه السّلام: ألم یکن علیّ قوّیا فی بدنه قویا فی أمر اللّه؟ قال له أبو عبد اللّه علیه السّلام بلی، قال فما منعه أن یدفع أو یمتنع؟ قال: قد سألت فافهم الجواب، منع علیّا من ذلک آیه من کتاب اللّه، قال:

و أیّ آیه؟ قال: فاقرء:

«لَوْ تَزَیَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِیماً ».

إنّه کان للّه و دایع مؤمنون فی أصلاب قوم کافرین و منافقین، فلم یکن علیّ لیقتل الآباء حتّی یخرج الودایع، فلمّا خرج ظهر علی من ظهر و قتله، و کذلک قائمنا أهل البیت لم یظهر حتّی یخرج ودایع اللّه، فاذا خرجت یظهر علی من یظهر فیقتله.

أقول: هذا هو التّأویل، و تنزیله أنّه لو تمیّز هؤلاء الّذین کانوا بمکه من المؤمنین و المؤمنات و زالوا من الکفّار لعذّبنا الذین کفروا، بالسّیف و القتل بأیدیکم.

و فی البحار من أمالی المفید «ره» باسناده عن جندب بن عبد اللّه، قال:

دخلت علی أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام، و قد بویع بعثمان بن عفان، فوجدته مطرقا کئیبا، فقلت له: ما أصابک جعلت فداک من قومک؟ فقال: صبر جمیل، فقلت: سبحان اللّه، و اللّه انّک لصبور، قال: فأصنع ما ذا؟ قلت: تقوم فی النّأس و تدعوهم و تخبرهم أنّک أولی بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و بالفضل و السّابقه و تسألهم النّصر علی هؤلاء المتظاهرین علیک، فان أجابک عشره من مائه شددت بالعشره علی المأه، فان دانوا لک کان ذلک ما أحببت، و إن أبوا قاتلتهم، فان ظهرت علیهم فهو سلطان اللّه الذی أتاه نبیّه و کنت أولی به منهم، و إن قتلت فی طلبه قتلت إنشاء اللّه شهیدا

۱- (۱) و فی العیون و الاکمال عن ابراهیم الکرخی، منه.

و كنت بالعذر عند اللّه، لأنّک أحقّ بميراث رسول اللّه.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام أ تراه يا جندب كان يبايعنى عشره من مائه: فقلت أرجو ذلک، فقال: لکنّى لا أرجو و لا من كلّ مأئه اثنان، و ساخبرک من أين ذلک إنّما ينظر النّاس إلى قريش و إنّ قريشا يقول: إنّ آل محمّد يرون لهم فضلا على ساير قريش و إنّهم أولياء هذا الأمردون غيرهم من قريش، و إنّهم إن ولوه لم يخرج منهم هذا السّلطان إلى احد أبدا، و متى كان فى غيرهم تداولوه بينهم، و لا و اللّه لا تدفع إلينا هذا السّلطان قريش أبدا طائعين.

فقلت له: أفلا أرجع فاخبر النّاس بمقالتک هذه و أدعوهم إلى نصرک؟ فقال:

يا جندب ليس ذا زمان ذاک، قال جندب: فرجعت بعد ذلک إلى العراق فكنت كلّما ذكرت من فضل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب شيئا زبرونى و نهرونى حتّى رفع ذلک من قولى إلى الوليد بن عقبه فبعث إلىّ فحبسنى حتّى كلّم فىّ فخلّى سبيلى.

و من العيون و علل الشرائع عن الطالقانى عن الحسن بن علىّ العددى، عن الهيثم بن عبد اللّه الرّمانى قال: سألت الرّضا عليه السّلام فقلت له: يابن رسول اللّه أخبرنى عن علىّ عليه السّلام لم لم يجاهد أعدائه خمسه و عشرين سنه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثمّ جاهد فى أيّام ولايته؟ فقال: لأنّه اقتدى برسول اللّه فى تركه جهاد المشركين بمكّه بعد النّبوه ثلاث عشره سنه و بالمدينه تسعه عشر شهرا، و ذلک لقلّه أعوانه، و كذلک علىّ عليه السّلام ترک مجاهده أعدائه لقلّه أعوانه عليهم، فلما لم تبطل نبوّه رسول اللّه مع تركه الجهاد ثلاث عشره سنه و تسعه عشر شهرا فكذلک لم تبطل إمامه علىّ مع ترک الجهاد خمسه و عشرين سنه إذا كانت العلّه المانعه لهما عن الجهاد واحده.

و من كتاب الغيبه للشّيخ باسناده عن سليم بن قيس الهلالىّ، عن جابر بن عبد اللّه و عبد اللّه بن العبّاس قالا، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى وصيته لأمير المؤمنين عليه السّلام: يا علىّ انّ قريشا ستظاهر عليک و يجتمع كلّهم على ظلمک و قهرک، فان وجدت أعوانا فجاهدهم، و إن لم تجدأ عوانا فكفّ يدک و احقن دمک، فانّ الشهاده من ورائک لعن اللّه قاتلک.

و من كتاب سليم بن قيس الهلالى قال: كنّا جلوسا حول أمير المؤمنين علىّ

ابن أبی طالب علیه السّلام و حوله جماعه من أصحابه، فقال له قائل: یا أمیر المؤمنین لو استنفرت النّاس؟ فقام و خطب و قال: اما إنی قد استنفرتکم فلم تنفروا، و دعوتکم فلم تسمعوا، فأنتم شهود کغیّاب، و أحیاء کأموات، و صمّ ذو و أسماع، أتلو علیکم الحکمه و أعظکم بالموعظه الشّافیه الکافیه و أحثکم علی جهاد أهل الجور فما أتی علی آخر کلامی حتّی أراکم متفرّقین حلقا شتّی، تناشدون الأشعار، و تضربون الأمثال، و تسألون عن سعر التّمر و اللبن.

تبّت أیدیکم لقد دعوتکم إلی الحرب و الاستعداد لها، و اصبحت قلوبکم فارغه من ذکرها، شغلتموها بالأباطیل و الأضالیل اغزوهم(۱) قبل أن یغزوکم، فو اللّه ما غزی قوم قطّ فی عقر دارهم الاّ ذلّوا، و أیم اللّه ما أظنّ أن تفعلوا حتّی یفعلوا.

ثمّ وددت أنّی قد رأیتهم فلقیت اللّه علی بصیرتی و یقینی و استرحت من مقاساتکم و ممارستکم، فما أنتم إلاّ کابل جمّه ضلّ راعیها، فکلّما ضمّت من جانب انتشرت من جانب، کأنی بکم و اللّه فیما أری أن لو حمس الوغا، و احمر الموت قد انفرجتم عن علیّ بن أبی طالب انفراج الرّأس و انفراج المرأه عن قبلها لا تمنع منها.

قال الأشعث بن قیس: فهلاّ فعلت کما فعل ابن عفّان؟ فقال علیه السّلام أو کما فعل ابن عفّان رأیتمونی فعلت أنا عائذ باللّه من شرّ ما تقول یا بن قیس، و اللّه إنّ الّتی فعل بن عفان لمخزاه لمن لا دین له و لا وثیقه معه، فکیف أفعل ذلک و أنا علی بیّنه من ربّی، و الحجه فی یدی و الحقّ معی، و اللّه إنّ امرء أمکن عدوّه من نفسه یجزّ لحمه و یفری جلده و یهشّم عظمه و یسفک دمه و هو یقدر علی أن یمنعه لعظیم و زره ضعیف ما ضمّت علیه جوانح صدره، فکن أنت ذاک یابن قیس.

فأمّا أنا فو اللّه دون أن أعطی بیده ضرب بالمشرفی تطیر له فراش الهام و تطیح منه الأکفّ و المعاصم، و یفعل اللّه ما یشاء، ویلک یابن قیس انّ المؤمن یموت

۱- (۱) ای و قلت لکم اغزوهم، منه.

كلّ ميته غير أنّه لا يقتل نفسه فمن قدر على حقن دمه ثمّ خلّى عمّن يقتله فهو قاتل نفسه.

يابن قيس إنّ هذه الامّه تفترق على ثلاث و سبعين فرقه، واحده فى الجنّه و اثنتان و سبعون فى النّار، و لشرّها و أبغضها و أبعدها منه السّامره الذين يقولون لاقتال و كذبوا قد أمر اللّه بقتال الباغين فى كتابه و سنّه نبيّه و كذلك المارقه.

فقال ابن قيس لعنه اللّه و غضب من قوله: فما منعك يابن أبى طالب حين بويع أبو بكر أخو بنى تيم و أخو بنى عدىّ بن كعب و أخو بنى اميّه بعدهم، أن تقاتل و تضرب بسيفك و أنت لم تخطبنا خطبه منذ قدمت العراق إلّا قلت فيها قبل أن تنزل عن المنبر و اللّه إنّى لأولى النّاس بالنّاس، و ما زلت مظلوما منذ قبض رسول اللّه، فما يمنعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك.

قال: يابن قيس اسمع الجواب، لم يمنعنى من ذلك الجبن و لا كراهه للقاء ربّى و أن لا أكون أعلم، إنّ ما عند اللّه خير لى من الدّنيا و البقاء فيها، و لكن منعنى من ذلك أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عهده إلىّ أخبرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بما الامّه صانعه بعده، فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم به و لا أشدّ استيقانا منّى به قبل ذلك.

بل أنا بقول رسول اللّه أشدّ يقينا منّى بما عاينت و شهدت، فقلت يا رسول اللّه فما تعهد إلىّ إذا كان ذلك؟ قال صلّى اللّه عليه و آله: إن وجدت أعوانا فانبذ إليهم و جاهدهم و إن لم تجد أعوانا فكفّ يدك و احقن دمك حتّى تجد على إقامه الدّين و كتاب اللّه و سنّتى أعوانا.

و أخبرنى أنّ الامّه ستخذلنى و تبايع غيرى و أخبرنى أنّى منه بمنزله هارون من موسى، و أنّ الامّه بعده سيصيرون بمنزله هارون و من تبعه، و العجل و من تبعه إذ قال له موسى:

«يا هارُونُ ما مَنَعَکَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلّا تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِى قالَ يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَ لا بِرَأْسِى إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ».

و إنّما يعنى أنّ موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم إن ضلّوا فوجد أعوانا أن يجاهدهم و إن لم يجد أعوانا أن يكفّ يده و يحقن دمه و لا يفرّق بينهم و إنّى خشيت أن يقول ذلك أخى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم فرّقت بين الأمّه و لم ترقب قولى و قد عهدت إليك أنّك إن لم تجد أعوانا أن تكفّ يديك و تحقن دمك و دم أهلك و شيعتك.

فلمّا قبض رسول اللّه مال النّاس إلى أبى بكر فبايعوه و أنّا مشغول برسول اللّه نغسله، ثمّ شغلت بالقرآن فآليت يمينا بالقرآن أن لا أرتدى إلّا للصّلاه حتّى أجمعه فى كتاب ففعلت، ثمّ حملت فاطمه و أخذت بيد الحسن و الحسين فلم أدع أحدا من أهل بدر و أهل السّابقه من المهاجرين و الأنصار إلّا ما نشدتهم اللّه و حقّى و دعوتهم إلى نصرتى فلم يستجب من جميع النّاس إلّا أربعه رهط: الزّبير، و سلمان، و أبو ذر، و المقداد و لم يكن معى أحد من أهل بيتى أصول به و لا اقوى به.

أمّا حمره فقتل يوم احد، و أمّا جعفر فقتل يوم موته و بقيت بين جلفين خائفين ذليلين حقيرين: العباس و عقيل و كانا قريبى عهد بكفر، فأكرهونى و قهرونى فقلت كما قال هارون لأخيه: يا «اِبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِى » فلى بهارون أسوه حسنه ولى بعهد رسول اللّه حجّه قوّيه.

قـال الاشـعث: کـذلک صـنع عثمان اسـتغاث بالنّاس و دعاهم إلی نصـرته فلم یجـد اعوانا فکفّ یـده حتّی قتل مظلوما، قال علیه السّـلام. ویلک یابن قیس إنّ القوم حین قهرونی و استضـعفونی و کادوا یقتلوننی فلو قالوا نقتلک البّته لامتنعت من قتلهم إیای و لو لم أجد غیر نفسی وحدی، و لکن قالوا إن بایعت کففنا عنک و أکرمناک و قرّبناک

ص:۱۵۹

و فضّلناك، و إن لم تفعل قتلناك، فلما لم أجد أحدا بايعتهم و بيعتى لهم لما لا حقّ لهم فيه لا يوجب لهم حقّا و لا يلزمنى رضا.

و لو انّ عثمان لما قال له النّاس: اخلعها و نكفّ عنك، خلعها لم يقتلوه، و لكنّه قال: لا أخلعها، قالوا: فانّا قاتلوك فكفّ يده عنهم حتّى قتلوه، و لعمرى لخلعه إيّاها كان خيرا له، لأنّه أخذها بغير حقّ و لم يكن له فيها نصيب و ادّعى ما ليس له و تناول حقّ غيره.

ويلك يابن قيس إنّ عثمان لا يعد و أن يكون أحد الرّجلين إمّا أن يكون دعا النّاس إلى نصرته فلم ينصروه، و إمّا أن يكون القوم دعوه إلى أن ينصروه فنهاهم عن نصرته، فلم يكن يحلّ له ان ينهى المسلمين عن أن ينصروا إماما هاديا مهتديا لم يحدث حدثا و لم يؤد محدثا، و بئس ما صنع حين نهاهم و بئس ما صنعوا حين أطاعوه، فاما أن يكونوا لم يروه أهلا لنصرته لجوره و حكمه بخلاف الكتاب و السّنه و قد كان مع عثمان من أهل بيته و مواليه و أصحابه أكثر من أربعه آلاف رجل، و لو شاء اللّه أن يمتنع بهم لفعل و لم ينههم عن نصرته، و لو كنت وجدت يوم بويع أخو تيم أربعين رجلا مطيعين لجاهدتهم، أمّا يوم بويع عمر و عثمان فلا لأنّى كنت بايعت و مثلى لا ينكث بيعته.

ويلك يابن قيس كيف رأيتنى صنعت حين قتل عثمان و وجدت أعوانا هل رأيت منّى فشلا أوجبنا أو تقصيرا فى وقعتى يوم البصره و هى حول جملهم الملعون من بيعه الملعون و من قتل حوله الملعون و من ركبه الملعون و من بقى بعده لا- تائبا و لا مستغفرا، فانّهم قتلوا أنصارى و نكثوا بيعتى و مثّلوا بعاملى و بغوا علىّ دمرت إليهم فى اثنى عشر ألفا، و فى روايه أخرى أقلّ من عشره آلاف و هم نيف على عشرين و مائه ألف، و فى روايه زياده على خمسين ألفا فنصرنى اللّه عليهم و قتلهم بأيدينا و شفى صدور قوم مؤمنين.

و كيف رأيت يابن قيس وقعتنا بصفّين قتل اللّه منهم بأيدينا خمسين ألفا فى صعيد واحد إلى النار، و فى روايه اخرى زياده على سبعين ألفا.

و كيف رأيتنا يوم النهروان إذ لقيت المارقين و هم مستبصرون و متدّينون قد ضلّ سعيهم فى الحياه الدّنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا، فقتلهم اللّه فى صعيد واحد إلى النّار، و لم يبق منهم عشره و لم يقتلوا من المؤمنين عشره.

ويلك يا بن قيس هل رأيت لى لواء ردّ ورايه ردت إياى تعيّر يابن قيس و أنا صاحب رسول اللّه فى جميع مواطنه و مشاهده و المتقدّم إلى الشّدايد بين يديه لا ـ أفرّ و لا ألوذ و لا أعتلّ و لا أمنح اليهود و يراى (أرى ظ) انّه لا ينبغى للنبىّ و لا للوصىّ إذا لبس لامته و قصد لعدوّه أن يرجع أو ينثنى حتّى يقتل أو يفتح اللّه له.

يا بن قيس هل سمعت لى بفرار قط أو بنوه «كذا»، يابن قيس أما و الذى فلق الحبّه و برء النّسمه لو وجدت يوم بويع أبو بكر الذى عيّرتنى بدخولى فى بيعته رجلا كلّهم على مثل بصيره الأربعه الذين وجدت، لما كففت يدى و لنا هضت القوم و لكن لم أجد خامسا.

قال الأشعث: و من الأربعه يا أمير المؤمنين؟ قال: سلمان، و أبو ذر، و المقداد، و الزّبير بن صفيّه قبل نكثه بيعتى فانّه بايعنى مرّتين أمّا بيعته الاولى الّتى و فى بها فانّه لما بويع أبو بكر أتانى أربعون رجلا من المهاجرين و الأنصار فبايعونى فأمرتهم أن يصبحوا عند بابى محلّقين رؤوسهم عليهم السّلاح فما وافى منهم أحد و لا صبحنى منهم غير أربعه: سلمان، و أبو ذر، و المقداد، و الزّبير، و أمّا بيعته الاخرى فانّه أتانى هو و صاحبه طلحه بعد قتل عثمان فبايعانى طائعين غير مكرهين، ثمّ رجعا عن دينهما مرتدّين ناكثين مكابرين معاندين حاسدين فقتلهما اللّه إلى النّار، و أما الثلاثه: سلمان: و أبو ذر، و المقداد، فثبتوا على دين محمّد و ملّه ابراهيم حتّى لقوا اللّه يرحمهم اللّه.

يابن قيس فو اللّه لو أنّ أولئك الأربعين الذين بايعونى و فوالى و اصبحوا على بابى محلّقين قبل أن تجب لعتيق فى عنقى بيعه، لناهضته و حاكمته إلى اللّه عز و جل و لو وجدت قبل بيعه عثمان أعوانا لناهضتهم و حاكمتهم إلى اللّه، فانّ ابن عوف جعلها لعثمان و اشترط عليه فيما بينه و بينه أن يردّها عليه عند موته، فأمّا بعد بيعتى إيّاهم فليس إلى مجاهدتهم سبيل.

ص:۱۶۲

فقال الأشعث: و اللّه لان كان الأمر كما تقول: لقد هلكت الامه غيرك و غير شيعتك فقال عليه السّلام إنّ الحقّ و اللّه معى يابن قيس كما أقول، و ما هلك من الامّه إلّا النّاصبين(۱) و المكاثرين و الجاهدين و المعاندين، فأمّا من تمسّك بالتّوحيد و الاقرار بمحمّد و الاسلام و لم يخرج من الملّه و لم يظاهر علينا الظلمه و لم ينصب لنا العداوه و شكّ فى الخلافه و لم يعرف أهلها و لم يعرف ولايه و لم ينصب لنا عداوه، فانّ ذلك مسلم مستضعف يرجى له رحمه اللّه و يتخوّف عليه ذنوبه.

قال أبان: قال سليم بن قيس: فلم يبق يومئذ من شيعه علىّ أحد إلّا تهلّل وجهه و فرح بمقالته إذ شرح أمير المؤمنين عليه السّلام الأمر و باح به و كشف الغطاء و ترك التقيّه، و لم يبق أحد من القرّاء ممن كان يشكّ فى الماضين و يكفّ عنهم و يدع البراءه منهم و دعا و تأثما إلّا استيقن و استبصر و حسن و ترك الشّك و الوقوف و لم يبق أحد حوله أتى ببيعته على وجه ما بويع عثمان و الماضون قبله إلّا رأى ذلك فى وجهه و ضاق به أمره و كره مقالته ثمّ انّهم استبصر عامّتهم و ذهب شكّهم.

قال أبان عن سليم: فما شهدت يوما قط على رءوس العامه أقرّ لأعيننا من ذلك اليوم لما كشف للناس من الغطاء و أظهر فيه من الحقّ و شرح فيه الأمر و القى فيه التّقيّه و الكتمان، و كثرت الشيعه بعد ذلك المجلس مذ ذلك اليوم و تكلموا و قد كانوا اقل اهل عسكره و صار النّاس يقاتلون معه على علم بمكانه من اللّه و رسوله، و صار الشّيعه بعد ذلك المجلس أجلّ النّاس و أعظمهم.

و فى روايه اخرى جل الناس و عظمهم، و ذلك بعد وقعه النّهروان و هو يأمر بالتّهيه و المسير إلى معاويه، ثمّ لم يلبث ان قتل قتله ابن ملجم لعنه اللّه غيله و فتكا، و قد كان سيفه مسموما قبل ذلك.

اقول: و لا حاجه لنا بعد هذه الرّوايه الشّريفه إلى ذكر ساير ما روى فى هذا

۱- (۱) هكذا فى النسخه و الظاهر انه تصحيف و الصحيح الا الناصبون و المكاثرون، و الجاهلون و المعاندون بالواو، منه.

المعنى، لأنها قاطعه للعذر كافيه فى توضيح ما اوردناه و تثبيت ما قصدناه من انّ قعوده عن جهاد المتخلّفين كان بعهد من النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله إليه مضافا إلى ساير المصالح التى فيه، فلا يمكن مع ذلك كلّه دعوى كون ترك الجهاد دليلا على حقيّه خلافه الثلاثه، و كاشفا عن رضاه عليه السّلام بذلك، و فى هذا المعنى روايات عاميه لعلّنا نشير اليها فى شرح بعض الخطب الآتيه فى المقام المناسب إن ساعدنا التوفيق و المجال إنشاء اللّه تعالى.

الترجمه

اشاره

از جملهٔ كلام هدايت فرجام آن امام عاليمقام است كه جارى مجراى خطبه است، و آن جمع شده است از كلام طويلى كه آن حضرت بعد از وقعهٔ نهروان ادا فرموده اند و مدار آنچه كه سيد اينجا ذكر نموده است بچهار فصل است.

فصل اول

مشتمل است بذكر مناقب جميله و فضايل جليلهٔ خود كه مى فرمايد: پس بر خواستم بأمر خدا و امر حضرت خاتم الأنبياء عليه آلاف التحيه و الثناء در زمانى كه ضعيف شدند و ترسيدند مردمان، و مطلع شدم بر حقايق اشياء و احكام خدا هنگامى كه سر فرو بردند مردمان و عاجز گرديدند، و گويا شدم در احكام مشكله و مسائل معضله در وقتى كه درمانده بودند، و گذشتم بنور خداوند در حينى كه ايستاده و سر گردان شدند، و بودم من پست تر ايشان از حيث آواز و بلندتر ايشان از حيث سبقت بمراتب كمالات و درجات سعادات، پس پرواز نمودم بدوال لجام فضيلت و بتنهائى قيام نمودم ببردن كر و منقبت.

فصل دويم

مشتملست به بيان حال بهجت منوال خود در زمان نشستن در مسند خلافت و استقرار در سرير ولايت كه مى فرمايد: بودم من در آن هنگام مثل كوه با شكوه كه نجنباند او را بادهاى شكننده، و زايل نگرداند او را بادهاى تند و زنده، در حالتى كه نبود هيچ احدى را در شان من جاى عيب و عار و نه هيچ گوينده را در

حق من جای طعن بکردار و گفتار، ذلیل و خوار در نزد من عزیز است و با مقدار تا این که بازیافت بکنم حق او را از جابر و ستمکار، و صاحب قوه و اقتدار در نزد من ضعیف است و بی مقدار تا این که اخذ بکنم از او حق ستم کشیدگان را در روزگار.

فصل سیم

مشتملست برضای بقضای خدا و دفع توهم کذب و افترا در حق آن سرور اوصیا که می فرماید: راضی شدیم از خدا حکم او را و گردن نهادیم مر خداوند را امر او را، آیا گمان می برید مرا که دروغ بگویم بر پیغمبر خدا پس قسم بخداوند هر آینه من اول کسی هستم که تصدیق نمودم او را پس نباشم اول کسی که تکذیب نماید او را.

فصل چهارم

مشتملست باعتذار از ترک جهاد و خصومت با غاصبین خلافت که سبب آن اطاعت و امتثال بود بعهد و وصیت حضرت خاتم رسالت صلوات اللّه و سلامه علیه که می فرماید: پس نظر کردم در امر خود پس ناگاه فرمان بردن من امر پیغمبر را به ترک قتال پیشی گرفته بود بر بیعت من باین گروه بدفعال، و ناگاه پیمان در گردن من بوده از برای غیر من یعنی در ذمهٔ من بود پیمان پیغمبر خدا بطلب خلافت با رفق و مدارا و در صورت عدم حصول آن ترک نمایم جهاد و قتال را، و صبر و رزم و اختیار کنم زاویهٔ خمول و اعتزال را.

و من خطبه له علیه السّلام و هی الثامنه و الثلاثون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و إنّما سمّیت الشّبهه شبهه لأنّها تشبه الحقّ، فأمّا أولیاء اللّه

ص:۱۶۵

فضیاءهم فیها الیقین، و دلیلهم سمت الهدی، و أمّا أعداء اللّه فدعائهم فیها الضّلال، و دلیلهم العمی، فما ینجو من الموت من خافه، و لا یعطی البقاء من أحبّه.

اللغه

(السّمت) بالفتح فالسکون الطریق و هیئه أهل الخیر، و السّیر علی الطریق بالظنّ و حسن النّحو و قصد الشیء و السّکینه و الوقار.

الاعراب

البقاء إمّا بالرّفع کما فی اکثر النّسخ، و هو الأظهر(۱) علی قراءه یعطی بصیغه المجهول أو منصوب کما فی بعضها علی کون یعطی مبنیّا علی الفاعل فیکون مفعولا ثانیا قدّم علی الأوّل.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الکلام له فصلان غیر ملتئمین: فإما أنّ السّید «ره» جمعهما من کلام طویل علی ما هو دابه فی هذا الکتاب، و إمّا أن یکون الفصل الثانی مربوطا علی کلام مذکور قبل الفصل الأوّل حسن ارتباطه به فیکون الفصل الأوّل اعتراضا بینهما و کیف کان.

فالفصل الاول

وارد فی بیان وجه تسمیه الشّبهه و بیان حال النّاس فیها، أمّا وجه التسمیه

ص:۱۶۶

۱- (۱) وجهه ان البقاء مفعول ثان لا داعی الی تقدیمه علی الأوّل مع کونه باقیا علی المفعولیه بخلاف ما لو کان نایبا مناب الفاعل فیکون له حینئذ رتبه المتقدم، منه.

فأشـار إليه بقوله:(و انّمـا سـمّيت الشّـبهه شـبهه لانّها تشـبه الحقّ) اعلم أنّ الشّـبهه هو الالتباس مأخوذه من التشابه و هو كون أحد الشيئين مشابها للآخر بحيث يعجز الذهن عن التّمييز بينهما قال اللّه تعالى:

«إِنَّ الْبَقَرَ تَشـابَهَ عَلَيْنـا » و قـال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله: حلال بيّن و حرام بيّن و شـبهات بين ذلـك ثمّ لما كان من شأن المتشـابهين عجز الانسـان عن التّمييز بينهمـا سـمّى كـلّ ما لا يهتـدى الانسان إليه بالمتشابه، و نظيره المشـكل سـمّى بـذلك لأنّه أشكل أى دخل فى شكل غيره فأشبهه و شابهه.

قال الصّادق عليه السّلام: أمر بيّن رشـده فيتبع، و أمر بيّن غيّه فيجتنب، و أمر مشـكل يردّ علمه إلى اللّه و رسوله، ثمّ يقال لكلّ ما غمض و إن لم يكن غموضه من هـذه الجهه إنّه مشـكل إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ فى قوله إشاره إلى أنّ الامور على ثلاثه: حقّ بيّن رشـده، و باطل بيّن غيّه، و شـبهه بين ذلك سـمّيت بها لأنها تشـبه الحقّ، و اللازم فيها الرّجوع إلى الرّاسـخين فى العلم الّذين تثبتـوا و تمكنـوا فيه، و لهم حسن التـدبر وجـوده الـذّهن لتجرّد عقـولهم عن غواشـى الحسّ لكـون نفوسـهم مشـرقه بنـور اليقين مستضـيئه بنور النبوّه فى سـلوك الصّـراط المسـتقيم، فبهم يكشف النقاب عن وجه الشّبهه و يرتفع الحجاب و يهتدى إلى صوب الصّواب كما قال عليه السّلام.

(فأما أولياء اللّه فضـياؤهم فيها اليقين و دليلهم سمت الهدى) فيخرجون تابعيهم و المهتدين بهم من الرّدى و يدلّونهم على الهدى و هو هدى اللّه سبحانه و تعالى و قد قال:

«فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْـقی » فى البحار من كنز جامع الفوايد و تأويل الآيات باسـناده عن داود النجّار عن أبى الحسـن موسى بن جعفر عليهما السّلام أنّه سأل أباه عن قول اللّه:

«فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی » قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یا أیها النّاس اتّبعوا هدی اللّه تهتدوا و ترشدوا و هو هدای هدای علیّ بن أبی طالب فمن اتّبع هداه فی حیاتی و بعد موتی فقد اتّبع هدای و من اتّبع هدای فقد اتّبع هدی اللّه و من اتّبع هدی اللّه فلا یضلّ و لا یشقی.

(و أمّا أعداء اللّه) الذین فی قلوبهم زیغ و عدول عن الحقّ (فدعاؤهم فیها الضّلال) و الغوی (و دلیلهم العمی) فیهدون المهتدین بهم إلی طریق الرّدی و یخرجونهم عن قصد الهدی و هم الأئمه الهادون إلی النّار الموقفون لتابعیهم کأنفسهم فی غضب الجبّار کما قال تعالی:

«وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَهً ضَنْکاً وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ أَعْمی قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِی أَعْمی وَ قَدْ کُنْتُ بَصِیراً قالَ کَذلِکَ أَتَتْکَ آیاتُنا فَنَسِیتَها وَ کَذلِکَ الْیَوْمَ تُنْسی ».

روی فی الکافی عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَهً ضَنْکاً » قال: یعنی به ولایه أمیر المؤمنین قلت:

«وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ أَعْمی » قال یعنی أعمی البصر فی الآخره أعمی القلب فی الدّنیا عن ولایه أمیر المؤمنین قال و هو سیحشر یوم القیامه یقول:

«رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِی أَعْمی وَ قَدْ کُنْتُ بَصِیراً قالَ کَذلِکَ أَتَتْکَ آیاتُنا »

ص:۱۶۸

قال الآيات الأئمه علیهم السّـلام «فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى » یعنی ترکتها فکذلک تترک فی النّار کما ترکت الأئمه فلم تطع قولهم و لم تسمع أمرهم.

و قد ظهر ممّا ذکرنا أنّ مقصوده بذلک الاشاره إلی وجوب الرّجوع فی الوقایع المشتبهه و الامور الملتبسه إلی أئمه الحقّ الّذینهم أولیاء اللّه سبحانه و تعالی، لأنّهم من حیث کمال نفوسهم القدسیّه بنور الیقین قادرون علی رفع الشکوکات و دفع الشّبهات، و من حیث أنّ دلیلهم سمت الهدی یهدون الرّاجعین إلیهم إلی طریق النّجاه.

و أما أئمه الجور الّذینهم أعداء اللّه عزّ و علا فلا یمکن الرّجوع فیها إلیهم لأنّهم من حیث اتّصافهم بالجهل و العمی عاجزون عن رفع النّقاب و کشف الحجاب فی الامور المشتبهه و الوقایع المشکله، و من حیث إنهم معزولون عن الحقّ یدعون الراجعین إلیهم و التابعین لهم الی طریق الضّلال.

و قد قال لکمیل بن زیاد: النّاس ثلاثه: عالم ربّانی، و متعلّم علی طریق النجاه، و همج رعاع أتباع کلّ ناعق یمیلون مع کلّ ریح لم یستضیئوا بنور العلم و لم یلجئوا إلی رکن وثیق هذا.

و یحتمل أن یکون غرضه بذلک الکلام الاشاره إلی خصوص أمر الخلافه الذی اشتبه علی الناس و صاروا منه فی شبهه فمنهم من رآه أهلالها و اقتدی فسعد و نجی و صار من أصحاب الصراط السویّ و اهدی، فتنوّر قلبه بنوره علیه السّـلام و یهدی اللّه لنوره من یشاء من عباده، و منهم من قدّم غیره علیه و ائتمّ به فضلّ و هلک و خاب و غوی و یحشر یوم القیمه أعمی(۱).

۱- (۱) روی فی البحار من کنز جامع الفوائد و تاویل الایات باسناده عن عیسی بن داود عن موسی بن جعفر «علیه السلام» فی قول اللّه عزّ و جلّ «فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدى» قال الصراط السویّ هو القائم «علیه السلام» و الهدی من اهدی طاعته و مثلها فی کتاب اللّه عزّ و جلّ «وَ إِنِّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى»، منه.

و إلى الفريقين أشير فى قوله عزّ و جلّ:

«أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ » قال علىّ بن ابراهيم فى تفسيره: جاهلا عن الحقّ و الولايه فهديناه اليها.

«وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ » قال النّور الولايه «كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها » يعنى فى ولايه غير الأئمّه (عليهم السلام) «كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ » و روى العياشى عن بريد العجلى قال: قال:

«أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ » قال الميت الّذى لا يعرف هذا الشأن قال أ تدرى ما يعنى ميتا قال قلت: جعلت فداك لا، قال الميت الذى لا يعرف شيئا فأحييناه بهذا الأمر و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال إماما فأتمّ به قال:

«كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها » قال كمثل هذا الخلق الّذين لا يعرفون الامام.

و فى قوله: «اَللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ » قال الصادق عليه السّلام فى روايه الكافى عن ابن أبى يعفور عنه عليه السّلام من ظلمات الذّنوب إلى نور التّوبه أو المغفره لولايتهم كل امام عادل من اللّه قال:

«وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ »

ص:۱۷۰

«إِلَى الظُّلُماتِ» فأىّ نور يكون للكافر فيخرج منه إنّما عنى بهذا أنّهم كانوا على نور الاسلام فلمّا تولّوا كلّ امام جاير ليس من اللّه خرجوا بولايتهم إيّاهم من نور الاسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب اللّه لهم النّار مع الكفّار و قال:

«أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» والى الفرقه الاولى خاصّه وقعت الاشاره فى قوله سبحانه:

«فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنا» قال أبو خالد سألت أبا جعفر عليه السّلام عن هذه الآيه فقال عليه السّلام: يا أبا خالد النّور و اللّه الأئمه إلى يوم القيامه هم و اللّه نور اللّه الذى انزل، و هم و اللّه نور اللّه فى السّموات و الأرض و اللّه يا أبا خالد لنور الامام فى قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئه بالنّهار، و هم و اللّه ينوّرون قلوب المؤمنين و يحجب اللّه نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، و اللّه يا أبا خالد لا يحبّنا عبد و يتولاّنا حتّى يطهر اللّه قلبه، و لا يطهر اللّه قلب عبد حتّى يسلم و يكون سلما لنا، فاذا كان سلما لنا سلّمه اللّه من شديد الحساب و آمنه من فزع يوم القيامه الاكبر.

والى الفرقه الثّانيه خاصّه اشيرت فى قوله سبحانه:

«فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ» فقد روى فى الكافى باسناده عن عبد الرّحمن بن كثير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله عزّ و جلّ:

«هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ» قال أمير المؤمنين و الأئمّه عليهم السّلام «وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ» قال فلان و فلان

و فلان «فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَه وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ » و هم أمير المؤمنين و الأئمّه عليهم السّلام هذا.

و غير خفىّ على النّاقد البصير المجدّ الخبير أنّ التّأويل الذى ذكرته فى شرح كلامه عليه السّلام ممّا لم يسبقنى أحد من الشّراح، و إنّما حاموا حول القيل و القال و أخذوا بشرح ظاهر المقال و قد هدانى إلى هذا التحقيق نور التوفيق، و قد اهتديت إليه بميامن التمسك بولايه أئمّه الهدى و الاعتصام بعراهم الوثقى، «رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهّابُ ».

و الفصل الثانى

وارد فى مقام التذكير بالموت الذى هو هادم اللذات كما قال عليه السّلام (فما ينجو من الموت من خافه) يعنى:

«إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » و قوله عليه السّلام (و لا يعطى البقاء من أحبّه) يعنى أنّ حبّ البقاء فى الدّنيا لا يثمر البقاء فيها و فى معنى هذا الفصل قال فى الدّيوان المنسوب إليه:

أرى الدّنيا ستؤذن بانطلاق مشمّره على قدم و ساق

فلا الدّنيا بباقيه لحىّ و لا حىّ على الدّنيا بباق

و قال ايضا

حياتك انفاس تعدّ فكلّمامضى نفس منها انتقضت به جزءا

ص:١٧٢

و یحییک ما یفنیک فی کلّ حاله و یحدوک حاد ما یرید بک الهزءا

فتصبح فی نفس و تمسی بغیرها و مالک من عقل تحسّ به رزءا

و قال ایضا

الموت لا والدا یبقی و لا ولداهذا السبیل الی أن لا تری أحدا

کان النّبیّ و لم یخلد لامّتهلو خلّد اللّه خلقا قبله خلدا

للموت فینا سهام غیر خاطئهمن فاته الیوم سهم لم یفته غدا

الترجمه

از جمله خطب آن حضرت است که مشتمل است بدو فصل یکی در بیان وجه تسمیهٔ شبهه می فرماید که: بدرستی نام نهاده شد شبهه بشبهه بجهه آنکه آن شباهت دارد بحق پس أما دوستان خدا پس روشنی ایشان در آن شبهه نور یقین است، و راه نمائی ایشان قصد راه راست است، و أما دشمنان خدا پس خواندن ایشان در امور مشتبه گمراهی است و ضلالت، و دلیل ایشان کوری است و عدم بصیرت فصل دوم در تذکیر موت می فرماید: پس نجات نیافت از مرگ کسی که ترسید از او، و عطا نشد بقا بر کسی که دوست داشت آنرا، بلکه مآل هر دو أجل است پس هر که راه خدا گزید به بهشت و نعیم رسید، و هر که راه دشمنان خدا اختیار نمود گرفتار عقوبت و جهنم گردید.

و من خطبه له علیه السّلام و هی التاسعه

اشاره

و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

خطب بها فی غزاه النّعمان بن بشیر بعین التّمر علی ما تعرفها إن شاء اللّه قال:

ص:۱۷۳

منیت بمن لا ـ یطیع إذا أمرت، و لا ـ یجیب إذا دعوت، لا ـ أبا لکم ما تنتظرون بنصرکم ربّکم، أما دین یجمعکم، و لا ـ حمیّه تحمشکم أقوم فیکم مستصرخا، و أنادیکم متغوّثا، فلا تسمعون لی قولا، و لا تطیعون لی أمرا، حتّی تکشف الامور عن عواقب المساءه، فما یدرک بکم ثار، و لا یبلغ بکم مرام، دعوتکم إلی نصره إخوانکم فجرجرتم جرجره الجمل الأسرّ، و تثاقلتم تثاقل النّضو الأدبر، ثمّ خرج إلیّ منکم جنید متذائب ضعیف، «کَأَنَّما یُساقُونَ إِلَی الْمَوْتِ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ ». قال السّید (ره) أقول قوله علیه السّلام: متذائب أی مضطرب من قولهم تذائبت الرّیح ای اضطرب هبوبها، و منه سمی الذّئب ذئبا لاضطراب مشیته.

اللغه

(منیت) علی البناء للمفعول ای ابتلیت و (حمشه) جمعه کحمشه و أغضبه کأحمشه و حمش القوم ساقهم بغضب و (المستصرخ) المستنصر مأخوذ من الصّراخ و هو الصّیاح باستغاثه و (المتغوث) القائل و اغوثاه و (تکشف) بصیغه المضارع من باب ضرب أی تظهر و فی بعض النّسخ تنکشف و فی بعضها تکشف بصیغه الماضی من باب التّفعل یقال تکشف الامر و انکشف أی ظهر.

و (الثّار) الدّم و الطلب به و قاتل حمیمک قاله فی القاموس و (الجرجره) صوت یردّده الابل فی حنجرته و أکثر ما یکون ذلک عند الاعیاء و التّعب و (السرر)

ص:۱۷۴

داء يأخذ البعير فى سرّته يقال: منه جمل السّر و (النّضو) البعير المهزول و (الأدبر) الذى به دبر و هى القروح فى ظهره و (الجنيد) تصغير الجند للتحقير.

الاعراب

ما تنتظرون استفهام على سبيل الانكار التّوبيخى، و أ ما دين يجمعكم استفهام على سبيل التّقرير أو للتّوبيخ، و مستصرخا و متغوثا منصوبان على الحال من فاعل أقوم و أنادى، و قوله: حتّى تكشف الامور الغايه داخل فى حكم المغيّى، و على ما فى بعض النّسخ من تكشف بصيغه الماضى فحتّى ابتدائيه على حدّ قوله سبحانه:

ثمّ بدلنا مكان السّيئه الحسنه حتّى عفوا، و إضافه العواقب إلى المسائه بيانيّه، و جمله و هم ينظرون منصوبه المحلّ على الحال من فاعل يساقون.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه خطب بها فى غزاه النعمان بن بشير الأنصارى على عين التّمر، و هو عين ماء قرب الكوفه، و كيفيه تلك الغزوه على ما ذكره فى شرح المعتزلى من كتاب الغارات هى أنّ النّعمان قدم هو و أبو هريره على علىّ من عند معاويه بعد أبى مسلم الخولانى يسألانه أن يدفع قتله عثمان إلى معاويه ليقدهم بعثمان لعلّ الحرب أن يطفأ و يصطلح النّاس.

و إنّما أراد معاويه أن يرجع مثل النّعمان و أبى هريره من عند علىّ عليه السّلام و هم لمعاويه عاذرون و لعلىّ لايمون و قد علم معاويه أنّ عليا لا يدفع قتله عثمان اليه، فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشّام بذلك و أن يظهرا عذره، فقال لهما ائتيا عليّا فانشداه اللّه و سلاه باللّه لما دفع الينا قتله عثمان فانّه قد آواهم و منعهم ثمّ لا حرب بيننا و بينه، فان أبى فكونوا شهداء للّه عليه و أقبلا على النّاس فاعلماهم ذلك، فأتيا إلى علىّ عليه السّلام فدخلا عليه.

فقال له أبو هريره: يا أبا الحسن انّ اللّه قد جعل لك فى الاسلام فضلا و شرفا أنت ابن عمّ محمّد رسول اللّه، و قد بعثنا اليك ابن عمّك معاويه يسألك أمرا يسكن به هذه الحرب و يصلح اللّه تعالى به ذات البين أن تدفع إليه قتله عثمان ابن عمّه فيقتلهم به، و يجمع اللّه تعالى أمرك و أمره و يصلح بينكم و تسلم هذه الأمّه من الفتنه و الفرقه.

ص:١٧٥

ثمّ تكلّم النّعمان بنحو من هذا.

فقال عليه السّلام لهما دعا الكلام فى هذا حدّثنى عنك؟ يا نعمان أنت أهدى قومك سبيلا؟ يعنى الأنصار قال: لا قال: فكل قومک تبعنى إلا شذاذ منهم ثلاثه أو أربعه أ فتكون أنت من الشّذاذ؟ فقال النّعمان: أصلحك اللّه إنّما جئت لأكون معك و ألزمک و قد كان معاويه سألنى أن أؤدّى هذا الكلام و رجوت أن يكون لى موقف اجتمع فيه معك و طمعت أن يجرى اللّه بينكما صلحا، فاذا كان غير ذلك رأيك فأنا ملازم و كاين معك فأما أبو هريره فلحق بالشّام و أقام النّعمان عند علىّ عليه السّلام فأخبر أبو هريره معاويه بالخبر فأمره أن يعلم الناس ففعل.

و أقام النّعمان بعده ثمّ خرج فارّا من علىّ حتّى إذا مرّ بعين التمر أخذه مالك بن كعب الأرحبى و كان عامل علىّ عليها فأراد حبسه و قال له: ما مرّبک ههنا؟! قال إنّما أنا رسول بلّغت رساله صاحبى ثمّ انصرفت فحبسه، و قال كما أنت حتى اكتب إلى علىّ فيک فناشده و عظم عليه أن يكتب إلى علىّ فيه فأرسل النّعمان إلى قرطه بن كعب الانصارى و هو كاتب عين التّمر يجبى خراجها لعلىّ عليه السّلام فجائه مسرعا فقال لمالك بن كعب: خلّ سبيل ابن عمّى يرحمك اللّه، فقال يا قرطه اتّق اللّه و لا تتكلّم فى هذا فانّه لو كان من عبّاد الانصار و نسّاكهم لم يهرب من أمير المؤمنين عليه السّلام إلى أمير المنافقين فلم يزل به يقسم عليه حتّى خلا سبيله و قال له يا هذا لک الأمان اليوم و الليله و غدا و اللّه لان أدركتک بعدها لأضربنّ عنقک.

فخرج مسرعا لا يلوى على شىء و ذهبت به راحلته فلم يدر اين يتأكع من الارض ثلاثه إيام لا يعلم أين هو ثمّ قدم الى معاويه فخبره بما لقى و لم يزل معه مصاحبا له يجاهد عليّا و يتبع قتله عثمان حتّى غزا الضّحاک بن قيس أرض العراق، ثمّ انصرف إلى معاويه فقال معاويه: أما من رجل أبعث معه بجريده خيل حتى يغير على شاطى الفرات فانّ اللّه يرغب بها أهل العراق فقال له النّعمان: فابعثنى فانّ لى فى قتالهم نيّه و هوى، و كان النّعمان عثمانيّا، قال فانتدب على اسم اللّه فانتدب و ندب

ص:۱۷۶

معه ألفى رجل و أوصاه أن يتجنّب المدن و الجماعات، و أن لا يغير إلّا على مسلحه و أنّ يعجّل الرّجوع.

فأقبل النّعمان حتّى دنى من عين التّمر و بها مالك بن كعب الارحبى الّذى جرى له معه ما ذكرناه و مع مالك ألف رجل و قد أذن لهم فقد رجعوا إلى الكوفه فلم يبق معه إلّا مأئه أو نحوها.

فكتب مالك إلى علىّ عليه السّلام أمّا بعد فانّ النّعمان بن بشير قد نزل بى فى جمع كثيف فمر رأيك سدّدك اللّه تعالى و ثبّتك و السّلام.

فوصل الكتاب إلى علىّ عليه السّلام فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: اخرجوا هداكم اللّه إلى مالك بن كعب أخيكم، فانّ النّعمان بن بشير قد نزل به فى جمع من أهل الشّام ليس بالكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعلّ اللّه يقطع بكم من الكافرين طرفا ثمّ نزل.

فلم يخرجوا فأرسل عليه السّلام إلى وجوههم و كبرائهم فأمر أن ينهضوا و يحثّوا النّاس على المسير فلم يصنعوا شيئا و اجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائه فارس أو دونها فقام عليه السّلام.

فقال :ألا ـ إنّى (منيت بمن لا يطيع) نى (إذا أمرت و لا يجيب) دعوتى (اذا دعوت) و هو اظهار لعذر نفسه على أصحابه لينسب التّقصير اليهم دونه و يقع عليهم لائمه غيرهم (لا ـ ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربّكم) و هو توبيخ لهم على التّثاقل و التقاعد و الانتظار و استنهاض بهم على نصره اللّه (أ ما دين يجمعكم و لا حميه تحمشكم) و هو إمّا تقرير لهم بما بعد النفى ليقرّوا بذلك و يعترفوا بكونهم صاحب دين و حميه فيلزم عليهم الحجه و يتوجّه عليهم اللّوم و المذمّه، و إمّا توبيخ بعدم اتّصافهم بدين جامع و حميه مغضبه.

و نظيره فى الاحتمالين قوله سبحانه:

«أَ لَيْسَ اللّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ »

ص:۱۷۷

و علی التّقدیرین فالمقصود به حثّهم و ترغیبهم علی الجهاد تهیجا و إلهابا بأنّ صاحب الدّین و الحمیّه لا یتحمّل أن ینزل علی إخوانه المؤمنین داهیه فلا تنصرهم مع قدرته علی الذّبّ عنهم و تمکّنه من حمایه دمارهم و معاونتهم.

(أقوم فیکم مستصرخا، و أنادیکم متغوّثا، فلا تسمعون لی قولا، و لا تطیعون لی امرا حتّی تکشف الامور عن عواقب المسائه) أراد أنّ عدم طاعتهم له مستمرّ إلی أن تظهر الامور(۱) أی الامور الصّادره عنهم عن عواقب السّوء و ترجع مآلها إلی النّدامه و ملامه النّفس اللّوامه، أو المراد انه ظهر(۲) الامور الفظیعه ای الامور الصّادره عن عدوّهم بالنّسبه الیهم کالقتل و الغاره و انتقاص لاطراف.

(فما یدرک بکم ثار و لا یبلغ بکم مرام) تهییج لهم علی التألف فی النّصره إذ من شأن العرب ثوران طباعهم بمثل هذه الأقوال(دعوتکم إلی نصر إخوانکم فجرجرتم جرجره الجمل الاسرّ)قال الشّارح البحرانی استعار لفظ الجرجره لکثره تملّلهم و قوّه تضجّرهم من ثقل ما یدعوهم إلیه، و لمّا کانت جرجره الجمل الأسرّ أشدّ من جرجره غیرها لاحظ شبه ما نسبه إلیهم من التضجّر بها، و کذلک التشبیه فی قوله(و تثاقلتم تثاقل النّضو الأدبر).

و قوله (ثمّ خرج إلیّ منکم جنید متذائب) مضطرب (ضعیف) اشاره إلی حقاره شأنهم و قلّه عددهم و قد ذکرنا أنهم کانوا نحوا من ثلاثمائه أو دونها و قوله (کأنّما یساقون إلی الموت و هم ینظرون) اشاره إلی شدّه خوفهم و جبنهم و اضطرابهم فیما یساقون إلیه مثل اضطراب من یساق إلی الموت و خوفه منه هذا.

و قال صاحب الغارات: إنّه بعد ما خطب هذه الخطبه نزل من المنبر فدخل منزله، فقام عدیّ بن حاتم فقال: هذا و اللّه الخذلان ما علی هذا بایعنا أمیر المؤمنین، ثمّ دخل إلیه فقال: یا أمیر المؤمنین انّ معی من طیّ ألف رجل لا یعصوننی فان شئت أن أسیر بهم سرت، قال: ما کنت لأعرض قبیله واحده من قبایل العرب للنّاس و لکن اخرج

۱- (۱) هذا المعنی علی کون تکشف بصیغه المضارع من باب ضرب، منه.

۲- (۲) هذا المعنی مبنی علی کون تکشف بصیغه الماضی من باب التفعل و نحوه تنکشف بصیغه المضارع من باب الانفعال علی ما فی بعض النسخ، منه.

إلى النخيله و عسكر بهم، فخرج و عسكر و فرض علىّ عليه السّلام لكلّ رجل منهم سبعمائه فاجتمع إليه ألف فارس عداطيا أصحاب عدىّ و ورد عليه الخبر بهزيمه النعمان.

و روى عبد اللّه بن جوزه الأزدى قال: كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النّعمان و هو فى ألفين و ما نحن إلّا مأئه، فقال لنا: قاتلوهم فى القريه و اجعلوا الجدر فى ظهوركم و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكه، و اعلموا أنّ اللّه ينصر العشره على المأه و المأه على الألف و القليل على الكثير.

ثمّ قال انّ اقرب من ههنا إلينا من شيعه أمير المؤمنين قرطه بن كعب و مخنف ابن سليم فاركض إليهما فاعلمهما حالنا و قل لهما فلينصرانا فمررت بقرطه فاستصرخته فقال إنّما أنا صاحب خراج و ليس عندى من اغيثه به، فمضيت إلى مخنف فسرح معى عبد الرّحمن بن مخنف فى خمسين رجلا.

و قاتل مالك و أصحابه النّعمان و أصحابه إلى العصر فأتيناه و قد كسر هو و أصحابه جفون سيوفهم و استقبلوا الموت، فلو أبطانا منهم هلكوا، فما هو إلاّ ان رآنا أهل الشام و قد أقبلنا عليهم أخذوا ينكصون عنهم و يرتفعون و رائنا مالك و أصحابه فشدّوا عليهم حتّى دفعوهم عن القريه، فاستعرضناهم فصرعنا منهم رجالا ثلاثه فظنّ القوم أنّ لنا مددا و حال الليل بيننا و بينهم فانصرفوا إلى أرضهم.

و كتب مالك إلى علىّ عليه السّلام أمّا بعد: فانّه نزل بنا النّعمان بن بشير فى جمع من أهل الشّام كالظاهر علينا و كان أعظم أصحابى متفرّقين و كنا للّذى كان منهم آمنين فخرجنا رجالا مصلتين فقاتلناهم حتّى المساء و استصرخنا مخنف بن سليم فبعث لنا رجالا من شيعه أمير المؤمنين و ولده، فنعم الفتى و نعم الأنصار كانوا فحملنا على عدوّنا و شددنا عليهم، فأنزل اللّه علينا نصره و هزم عدوّه و أعزّ جنده و الحمد للّه ربّ العالمين و السّلام على أمير المؤمنين و رحمه اللّه و بركاته.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست در وقتى كه نعمان بن بشير بأمر معاويه بد ضمير با دو هزار سوار بجهت تخويف أهل عراق از شام حركت نموده چون بعين التمر رسيد با مالك بن كعب ارحبى كه عامل أمير المؤمنين بود جنك نموده مالك

آن حضرت را از ما وقع اخبار نموده آن حضرت هر چند ترغیب فرمود أصحاب خود را بنصرت مالك و کارزار دشمنان ایشان تکاهل ورزیدند پس حضرت این خطبه را خواند که:

مبتلاـ شدم بکسی که اطاعت نمی کند مرا در قتال أهل ضلال هرگاه أمر نمایم او را به آن، و اجابت نمی نماید قول مرا در جدال هر گاه دعوت میکنم او را به آن، پدر مباد شما را چه انتظار می کشید بیاری دادن پروردگار خود آیا نیست شما را دینی که جمع نماید شما را از این تفرّق و اختلاف آراء، و نیست غیرتی که بخشم آورد شما را أز این حرکت و کردار أعداء، ایستاده ام در میان شما فریاد کننده بجهت دفع أشرار، و می خوانم شما را بفریاد رسی در قتل دشمنان جفا کار.

پس گوش نمی دهید به گفتار من، و اطاعت نمی کنید بأمر و فرمان من تا این که اظهار میکند این کارهای ناشایستهٔ شما از عاقبت های بدی، یا این که ظاهر می شود کارهای دشوار از عاقبت های بد، پس ادراک نمی شود با عانت شما کینه جوئی و خون خواهی از اعداء، و رسیده نمی شود بیاری و حمایت شما مقصودی از مقصودها.

دعوت کردم شما را بیاری برادران خودتان پس آواز گردانیدید در حنجره بجهت دلتنگی از دعوت من چون آواز گردانیدن شتری که درد ناف داشته باشد و ناله کند از آن، و گرانی نمودید در کار زار چون گرانی شتر لاغر ریش پشت در رفتار، پس بیرون آمد بسوی شما از جانب شما لشکرکی مضطرب و ناتوان گویا که رانده میشوند با جبر و اکراه بسوی مرگ در حالتی که نظر میکند بشداید مرگ و أهاویل آن.

و من كلام له عليه السّلام فى الخوارج و هو الاربعون من

اشاره

المختار فى باب الخطب

لمّا سمع قولهم لا حكم إلّا للّه قال عليه السّلام: كلمه حقّ يراد بها الباطل

ص:۱۸۰

نعم إنّه لا ـ حكم إلاّ ـ للّه و لكن هؤلاء ـ يقولون: لا إمره و إنّه لا بـدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر، يعمل فى إمرته المؤمن، و يستمتع فيها الكافر، و يبلّغ اللّه فيها الأجل، و يجمع به الفىء، و يقاتل به العدوّ، و تأمن به السّبل، و يؤخذ به للضّعيف من القوىّ حتّى يستريح برّ، و يستراح من فاجر. و فى روايه أخرى أنّه لمّا سمع تحكيمهم قال: حكم اللّه أنتظر فيكم، و قال عليه السّلام: أمّا الامره البرّه فيعمل فيها التّقىّ، و أمّا الامره الفاجره فيتمتّع فيها الشّقىّ، إلى أن تنقطع مدّته و تدركه منيّته.

اللغه

(نعم) بفتحتين حرف جواب لتصديق المخبر إذا وقعت بعد الخبر و (الامره) بالكسر الولايه اسم مصدر من امر علينا مثلثه اذا ولى و (البرّ) بفتح الباء كالبارّ الكثير البرّ و الجمع أبرار و (الفىء) الغنيمه و لفظ (التّحكيم) فى قول الرّضى (ره) من المصادر المولّده من قولهم لا حكم إلاّ للّه مثل التسبيح و التهليل من قول سبحان اللّه و لا إله إلاّ اللّه.

الاعراب

لكن مخففّه من الثقيله و هى حرف ابتداء غير عامله لدخولها على الجملتين و معناها الاستدراك و فسّر بأن ينسب لما بعدها حكما مخالفا لما قبلها، و لذلك لا بدّ أن يتقدّمها كلام مناقض لما بعدها، نحو ما هذا ساكنا و لكن متحرّك، أو ضدّ له نحو ما هذا أبيض و لكن أسود، قيل أو خلاف نحو ما زيد قائما و لكن شارب، و قيل لا يجوز ذلك و كلامه عليه السّلام دليل على الجواز.

و جمله و أنّه لا بـدّ للنّاس اه حاليّه، و الضّـمير فى أنّه للشّأن: و جمله يعمل فى امرته كالتّاليه لها مجروره المحلّ على الوصـفيّه، و قوله حتّى يستريح كلمه حتّى إمّا بمعنى إلى على حدّ قوله سبحانه:

«حَتّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى » أو بمعنى كى التعليليّه على حدّ قوله:

«وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتّى يَرُدُّوكُمْ » و قوله: «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حَتّى يَنْفَضُّوا ».

المعنى

اشاره

قد مضـى فى شـرح الخطبه السادسه و الثّلاثين كيفيّه قتال الخوارج، و مرّ هناك أنّهم اتّخذوا قول لا حكم إلاّ للّه شعارا لهم و أنّه عليه السّـلام لمّـا دخـل الكوفه جـاء اليه زرعه بن البرج الطائى و حرقوص بن زهير التّميمى ذو الثّـديه فقال: لا حكم إلا للّه و مرّ أيضا أنّه خرج يخطب النّاس فصاحوا به من جوانب المسجد لا حكم إلاّ للّه و صاح به رجل:

«وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْـرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِـرِينَ » فقال عليه السّلام: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ لا يَسْـتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ » و لما سمع قولهم لا حكم إلاّ للّه قال عليه السّلام إنّها (كلمه حقّ يراد بها الباطل) أمّا انّها كلمه حقّ فلكونها مطابقه لنفس الأمر إذ هو سبحانه أحكم الحاكمين لارادّ لحكمه و لا دافع لقضائه كما قال تعالى:

«إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ ».

يعنى أنّه إذا أراد شيئا لا بدّ من وقوعه و يحتمل أن يكون الحكم لحقيّتها نظرا إلى كون

جميع الأحكام مستندا إليه سبحانه بملاحظه أنّه سبحانه جاعلها و شارعها كما قال:

«لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً ».

و لأجل مطابقتها لنفس الأمر صدّقهم بقوله (نعم لا حكم إلاّ للّه) و أما أنّهم أرادوا بها الباطل فلأنّ مقصودهم بذلك إنّما كان إبطال جعل الحكمين و إنكار صحّه تفويض الأمر إليهما بزعم أنّ الأحكام كلّها للّه سبحانه، و هو الحاكم لا غير، فلا يجوز لأحد الحكم فى شىء من الأشياء إلاّ بنصّ به فى القرآن، فلا يصح التّحكيم و إناطه الأمر برأى الحكمين، لعدم ورود نصّ فيه بصحّته، و هو معنى قولهم بعد ما سمعوا صحيفه الصّلح فى صفّين على ما مرّ: الحكم للّه يا علىّ لا لك فلا نرضى بأن يحكم الرّجال فى دين اللّه، و قولهم لابن عبّاس لما احتجّ معهم بأمره: و الرّابعه أنّه حكم الرجال فى دين اللّه و لم يكن ذلك إليه.

و وجه بطلان ذلك أوّلا ـ أنّ كون الأحكام للّه لا يستلزم كون جميع الأحكام منصوصا به فى القرآن إذربّ حكم مستنبط من السنه و من ساير الأدلّه الشرعيه، و هو لا يخرج بذلك عن كونه حكم اللّه و ثانيا منع عدم ورود النصّ بالتحكيم فى القرآن و قد امر بالتّحكيم فى شقاق بين الرّجل و امرئته فقال سبحانه:

«فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها » و حكم الرّجال فى طاير فقال: «وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ » فدماء المسلمين أعظم من دم طاير، و الشّقاق بينهم أشدّ من الشقاق بين الرّجل و المرأه.

و ثالثا أنّ مقتضى نفيهم الحكم لغير اللّه هو نفى الاماره للملازمه التى بينهما كما أشار إليه بقوله (و لكن هؤلاء يقولون لا امره) إلاّ أنّ التّالى باطل فالمقدّم مثله بيان الملازمه أنّ الأمير لا بدّ أن يكون حاكما و ناظرا إلى وجوه المصلحه فاذا لم يجر له حكم و لم ينفذ له امر و لم يمض له رأى فلا ـ يكون له اماره البته (و) أمّا بطلان التّالى فلأنّه (لا بدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر) و ذلك لأنّ النوع

الانسانى بمقتضى النّفس الأمّاره المودعه فيه مايل إلى الشّرور و المفاسد، فلا بدّ فى بقاء نظامهم و انتظام أمر معاشهم و معادهم من مانع يمنعه من ظلمه، و رادع يردعه عن شرّه.

و العلّه المانعه عند الاستقراء مرجعها إلى أحد أمور أربعه إمّا عقل زاجر أو دين حاجز أو عجز مانع أو سلطان رادع، و السّلطان القاهر أبلغها نفعا لأنّ العقل و الدّين ربّما كانا مغلوبين بدواعى الهوى فيكون رهبه السّلطان أقوى ردعا و أعمّ نفعا و إن كان جائرا و لهذا اشتهر أنّ ما نزع السّلطان أكثر ممّا نزع القرآن، و ما يلتئم بالسّنان لا ينتظم بالبرهان.

و كفاك شاهدا ما يشاهد من استيلاء الفتن و الابتلاء بالمحن بمجرّد هلاك من يقوم باماره الحوزه و رعايه البيضه و إن لم يكن على ما ينبغى من الصّلاح و السّداد، و لم يخل من شائبه شرّ و فساد و لهذا لا ينتظم أمر أدنى اجتماع كرفقه طريق بدون رئيس يصدرون عن رأيه و مقتضى أمره و نهيه.

بل ربّما يجرى مثل هذا فيما بين الحيوانات العجم كالنّحل لها يعسوب يقوم مقام الرئيس ينتظم أمرها ما دام فيها، فاذا هلك انتشر الأفراد انتشار الجراد و شاع فيما بينها الهلاك و الفساد.

و بالجمله فقد تلخّص ممّا ذكرنا أنّ وجود السّلطان و إن كان جائرا خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنه و وقوع الهرج و المرج بين الخلق إذ كان بوجوده صلاح بعض الامور، على أنّه و ان كان لا خير فيه أيضا من جهه جايريّته إلاّ أنّ هيبته و وجوده بين الخلق ممّا يوجب الانزجار عن إثاره الفتن و يكون ذلك خيرا وقع فى الوجود بوجوده لا يحصل مع عدمه، فوجوده مطلقا واجب.

و هذا معنى قوله و لا بدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر و قوله (يعمل فى امرته المؤمن) روى فى شرح المعتزلى عن بعض شارحى كلامه عليه السّلام أنّ النّظر فيه إلى أماره الفاجر و هكذا الألفاظ التى بعد ذلك كلّها راجعه إليها و أنّ المقصود بذلك أنّ أماره الفاجر ليست بمانعه للمؤمن من العمل لأنّه يمكنه أن يصلّى و يصوم و يتصدّق

و إن كان الأمير فاجرا فى نفسه(۱) و بقوله (و يستمتع فيها الكافر) أنّه يتمتّع بمدّته كما قال سبحانه للكافرين:

«قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّارِ ».

و قال الشّارح البحرانى: الضّمير فى امرته راجع إلى الأمير، و لمّا كان لفظ الأمير محتملا للبرّ و الفاجر كان المراد بالامره التى يعمل فيها المؤمن امره الأمير من حيث هو برّ و بالتى يستمتع فيها الكافر امرته من حيث هو فاجر قال:

و هذا أولى من قول بعض الشّارحين إنّ الضّمير يعود إلى الفاجر فانّ إمره الفاجر ليست مظنه تمكن المؤمن من عمله.

و المراد بعمل المؤمن فى امره البرّ عمله على وفق أو امر اللّه و نواهيه إذ ذلك وقت تمكنه منه و المراد باستمتاع الكافر فى إمره الفاجر انهماكه فى اللذات الحاضره التى يخالف فيها أوامر اللّه و نواهيه و ذلك وقت تمكّنه من مخالفه الدّين.

أقول و يؤيّد هذا الوجه الرّوايه الاخرى الآتيه، و يمكن أن يكون المعنى أنّه لا بدّ من انتظام امور المعاش من أمير برّ أو فاجر ليعمل المؤمن بما يستوجب به جنّات النعيم، و يتمتّع فيها الكافر ليكون حجّه عليه (و يبلغ اللّه فيها الاجل) أى فى أماره الأمير برّا كان أو فاجرا و فايده هذه الكلمه تذكير العصاه ببلوغ الأجل و تخويفهم به (و يجمع به) أى بالأمير مطلقا (الفىء و يقاتل ب) وجود (ه العدوّ و تأمن ب) سطوت (ه السّبل و يؤخذ ب) عد ل (ه) الحقّ (للضّعيف من القوىّ) و هذه الامور كلّها ممكنه الحصول فى أماره الفاجر كحصولها فى أماره البرّ.

أ لا ترى أنّ امراء بنى اميّه مع كونهم فسّاقا كان الفىء يجمع بهم و البلاد تفتح فى أيامهم، و الثغور الاسلاميه محروسه و السّبل آمنه، و القوىّ مأخوذ بالضّعيف، و لم يضرّ جورهم شيئا فى تلك الامور.

و قوله (حتّى يستريح برّ و يستراح من فاجر) يعنى أنّ هذه الامور لا تزال

۱- (۱) عطف على قوله بذلك، منه.

تحصـل بوجود الامير برّا كان أو فاجرا إلى أن يستريـح البرّ من الامراء أو مطلق النّاس و يستريـح النّاس من الأمير الفاجر أو مطلق الفـاجر بـالموت أو العزل، و فيهمـا راحه للبرّ لأنّ الآخره خير من الاولى و لا يجرى الامور غالبا على مراده و لا يستلذّ كالفاجر بالانهماک فی الشّهوات، و راحه للناس من الفاجر لخلاصهم من جوره و إن انتظم به نظام الکلّ فی المعاش.

و على كون حتّى مرادفه کی التّعليليه فـالمعنى أنّ غايه صـدور هـذه الامور أن يستريـح البرّ من النّاس فی دوله البرّ من الامراء، و يستريـح النـاس مطلقـا من بغى الفجـار و من الشـرور و المكـاره فی دوله الأمير مطلقا، و لا ينافی ذلک اصابه المكروه من فاجر احيانا هذا.

و قـال السّيد ره (و فی روايه اخرى انّه) عليه السّلام (لمـا سـمع تحكيمهم قال حكم اللّه انتظر فيكم) ای جريان القضاء بقتلهم و حلول وقت القتـل و قـد مرّت هـذه الرّوايه فی شـرح الخطبه الخـامسه و الثلاثين عن ابن و يزيل فی كتاب صـفّين و لا حاجه إلى الاعاده.

و قال (أما الامره البرّه فيعمل فيها التّقىّ) و يقوم بمقتضا تقواه (و أما الامره الفاجره فيتمتّع فيها الشّقىّ) بمقتضـى شقاوته (إلى أن تنقطع مدّته) ای مدّه دولته أو حياته (و تدركه منيته)

تنبيه

قـال الشّارح المعتزلى فی شـرح المقام: إنّ هـذا الكلام نصّ صـريح منه عليه السّلام بانّ الامامه واجبه، فأمّا طريق وجوب الامامه ماهى فانّ مشايخنا البصـريّين يقولون طريق وجوبها الشّرع و ليس فی العقل ما يـدلّ على وجوبها، و قال البغـداديّون و أبو عثمان الجاحـظ من البصـريّين و شـيخنا أبو الحسـين إنّ العقـل يـدلّ على وجوب الرّيـاسه و هو قول الاماميّه إلّا أنّ الوجه الـذى يوجب أصحابنا الرّياسه غير الوجه الذّى توجب الاماميّه منه الرّياسه.

و ذاک إنّ أصحابنا يوجبون الرّياسه على المكلّفين من حيث كان فی الرياسه

ص:۱۸۶

مصالح دنيويّه و دفع مضار دنيويّه، و الاماميّه يوجبون الرّياسه على اللّه من حيث كان فى الرّياسه لطفا به و بعدا للمكلّفين عن مواقعه القبايح العقليّه، و الظاهر من كلام أمير المؤمنين يطابق ما يقوله أصحابنا ألا تراه كيف علّل قوله: لا بدّ للنّاس من أمير فقال فى تعليله يجمع بها الفىء و يقاتل بها العدوّ و يؤمن به السّبل و يؤخذ الضّعيف من القوى، و هذه كلّها مصالح الدّنيا انتهى.

أقول: و أنت خبير بما فيه، لأنّ كلامه عليه السّلام نصّ صريح فى وجوب الاماره، و الاماره غير الامامه، لامكان حصولها من البرّ و الفاجر كما هو صريح كلامه بل من الكافر أيضا، بخلاف الامامه فانّها نيابه عن الرّسول و الغرض العمده فيها هو مصلحه الدّين و اللّطف فى حقّ المكلّفين كما أنّ المقصود من بعث النّبىّ أيضا كان ذلك، فلا يمكن حصولها من الفاجر و إن كان يترتّب عليها مصلحه دنيويّه أيضا إلاّ أنّ المصالح الدّنيويه زايده فى جنب المصالح الاخرويّه لا صلاحيّه فيها للعلّيه للامامه و إنّما يصلح علّه لوجوب الاماره و يكتفى فيها بذى شوكه له الرّياسه العامه إماما كان أو غير إمام، فانّ انتظام الأمر يحصل بذلك كما فى عهد فجّار بنى اميّه حيثما ذكرنا سابقا، و لأجل كون نظره عليه السّلام إلى وجوب الاماره علّل الوجوب بامور راجعه إلى المصالح الدّنيويّه، و لو كان نظره إلى الامامه لعللها بامور راجعه إلى مصالح الدّين و الدّنيا.

و بالجمله فلا دلاله فى كلامه عليه السّلام على مذهب الشّارع تبعا للبغداديّين من كون وجوب الامامه مستندا إلى أنّ فيها جلب منافع دنيويّه و دفع مضارّ دنيويّه، و ليس مقصوده الاشاره إلى وجوب الامامه فضلا عن كونه نصّا صريحا فيه، و إنّما كان مقصوده بذلك ردّ الخوارج المنكرين لوجوب الاماره، فأثبت وجوبها لاحتياج النّاس إليها فافهم جيّدا.

الترجمه

أز جملۀ كلام آن عاليمقام است در شأن خوارج نهروان وقتى كه شنيد گفتار ايشان را كه لا حكم إلا للّه مى گفتند يعنى هيچ حكم نيست مگر خداوند را

ص:۱۸۷

آن حضرت فرمود:

که این سخن سخن حقی است که اراده شده به آن أمر باطل بلی بدرستی که هیچ حکمی نیست مگر خدای را و لکن این جماعت مقصودشان از این سخن این است که هیچ امارت نیست در میان مردمان و حال آنکه این حرف بی وجه است از جهت این که ناچار است مردم را از امیری نیکوکار یابد کار تا این که عمل کند در زمان امارت أمیر نیکوکار مؤمن پرهیزکار به أو امر و نواهی پروردگار، و لذت بر دارد در زمان أمیر فاجر منافق و کافر، و تا برساند خدای تعالی در امارت آن امیر مردمان را بمنتهای زمان و جمع شود به وجود آن أمیر غنیمت، و قتال کرده شود بواسطهٔ او با دشمنان، و آسوده شود بسبب او راههای بیابان، و گرفته شود به عدالت او حق ضعیف بیچاره أز صاحب قوه با شوکت تا آسوده و راحت شود نیکوکار و راحتی یافته شود از شریر روزگار.

سید مرحوم گفته در روایت دیگر وارد شده که آن حضرت زمانی که شنید لا حکم إلا للّه گفتن خارجیان را فرمود: که حکم خداوند را انتظار می کشم در حق شما که حلول وقت قتل ایشان بود و فرمود آن حضرت که أما أمارت نیکو پس عمل می کند در آن پرهیزکار و أما أمارت بد پس تمتع یابد در آن تبه کار تا آنکه منقطع شود و بنهایت برسد مدت عمر او در زمان، و در یابد و اداراک نماید او را مرگ ناگهان، و اللّه أعلم بسرّ کلامه علیه السّلام.

و من خطبه له علیه السلام و هی الاحدی

اشاره

و الاربعون من المختار فی باب الخطب

و قد رواها المحدّث المجلسی فی البحار من کتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحه قال: و من خطبه علیه السّلام الحمد للّه و إن أتی الدّهر بالخطب الفادح و الحدث الجلیل، فانّه لا ینجو من الموت من خافه و لا یعطی البقاء من أحبه ألا و

إنّ الوفاء توأم الصّدق، و لا أعلم جنّه أوقى منه، و لا يغدر من علم كيف المرجع، و لقد أصبحنا فى زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيسا، و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيله، ما لهم قاتلهم اللّه قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيله و دونه مانع من أمر اللّه و نهيه، فيدعها رأى عين بعد القدره عليها، و ينتهز فرصتها من لا حريجه له فى الدّين.

اللغه

(التوأم) معروف يقال هذا توأم هذا و هذه توأم هذه و هما توأمان و (الجنّه) بالضم الترس و (المرجع) اسم مكان أو مصدر و الموجود فى اكثر النّسخ بفتح الجيم و فى بعضها بالكسر، و الظاهر أنّه الصّحيح، قال الفيروزآبادى: رجع يرجع رجوعا و مرجعا كمنزل و مرجعه شاذّان، لأنّ المصادر من فعل يفعل إنّما تكون بالفتح و (الكيس) وزان فلس مصدر من كاس كيسا و هو الفطنه و العقل و (الحوّل القلّب) البصير بتقليب الامور و تحويلها و (الرّاى) مصدر كالرّؤيه و (الانتهاز) المبادره يقال انتهز الفرصه اغتنمها و بادر إليها و (الحريجه) التّحرج، و التّأثّم، اى التحرّز من الحرج و الاثم، قال الفيومى تحرّج الانسان تحرّجا هذا ممّا ورد لفظه مخالفا لمعناه و المراد فعل فعلا جانب به الحرج كما يقال، تحنّث إذا فعل ما يخرج به عن الحنث، قال ابن الاعرابى: للعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها يقال تحرّج و تحنّث و تأثّم و تهجّد إذا ترك الهجود.

الاعراب

قوله: كيف المرجع كيف اسم استفهام مبنىّ على الفتح و هو فى محلّ رفع على الخبرّيه، و المرجع مبتداء مؤخر و الجمله فى موضع نصب بعلم و هى معلّقه عنها العامل لأنّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، و ما لهم استفهام انكارىّ، و جمله

قاتلهم اللّه دعائيه لا محلّ لها من الاعراب، و جمله و دونه مانع حاليه، و انتصاب رأى عين على حذف المضاف لدى بعد رايه أو مع رايه بعين و يحتمل أن يكون حالا- أى يتركها حال كونها مرئيه بعين، و جمله و ينتهز فرصتها استينافيه لا- محلّ لها من الاعراب، و من الموصوله فاعل ينتهز.

المعنى

اشاره

اعلم انّ الوفاء و الصّدق من جنود العقل كما أنّ الغدر و الكذب من جنود الجهل على ما ورد فى روايه الكافى باسناده عن ابن مهران عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، و تقابل الأوّلين مع الآخرين تقابل العدم و الملكه، لأنّ عدّ هذه الأوصاف من جنود العقل و الجهل باعتبار مباديها الرّاسخه و ملكاتها الثّابته فى النّفس دون آثارها التى هى من الأعمال و الأفعال، و على هذا فالوفاء ملكه نفسانيه تنشأ من لزوم العهد كما ينبغى و البقاء عليه، و الغدر عدم الوفاء عمن من شأنه الوفاء، و الصّدق ملكه تحصل من لزوم مطابقه الأقوال للواقع، و الكذب عدم الصّدق لمن من شأنه الصّدق.

و أما النّسبه بين الوفاء و الصّدق فهى أنّ الأوّل أخصّ من الثّانى مطلقا لأنّ الوفاء هو الصّدق فى الوعد و ربّما يكون صادقا فى غير مقام الوعد فكلّ وفاء صدق و لا يكون كلّ صدق وفاء، و يمكن أن يقال: انّ النسبه عموم من وجه إذ الصّدق لا يكون إلّا فى القول، لأنّه من أنواع الخبر، و الخبر قول و الوفاء قد يكون بالعمل، و مثلها النّسبه بين الغدر و الكذب قال الشّاعر:

غاض الوفاء و فاض الغدر و اتّسعت مسافه الخلف بين القول و العمل

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ الوفاء و الصّدق لما كانا متشاركين فى كونهما من جنود العقل متلازمين غالبا لاجرم شبّههما بالتّوأمين و قال عليه السّلام(إنّ الوفاء توأم الصّدق)و ذلك إنّ التّوأم الولد المقارن للولد فى بطن واحد، فشبّه الوفاء به لتقارنه الصّدق بحسب العقل و تصاحبه معه غالبا (و لا- أعلم جنّه أوقى منه) أى أشدّ وقايه منه من عذاب الآخره و من عار الدّنيا المترتّبين على الغدر و خلف

ص:۱۹۰

الوعـد، مضافـا إلى ما فيه من الثمرات و المنافع الاخر، و سنشير إلى منافعه الأخرويه بعـد الفراغ من شـرح الخطبه، و أما الثمرات الدّنيويّه قمنها اعتماد الناس على قول الوفيّ و ثقتهم به و ركونهم إليه و استحقاق المدح و الثّناء عند الخالق و الخلائق، و من هنا قيل الوفاء مليح و الغدر قبيح.

قـال المطرزى فى شـرح المقامـات: السّـمؤل يضـرب به المثـل فى الوفـاء يقال أو فى من السـمؤل، و من وفائه أنّ امرء القيس بن الحجر لما أراد الخروج استودع السمؤل دروعا فلما مات امرء القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السمؤل، فأخذ ابنا له كان مع ظئر خارجا من الحصن، ثمّ صاح بالسـمؤل فأشرف عليه ثمّ قال هذا ابنك فى يدى و قد علمت أنّ امرء القيس ابن عمّى و أنـا احقّ بميراثه، فـان دفعت إلىّ الـدّروع و إلاّـ ذبحت ابنـك، فقال: أجّلنى، فأجّله فجمع أهل بيته و نساءه فشاورهم فكلّ أشار إليه أن يـدفع الدّروع، فقال: ما كنت لاحقّر أمانه فاصـنع ما انت صانع إنّ الغدر طوق لا يبلى و لا بنى هذا اخوه فذبح الملك ابنه و هو ينظر إليه، و رجع خائبا فلما دخلت أيّام الموسم وافى السّمؤل بالدّروع الموسم فدفعها إلى ورثه امرء القيس.

و فى الأـثر إنّ النّعمـان بن المنـذر قـد جعل له يومين، يوم بؤس من صادفه فيه قتله و أرداه، و يوم نعيم من لقى فيه أحسن إليه و أغنـاه، و كـان رجـل من طىّ قـد خرج ليطلب الرّزق لأولاده، فصادفه النّعمان فى يوم بؤسه فعلم الطائىّ أنّه مقتول، فقال: حيا اللّه الملـک إنّ لى صبيه صـغارا و لم يتفـاوت الحال فى قتلى بين أوّل النّهار و آخره، فان رأى الملك أن اوصل إليهم هـذا القوت و أوصـى بهم أهـل المروّه من الحىّ ثمّ أعود للملـك، فقـال النعمان: لا إذن لك إلاّ أن يضـمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه، و كان شـريک بن عدىّ نديم النعمان معه، فقال: أيّها الملک أنا أضـمنه فمضـى الطائىّ مسـرعا و صار النعمان يقول لشـريک جاء وقتک فتأهّب للقتل، فقال: ليس للملک علىّ سبيل حتّى يأتى المساء.

فلما قرب المساء قال النعمان: تأهّب للقتل، فقال شريک، هذا شخص قد لاح

مقبلا و أرجو أن يكون الطائى، فلما قرب إذا هو الطائى قد اشتدّ فى عدوه مسرعا حتّى وصل، فقال: خشيت أن ينقضى النّهار قبل وصولى فعدوت، ثمّ قال: أيّها الملك مر بأمرك، فأطرق النّعمان ثمّ رفع رأسه فقال: ما رأيت أعجب منكم، أما أنت يا طائى فما تركت لأحد فى الوفاء مقاما يفتخر به، و أما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحه يذكر بها فى الكرماء، فلا أكون أنا ألام الثلاثه ألا و إنّى قد رفعت يوم بؤسى عن النّاس و نقضت عادتى كرما لوفاء الطائى و كرم شريك، فقال له النعمان: ما حملك على الوفاء و فيه اتلاف نفسك، فقال: من لا وفاء له لا دين له فأحسن إليه النعمان و وصله بما أغناه.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد الترغيب فى الوفاء و بيان حسنه رهّب عن الغدر بقوله (و لا يغدر من علم كيف المرجع) يعنى من كان له علم بحاله الغادر فى الآخره و بما يستحقّ به بغدره من الجحيم و العذاب الأليم، لا يصدر منه غدر و لا يكون له رغبه إليه.

روى فى البحار من الكافى مسندا عن الاصبغ بن نباته، قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام ذات يوم و هو يخطب على المنبر بالكوفه: يا أيّها الناس لو لا كراهيه الغدر لكنت من أدهى النّاس الا أن لكلّ غدره فجره، و لكلّ فجره كفره ألا و إنّ الغدر و الفجور و الخيانه فى النّار هذا.

و لمّا بيّن حسن الوفاء و قبح الغدر أشار إلى ما عليه أكثر أهل زمانه من رغبتهم إلى الغدر و عدّهم ذلك حسنا و غفلتهم عن قبحه فقال: و (لقد أصبحنا فى زمان اتّخذ أكثر أهله الغدر) و الخديعه (كيسا) و فطانه (و نسبهم أهل الجهل فيه إلى) صحه التّدبير و (حسن الحيله).

و ذلك لأنّ الغدر كثيرا ما يستلزم الذّكاء و التفطن لوجه الحيله و ايقاعها بالمغد و ربه كما أنّ الكيس أيضا عباره عن الفطانه وجوده الذّهن فى استخراج وجوه المصالح، فالغادر و الكيس يشتركان فى الاتصاف بالفطنه إلّا أنّ

الأوّل يستعمل فطنته فی استخراج وجوه الحیله لجلب منفعه دنیویّه و إن خالفت القوانین الشّرعیّه، و الکیّس یستعمل تفطنه فی استنباط وجوه المصالح الکلیه علی وجه لا یخالف قواعد الشّریعه، فلدقّه الفرق استعمل الغادرون غدرهم فی موضع الکیس و نسبهم أهل الجهاله و الغفله إلی صحّه الرأی و حسن الحیله، کما کانوا یقولون فی عمرو بن العاص و المغیره بن شعبه و لم یعلموا أنّ حیله الغادر تخرجه إلی رذیله الفجور و أنّه لا حسن فی حیله جرّت الی رذیله.

(ما لهم) ای لهؤلاء الغادرین فی افتخارهم بغدرهم (قاتلهم اللّه) و أبعدهم من رحمته (قد یری الحوّل القلّب) أی کثیر البصیره فی تحویل الامور و تقلیبها لاستنباط وجوه المصالح، و أراد به نفسه الشّریف و مقصوده أنّ الغدر و الخدیعه لیس قابلا لأنّ یفتخر به فانّ صاحب البصیره ربّما یعرف (وجه الحیله) کأنّه یراه عیانا (و) مع ذلک لا یقدم علیها لما یشاهد أنّ (دونها) أی دون الحیله و العمل بها (مانع من أمر اللّه) بترکها (و نهیه) عن فعلها (فیدعها) و یترکها (رأی عین) أی مع رؤیته عیانا (بعد القدره علیها) و تمکّنه منها تجنّبا من الرّذایل الموبقه و خوفا من اللّه سبحانه (و ینتهز فرصتها) و یبادر إلیها (من لا حریجه له فی الدّین) و لا مبالاه له فی أوامر الشّرع المبین و لا خوف له من اللّه ربّ العالمین.

تبصره

قد عرفت حسن الوفاء و أنّه ممّا یترتب علیه المدح و الثّواب، و قبح الغدر و أنّه ممّا یترتب علیه اللّوم و العقاب، فیکون الأوّل واجبا سواء کان فی عهود اللّه سبحانه أو عهود الخلق، و الآخر حراما، و قد اشیر إلی ذلک المعنی فی غیر موضع من القرآن و وردت بذلک أخبار کثیره و لا بأس بالاشاره إلی بعضها فانّ الاستقصاء غیر ممکن.

فأقول: قال سبحانه فی سوره المائده:

«یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ »

ای بالعهود قال ابن عباس: و المراد بها العهود التی أخذ اللّه سبحانه علی عباده بالایمان به و طاعته فیما أحلّ لهم أو حرّم علیهم، و فی روایه اخری قال: ما هو أحلّ و حرّم و ما فرض و ما حدّ فی القرآن کلّه، أی فلا تتعدّوا و لا تنکثوا، و قیل المراد العقود التی یتعاقدها النّاس بینهم.

و فی سوره النّحل «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ » و فیها أیضا:

«وَ لا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَناً قَلِیلاً إِنَّما عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » قال الطبرسیّ: أی لا تخالفوا عهد اللّه بسبب شیء یسیر تنالوه من حکّام الدّنیا فتکونوا قد بعتم عظیم ما عند اللّه بالشیء الحقیر.

و فی سوره مریم: «وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ إِسْماعِیلَ إِنَّهُ کانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا ».

قال فی مجمع البیان: إذا وعد بشیء و فی به و لم یخلف، قال ابن عبّاس: إنّه واعد رجلا أن ینتظره فی مکان و نسی الرّجل فانتظره سنه حتّی أتاه الرّجل، و عن الکافی عن الصادق، و العیون عن الرّضا علیهما السّلام ما فی معناه و الإسماعیل ابن خرقیل و قیل اسماعیل بن إبراهیم، و الأوّل رواه أصحابنا عن أبی عبد اللّه علیه السّلام.

أقول: و لعلّه أراد بهذه الرّوایه ما رواه المحدّث العلامه المجلسی فی البحار عن الصّدوق باسناده عن الصّادق عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنّ أفضل الصّدقه صدقه اللّسان تحقن به الدّماء و تدفع به الکریهه و تجرّ المنفعه الی أخیک المسلم.

ثمّ قال: إنّ عابد بنی اسرائیل الذی کان أعبدهم کان یسعی فی حوائج النّاس عند الملک، و إنّه لقی اسماعیل بن خرقیل فقال لا تبرح حتّی أرجع الیک یا اسماعیل، فسهل عنه عند الملک فبقی عند الملک، فبقی اسماعیل إلی الحول هناک فأنبت اللّه

لاسماعيل عشبا فكان يأكل منه و اجرى له عينا و أظلّه بغمام فخرج الملك بعد ذلك إلى التّنزه و معه العابد فرأى اسماعيل: فقال له: إنّك لهاهنا يا اسماعيل: فقال له:

قلت لا تبرح فلم أبرح فسمّى صادق الوعد.

قال: و كان جبّار مع الملك فقال: أيّها الملك كذب هذا العبد قد مررت بهذه البرّيه فلم أراه ههنا، فقال اسماعيل إن كنت كاذبا فنزع اللّه صالح ما أعطاك قال فتناثرت أسنان الجبّار، فقال جبّار إنّى كذبت على هذا العبد الصّالح فاطلب أن يدعو اللّه أن يردّ علىّ أسنانى فانى شيخ كبير، فطلب إليه الملك فقال: إنّى أفعل قال: الساعه، قال: لا، و أخّره إلى السّحر، ثمّ دعى ثمّ قال: يا فضل إنّ أفضل ما دعوتم اللّه بالأسحار، قال اللّه تعالى «وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ».

و فى سوره الأحزاب: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ».

روى فى الصافى من الكافى عن الصّادق عليه السّلام أنّه قال المؤمن مؤمنان، فمؤمن صدق بعهد اللّه و وفى بشرط اللّه، و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ «رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ »، و ذلك الذى لا يصيبه أهوال الدّنيا و لا أهوال الآخره، و ذلك ممّن يشفع و لا يشفع له، و مؤمن كخامه الزّرع يعوج احيانا و يقوم احيانا، فذلك ممّن يصيبه أهوال الدّنيا و أهوال الآخره، و ذلك ممّن يشفع له و لا يشفع.

و عنه عليه السّلام لقد ذكّركم اللّه فى كتابه فقال «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا »، الآيه إنّكم و فيتم بما أخذ اللّه عليه ميثاقكم من ولايتنا و انكم لم تبدلوا بنا غيرنا.

و فى سوره الصّف: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ » الآيه و نحوها آيات أخر.

و أمّا الأخبار فمضافا إلى ما ذكرنا ما رواه فى الوسايل من الكافى باسناده عن شعيب العقرقوفى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من كان يؤمن

باللّه و اليوم الآخر فليف إذا وعد.

و من العلل باسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام، يقول: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وعد رجلا إلى صخره فقال أنا لك ههنا حتّى تأتى، قال: فاشتدّت الشمس عليه فقال له أصحابه يا رسول اللّه لو أنك تحوّلت إلى الظلّ، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قد وعدته إلى ههنا و إن لم يجىء كان منه المحشر.

و فى كتاب تحف العقول قال: و من حكم أمير المؤمنين عليه السّلام و ترغيبه و ترهيبه و وعظه أما بعد فانّ المكر و الخديعه فى النار فكونوا من اللّه على وجل و من صولته على حذر إنّ اللّه لا يرضى لعباده بعد اعذاره و انذاره استطرادا و استدراجا لهم من حيث لا يعلمون، و لهذا يضلّ سعى العبد حتّى ينسى الوفاء بالعهد و يظنّ أنّه قد أحسن صنعا.

و لا يزال كذلك فى ظنّ و رجاء و غفله عمّا جاءه من النباء يعقد على نفسه العقد و يهلكها بكل الجهد و هو فى مهله من اللّه على عهد (عمد خ) يهوى مع الغافلين، و يغدو مع المذنبين و يجادل فى طاعه اللّه المؤمنين، و يستحسن تمويه المترفين «المسرفين خ»، فهؤلاء قوم شرحت قلوبهم بالشّبهه، و تطاولوا على غيرهم بالفريه، و حسبوا أنّها للّه قربه.

و ذلك لأنّهم عملوا بالهواء، و غيّروا كلام الحكماء، و حرّفوه بجهل و عمى و طلبوا به السّمعه و الرّياء، بلا سبيل قاصده، و لا أعلام جاريه، و لا منار معلوم إلى أمدهم و الى منهل هم واردوه حتّى إذا كشف اللّه لهم عن ثواب سياستهم، و استخرجهم من جلابيب غفلتهم، استقبلوا مدبرا و استدبروا مقبلا، فلم ينتفعوا بما أدركوا من امنيّتهم، و لا بما نالوا من طلبتهم، و لا ما قضوا من وطرهم، و صار ذلك عليهم و بالافصاروا يهربون ممّا كانوا يطلبون.

و إنّى احذّركم هذه المنزله، و آمركم بتقوى اللّه الذى لا ينفع غيره فلينتفع بتقيه «بنفسه خ ل» إن كان صادقا على ما يحنّ ضميره، فانّ البصير من سمع و تفكّر و نظر فأبصر، و انتفع بالعبر، و سلك جددا واضحا يتجنّب فيه الصّرعه فى الهوى،

و یتنکّب طریق العمی، و لا یعین علی فساد نفسه الغوات بتعسّف فی حقّ أو تحریف فی نطق أو تغییر فی صدق، و لا قوّه إلاّ باللّه، الحدیث.

و فی حدیث الائمه إنّ اللّه أخذ من شیعتنا المیثاق کما أخذ علی بنی آدم أ لست بربکم فمن و فی لنا و فی اللّه له بالجنّه.

و عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یجیء کلّ غادر یوم القیامه بامام مایل شدقه(۱) حتّی یدخل النّار هذا.

و قد ظهر لک ممّا ذکرناه و رویناه أنّ متعلّق الوفاء أعمّ من عهود اللّه سبحانه و مواثیقه الّتی أخذها من العباد، و من عهود النّاس و شروط بعضهم مع بعض و مواثیقهم الموافقه للقوانین الشّرعیه، و الاولی عامه لاصول العقائد من التّوحید و النّبوه و الولایه حیث أخذ میثاق النّاس علیها فی عالم الذّرّ، و بالسّنه الأنبیاء و الرّسل و الکتب المنزله، و الفروع العقائد من العبادات البدنیه و الواجبات العملیه، و الثانیه شامله للعقود التی یتعاقدونها بینهم من البیع و الصّلح و الاجاره و نحوها، و للعهود و العدات المجرّده عن العقد.

و ثمره الوفاء بالاولی الترقّی الی مدارج الکمال و الیقین و الطیران فی حظیره القدس مع الأولیاء المقرّبین، و ثمره الوفاء بالفروع البدنیّه النجاه من الجحیم و الخلاص من العذاب الألیم، و نتیجه الوفاء بالعقود المعقوده استکمال النّظام و حصول الانتظام، و بالعهود المجرّده اقتناء الفضایل و اجتناب الرّذایل.

و الظاهر من کلامه علیه السّلام الذی نحن فی شرحه هو أنّ مراده بالوفاء هو وفاء الناس بما یتعاهدون بینهم، و بالغدر الغدر المقابل له، و غیر خفیّ أنّ حسن الوفاء و وجوبه إنما هو فی حقّ أهل الوفاء کما أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السّلام فی بعض کلماته: الوفاء لأهل الغدر غدر عند اللّه، و الغدر بأهل الغدر وفاء عند اللّه.

یعنی أنّه إذا کان بینهما عهد و مشارطه فغدر أحدهما و خالف شرطه فیجوز للآخر نقض العهد أیضا، و لا یجب له الوفاء بل یکون وفائه فی حقّه غدرا قبیحا،

۱- (۱) الشدق بالکسر و بفتح الدّال المهمله طفطفه الفم من باطن الخدّین، ق.

و غدره وفاء متّصفا بالحسن، و ذلک لأنّ اللّه سبحانه قد أمر بالوفاء مع وفاء الطرف الآخر و بالنقض مع نقضه کما اشیر الیه فی قوله:

«کَیْفَ یَکُونُ لِلْمُشْرِکِینَ عَهْدٌ عِنْدَ اللّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِینَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَمَا اسْتَقامُوا لَکُمْ فَاسْتَقِیمُوا لَهُمْ » فیکون الوفاء مع مخالفه الطرف الآخر مخالفا لأمر اللّه و لحکمه الذی کان یجب علیه امتثاله و الالتزام به، فیکون ذلک الوفاء غدرا فی حکم اللّه و یترّتب علیه أثره، و الغدر له امتثالا لأمر اللّه و وفاء بحکم اللّه فیستحقّ الثناء الجمیل و الأجر الجزیل، و یحتمل أن یکون المراد أنّه یترّتب علی الموفی إثم الغادر و علی الغادر أجر الموفی، و اللّه العالم.

الترجمه

از جملۀ خطب آن حضرتست در مدح وفا و ذمّ غدر می فرماید:

بدرستی که وفا نمودن بعهد همزاد راستی و درستی است، و نمی دانم هیچ سپری که نگاه دارنده تر باشد از این خصلت، و غدر نمی کند کسی که داند که چگونه است بازگشت بخدا، و بتحقیق که صباح کرده ایم در زمانی که أخذ نموده اند بیشترین أهل آن زمان بی وفائی را کیاست و زیرکی، و نسبت داده أهل جهالت جماعت غدار را در آن روزگار به نیکوئی حیلت و فراست، چیست این جماعت را خدا دور گرداند ایشان را از رحمت خود در هر دو جهان بدرستی که می بیند مردی که صاحب بصیرتست در تحویل امور و تقلیب آنها و در استنباط وجوه مصالح ظاهر حیله را و حال آنکه نزد آن حیله مانعی است از امر خدا و نهی او، پس ترک می کند آن حیله را در حال دیدن آن بچشم بعد از قدرت او بر آن بجهت خوف از عقاب خداوند، و غنیمت می شمارد مجال آن را کسی که صاحب پرهیز از گناه نیست در دین.

ص:۱۹۸

و من خطبه له عليه السّلام و هى الثانيه

اشاره

و الاربعون من المختار فى باب الخطب

و قـد رواها المحـدّث المجلسـى و غيره بطرق مختلفه و اختلاف يسـير، و رواها الشارح المعتزلى أيضا فى شـرح الخطبه الآتيه، و نشير الى تلك الرّوايات بعد الفراغ من شرح ما أورده السّيد قدّس سرّه فى الكتاب و هو قوله عليه الصّلاه و السّلام:

أيّهـا النّـاس إنّ أخوف مـا أخـاف عليكم إثنتـان: اتّبـاع الهوى، و طول الأمل، فأمّا اتّباع الهوى فيصـدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فينسـى الآخره، ألا و إنّ الدّنيا قد ولّت حذّاء، فلم يبق منها إلاّ صـبابه كصـبابه الاناء إصـطبّها صابّها، ألا و إنّ الآخره قد أقبلت، و لكلّ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخره، و لا تكونوا من أبناء الدّنيا، فإنّ كلّ ولد سيلحق بأبيه (بأمّه خ ل) يوم القيمه، و إنّ اليوم عمل و لا حساب، و غدا حساب و لا عمل.

اللغه

قـال السـيّد (ره) قوله: (حـذّاء) الحـذّاء السّـِريعه و من الناس من يروى جـذّاء بالجيم و الـذال اى انقطع خيرها و درّها انتهى(١) و (الصّبابه) بضمّ الصّاد المهمله بقيه الماء فى الاناء و (الاصطباب) افتعال من الصّبّ و هو الاراقه.

الاعراب

كلمه مـا فى قوله أخوف مـا أخـاف نكره موصوفه، و العايـد من الصّـِفه إلى الموصوف محـذوف، أى أخوف ما أخافه على حدّ قوله ربما تكره النّفوس له فرجه

١- (١) حـذّاء بالحاء و الذال المعجمه و هى السـريعه قطاه حذا اخف ريش ذنبها و رجل حذا أحصف اليد و قد روى قد أدبرت جذاء بالجيم اى قد انقطع خيرها و درّها، ابن ابى الحديد.

كحلّ العقال، أى ربّ شىء تكرهه النّفوس،و قوله:اتّباع الهوى و طول الأمل مرفوعان على أنّهما خبران لمبتدأ محذوف واقعان موقع التفسير لاثنتان، و هو من باب الايضاح بعد الابهام المسمّى فى فنّ البلاغه بالتّوشيح، و هو أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنّى مفسّر باسمين ثانيهما عطف على الأوّل، و مثله يشيب ابن آدم و يشبّ فيه خصلتان: الحرص و طول الأمل، و حذّاء منصوب على الحاليه، و إلّا صبابه مرفوع على الاستثناء المفرغ.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مقصوده بهذه الخطبه النّهى عن اتّباع الهوى و المنع من طول الأمل فى الدّنيا، فانّهما من أعظم الموبقات و أشدّ المهلكات كما قال سبحانه:

«فَأَمّا مَنْ طَغى وَ آثَرَ الْحَياهَ الدُّنْيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِيَ الْمَأْوى » يعنى من تجاوز الحدّ الذى حدّه اللّه و ارتكب المعاصى و فضّل الدّنيا على الآخره و اختارها عليها: فانّ النّار منزلها و مأواها، و أمّا من خاف مقام مسأله ربّه فيما يجب عليه فعله أو تركه، و نهى نفسه عن الحرام الذى تهويه و تشتهيه، فانّ الجنّه مقرّه و مثواه و لكونهما من أعظم المهلكات كان خوفه منهما أشدّ كما أشار إليهما بقوله عليه السّلام (أيها النّاس إنّ أخوف ما أخاف) ه (عليكم اثنتان) اى خصلتان إحداهما (اتّباع الهوى) و المراد به هو ميل النّفس الأماره بالسّوء الى مقتضى طباعها من اللّذات الدّنيويه إلى حدّ الخروج عن قصد الشّريعه.

و مجامع الهوى خمسه امور جمعها قوله سبحانه:

«أَنَّمَا الْحَياهُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَهٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَ فِي الْآخِرَهِ عَذابٌ شَدِيدٌ »

و الاعيان التى تحصل منها هذه الخمسه سبعه جمعها قوله سبحانه:

«زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ اللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ » (و) الخصله الثانيه (طول الأمل) و المراد بالأمل تعلّق النّفس بحصول محبوب فى المستقبل، و يرادفه الطمع و الرّجاء إلاـ أنّ الأمل كثيرا ما يستعمل فيما يستبعد حصوله و الطمع فيما قرب حصوله و الرّجاء بين الأمل و الطمع و طول الأمل عباره عن توقع امور دنيويه يستدعى حصولها مهله فى الاجل و فسحه من الزمان المستقبل.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد تحذيره عن اتباع الهوى و طول الأمل أشار إلى ما يترّتب عليهما من المفاسد الدّينيه و المضار الأخرويّه فقال:(أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ) و ذلك لأنّ اتّباع الهوى يوجب صرف النّظر إلى الشهوات الدّنيويه و قصر الهمّه فى اللذات الفانيه و هو مستلزم للاعراض عن الحقّ و هو واضح، لأنّ حبّك للشيء صارفك عمّا وراه و شاغلك عمّا عداه.

(و أمّا طول الأمل فينسى الآخره) و ذلك لما قد عرفت من أنّ طول الأمل عباره عن توقع امور محبوبه دنيويّه فهو يوجب دوام ملاحظتها و دوام ملاحظتها مستلزم لاعراض النّفس عن ملاحظه أحوال الآخره و هو مستعقب لا نمحاء تصورها فى الذّهن و ذلك معنى النّسيان لها.

قال بعضهم: سبب طول الأمل هو حبّ الدّنيا فانّ الانسان إذا أنس بها و بلذّاتها ثقل عليه مفارقتها و أحبّ دوامها، فلا يتفكّر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها، فانّ من أحبّ شيئا كره الفكر فيما يزيله و يبطله، فلا يزال تمنّى نفسه البقاء فى الدّنيا و تقدّر حصول ما تحتاج إليه من أهل و مال و أدوات و أسباب، و يصير فكره مستغرقا فى ذلك فلا يخطر الموت و الآخره بباله.

و إن خطر بخاطره الموت و التّوبه و الاقبال على الأعمال الأخرويّه أخّر ذلك

ص:٢٠١

من يوم إلى يوم، و من شهر إلى شهر و من عام إلى عام و قال إلى أن اكتهل و يزول سنّ الشباب، فاذا اكتهل قال إلى أن أصير شيخا، فاذا شاخ قال إلى أن اتمّ هذه الدّار و ازوّج ولدى فلانا و إلى أن أعود من هذا السّفر و هكذا يسوّف التوبه كلّما فرغ من شغل عرض له شغل آخر بل اشغال حتّى يختطفه الموت و هو غافل عنه غير مستعدّله مستغرق القلب فى امور الدّنيا، فتطول فى الآخره حسرته و تكثر ندامته و ذلك هو الخسران المبين.

ثمّ إنّه بعد الاشاره إلى كون اتّباع الهوى صادّا عن الحقّ و طول الأمل منسيا للآخره أردف ذلك بالتنبيه على سرعه زوال الدّنيا و فنائها كى يتنبّه الغافل عن نوم الغفله و يعرف عدم قابليتها لأن يطال الأمل فيها أو يتّبع الهوى فقال (ألا و إنّ الدّنيا قد ولّت حذّاء) أى أدبرت سريعه لكونها مفارقه لكلّ شخص (فلم يبق منها) بالنّسبه إليه (إلّا صبابه كصبابه الانآء اصطبّها صابّها)اطلاق الصبابه استعاره لبقيّتها القليله، و القلّه هى الجامع بين المستعار منه و المستعار له (ألا و إنّ الآخره قد أقبلت) إشاره إلى سرعه لحوق الآخره، إذا إدبار العمر مستلزم لاقبال الموت الذى هو آخر أيام الدّنيا و أوّل أيّام الآخره.

و الاتيان بانّ المؤكده و حرف التّنبيه و قد التّحقيقيه، من أجل تنزيل العالم منزله الجاهل فكان المخاطبين لغفلتهم عن اقبالها حيث لم يتزّودوا لها و لم يتّخذوا لها ذخيره جاهلون لهو قوله عليه السّلام(و لكلّ منهما بنون)شبّه الدّنيا و الآخره بالأب أو الامّ و أهلها بالأبناء و الأولاد إشاره إلى فرط ميل أهل الدّنيا إلى دنياهم و أهل الآخره إلى آخرتهم فهم من فرط المحبه إليهما بمنزله الابن إلى أبويه، و هما من حيث تهيّه الاسباب لأهلهما بمنزله الأبوين الصّارفين نظرهما إلى تربيه الأولاد.

ثمّ لما كان غرضه عليه السّلام حثّ الخلق على السّعى للآخره، و الميل إليها و الاعراض عن الدّنيا قال (فكونوا من أبناء الآخره و لا تكونوا من أبناء الدّنيا) و علّله بقوله (فانّ كلّ ولد سيلحق بأبيه يوم القيامه) قال الشّارح البحرانى: و أشار بذلك إلى أنّ أبناء الآخره و الطالبين لها و العاملين لأجلها مقرّبون فى الآخره لاحقون لمراداتهم فيها،

ص:٢٠٢

و لهم فيها ما تشتهى أنفسهم و لهم ما يدّعون نزلا من غفور رحيم.

و أما أبناء الدّنيا فانّ نفوسهم لما كانت مستغرقه فى محبّتها و ناسيه لطرف الآخره و معرضه عنها، لا جرم كانت يوم القيامه مغموره فى محبّه الباطل، مغلوله بسلاسل الهيئات البدنيه و الملكات الرّديّه، فهى لتعلّقها بمحبه الدّنيا حيث لا يتمكّن من محبوبها بمنزله ولد لا تعلّق له إلّا بوالده و لا ألف له إلّا هو و لا انس إلّا معه، ثمّ حيل بينه و بينه مع شدّه تعلّقه به و شوقه إليه، و اخذ إلى ضيق الأسجان و بدل بالعزّ الهوان فهو فى أشدّ وله و همّ و أعظم حسره و غمّ.

و أمّا أبناء الآخره ففى حضانه أبيهم و نعيمه قد زال عنهم بؤس الغربه و شقاء اليتم و سوء الحضن فمن الواجب إذا تعرف احوال الوالدين و اتباع اثرهما و ادومهما شفقه و أعظمهما بركه، و ما هى الّا الآخره و ليكن ذو العقل من أبناء الآخره و ليكن برا بوالده متوصلا إليه بأقوى الاسباب و أمتنها (و انّ اليوم عمل و لا حساب) أراد باليوم مدّه الحياه يعنى أنّ هذا اليوم يوم عمل، لأنّ التكليف إنّما هو فى هذا اليوم و العمل به و الامتثال له إنّما يكون فيه (و غدا حساب و لا عمل) أراد بالغد ما بعد الموت و هو وقت الحساب و لا عمل فيه لانقطاع زمان التكليف فعلى هذا فاللّازم للعاقل أن يبادر إلى العمل الذى به يكون من أبناء الآخره فى وقت امكانه قبل مجيء الغد الذى هو وقت الحساب دون العمل، و اللّه ولىّ التوفيق.

تبصره

اعلم أنّ طول الأمل من أعظم الموبقات حسبما مرّت إليه الاشاره، و كفى فى ذلك قوله سبحانه:

«رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » فنبّه سبحانه على أنّ ايثار التّنعّم و التّلذّذ الذى هو من شئونات اتّباع الهوى و ما

يؤدّى إليه طول الأمل من أخلاق الكافرين لا من أخلاق المؤمنين.

و أمّا الأخبار فى ذمّه و التّحذير منه و بيان ما يترّتب عليه من المفاسد فهو فوق حدّ الاحصاء.

فمن ذلك ما ورد فى الحديث القدسى: يا موسى لا تطول فى الدّنيا أملك فيقسو لذلك قلبك و قاسى القلب منّى بعيد.

و فى النّبوىّ المعروف المروىّ فى البحار بعدّه طرق قال صلّى اللّه عليه و آله: يا باذر إيّاك و التّسويف بأملك فانك بيومك و لست بما بعده فان يكن غدلك فكن فى الغد كما كنت فى اليوم، و إن لم يكن غدلك لم تندم على ما فرطت فى اليوم، يا باذركم مستقبل يوما لا يستكمله و منتظر غدا لا يبلغه، يا باذر لو نظرت إلى الأجل و مصيره لأبغضت الأمل و غروره، يا باذر إذا أصبحت لا تحدّث نفسك بالمساء، و إذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصّباح، و خذ من صحتّك قبل سقمك، و من حياتك قبل موتك، فانّك لا تدرى ما اسمك غدا.

و عن أنس أنّ النّبىّ خطّ خطا و قال: هذا الانسان، و خطّ إلى جنبه و قال: هذا أجله، و خطّ اخرى بعيدا منه فقال: هذا الأمل فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب.

و فى روايه أنّه اجتمع عبدان من عباد اللّه فقال أحدهما للآخر: ما بلغ من قصر أملك؟ فقال: أملى إذا أصبحت أن لا امسى و إذا امسيت أن لا اصبح، فقال: إنك لطويل الأمل، أمّا أنا فلا اؤمّل أن يدخل لى نفس إذا خرج و لا يخرج لى نفس إذا دخل.

و فى الصّحيفه السّجاديه على منشئها آلاف السّلام و التّحيه: اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و اكفنا طول الأمل، و قصره عنّا بصدق العمل، حتّى لا نؤمل استتمام ساعه بعد ساعه، و لا استيفاء يوم بعد يوم، و لا اتّصال نفس بنفس، و لا لحوق قدم بقدم، و سلّمنا من غروره، و آمنّا من شروره.

و فى الدّيوان المنسوب إلى علىّ عليه السّلام:

ص:۲۰۴

تؤمّل فی الدّنیا طویلا و لا تدری اذا جنّ لیل هل تعیش إلی فجر

فکم من صحیح مات من غیر علّه و کم من مریض عاش دهرا إلی دهر

و کم من فتی یمسی و یصبح آمنا و قد نسجت اکفانه و هو لا یدری

و بالجمله فانّ مضار طول الأمل و مفاسده غیر خفیّه علی من تنوّر قلبه بنور العرفان، و لو لم یکن فیه إلّا نسیان الآخره الذی أشار علیه السّلام إلیه بقوله: و أمّا طول الأمل فینسی الآخره لکفی، فکیف بمفاسد متجاوزه عن حدّ الاحصاء، و قاصره عن طیّ مسافتها قدم الاستقصاء، عصمنا اللّه من طول الأمل فی الدّنیا و من طول الحساب فی الآخره بمحمد و آله أعلام الهدی إنّه علی کلّ شیء قدیر و بالاجابه حقیق و جدیر.

تکمله

اعلم أنّ هذه الخطبه مرویّه فی البحار و غیره مسنده بعده طرق و اختلاف یسیر أحببت الاشاره إلیها.

فأقول: فی البحار من مجالس المفید عن أحمد بن الولید عن أبیه عن الصفار عن ابن معروف عن ابن مهزیار عن عاصم عن فضیل الرّسال عن یحیی بن عقیل قال: قال علیّ علیه السّلام: إنّما أخاف علیکم اثنتین اتّباع الهوی و طول الأمل فأمّا اتّباع الهوی فیصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فینسی الآخره، ارتحلت الآخره مقبله و ارتحلت الدّنیا مدبره، و لکلّ بنون فکونوا من بنی الآخره و لا تکونوا من بنی الدّنیا، الیوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل.

و فی بعض مؤلّفات أصحابنا من المجالس و الأمالی عن المفید عن الجعابی عن محمّد بن الولید عن عنبر بن محمّد عن شعبه عن مسلمه عن أبی الطفیل قال: سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: إنّ أخوف ما أخاف علیکم طول الأمل و اتّباع الهوی، فأمّا طول الامل فینسی الآخره، و أمّا اتّباع الهوی فیصدّ عن الحقّ، ألا و إنّ الدّنیا قد تولّت مدبره، و انّ الآخره قد أقبلت مقبله، و لکلّ واحده منهما بنون، فکونوا من أبناء الآخره و لا تکونوا من أبناء الدّنیا فانّ الیوم عمل و لا حساب

و الآخره حساب و لا عمل.

و فی شرح المعتزلی من کتاب نصر بن مزاحم أنّ علیّا قدم من البصره فی غره شهر رجب من سنه ستّ و ثلاثین إلی الکوفه و أقام بها سبعه عشر شهرا یجری الکتب بینه و بین معاویه و عمرو بن العاص حتّی صار إلی الشام.

قال نصر و قد روی من طریق أبی الکنود و غیره أنّه قدم الکوفه بعد وقعه الجمل لا ثنتی عشره لیله خلت من شهر رجب سنه ستّ و ثلاثین، فدخل الکوفه و معه أشراف النّاس من أهل البصره و غیرهم فاستقبل أهل الکوفه و فیه قرّائهم و أشرافهم فدعوا له بالبرکه و قالوا یا أمیر المؤمنین أین تنزل أتنزل القصر؟ قال علیه السّلام: و لکنّی أنزل الرهبه، فنزلها و أقبل حتّی دخل المسجد الأعظم فصلّی فیه رکعتین، ثمّ صعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه و صلّی علی رسوله ثمّ قال:

أما بعد یا أهل الکوفه فانّ لکم فی الاسلام فضلا ما لم تبدّلوا و تغیّروا، دعوتکم إلی الحقّ فأجبتم و بدأتم بالمنکر فغیّرتم، ألا إنّ فضلکم فیما بینکم و بین اللّه، فأمّا الأحکام و القسم فأنتم أسوه غیرکم ممّن أجابکم، و دخل فیما دخلتم فیه، ألا إنّ أخوف ما علیکم اتّباع الهوی و طول الأمل أمّا اتّباع الهوی فیصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فینسی الآخره، ألا إنّ الدّنیا قد رحلت مدبره، و إنّ الآخره قد ترحلت مقبله، و لکلّ واحده منهما بنون، فکونوا من أبناء الآخره، الیوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل.

و یأتی روایتها بسند آخر فی شرح الخطبه المأتین و الرّابعه و العشرین إنشاء اللّه تعالی باختلاف و زیاده کثیره.

الترجمه

از جملهٔ خطب آن حضرتست در تنفیر مردمان از اتباع هوی و طول أمل باین وجه که می فرماید:

أی مردمان بدرستی که ترسناک ترین چیزی که می ترسم بر شما از عقوبت آن دو چیز است: یکی متابعت خواهشات نفس أماره، و دویمی درازی امید در

ص:۲۰۶

امور دنیویه، پس أما متابعت هوای نفس پس باز می دارد بنـده را از راه حقّ و أما درازی امید پس فراموش می گرداند آخرت را آگاه باشید که دنیای فانی رو گردانیده است در حالتی که شتابان است یا در حالتی که مقطوع المنفعه است، آگاه باشید که آخرت رو آورده است و مر هر یکی را از دنیا و آخرت پسرانست، پس باشـید از فرزندان آن جهان تا داخل شوید در بهشت جاویـدان، و نباشـید از فرزنـدان این جهان تا معـذب شوید بعذاب نیران، پس بدرستی که هر فرزند ملحق می شود به پدر خود فردای قیـامت، و بـدرستی امروز که روز زنـدگانیست روز عملست و حسـاب نیست، و فردا روز حسـابست و عمل نیست، پس لازم است که امروز که روز عملست فرصت را غنیمت شمرده و در عمل کوشید تا فردا که روز حسابست فارغ البال از کوثر و سلسبیل آب نوشید، و از سندس و استبرق لباس پوشید، و اللّه العالم.

و من کلام له علیه السّلام و هو الثالث

اشاره

و الاربعون من المختار فی باب الخطب

و قد أشار علیه «إلیه خ ل» أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشّام بعد ارساله إلی معاویه لجریر بن عبد اللّه البجلی:

إنّ اسـتعدادی لحرب أهل الشّام و جریر عنـدهم إغلاق للشّام، و صـرف لأهله عن خیر إن أرادوه، و لکن قـد وقتّ لجریر وقتا لا یقیم بعده إلّا مخدوعا أو عاصـیا، و الرّأی مع الأناه، فأرودوا و لا أکره لکم الاعداد، و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عینه، و قلّبت ظهره و بطنه

ص:۲۰۷

فلم أر فيه إلّا القتال أو الكفر بما جاء محمّد صلّى اللّه عليه و آله (بما أنزل على محمّد خ ل) إنّه قد كان على الأمّه وال أحدث أحداثا و أوجد النّاس مقالا فقالوا ثمّ نقموا فغيّروا

اللغه

(أشار) عليّ بكذا اى أرانى ما عنده من المصلحه و (البجليّ) بالتّحريك منسوب إلى البجيليه حيّ باليمن من معدو (الاغلاق) الاكراه كما فى القاموس و قيل إنّه من أغلق الباب اذا عسر فتحه و (الاناه) كالقناه اسم من التّأنى و هو الرّفق و التثبت و (أرودوا) أمر من باب الافعال يقال أرود فى السير إروادا أى سار برفق و (الحدث) بالتّحريك الأمر الحادث المنكر الذى ليس بمعتاد و لا معروف فى السنه، هكذا فسّره ابن الأثير على ما حكى عنه و (أوجد) هنا للصيروره أى صيّرهم واجدين مقالا (و نقم) منه نقما من باب ضرب و علم عاقبه و نقم الأمر كرهه و أنكره.

الاعراب

اللّام فى قول الرضى لجرير زايده للتقويه و فى بعض النّسخ بدون اللّام، و جمله و جرير عندهم حاليه، و اغلاق خبر ان و الضّمير فى انّه للشأن و الكوفيّون يسمّونه ضمير المجهول لأنّ ذلك الشّأن مجهول لكونه مقدّرا إلى أن يفسّر الضّمير.

قال نجم الأئمه الرّضىّ: و هذا الضّمير كأنّه راجع فى الحقيقه إلى المسئول عنه بسوال مقدّر، تقول هو الأمير مقبل كأنه سمع ضوضاه و جلبه فاستبهم الأمر فسأل ما الشأن و القصّه؟ فقلت هو الأمير مقبل، أى الشّأن هذا، فلما كان المعود إليه الذى تضمنه السّؤال غير ظاهر قبل اكتفى فى التّفسير بخبر هذا الضّمير الذى يتعقبه بلا فصل، لأنّه معين للمسئول عنه، و مبين له، فبان لك بهذا أنّ الجمله بعد الضّمير لم يؤت بها

لمجرّد التّفسير، بل هى كساير أخبار المبتدءات، لكن سمّيت تفسيرا لما قررته، و القصد بهذا الابهام ثمّ التّفسير تعظيم الأمر و تفخيم الشّأن، فعلى هذا لا بدّ أن يكون مضمون الجمله المفسّره شيئا عظيما يعتنى به فلا يقال مثلا هو الذّباب يطير

المعنى

اشاره

اعلم أنّه كان ظنّ كثير من النّاس بعد ولايته عليه السّلام أنّ معاويه لا يمكّن له و لا ينقاد لبيعته بأمارات كانت لائحه عندهم (و) لذلك (قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد) و التّهيؤ (لحرب أهل الشّام بعد ارساله) عليه السّلام (إلى معاويه لجرير بن عبد اللّه البجلى) مع كتاب له كتبه اليه على ما يأتى ذكره، و لمّا لم يكن هذه الاشاره من الأصحاب مطابقه لرأيه الصّواب أجابهم بقوله: (إنّ استعدادى لحرب أهل الشّام و جرير عندهم إغلاق للشّام) و اكراه (و صرف لأهله عن خير إن أرادوه) و ذلك لأنّهم ما دام كون جرير عندهم فى مقام الشّور و التروّى فى متابعه أىّ الأميرين و إن لم يكن كلّهم فبعضهم كذلك لا محاله فاستعداده لحربهم فى تلك الحال موجب لاستعدادهم لحربه و تأهّبهم للقائه و ملجئا(۱) لهم إلى قتاله، ففيه صرف لقلب من كان متردّدا فى الأمر و مريدا للخير (و لكن قد وقتّ لجرير وقتا لا يقيم بعده الّا مخدوعا أو عاصيا) وجه الحصر أنّ تخلّفه عن الوقت الموقت له إمّا أن يكون بسبب تأخيرهم فى الجواب خداعا له و أخذا فى تلك المدّه بتهيّه الأسباب، و إمّا أن يكون بسبب تقصير منه فى المبادره إلى المراجعه إليه، فيكون عاصيا و لما لم يستصوب رأيهم أشار إلى وجه المصلحه و ما هو الرّأى الصّواب بقوله:

(و الرّأى مع الاناه)، و ذلك لأنّ إصابه المطالب و الظفر بها إنّما يكون فى الغالب بالتثبت و التّأنّى، لأنّ اناه الطالب هى مظنّه فكره فى الاهتداء إلى تلخيص الوجه الأليق و الأشمل للمصلحه فى تحصيل مطلوبه، و لذلك جعل التوءده من جنود العقل و التّسرّع و هو ضدّها من جنود الجهل.

۱- (۱) اسم فاعل من الالجاء و هو الاكراه و الاغلاق منه.

قال بعض المحقّقين(۱): التّوءده صفه نفسانیه من فروع ملکه التّوسط و الاعتدال فی القوّه الغضبیّه یعنی هیئه الوقار کما أنّ التّسرّع الذی هو ضدّها و هو الاشتیاط من فروع الافراط فیها.

و توضیحه ما قاله بعض(۲) شرّاح الکافی حیث قال: التوءده تابعه للسّکون و الحلم الذین من أنواع الاعتدال فی القوّه الغضبیّه فانّ حصولها یتوقّف علیهما أمّا علی السّکون فلأنّه عباره عن نقل النّفس و عدم خفّتها فی الخصومات، و أمّا علی الحلم فلأنّه عباره عن الطمأنینه الحاصله للنّفس باعتبار ثقلها و عدم خفّتها بحیث لا یحرّکها الغضب بسرعه و سهوله، و إذا حصلت للنّفس هاتان الصّفتان أمکن لها التّأنّی و التثبت و عدم العجله فی البطش و الضّرب و الشّتم إلی غیر ذلک من أنواع المؤاخذه.

و کیف کان فلمّا أجابهم بکون صلاح الامر فی الاناه عقّبه بالأمر بملازمتها بقوله (فأرودوا) فانّ الرّفق و المداراه الذین هما معنی الارواد لا زمان للتثبت و الاناه، و لمّا کان ظاهر کلامه مفیدا لکون الصّواب فی الاناه مطلقا استدرک ذلک بقوله (و لا اکره لکم الاعداد) قال الشّارح المعتزلی: و لا تناقض بینه و بین نهیه لهم سابقا عن الاستعداد، لأنّه کره منهم إظهار الاستعداد و الجهر به و لم یکره الاعداد فی السرّ و علی وجه الکتمان و الخفاء، و قال الشارح البحرانی: إنّه علیه السّلام نبّه بذلک علی أنّه ینبغی لهم أن یکونوا علی یقظه من هذا الامر حتّی یکونوا حال إشارته إلیهم قریبین من الاستعداد.

و قال البحرانی أیضا: إنّ قوله (و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عینه و قلّبت ظهره و بطنه) استعاره علی سبیل الکنایه فانّه استعار لفظ العین و الانف و الظهر و البطن التی حقایق فی الحیوان، لحاله مع معاویه فی أمر الخلافه و خلاف أهل الشّام له، و کنّی بالعین و الأنف عن المهمّ من هذا الأمر و خالصه، فانّ العین و الانف

۱- (۱) ملا صدرا فی شرح اصول الکافی، منه.

۲- (۲) ملا صالح المازندرانی فی شرح اصول الکافی منه،.

أعزّ ما فى الوجه، و كنّى بالضّرب لهما عن قصده للمهمّ على سبيل الاستعاره أيضا، و كنّى بلفظ الظهر و البطن لظاهر هذا الأمر و باطنه و وجوه الرّأى فيه و لفظ التقليب لتصفح تلك الوجوه و عرضها على العقل واحدا واحدا.

ثمّ أشار إلى ما تحصّل له بعد التّروى و التفكّر و التّقليب بقوله:(فلم أر فيه إلاّ القتال أو الكفر بما جاء) به (محمّد صلّى اللّه عليه و آله) و من المعلوم أنّ الكفر فى حقّه عليه السّلام محال فتعيّن القتال، و وجه انحصار الأمر فيهما أنّه كان مأمورا من اللّه و من رسوله بقتال النّاكثين و القاسطين و المارقين، فكان أمره دائرا بين المقاتله و الجهاد امتثالا للأمر و التّرك و المنابذه كفرا و عصيانا، و ربّما يسمّى ترك بعض الواجبات بالكفر حسبما مرّ تفصيلا فى شرح آخر فقرات الخطبه الاولى أعنى قوله: و من كفر فانّ اللّه غنىّ عن العالمين، فتذكّر و يدلّ على كونه مأمورا بقتال هؤلاء ما رواه فى البحار من أمالى الشّيخ باسناده عن مجاهد عن ابن عبّاس قال لمّا نزلت:

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ وَ الْمُنافِقِينَ » قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: لأجاهدنّ العمالقه يعنى الكفّار و المنافقين، فأتاه جبرئيل قال:

أنت أو علىّ و من الكافى باسناده عن الفضيل بن عياض عن أبى عبد اللّه عن أبيه عليهما السّلام قال:

قال: بعث اللّه محمّدا بخمسه أسياف ثلاثه منها شاهره، و سيف منها مكفوف، و سيف سله إلى غيرنا ثمّ قال: و أمّا السّيف المكفوف فسيف على أهل البغى و التأويل، قال اللّه تعالى:

«وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ » فلمّا نزلت هذه الآيه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّ منكم من يقاتل بعدى على التّأويل كما قاتلت على التّنزيل فسئل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من هو؟ فقال: خاصف النّعل يعنى أمير المؤمنين

فقال: عمّار بن یاسر: قاتلت بهذه الرّایه مع النّبیّ ثلاثا، و هذه الرّابعه، و اللّه لو زحفوا حتّی بلغوا بنا السّعفات من هجر لعلمنا أنّا علی الحقّ و أنّهم علی الباطل و من العیون باسناد التّمیمی عن الرّضا عن آبائه علیهم السلام، قال: قال علیّ علیه السّلام: أمرت بقتال الناکثین و القاسطین و المارقین و من رجال النّجاشی مسندا عن عبد اللّه بن عبید اللّه بن أبی رافع، عن أبیه، عن أبی رافع قال: دخلت رسول اللّه و هو نائم أو یوحی إلیه و إذا حیّه فی جانب البیت فکرهت أن أقتلها فاوقظه، فاضطجعت بینه و بین الحیّه حتّی ان کان منها سوء یکون لی دونه، فاستیقظ و هو یتلو هذه الآیه:

«إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ » ثمّ قال: الحمد للّه الذی أکمل لعلیّ منیته، و هنیئا لعلیّ بتفضیل اللّه إیّاه، ثمّ التفت فرآنی إلی جانبه فقال: ما أضجعک ههنایا أبا رافع؟ فأخبرته خبر الحیّه فقال: قم إلیها فاقتلها، فقتلتها، ثمّ أخذ رسول اللّه بیدی فقال یا أبا رافع کیف أنت و قوم یقاتلون علیّا هو علی الحقّ و هم علی الباطل یکون فی حقّ اللّه جهادهم فمن لم یستطع جهادهم فبقلبه و من لم یستطع بقلبه فلیس وراء ذلک شیء، فقلت: ادع لی إن أدرکتهم أن یعیننی اللّه و یقوینی علی قتالهم، فقال صلّی اللّه علیه و آله: اللّهمّ إن أدرکهم فقوّه و أعنه ثمّ خرج إلی النّاس فقال: یا أیّها النّاس من أحبّ أن ینظر إلی أمینی علی نفسی فهذا أبو رافع أمینی علی نفسی.

قال عون بن عبید اللّه بن أبی رافع: فلمّا بویع علیّ و خالفه معاویه بالشّام و سار طلحه و الزّبیر إلی البصره، قال أبو رافع هذا قول رسول اللّه سیقاتل علیّا قوم یکون حقّا فی اللّه جهادهم فباع أرضه بخیبر و داره ثمّ خرج مع علیّ علیه السّلام و هو شیخ کبیر له خمس و ثمانون سنه، و قال: الحمد للّه لقد أصبحت و لا أحد بمنزلتی لقد بایعت البیعتین: بیعه العقبه، و بیعه الرّضوان، و صلّیت القبلتین و هاجرت الهجر الثلاث،

ص:۲۱۲

قلت: و ما الهجر الثّلاث؟ قال: هاجرت مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض الحبشه، و هاجرت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى المدينه، و هذه الهجره مع علىّ بن أبى طالب إلى الكوفه فلم يزل مع علىّ حتّى استشهد علىّ عليه السّلام فرجع أبو رافع إلى المدينه مع الحسن لا دار له بها و لا أرض فقسّم له الحسن دار علىّ بنصفين و أعطاه سنخ أرض اقطعه إيّاها فباعها عبيد اللّه بن رافع من معاويه بمأه ألف و سبعين ألفا و الأخبار فى هذا المعنى من طريق الخاصّه و العامّه كثيره، و فيما ذكرناه كفايه.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد الاشاره إلى مصير مآل أمره مع معاويه إلى القتال، نبّه على بطلان ما نسبه إليه معاويه و جعله عذرا لمخالفته و سببا لعصيانه له، و هو الطلب بدم عثمان و تهمته له بذلك فقال:(انّه كان على الأمه وال) و هو عثمان بن عفان (أحدث) فى الدّين (احداثا) و أبدع بدعا (و أوجد النّاس مقالا) أى أبدى لهم طريقا إليه باحداثه (فقالوا) فى حقّه و أكثروا القول فى أحداثه (ثمّ نقموا فغيّروا) أى أنكروا و عتبوا و طعنوا عليه فغيّروه و أزالوه و ينبغى تذييل المقام بامرين:

الاول

اعلم أنّ الشّارح المعتزلى قد ذكر فى شرح هذا الكلام حال أمير المؤمنين منذ قدم الكوفه بعد وقعه الجمل إلى أن سار إلى صفّين، و قد أردت أن اذكر طرفا ملخّصا ممّا رواه ممّا له ارتباط بالمقام و فيه توضيح للمرام باسقاط الزّوايد المستغنى عنها حذرا من الاطناب المملّ فأقول:

فى الشّرح من كتاب الصّفين لنصر بن مزاحم أنّ عليّا حين قدم من البصره إلى الكوفه بعد انقضاء أمر الجمل كاتب إلى العمّال فكتب إلى جرير بن عبد اللّه البجلى و كان عاملا لعثمان على ثغر همدان كتابا مع زجر بن قيس، فلمّا قرء جرير الكتاب قام فقال: أيّها النّاس هذا كتاب أمير المؤمنين و هو المأمون على الدّين و الدّنيا و قد كان من أمره و أمر عدوّه ما يحمد اللّه عليه، و قد بايعه النّاس الأوّلون من المهاجرين و الأنصار و التّابعين باحسان، و لو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين

كان أحقّهم بها، ألا و إنّ البقاء فى الجماعه و الفناء فى الفرقه، و إنّ عليّا حاملكم على الحقّ ما استقمتم، فان ملتم أقام ميلكم، فقال النّاس: سمعا و طاعه رضينا رضينا، نكتب جرير إلى عليّ جواب كتابه بالطاعه قال نصر: و أقبل جرير سايرا من ثغر همدان حتّى ورد على عليّ الكوفه، فبايعه و دخل فيما دخل فيه النّاس فى طاعته و لزوم أمره، فلمّا أراد عليّ أن يبعث إلى معاويه رسولا قال له جرير: ابعثنى يا أمير المؤمنين إليه فأدعوه على أن يسلّم لك الأمر و يجامعك على الحقّ على أن يكون أميرا من امرائك و أدعو أهل الشّام إلى طاعتك فجلّهم قومى و أهل بلادى، و قد رجوت أن لا يعصونى، فقال له عليه السّلام الأشتر: لا تبعثه و لا تصدّقه فو اللّه إنّى لأظنّ هواه هواهم و نيته نيّتهم، فقال له عليه السّلام:

دعه حتّى ننظر ما يرجع به إلينا، فبعثه عليّ و قال له حين أراد أن يبعثه إنّ حولى من أصحاب رسول اللّه من أهل الرّأى و الدّين من قد رأيت و قد اخترتک لقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّ فيک من خير ذى يمن ائت معاويه بكتابى فان دخل فيما دخل فيه المسلمون و إلاّ فانبذ إليه و اعلمه أنّى لا أرضى به أميرا، و إنّ العامّه لا ترضى به خليفه.

فانطلق جرير حتّى أتى الشّام و نزل بمعاويه، فلمّا دخل عليه حمد اللّه، و أثنى عليه و قال: أمّا بعد يا معاويه فانّه قد اجتمع لابن عمّك أهل الحرمين و أهل المصرين و أهل الحجاز و أهل اليمن و أهل العروض، و العروض عمان، و أهل البحرين و اليمامه فلم يبق إلاّ هذه الحصون التى أنت فيها لو سال عليها سيل من أوديته غرقها و قد أتيتک أدعوک إلى ما يرشدک و يهديک إلى مبايعه هذا الرّجل، و دفع إليه كتاب عليّ و يأتى ذكر هذا الكتاب فى باب المختار من كتبه عليه السّلام فى الكتاب إنشاء اللّه فلمّا قرء الكتاب قام جرير فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال، أيّها النّاس إنّ أمر عثمان قد أعيى من شهده فما ظنكم بمن غاب عنه، و إنّ النّاس بايعوا عليّا غير واتر و لا موتور، و كان طلحه و زبير ممّن بايعه ثمّ نكثا بيعته على غير حدث ألا و إنّ هذا الدّين لا يحتمل الفتن، ألا و انّ العرب لا يحتمل السّيف، و قد كانت بالبصره

أمس ملحمه إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للنّاس، و قد بايعت العامّه عليّا و لو ملكنا و اللّه امورنا لم نختر لها غيره و من خالف هذا استعتب فادخل يا معاويه فيما دخل فيه النّاس.

فان قلت استعملنى عثمان ثمّ لم يعزلنى، فانّ هذا قول لو جاز لم يقم للّه دين و كان لكلّ امرء ما فى يديه، و لكن اللّه جعل للآخر من الولاه حقّ الأوّل و جعل الامور موطاه و حقوقا ينسخ بعضها بعضا، فقال معاويه انظر و ننظر و استطلع رأى أهل الشّام، فمضت أيّام و أمر معاويه مناديا ينادى الصّلاه جامعه فلمّا اجتمع النّاس صعد المنبر و قال بعد كلام طويل: أيّها النّاس قد علمتم أنّى خليفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و أمير المؤمنين عثمان بن عفّان عليكم، و إنّى لم اقم رجلا منكم على خزايه قطّ، و انّى ولىّ عثمان و قد قتل مظلوما و اللّه تعالى يقول:

«وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً » و أنا احبّ أن تعلمونى ذات أنفسكم فى قتل عثمان، فقام أهل الشّام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، و بايعوه على ذلک و أوثقوا اللّه على أن يبذلوا بين يديه أموالهم و أنفسهم حتّى يدركوا بثاره أو يفنى اللّه أرواحهم قال نصر: فلمّا أمسى معاويه اغتمّ بما هو فيه و جنّه اللّيل و عنده أهل بيته و استحثّه جرير بالبيعه، فقال يا جرير: إنّها ليست بخلسه و إنّه أمر له ما بعده فابلغ (فابلع خ ل) ريقى و دعا ثقاته فأشار عليه أخوه بعمرو بن العاص، و قال إنّه من قد عرفت، و قد اعتزل أمر عثمان فى حياته و هو لامرک أشدّ اعتزالا إلاّ أن يثمن له دينه و قد ذكرنا فى شرح الفصل الثّالث من فصول الخطبه السّادسه و العشرين روايه استدعائه عمرو بن العاص و ما شرط له من ولايه مصر و استقدامه شرجيل بن السّمط و دسس الرّجال عليه يغرّونه بعلىّ عليه السّلام و يشهدون عنده أنّه قتل عثمان حتّى

ملئوا قلبه و صدره حقدا بمالا حاجه إلى اعادته قال نصر: فخرج شرجيل فأتى حصين بن نمير فقال: ابعث فليأتنا فبعث إليه حصين ان زرنا فعندنا شرجيل فاجتمعا عند حصين، فتكلّم شرجيل فقال: يا جرير أتيتنا بأمر ملفّف لتلقينا فى لهوات الأسد و أردت أن تخلط الشّام بالعراق و أطريت عليّا و هو قاتل عثمان و اللّه سائلك عمّا قلت يوم القيامه فأقبل عليه جرير و قال يا شرجيل أما قولك: إنّى جئت بأمر ملفّف فكيف يكون أمرا ملفّفا و قد اجتمع عليه المهاجرون و الأنصار و قوتل على ردّه طلحه و الزّبير، و أمّا قولك إنّى ألقيتك فى لهوات الأسد ففى لهواتها القيت نفسك، و أمّا خلط الشّام بأهل العراق فخلطهما على حقّ خير من فرقتهما على باطل، و أمّا قولك: إنّ عليّا قتل عثمان فو اللّه ما فى يديك من ذلك الاّ الرّجم بالغيب من مكان بعيد، و لكنّك ملت الى الدّنيا و شىء كان فى نفسك على زمن سعد بن أبى وقاص فبلغ معاويه قول الرّجلين فبعث الى جرير و زجره و كتب جرير الى شرجيل أبياتا يعظه فيها فذعر شرجيل و فكر و قال هذا نصيحه لى فى دينى لا و للّه لا اعجل فى هذا الأمر لشىء و كاد يحول عن نصر معاويه فلفف معاويه له الرّجال يدخلون اليه و يخرجون و يعظّمون عنده قتل عثمان، حتّى أعادوا رأيه و شحذوا عزمه، ثمّ حثّه معاويه على السّير فى مداين الشّام و النّداء فيها انّ عليّا قتل عثمان و أنّه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه، فسار شرجيل فبدء بأهل حمص فأجابه النّاس كلّهم إلاّ نساكا من أهل حمص، فانّهم قالوا له: بيوتنا قبورنا و مساجدنا و أنت أعلم بما ترى و جعل شرجيل يستنهض مداين الشّام حتّى استفرغها لا يأتى على قوم إلاّ قبلوا ما أتاهم به.

قال نصر: فآيس جرير عند ذلك من معاويه و من عوام أهل الشّام، و كان معاويه قد أتى جريرا قبل ذلك فى منزله فقال: يا جرير انّى قد رأيت رأيا، قال:

هاته، قال: اكتب الى صاحبك يجعل لى الشّام و مصر جبايه فاذا حضرته الوفات لم يجعل لأحد بعده فى عنقى بيعه و أسلّم له هذا الأمر، و أكتب إليه بالخلافه، فقال جرير:

أكتب ما أردت و اكتب معك، فكتب معاويه بذلك الى علىّ فكتب علىّ إلى جرير أمّا بعد.

فانّما أراد معاويه أن لا يكون لى فى عنقه بيعه و أن يختار من أمره ما أحبّ و أراد أن يورثيك و يبطيك حتّى يذوق أهل الشّام، و أنّ المغيره بن شعبه قد كان أشار علىّ أن استعمل معاويه على الشّام و أنّا بالمدينه فأبيت ذلك عليه، و لم يكن اللّه ليرانى أتّخذ المضلّين عضدا، فان بايعك الرّجل و إلاّ فاقبل و السّلام، و فشا كتاب معاويه فى النّاس و فى حديث صالح بن صدقه قال: أبطأ جرير عند معاويه حتّى اتّهمه النّاس و قال علىّ عليه السّلام: قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده إلاّ مخدوعا أو عاصيا، و أبطأ على علىّ حتّى آيس منه و فى حديث محمّد و صالح بن صدقه قال: و كتب علىّ إلى جرير: أمّا بعد فاذا أتاك كتابى فاحمل معاويه على الفصل ثمّ خيّره و خذه بالجواب بين حرب مخزيه أو سلم محظيه، فان اختار الحرب فانبذ إليه، و إن اختار السّلم فخذه ببيعته و السّلام و يأتى ذكر هذا الكتاب من السّيد فى باب المختار من كتبه قال: فلمّا انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاويه فاقرئه الكتاب و قال له: يا معاويه انّه لا يطبع على قلب إلاّ بذنب، و لا يشرح صدر إلاّ بتوبه، و لا أظنّ قلبك إلاّ مطبوعا عليه أراك قد وقفت بين الحقّ و الباطل كأنّك تنتظر شيئا فى يد غيرك فقال معاويه ألقاك بالفصل فى أوّل مجلس انشاء اللّه، فلمّا بايع معاويه أهل الشّام و ذاقهم قال: يا جرير الحق بصاحبك و كتب اليه بالحرب و كتب فى أسفل الكتاب شعر كعب بن جعيل

أرى الشّام تكره أهل العراقو أهل العراق لهم كارهونا

و قد مرّ تمام ذلك الشّعر فى شرح الكلام الثلاثين أقول و روى انّ الكتاب الذى كتبه عليه السّلام مع جرير صورته:

انّى قد عزلتك ففوّض الأمر إلى جرير و السّلام

ص:۲۱۷

و قال لجرير: صن نفسک عن خداعه فان سلّم إليک الأمر و توجه إليّ فأقم أنت بالشام، و إن تعلّل بشيء فارجع، فلما عرض جرير الكتاب على معاويه تعلّل بمشاوره أهل الشام و غير ذلک، فرجع جرير و کتب معاويه فی اثره فی ظهر کتاب علیّ علیه السّلام: من ولّاک حتی تعزلنی و السلام قال نصر لمّا رجع جرير إلی علیّ کثر قول النّاس فی التّهمه لجرير فی أمر معاويه فاجتمع جرير و الاشتر عند علیّ فقال الاشتر: أما و اللّه يا أمير المؤمنين ان لو کنت ارسلتنی إلی معاويه لکنت خيرا لک من هذا الذی أرخا من خناقه و أقام عنده حتّی لم يدع بابا يرجو فتحه إلّا فتحه، و لا بابا يخاف أمره إلّا سدّه، فقال جرير: و اللّه لکنت أتيتهم لقتلوک و خوّفه بعمر و ذوی الکلاع و حوشب، و قال: إنّهم يزعمون إنّک من قتله عثمان، فقال الأشتر: و اللّه لو أتيتهم لم يعينی جوابها و لم يثقل علیّ محملها و لحملت معاويه علی خطه اعجله فيها عن فکره، قال: فأتهم إذن، قال: الآن و قد افسدتهم و وقع بيننا الشرّ قال نصر و روی الشّعبی قال: اجتمع جرير و الاشتر عند علیّ فقال الأشتر:

أليس قد نهيتک يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرا و أخبرتک بعداوته و غشّه، و أقبل الأشتر يشتمه و يقول: يا أخا بجيله إنّ عثمان اشتری منک دينک بهمدان، و اللّه ما أنت بأهل أن تمشی فوق الأرض حيّا إنّما أتيتهم لتتّخذ عندهم يدا بمسيرک إليهم ثمّ رجعت إلينا من عندهم تهدّدنا بهم، أنت و اللّه منهم و لا أری سعيک إلّا لهم، لئن أطاعنی فيک أمير المؤمنين ليحبسنّک و أشباهک فی محبس لا يخرجون حتّی يستتمّ هذه الأمور و يهلک اللّه الظالمين.

قال جرير: وددت و اللّه لو کنت مکانی بعثت اذن و اللّه لا ترجع، قال: فلمّا سمع جرير مثل ذلک من قوله فارق عليّا عليه السّلام فلحق بقرقيساء، و لحق به اناس من قسر من قومه فلم يشهد صفين من قسر غير تسعه عشر رجلا، و لکن شهدها من أحمس سبعمائه رجل و خرج علیّ عليه السّلام إلی دار جرير فهدمه و هدم دور قوم ممّن خرج معه حيث فارق عليّا.

ص:۲۱۸

التذييل الثانی

اشاره

فی احداث عثمان و بدعه و مطاعنه و المثالب التی طعن بها فیه

و هی کثیره و نحن نذکر منها هنا عشرین.

الاول

أنّه ولّی امور المسلمین من لا یصلح لذلک و لا یؤتمن علیه، و من ظهر منه الفسق و الفساد، و من لا علم له مراعاتا لحرمه القرابه وعد و لا عن مراعاه حرمه الدّین و النّظر للمسلمین حتّی ظهر ذلک منه و تکرّر، و قد کان عمر حذّره من ذلک حیث وصفه بأنّه کلف بأقاربه و قال له: إذا ولیت هذا الامر فلا تسلّط بنی أبی معیط علی رقاب النّاس، فوقع منه ما حذّره إیّاه و عوتب فی ذلک فلم ینفع العتب و ذلک نحو استعماله الولید بن عقبه و تقلیده إیّاه حتّی ظهر منه شرب الخمر و استعماله سعید بن العاص حتّی ظهرت منه الامور التی عندها أخرجه أهل الکوفه و تولیته عبد اللّه بن أبی سرج، و عبد اللّه بن عامر بن کریز حتّی روی عنه فی أمر ابن أبی سرج أنّه لمّا تظلّم منه أهل مصر و صرفه عنهم بمحمّد بن أبی بکر کاتبه بأن یستمرّ علی ولایته فأبطن خلاف ما أظهر فعل من غرضه خلاف الدّین، و یقال إنّه کاتبه بقتل محمّد بن أبی بکر و غیره ممّن یردّ علیه، و ظفر بذلک الکتاب و لذلک عظم التظلم من بعد و کثر الجمع، و کان سبب الحصار و القتل حتّی کان من أمر مروان و تسلّطه علیه و علی امور ما قتل بسببه

الثانی

أنّه ردّ الحکم بن أبی العاص طرید رسول اللّه إلی المدینه و قد امتنع أبو بکر من ردّه، فصار بذلک مخالفا للسنّه و لسیره من تقدّمه و قد شرط علیه فی عقد البیعه اتّباع سیرتهما.

الثالث

أنّه کان یؤثر أهل بیته بالأموال العظیمه من بیت مال المسلمین، و قد مرّ ما یوضحه فی شرح کلامه فی الخطبه الشقشقیّه یخضمون مال اللّه خضم الابل نبت الرّبیع، فتذکّر.

الرابع

أنّه حمى الحمى عن المسلمين مع أنّ رسول اللّه جعلهم شرعا سواء فى الماء و الكلاء روى المرتضى عن الواقدى باسناده قال: كان عثمان يحمى الرّبذه و الشرف و النقيع، فكان لا يدخل الحمى بعير له و لا فرس و لا لبنى اميّه حتّى كان آخر الزّمان فكان يحمى الشّرف لابله و كانت ألف بعير، و لابل الحكم بن أبى العاص، و الرّبذه لابل الصّدقه، و يحمى النّقيع لخيل المسلمين و خيله و خيل بنى اميّه

الخامس

أنّه اعطى من بيت مال الصّدقه المقاتله و غيرها، و ذلك ممّا لا يحلّ فى الدّين لأنّ المال الذى جعل اللّه له جهه مخصوصه لا يجوز العدول به عن تلك الجهه

السادس

أنه ضرب عبد اللّه بن مسعود حتى كسر بعض أضلاعه، و قد رووا فى فضله فى صحاحهم أخبارا كثيره قال المرتضى فى محكيّ الشّافى: قد روى كلّ من روى السّيره على اختلاف طرقهم أنّ ابن مسعود كان يقول: ليتنى و عثمان برمل عالج يحثو عليّ و أحثو عليه حتّى يموت الأعجز منّى و منه، و كان يقول فى كلّ يوم جمعه بالكوفه جاهرا معلنا إنّ أصدق القول كتاب اللّه، و أحسن الهدى هدى محمّد، و شرّ الامور محدثاتها، و كلّ محدث بدعه، و كلّ بدعه ضلاله، و كلّ ضلاله فى النّار، و إنّما كان يقول ذلك معرّضا بعثمان حتّى غضب الوليد بن عقبه من استمرار تعريضه و نهاه عن خطبته هذه فأبى أن ينتهى فكتب إلى عثمان فيه فكتب عثمان يستقدمه عليه و روى الواقدى و غيره أنّ ابن مسعود لمّا استقدم المدينه دخلها ليله جمعه فلمّا علم عثمان بدخوله قال: أيّها النّاس إنّه قد طرقكم الليله دويبه من تمش (من تمرّ على طعامه نقى و تسلخ خ ل) على طعامه يقى و يصلح، فقال ابن مسعود لست كذلك، و لكنّنى صاحب رسول اللّه يوم بدر، و صاحبه يوم أحد، و صاحبه يوم بيعه

الرّضوان، و صاحبه يوم الخندق، و صاحبه يوم حنين، قال: و صاحت عايشه يا عثمان أتقول هذا لصاحب رسول اللّه؟ فقال عثمان: اسكتى، ثمّ قال لعبد اللّه بن زمعه بن الأسود أخرجه اخراجا عنيفا، فاحتمله حتّى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعا من أضلاعه فقال: قتلنى ابن زمعه الكافر بأمر عثمان

السابع

أنّه جمع النّاس على قراءه زيد بن ثابت خاصه و أحرق المصاحف و أبطل ما لا شك أنّه منزل من القرآن و أنّه مأخوذ من الرّسول، و لو كان ذلک حسنا لسبق إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد مرّ توضيح ذلک فى التّنبيه الثّانى من تنبيهات الفصل من فصول الخطبه الاولى و الطعن فى ذلک من وجهين احدهما أنّ جمع النّاس على قراءه زيد إبطال للقرآن المنزّل و عدول عن الرّاجح إلى المرجوح فى اختيار زيد من جمله قرّاء القرآن، بل هو ردّ صريح لقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نزل القرآن على سبعه أحرف كلّها كاف شاف على ما ورد فى صحاح أخبارهم الثانى أنّ إحراق المصاحف الصّحيحه استخفاف بالدّين محادّه للّه ربّ العالمين

الثامن

أنّه أقدم على عمّار بن ياسر بالضّرب حتّى حدث به فتق، و لهذا صار أحد من ظاهر المتظلمين من أهل الأمصار على قتله و كان يقول قتلنا كافرا قال المرتضى فى محكىّ الشّافى: ضرب عمّار ممّا لم يختلف فيه الرّواه و إن اختلفوا فى سببه، فروى عبّاس بن هشام الكلبى عن أبى مخنف فى اسناده أنّه كان فى بيت المال بالمدينه سفط فيه حلىّ و جوهر فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله و اظهر النّاس الطعن عليه فى ذلک و كلّموه فيه بكلّ كلام شديد حتّى غضب فخطب و قال: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء و إن رغمت أنوف أقوام، فقال له علىّ اذا تمنع من ذلک و يحال بينک و بينه، فقال عمّار: اشهد و اللّه انّ أنفى أوّل راغم من ذلک، فقال عثمان أعلىّ يابن ياسر و سميّه تجترى؟ خذوه، فأخذ و دخل عثمان فدعا به فضربه حتّى غشى عليه، ثمّ اخرج فحمل حتّى اتى به منزل امّ سلمه فلم يصلّ

الظهر و العصر و المغرب فلمّا أفاق توضّأ و صلّى و قال الحمد للّه ليس هذا أوّل يوم أوذينا فى اللّه.

فقال هشام بن الوليد بن المغيره المخزومى و كان عمّار حليفا لبنى مخزوم:

يا عثمان أمّا علىّ عليه السّلام فاتّقيته، و أمّا نحن فاجرأت علينا و ضربت أخانا حتّى أشفيت به على التّلف أما و اللّه لئن مات لأقتلنّ به رجلا من بنى اميّه عظيم الشأن، فقال عثمان: و إنّك ههنا يابن القسريّه قال: فانّهما قسريّتان و كانت امّ هشام وجدته قسريتين من بحيله فشتمه عثمان و أمر به فاخرج، و اتى به امّ سلمه فاذا هى قد غضبت لعمّار و بلغ عايشه ما صنع بعمّار فغضبت أيضا و أخرجت شعرا من شعر رسول اللّه و نعلا من نعاله و ثوبا من ثيابه و قالت أسرع ما تركتم سنّه نبيّكم و هذا شعره و ثوبه و نعله لم تبل و روى آخرون أنّ السّبب فى ذلك أنّ عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل عبد اللّه بن مسعود، فغضب على عمّار لكتمانه إيّاه موته إذ كان المتولّى للصّلاه عليه و القيام بشأنه فعندها و طىء عثمان عمّارا حتّى أصابه الفتق و روى آخرون أنّ المقداد و طلحه و الزّبير و عمّار او عدّه من أصحاب رسول اللّه كتبوا كتابا عدّدوا فيه أحداث عثمان و خوّفوه ربّه و أعلموا أنّهم مواثبوه ان لم يقلع فأخذ عمّار الكتاب فأتاه به فقرأه منه صدرا، ثمّ قال له أعلىّ تقدم من بينهم، فقال إنّى أنصحهم لك، قال: كذبت يابن سميّه، فقال: أنا و اللّه ابن سميّه و ابن ياسر، فأمر عثمان غلمانا له فمدّوا بيديه و رجليه ثمّ ضربه عثمان برجليه و هى فى الخفّين على مذاكيره فأصابه الفتق و كان ضعيفا كبيرا فغشى عليه و قال المحدّث المجلسى: و عندى أنّ السّبب الحامل لعثمان على ما صنع بعمّار هو أنّ عمّارا كان من المجاهرين بحبّ علىّ عليه السّلام و أنّ من غلبه على الخلافه غاصب لها فحملته عداوته لأمير المؤمنين و حبّه للرّياسه على إهانته و ضربه حتّى حدث به الفتق و كسر ضلعا من أضلاعه

ص:٢٢٢

التاسع

ما صنع بأبی ذر من الاهانه و الضرب و الاستخفاف مع علوّ شأنه و تقدّمه فی الاسلام حتّی سیّره إلی الربذه و نفاه و یأتی تفصیل ذلک فی الکتاب حیثما بلغ الکلام محلّه

العاشر

تعطیله الحدّ الواجب علی عبید اللّه بن عمر بن الخطاب، فانه قتل الهرمزان بعد اسلامه بتهمه أنّه اغری أبا لؤلؤه إلی قتل أبیه عمر، فلم یقده عثمان به و قد کان أمیر المؤمنین یطلبه، و روی أنّه لمّا ولی الخلافه أراد قتله فهرب منه إلی معاویه بالشّام.

الحادی عشر

و هو اجمالی قالیّ و هو أنّه لو لم یقدم عثمان علی إحداث یوجب خلعه و البراءه منه لوجب علی الصّحابه أن ینکروا علی من قصده من البلاد متظلّما، و قد علمنا أنّ بالمدینه کان کبار الصحابه من المهاجرین و الأنصار و لم ینکروا علی القوم بل أسلموه و لم یدفعوا عنه، بل أعانوا قاتلیه و لم یمنعوا من قتله و حصره و منع الماء عنه، و هذا من أقوی الدّلیل علی تصدیق الصّحابه للمطاعن فیه و براءتهم منه، و لو لم یکن فی أمره إلاّ ما روی عن أمیر المؤمنین من قوله: اللّه قتله و أنا معه مریدا بذلک رضائهما به لکفی هذا کلّه مضافا إلی أنّهم ترکوه بعد قتله ثلاثه أیّام علی المزابل لم یدفنوه و هو من أدلّ الدلایل علی رضاهم بقتله و یناسب المقام حکایه ظریفه روی فی کتاب الصّراط المستقیم و غیره إنّ ابن الجوزی قال یوما علی منبره سلونی قبل أن تفقدونی فسألته امرأه عمّیا روی أنّ علیّا سار فی لیله إلی سلمان فجهّزه و رجع، فقال: روی ذلک، قالت: فعثمان ثمّ ثلاثه أیّام منبوذا فی المزابل و علیّ حاضر، قال: نعم، قالت: فقد لزم الخطاء لأحدهما، فقال:

إن کنت خرجت من بیتک بغیر إذن زوجک فعلیک لعنه اللّه، و إلاّ فعلیه، فقالت: خرجت عایشه إلی حرب علیّ علیه السّلام باذن النبیّ أولا؟ فانقطع و لم یحر جوابا

الثانی عشر

إتمامه الصّلاه بمنی مع کونه مسافرا و هو مخالف للسنّه و للسّیره، فقد

روی فی البحار من کتاب جامع الاصول عن عبد الرّحمن بن یزید قال: صلّی بنا عثمان بمنی أربع رکعات فقیل ذلک لعبد اللّه بن مسعود، فقال: صلّیت مع رسول اللّه بمنی رکعتین و مع أبی بکر رکعتین و مع عمر رکعتین

الثالث عشر

جرأته علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و مضادّته له، فقد حکی العلامه فی کتاب کشف الحقّ عن الحمیدی قال: قال السدی فی تفسیر قوله تعالی:

«وَ لا أَنْ تَنْکِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً » انّه لمّا توفّی أبو سلمه و عبد اللّه بن حذافه و تزوّج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم امرئتهما امّ سلمه و حفصه قال طلحه و عثمان: أ ینکح محمّد نسائنا إذا متنا و لا ننکح نسائه إذا مات، و اللّه لو قد مات لقد اجلنا علی نسائه بالسّهام، و کان طلحه یرید عایشه و عثمان یرید امّ سلمه فأنزل اللّه تعالی:

«وَ ما کانَ لَکُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ وَ لا أَنْ تَنْکِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِکُمْ کانَ عِنْدَ اللّهِ عَظِیماً » و أنزل «إِنْ تُبْدُوا شَیْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللّهَ کانَ بِکُلِّ شَیْ ءٍ عَلِیماً » و أنزل «إِنَّ الَّذِینَ یُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِیناً »

الرابع عشر

عدم اذعانه بقضاء رسول اللّه، روی العلامه أیضا فی کشف الحقّ عن السّدی فی تفسیر قوله تعالی:

«وَ یَقُولُونَ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنا ثُمَّ یَتَوَلّی فَرِیقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ ما أُولئِکَ بِالْمُؤْمِنِینَ وَ إِذا دُعُوا إِلَی اللّهِ وَ رَسُولِهِ لِیَحْکُمَ »

«بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتابُوا أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ » الآيات قال السّدى: نزلت هذه فى عثمان بن عفّان، قال: لمّا فتح رسول اللّه بنى النّضير فغنم أموالهم فقال عثمان لعليّ: ائت رسول اللّه فاسأله أرض كذا و كذا، فان أعطاكها فأنا شريكك و آتيه أنا فأسأله إيّاها، فان أعطانيها فأنت شريكى فيها فسأله عثمان أوّلا فأعطاه إيّاها فقال له علىّ اشركنى فأبى عثمان، فقال بينى و بينك رسول اللّه فأبى أن يخاصمه إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فقيل له لم لم تنطلق معه إلى النبىّ؟ فقال:

هو ابن عمّه فأخاف أن يقضى له فنزل قوله:

«وَ إِذا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ » إلى قوله «بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ » فلمّا بلغ النبىّ ما انزل اللّه فيه أتى النّبىّ فأقرّ لعلىّ بالحقّ

الخامس عشر

انّه زعم أنّ فى المصحف لحنا، فقد حكى فى البحار من كشف الحق(۱) عن تفسير الثّعلبى فى قوله تعالى: «إِنْ هذانِ لَساحِرانِ » قال قال عثمان: إنّ فى المصحف لحنا فقيل له ألا تغيّره؟ فقال: دعوه فلا يحلّل حراما و لا يحرّم حلالا قال فى البحار: و رواه الرّازى أيضا فى تفسيره

السادس عشر

تقديمه الخطبتين فى العيدين، و كون الصّلاه مقدّمه على الخطبتين قبل عثمان ممّا تظافرت به الأخبار العاميّه و أخبار أهل البيت فى ذلك أيضا بالغه حدّ الاستفاضه و قال العلامه (ره) فى محكيّ المنتهى: لا نعرف فى ذلك خلافا إلّا من بنى أميّه، و فى البحار من التّهذيب باسناده عن محمّد بن مسلم عن أحدهما قال: الصّلاه قبل

۱- (۱) و لم نجده فى الكتاب المذكور و لذلک رويناه عن البحار عنه، منه.

الخطبتين: و کان أوّل من أحدثها بعد الخطبه عثمان لمّا أحدث احداثها کان إذا فرغ من الصّلاه قام النّاس ليرجعوا فلمّا رأى ذلک قدّم الخطبتين و احتبس النّاس للصّلاه

السابع عشر

إحداثه الأذان يوم الجمعه زايدا على ما سنّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو بدعه محرّمه

الثامن عشر

أنّه لم يتمکّن من الاتيان بالخطبه، فقد روى فى البحار من روضه الأحباب أنّه لمّا کان أوّل جمعه من خلافته صعد المنبر فعرضه العىّ فعجز عن أداء الخطبه فترکها، و قال: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم أيّها النّاس سيجعل اللّه بعد عسر يسرا و بعدعىّ نطقا، و إنّکم إلى إمام فعّال أحوج منکم إلى امام قوّال، أقول قولى و أستغفر اللّه لى و لکم فنزل قال و فى روايه أنّه قال: الحمد للّه و عجز عن الکلام، و فى روايه أنّه قال أوّل کلّ مرکب صعب و أنّ أبا بکر و عمر کانا يعدان لهذا المقام مقالا و أنتم إلى امام عادل أحوج منکم إلى امام قائل، و إن أعش فآتکم الخطبه على وجهها و يعلم اللّه إنشاء اللّه تعالى فانّ الظّاهر من الرّوايه أنّ الخطبه کانت خطبه الجمعه الواجبه و أنّ عثمان لمّا حصر و عرضه العىّ ترک الخطبه و لم يأمر أحدا بالقيام بها و إقامه الصّلاه و إلّا لرووه فالأمر فى ذلک ليس مقصورا على العجز و القصور، بل فيه ارتکاب المحظور فيکون أوضح فى الطعن.

التاسع عشر

جهله بالأحکام، فقد روى العلامه فى کشف الحقّ من صحيح مسلم أنّ امرأه دخلت على زوجها فولدت لستّه أشهر فذکر ذلک لعثمان بن عفّان فأمر بها أن ترجم فدخل عليه علىّ عليه السّلام فقال: إنّ اللّه عزّ و جل يقول:

«حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً » و قال أيضا «وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ » فلم يصل رسولهم إليه إلّا بعد الفراغ من رجمها، فقتل المرأه المسلمه، عمدا لجهله بحکم اللّه و قد قال اللّه:

«وَ مَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِیها وَ غَضِبَ اللّهُ عَلَیْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِیماً » و قال أیضا «وَ مَنْ لَمْ یَحْکَمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْکافِرُونَ »...، «وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الظّالِمُونَ »...، «وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ »

الطعن العشرون

قلّه اعتنائه بالشریعه، و قد قال فی البحار أنّ مرویّاته فی کتب الجمهور مع حرص أتباعه من بنی امیّه و المتأخّرین عنهم علی إظهار فضله لم یزد علی مأئه و ستّه و أربعین، و قد رووا عن أبی هریره خمسه آلاف و ثلاثمأه و أربعه و سبعین حدیثا، و ذلک إمّا لغلبه الغباوه حیث لم یأخذ فی طول الصّحبه إلاّ نحوا ممّا ذکر أو لقلّه الاعتناء بروایه کلام الرّسول و کلاهما یمنعان من استیهال الخلافه و الامامهو اعلم أنّ الشّارح المعتزلی بعد ما أورد المطاعن العشره الاول مع الطعن الحادی عشر فی الشّرح و ما أجاب به قاضی القضاه عن تلک المطاعن فی المغنی و ما أورده السیّد فی الشّافی علی تلک الأجوبه أجاب عنها جمیعا بوجه إجمالیّ و هو انّا لا ننکر أنّ عثمان أحدث أحداثا أنکرها کثیر من المسلمین، و لکنّا ندّعی مع ذلک أنّها لم تبلغ درجه الفسق و لا احبطت ثوابه و أنّها من الصغائر التی وقعت مکفّره، و ذلک لأنّا قد علمنا أنّه مغفور له و أنّه من أهل الجنّه لثلاثه أوجه:

أحدها أنّه من أهل بدر و قد قال رسول اللّه إنّ اللّه اطلع علی أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لکم لا یقال: إنّ عثمان لم یشهد بدرا لانا نقول: صدقتم إنّه لم یشهدها و لکنّه تخلّف علی رقیه ابنه رسول اللّه بالمدینه لمرضها و ضرب له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بسهمه و أجره باتّفاق سایر الناس و ثانیها أنه من أهل بیعه الرّضوان الذین قال اللّه تعالی فیهم:

«لَقَدْ رَضِیَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَهِ »

لا يقال: إنّه لم يشهد البيعه تحت الشّجره لانا نقول: صدقتم إنّه لم يشهدها و لكنّه كان رسول اللّه أرسله إلى أهل مكّه و لأجله كانت بيعه الرّضوان حيث ارجف بأنّ قريشا قتلت عثمان، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: و إن كانوا قتلوه لأضر منّها عليهم نارا ثمّ جلس تحت الشّجره و بايع النّاس على الموت ثمّ قال: إن كان عثمان حيّا فأنا بايع عنه فصفح بشماله على يمينه و قال: شمالى خير من يمين عثمان، روى ذلک جميع أرباب أهل السّيره متّفقا عليه و ثالثها انّه من جمله العشره الذين تظاهرت الأخبار بأنّهم من أهل الجنّه و إذا كانت هذه الوجوه الثلاثه دالّه على أنّه مغفور له و أنّ اللّه قد رضى عنه و أنّه من أهل الجنّه بطل أن يكون فاسقا، لأنّ الفاسق عندنا يخرج من الايمان و ينحطّ ثوابه و يحكم له بالنّار و لا يغفر له و لا يرضى عنه و لا يرى الجنّه و لا يدخلها، فاقتضت هذه الوجوه الصّحيحه الثّابته أن يحكم بأنّ كلّ ما وقع منه فهو من باب الصغائر المكفّره توفيقا بين هذه الوجوه و بين روايات الأحداث المذكوره انتهى و يورد عليه انّ المستند فى جميع تلک الوجوه ليس إلاّ ما تفرّد المخالفون بروايته و لا يصحّ التمسّک به فى مقام الاحتجاج كما مرّ مرارا، و الأصل فى أكثرها ما رواه البخارى عن عثمان عبد اللّه قال: قال رجل من أهل مصر لعبد اللّه بن عمر:

أنا سائلک عن شىء فحدّثنى هل تعلم أنّ عثمان فرّيوم أحد؟ قال: نعم، فقال:

تعلم أنّه تغيب عن بدر و لم يشهد؟ قال: نعم قال: تعلم أنّه تغيب عن بيعه الرّضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: اللّه أكبر، قال ابن عمر: تعال ابيّن لک، أمّا فراره يوم أحد فاشهد أنّ اللّه عفا عنه و غفر له، و أمّا تغيّبه عن بدر فانّه كانت تحته بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: و كانت مريضه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ لک أجر رجل ممن شهد بدرا و سهمه، و أما تغيّبه عن بيعه الرّضوان فلو كان أحد أعزّ ببطن مكه من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عثمان و كانت بيعه الرّضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكه فقال رسول اللّه بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان، ثمّ قال ابن عمر اذهب بها الآن معک و ابن عمر هو الذى قعد عن نصره أمير المؤمنين و بايع رجل الحجّاج و لا عبره

بقوله و لا ـ روايته مع قطع النّظر عن ساير رواه الخبر، و حديث العشره المبشّره أيضا ممّا تفرّدوا بروايته، و قد روى أصحابنا تكذيب أمير المؤمنين لهذه الرّوايه.

و هو ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن سليم بن قيس الهلالى قال: لمّا التقى أمير المؤمنين أهل البصره يوم الجمل نادى الزّبير يا أبا عبد اللّه اخرج إلىّ، فخرج الزّبير و معه طلحه، قال: و اللّه إنّكما لتعلمان و أولو العلم من آل محمّد و عايشه بنت أبى بكر أنّ كلّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمّد و قد خاب من افترى، قال الزّبير: كيف نكون ملعونين و نحن أهل الجنّه؟ فقال علىّ عليه السّلام: لو علمت أنّكم من أهل الجنّه لما استحللت قتالكم.

فقال له الزّبير أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل، و هو يروى أنّه سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: عشره من قريش فى الجنّه قال علىّ عليه السّلام: سمعته يحدث بذلک عثمان فى خلافته، فقال له الزّبير: أ فتراه يكذب على رسول اللّه فقال علىّ عليه السّلام لست اخبرک بشىء حتّى تسمّيهم، قال الزبير: أبو بكر، و عمر، و عثمان، و طلحه، و الزبير، و عبد الرّحمن بن عوف، و سعد بن أبى وقاص، و أبو عبيده بن الجرّاح، و سعيد بن عمرو ابن نفيل، فقال له علىّ عليه السّلام عددت تسعه فمن العاشر؟ قال له: أنت قال له علىّ عليه السّلام: أمّا أنت فقد أقررت أنّى من أهل الجنّه، و أمّا ما ادّعيت لنفسک و أصحابک فأنا به من الجاحدين الكافرين، قال الزّبير: أ فتراه كذب على رسول اللّه؟ قال: ما أراه كذب و لكنّه و اللّه اليقين، فقال علىّ عليه السّلام: و اللّه إنّ بعض ما سمّيته لفى تابوت فى شعب فى جبّ فى أسفل درک من جهنّم، على ذلک الجبّ صخره إذا أراد اللّه أن يسعر جهنّم رفع تلک الصّخره، سمعت ذلک من رسول اللّه و إلاّ أظفرک اللّه بى و سفک دمى على يديک و إلاّ أظفرنى اللّه عليک و على أصحابک و عجّل أرواحكم إلى النّار. فرجع الزّبير إلى أصحابه و هو يبكى و يؤيّد ضعفه أيضا أنّه ليس بمروىّ فى صحاحهم إلاّ عن رجلين عدّا انفسهما، و هما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، و عبد الرحمن بن عوف و التّهمه فى روايتهما لتزكيتهما أنفسهما واضحه

و يؤكّده أيضا ما ذكره السيّد (ره) فى الشّافى من أنّه تعالى لا يجوز ان يعلم مكلفا يجوز أن يقع منه القبيح و الحسن و ليس بمعصوم من الذّنوب بأنّ عاقبته الجنه لأنّ ذلك يغريه بالقبيح و لا خلاف فى أنّ أكثر العشره لم يكونوا معصومين من الذّنوب و قد أوقع بعضهم بالاتفاق كباير و ان ادّعى المخالفون أنّهم تابوا منها قال و ما يبيّن بطلان هذا الخبر أنّ أبا بكر لم يحتجّ به لنفسه و لا احتجّ به له فى مواقع وقع فيه الاحتياج إلى الاحتجاج، كالسقيفه و غيرها، و كذلك عمر و عثمان لمّا حوصر و طولب بخلع نفسه و همّوا بقتله، و قد رأينا احتجّ بأشياء يجرى مجرى الفضايل و المناقب، و ذكر القطع له بالجنه أولى و أحرى بأن يعتمد عليه فى الاحتجاج و فى عدول الجماعه عن ذكره دلاله واضحه على بطلانه

تبصره

روى الشّارح المعتزلى فى تضاعيف شرح هذا المقام عن إبراهيم بن و يزيل، قال: حدّثنا زكريّا بن يحيى، قال: حدّثنا علىّ بن القاسم، عن سعيد بن طارق، عن عثمان بن القاسم، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ألا أدلكم على ما إن تسالمتم عليه لم تهلكوا، إنّ وليّكم اللّه و إمامكم علىّ بن أبى طالب فناصحوه و صدّقوه، فان جبرئيل أخبرنى بذلك ثمّ قال الشّارح: فان قلت: هذا نصّ صريح فى الامامه فما تصنع المعتزله قلت: يجوز أن يريد أنّه إمامهم فى الفتاوى و الأحكام الشّرعيه لا فى الخلافه، و أيضا فانّا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديّين ما محصوله أنّ الامامه كانت لعلىّ ان رغب فيها و نازع عليها، و إن أقرّها فى غيره و سكت عنها تولينا ذلك الغير، و قلنا بصحّه خلافته، و أمير المؤمنين لم ينازع الأئمّه الثلاثه و لا جرّد السّيف و لا استنجد بالنّاس عليهم، فدلّ ذلك على اقراره لهم على ما كانوا فيه، فلذلك توليناهم و قلنا فيهم بالطهاره و الخير و الصّلاح، و لو حاربهم و جرّد السّيف عليهم و استصرخ العرب على حربهم، قلنا فيهم ما قلناه فيمن عامله هذه المعامله من التّفسيق و التّضليل انتهى أقول: بعد الاعتراف بكون الرّوايه نصّا صريحا فى الامامه كما هى كذلك

فى الواقع أيضا كيف يجوز تأويله، إذ التأويل إنّما يأتى فى المتشابهات و المحتملات لا فى النّصوصات، و على فرض التنزيل أقول: لاـ أقلّ من كونها ظاهره فى الامامه المطلقه و لا دليل و لا داعى إلى رفع اليد عن الظهور و حملها على الامامه فى الفتاوى و الأحكام مع تنافى المعطوف عليه أعنى قوله: وليّكم، لذلك الحمل أيضا، لأنّ المتبادر منه هو الاولى بالتّصرف حسبما ذكرناه فى مقدّمات الخطبه الشّقشقيّه، مضافا إلى عدم تعارف استعمال لفظ الامامه فى مقام الفتوى و القضا كما لا يخفى و أمّا ما ذكره من قول شيوخه البغداديّين فهو محصّل ما حكيناه عنه فى مقدّمات الخطبه الشقشقيه و فى شرح الكلام السابع و الثلاثين فى أوّل التنبيهين، و نبّهنا هناك على فساده بما لا مزيد عليه و دللنا على أنه عليه السّلام طلب الخلافه و رغب فيها و استنجد فى الناس و استصرخ العرب على الحرب و حمل امرأته و ابناه معه، فلم يدع أحدا من المهاجرين و الأنصار إلّا استنجد بهم و استنصر منهم، فلم يجبه إلّا ثلاثه أو أربعه و لما لم يجد أعوانا كفّ و سكت تقيّه و حقنا لدمه، فليس فى عدم تجريد السيف و النزاع دليلا على التقرير و الرّضاء كما علمت تفصيلا فتذكّر

الترجمه

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن امام عالى مقام است در وقتى كه اشاره كردند بر او أصحاب او بمهيا شدن از براى حرب اهل شام بعد از فرستادن آن حضرت جرير بن عبد اللّه بجلى را بسوى معاويهٔ ملعون مى فرمايد:

بدرستى كه مهيا شدن من از براى محاربهٔ اهل شام و حال آنكه جرير نزد ايشان است اكراه كردن است يا در بستن شام را و باز گردانيدنست اهل آن را از قبول طاعت اگر ارادهٔ طاعت داشته باشند، و لكن من تعيين كرده ام از براى جرير وقتى را كه نمى ايستد بعد از آن وقت مگر فريفته شده يا عصيان ورزيده، و فكر صايب با تأنى و آهستگى است، پس بنرمى كار كنيد، و مكروه نمى شمارم از براى شما مهيا ساختن اسباب حرب را بجهة حزم و احتياط و بتحقيق كه زدم بينى اين كار را و چشم او را و گردانيدم پشت و شكم او را، پس نديدم از براى خود در آن كار مگر

محاربه نمودن یا کافر شدن به آن چیزی که پیغمبر خدا آنرا آورده است، بدرستی که بود بر امّه حضرت رسالت حاکمی که پدید آورد کارهای بی موقع و نا مناسب را، و موجود ساخت از برای مردمان محلّ گفتگو را، پس گفتند در حق او آنچه گفتنی بود، بعد از آن انکار کردند و عتاب نمودند، پس تغییر دادند و بقتل آوردند او را.

و من کلام له علیه السّلام و هو الرابع و الاربعون من المختار فی

اشاره

باب الخطب

لمّا هرب مصقله بن هبیره الشّیبانی إلی معاویه و کان قد ابتاع سبی بنی ناجیه من عامل أمیر المؤمنین و أعتقهم، فلمّا طالبه بالمال خاص به و هرب إلی الشّام قبّح اللّه مصقله فعل فعل السّاده، و فرّ فرار العبید، فما أنطق مادحه حتّی أسکته، و لا صدّق واصفه حتّی نکبه، و لو أقام لأخذنا میسوره، و انتظرنا بماله وفوره.

اللغه

(مصقله) بفتح المیم و هو مصقله بن هبیره بن شبل بن ثیری بن امرء القیس بن ربیعه بن مالک بن ثعلبه بن شیبان، و (بنو ناجیه) قوم نسبوا انفسهم إلی سامه بن لوی بن غالب بن فهر بن مالک بن النّضر بن کنانه، فدفعتهم قریش عن هذا النسب و نسبتهم إلی امّهم ناجیه و هی امرأه سامه بن لوی قالوا إنّ سامه خرج إلی ناحیه البحرین مغاضبا لأخیه کعب بن لوی فطاطات ناقته رأسها لتأخذ العشب فعلق بمشفرها أفعیّ ثمّ عطفت علی قبتها فحکمته به، فدبّ الأفعیّ علی القبت «کذا» حتّی نهش ساق سامه فقتله، و کانت معه امرئته ناجیه فلمّا مات تزوّجت رجلا فی البحرین فولدت منه الحارث، و مات أبوه و هو صغیر فلمّا ترعرع طمعت امّه أن تلحقه بقریش فأخبرته أنّه ابن سامه بن لوی فرحل من البحرین إلی

مكّه و معه أمّه، فاخبر كعب بن لوى أنّه ابن أخيه سامه، فعرف كعب أمّه ناجيه فظنّ أنّه صادق فى دعواه فقبله، و مكث عنده مدّه حتّى قدم ركب من البحرين فرأوا الحارث فسلّموا عليه و حادثوه فسألهم كعب بن لوى اين يعرفونه، فقالوا هذا ابن رجل من بلدنا يعرف بفلان، و شرحوا له خبره فنفاه كعب عن مكه و نفى أمّه فرجعا إلى البحرين فكانا هناك، و تزوّج الحارث و أعقب هذا العقب و (خاس به) يخيس و يخوس أى غدر به، و خاس فلان بالعهد أى أخلف و (التنكيب) التّوبيخ و التّقريع و (الميسور) ضدّ المعسور و (الوفور) مصدر وفر المال اى كثر و تمّ و يجىء متعدّيا و فى بعض النّسخ موفوره و هو التّامّ

الاعراب

جمله قبّح اللّه مصقله دعائيه لا محلّ لها من الاعراب، و جمله فعل فعل السّاده استينافيّه بيانيّه واقعه موقع الجواب عن سؤال علّه الدّعاء بالتقبيح

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السّلام (لمّا هرب مصقله بن هبيره الشيبانى) منه (إلى معاويه و كان) سبب هربه انّه (قد ابتاع سبى بنى ناجيه من) معقل بن قيس الرياحى (عامل أمير المؤمنين و اعتقهم فلمّا طالبه) أمير المؤمنين (بالمال خاس به) و غدر (و هرب إلى الشّام) نحو معاويه فبلغ ذلك إليه عليه السّلام فقال (قبّح اللّه مصقله) و نحاه عن الخير (فعل فعل السّاده) حيث اشترى القوم و اعتقهم (و فرّ فرار العبيد) على ما هو شيمتهم و عادتهم (فما أنطق مادحه حتّى أسكته) يعنى أنّه جمع بين عاتبين متنافيين انطاقه لمادحه بفداء الاسرى مع اسكاته بهر به قبل تمام انطاقه، و هو وصف لسرعه إلحاقه رذيلته بفضيلته حتّى كأنّه قصد الجمع بينهما (و لا صدّق واصفه حتّى نكبه) يعنى أنّه لم يصدق الواصف له بحسن فعله حتّى وبخه بسوء عمله، ثمّ أشار إلى جواب ما يتوهّم اعتذاره به و هو خوف التضييق عليه فى بقيّه المال فقال (و لو أقام) و لم يهرب (لأخذنا) منه (ميسوره و انتظرنا بماله) تمامه (و وفوره) هذا

ص:۲۳۳

و أما قصه بنى ناجيه و سبب هرب مصقله فعلى ما ذكره فى البحار و شرح المعتزلى من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثّقفى بتلخيص منّا هو: أنّ الخريت ابن راشد النّاجى أحد بنى ناجيه قد شهد مع علىّ عليه السّلام صفّين ثمّ استهواه الشّيطان و صار من الخوارج بسبب التّحكيم، فخرج هو و أصحابه إلى المداين و قتلوا فى طريقهم مسلما فوجه أمير المؤمنين إليهم زياد بن حفصه فى مأئه و ثلاثين رجلا، فلحقوهم بالمداين و اقتتلوا هنالك و استشهد من اصحاب زياد رجلان و اصيب منهم خمسه نفر و حال اللّيل بين الفريقين فبات أصحاب زياد فى جانب و تنحّى الخوارج فمكثوا ساعه من اللّيل ثمّ مضوا فذهبوا و لمّا أصبح أصحاب زياد وجدوا أنّهم ذهبوا فمضى أصحاب زياد إلى البصره و بلغهم أنّهم أتوا الأهواز فنزلوا فى جانب منها، و تلاحق بهم ناس من أصحابهم نحو مأتين، فأقاموا معهم و كتب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين يخبره الخبر، و يأتى ذكر ذلك الكتاب و تفصيل قتال الفريقين فى شرح المختار المأه و الثمانين إنشاء اللّه قال إبراهيم فلمّا أتاه الكتاب قرأه على النّاس، فقام إليه معقل بن قيس الرّياحى فقال: أصلحك اللّه يا أمير المؤمنين إنّما كان ينبغى أن يكون مكان كلّ رجل من هؤلاء الذين بعثتهم فى طلبهم عشره من المسلمين فاذا لحقوهم استأصلوا شافتهم و قطعوا دابرهم، فقال عليه السّلام له: تجهّز يا معقل إليهم و ندب معه ألفين من أهل الكوفه فيهم يزيد بن المعقل و كتب إلى عبد اللّه بن العباس و كان عامل البصره أمّا بعد فابعث رجلا من قبلك صليبا شجاعا معروفا بالصّلاح فى ألفى رجل من أهل البصره فليتبع معقل بن قيس فاذا خرج من أرض البصره فهو أمير أصحابه حتّى يلقى معقلا فإذا لقاه فمعقل أمير الفريقين فليسمع منه و ليطعه و لا يخالفه، و مر زياد بن حفصه فليقبل إلينا فنعم المرء زياد و نعم القبيل قبيلته و كتب عليه السّلام إلى زياد أمّا بعد فقد بلغنى كتابك و فهمت ما ذكرت به النّاجى و أصحابه الذين «طَبَعَ اللّٰهُ عَلى قُلُوبِهِمْ » و «زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ » فهم حيارى عمون «يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً »، و وصفت ما بلغ بك و بهم الأمر فأمّا أنت و أصحابك فللّه سعيكم و عليه جزائكم و أيسر ثواب اللّه للمؤمن خير له من الدّنيا التى يقتل الجاهلون أنفسهم عليها فما عندكم ينفد و ما عند اللّه باق و لنجزينّ الّذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، و أمّا عدوّكم الذين لقيتم فحسبهم خروجهم من الهدى و ارتكابهم فى الضّلاله و ردّهم الحقّ و جماحهم فى التّيه، «فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ »، و دعهم «فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ »، ف «أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ » فكانّك بهم عن قليل بين أسير و قتيل، فاقبل الينا أنت و أصحابك ماجورين، فقد أطعتم و سمعتم و أحسنتم البلاء و السلام.

قال: و نزل النّاجى جانبا من الأهواز و اجتمع إليه علوج كثير من أهلها ممّن أراد كسر الخراج و من اللّصوص و طايفه اخرى من الأعراب يرى رأيه.

قال إبراهيم: و روى عن عبد اللّه بن قعين قال: كنت أنا و أخى كعب بن قعين فى ذلك الجيش مع معقل بن قيس، فلما أراد الخروج أتى أمير المؤمنين يودّعه فقال عليه السّلام: يا معقل بن قيس اتّق اللّه ما استطعت فانّه (فانها خ) وصيّه اللّه للمؤمنين لا تبغ على أهل القبله و لا تظلم على أهل الذّمه و لا تتكبّر فانّ اللّه لا يحبّ المتكبّرين، فقال معقل: اللّه المستعان، فقال عليه السّلام: خير مستعان، ثمّ قام فخرج و خرجنا معه حتّى نزل الأهواز، و بعث ابن عباس خالد بن معدان مع جيش البصره فدخل على صاحبنا فسلّم عليه بالامره و اجتمعا جميعا فى عسكر واحد.

قال عبد اللّه بن قعين ثمّ خرجنا إلى النّاجى و أصحابه فأخذوا نحو جبال رامهرمز يريدون قلعه حصينه، و جاءنا أهل البلد فأخبرونا بذلك فخرجنا فى آثارهم فلحقناهم و قد دنوا من الجبل فصففنا لهم، ثمّ أقبلنا نحوهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل، و على ميسرته منجاب بن راشد، و وقف النّاجى بمن معه من العرب فكانوا ميمنه و جعل أهل البلد و العلوج و من أراد

کسر الخراج و جماعه من الاكراد ميسره.

و سار فينا معقل يحرّضنا و يقول: يا عباد اللّه لا تبدءوا القوم و غضّوا الأبصار

ص:۲۳۴

و أقلّوا الكلام و وطنوا أنفسكم على الطعن و الضرب و ابشروا فى قتالهم بالأجر العظيم إنّما تقاتلون مارقه مرقت و علوجا منعوا الخراج و لصوصا و أكرادا فما تنتظرون فاذا حملت فشدّ و اشدّه رجل واحد.

قال فمرّ فى الصّف لكلّهم يقول: هذه المقاله حتّى إذا مرّ بالنّاس كلّهم أقبل فوقف وسط الصّف فى القلب و نظرنا إليه ما يصنع فحرّك رايته تحريكتين ثمّ حمل فى الثالثه و حملنا معه جميعا، فو اللّه ما صبروا لنا ساعه حتّى ولّوا و انهزموا، و قتلنا سبعين عربيا من بنى ناجيه، و من بعض من اتّبعه من العرب، و نحو ثلاثمائه من العلوج، و الأكراد، و خرج النّاجى منهزما حتّى لحق بسيف من أسياف البحر و بها جماعه من قومه كثير فما زال يسير فيهم و يدعوهم إلى خلاف علىّ عليه السّلام و يزيّن لهم فراقه و يخبرهم أنّ الهدى فى حربه و مخالفته حتّى اتّبعه منهم ناس كثير.

و أقام معقل بن قيس بأرض الأهواز و كتب إلى أمير المؤمنين بالفتح و كان فى الكتاب: لعبد اللّه علىّ أمير المؤمنين من معقل بن قيس سلام عليك فانى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلّا هو أمّا بعد، فانّا لقينا المارقين و قد استظهروا علينا بالمشركين فقتلنا منهم ناسا كثيرا و لم نعد فيهم سيرتك، لم نقتل منهم مدبرا و لا أسيرا و لم ندفف منهم على جريح، و قد نصرك اللّه و المسلمين و الحمد للّه ربّ العالمين.

فلما قدم الكتاب على علىّ عليه السّلام قرأه على أصحابه و استشارهم فاجتمع رأى عامّتهم على قول واحد قالوا: نرى أن نكتب إلى معقل بن قيس يتّبع آثارهم و لا يزال فى طلبهم حتّى يقتلهم أو ينفيهم من أرض الاسلام.

فكتب عليه السّلام إليه أمّا بعد فالحمد للّه على تأييده أوليائه و خذله أعدائه، جزاك اللّه و المسلمين خيرا فقد أحسنتم البلاء و قضيتم ما عليكم فاسأل عن أخى بنى ناجيه فان بلغك أنّه استقرّ فى بلد من البلدان فسر إليه حتّى تقتله أو تنفيه، فانّه لم يزل للمسلمين عدوّا و للفاسقين وليّا.

ص:۲۳۶

قال فسأل معقل عن مسيره و المكان الذى انتهى إليه فتبّىء بمكانه بسيف(۱) البحر بفارس و أنّه قد ردّ قومه عن طاعه علىّ عليه السّلام و أفسد من قبله من عبد القيس و من و الاهم من ساير العرب، و كان قومه قد منعوا الصدقه عام صفين و منعوها فى ذلك العام أيضا.

فسار إليهم معقل فى ذلك الجيش من أهل الكوفه و البصره فأخذوا على أرض فارس حتّى انتهوا إلى أسياف البحر فلما سمع النّاجى بمسيره أقبل على من كان معه من أصحابه ممّن يرى رأى الخوارج فأسرّ إليهم أنى أرى رأيكم و أن عليا ما كان ينبغى له أن يحكم الرّجال فى دين اللّه، و قال للآخرين من أصحابه مسرّا إليهم:

إنّ عليّا قد حكم حكما و رضى به فخالف حكمها الذى ارتضاه لنفسه و هذا الرّأى الذى خرج عليه من الكوفه، و قال لمن يراى رأى عثمان و أصحابه: إنّا على رأيكم و إنّ عثمان قتل مظلوما، و قال لمن منع الصّدقه: شدّوا أيديكم على صدقاتكم ثمّ صلوا بها أرحامكم و عودوا إن شئتم على فقرائكم فأرضى كلّ طائفه بضرب من القول.

و كان فيهم نصارى كثير أسلموا، فلما رأوا ذلك الاختلاف قالوا: و اللّه لديننا الذى خرجنا منه خير و أهدى من دين هؤلاء الذين لا ينهيهم دينهم عن سفك الدّماء و إخافه السّبل فرجعوا إلى دينهم، فلقى الناجى اولئك فقال: و يحكم إنّه لا ينجيكم من القتل إلّا الصّبر لهؤلاء القوم و اتّصالهم أ تدرون ما حكم علىّ فيمن أسلم من النصارى ثمّ رجع الى النّصرانيه لا و اللّه لا يسمع له قولا و لا يرى له عذرا، و لا دعوه و لا يقبل منه توبه و لا يدعوه اليها و أنّ حكمه فيه أن يضرب عنقه ساعه يستمكن منه، فما زال حتّى خدعهم فاجتمع اليه ناس كثير و كان منكرا(۲) داهيا، فلما رجع معقل قرء على أصحابه كتابا من علىّ فيه:

۱- (۱) السيف بالكسر ساحل البحر و الجمع أسياف، لغه.

۲- (۲) و النكر و النكاره و النكراه الدهاء و الفطنه يقال رجل نكر كفرح و منكر كمكرم اى ذو نكره و الدهى كالدهاء جوده الراى، منه.

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من قرأ عليه كتابى هذا من المسلمين و المؤمنين و المارقين و النّصارى و المرتدّين، سلام على من اتّبع الهدى و آمن باللّه و رسوله و كتابه و البعث بعد الموت وافيا بعهد اللّه و لم يكن من الخائنين.

أمّا بعد فانّى أدعوكم إلى كتاب اللّه و سنّه نبيّه و أن أعمل فيكم بالحقّ و بما أمر اللّه تعالى به فى كتابه فمن رجع منكم إلى رحله و كفّ يده و اعتزل هذا المارق الهالك المحارب الذى حارب اللّه و رسوله و المسلمين و سعى فى الأرض فسادا فله الأمان على ماله و دمه، و من تابعه على حربنا و الخروج من طاعتنا استعنّا باللّه عليه و جعلناه بيننا و بينه و كفى باللّه وليّا و السّلام.

قال فأخرج معقل رايه أمان فنصبها و قال: من أتاها من الناس فهو آمن إلّا الخريت و أصحابه الذين نابذوا أوّل مرّه، فتفرّق عن الخريت كلّ من كان معه من غير قومه و عبا معقل أصحابه ثمّ زحف بهم نحوه، و قد حضر مع الخريت جميع قومه مسلمهم و نصرانيهم و مانع الصّدقه منهم فجعل مسلمينهم يمنه و مانع الصّدقه يسره.

و سار معقل يحرّض أصحابه فيما بين الميمنه و الميسره و يقول: أيّها النّاس ما تدرون ما سيق اليكم فى هذا الموقف من الأجر العظيم إنّ اللّه ساقكم إلى قوم منعوا الصّدقه و ارتدّوا من الاسلام و نكثوا البيعه ظلما و عدوانا، انّى شهيد لمن قتل منكم بالجنّه، و من عاش بأنّ اللّه يقرّ عينه بالفتح و الغنيمه، ففعل ذلك حتّى مرّ بالنّاس أجمعين ثمّ وقف فى القلب برايته فحملت الميمنه عليهم ثمّ الميسره و ثبتوا لهم و قاتلوا قتالا شديدا، ثمّ حمل هو و أصحابه عليهم فصبروا لهم ساعه.

ثمّ إنّ النعمان بن صهبان أبصرت بالخريت فحمل عليه و ضربه فصرعه عن فرسه ثمّ نزل إليه و قد جرحه فاختلفا بينهما ضربتين فقتله النّعمان و قتل معه فى المعركه سبعون و مأئه و ذهب الباقون فى الأرض يمينا و شمالا، و بعث معقل الخيل

إلى رحالهم فسبى من أدرك فيها رجالا و نساء و صبيانا، ثمّ نظر فيهم فمن كان مسلما خلاه و أخذ بيعته و خلا سبيل عياله، و من كان ارتدّ عن الاسلام عرض عليه الرّجوع إلى الاسلام أو القتل فأسلموا فخلّى سبيلهم و سبيل عيالاتهم إلّا شيخا منهم نصرانيا أبى فقتله.

و جمع النّاس فقالوا ردّوا ما عليكم فى هذه السّنين من الصّدقه فأخذ من المسلمين عقالين(۱) و عمد إلى النّصارى و عيالاتهم فاحتملهم معه، و أقبل المسلمون الذين كانوا معهم يشيّعونهم، فأمر معقل بردّهم فلما ذهبوا لينصرفوا تصايحوا و دعا الرّجال و النساء بعضهم إلى بعض، قال: فلقد رحمتهم رحمه ما رحمتها أحدا قبلهم و لا بعدهم.

و كتب معقل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام أمّا بعد فانى اخبر أمير المؤمنين عن جنده و عن عدوّه إنّا رفعنا إلى عدوّنا بأسياف البحر فوجدنا بها قبايل ذات جدّ و عدد و قد جمعوا لنا فدعوناهم إلى الجماعه و الطاعه و إلى حكم الكتاب و السنّه و قرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين و رفعنا لهم رايه أمان، فمالت الينا طائفه منهم و ثبتت طائفه اخرى، فقبلنا أمر التى أقبلت، و صمدنا إلى التى أدبرت فضرب اللّه وجوهم و نصرنا عليهم، فأمّا من كان مسلما فانا منّنا عليه و أخذنا بيعته لأمير المؤمنين و أخذنا منهم الصّدقه التى كانت عليهم، و أمّا من ارتدّ فعرضنا عليهم الرّجوع إلى الاسلام و إلّا قتلنا فرجعوا إلى الاسلام غير رجل واحد فقتلناه و أمّا النّصارى فانا سبيناهم و أقبلنا لهم ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الذّمه كيلا يمنعوا الجزيه و لا يجترءوا على قتال أهل القبله و هم للصّغار و الذّله أهل، رحمك اللّه يا أمير المؤمنين و أوجب لك جنات النّعيم و السّلام.

قال: ثمّ أقبل بالاسارى حتّى مرّ على مصقله بن هبيره الشيبانى و هو عامل علىّ على أردشير خوّه و هم خمسمائه إنسان فبكى إليه النساء و الصّبيان و تصايح الرّجال يا أبا الفضل يا حامل الثقيل يا مأوى الضعيف و فكاك العصاه، امنن علينا فاشترنا

۱- (۱) اى صدقه عامين قال فى القاموس العقال ككتاب زكاه عام من الابل.

و اعتقنا، فقال مصقله: اقسم باللّه لأتصدّقنّ عليهم إنّ اللّه يجزى المتصدّقين، فبلغ قوله معقلا فقال: و اللّه لو اعلمه قالها توجعا لهم و وجدا و إزراء عليّ لضربت عنقه، و إن كان فى ذلک فناء بنى تميم و بكر بن وايل.

ثمّ إنّ مصقله بعث زهل بن الحارث إلى معقل فقال: بعنى نصارى بنى ناجيه فقال أبيعكم بألف ألف درهم، فأبى عليه فلم يزل يراضيه حتّى باعه إيّاهم بخمسمائه ألف درهم، و دفعهم إليه و قال: عجّل بالمال إلى أمير المؤمنين فقال مصقله: أنا باعث الآن بصدر منه، ثمّ أبعث بصدر آخر و كذلک حتّى لا يبقى منه شيء.

و أقبل معقل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فأخبره بما كان من الامر فقال أحسنت و أصبت و وفقت و انتظر عليّ عليه السّلام أن يبعث مصقله بالمال فأبطأ به، و بلغ عليّا أن مصقله خلّى الاسارى و لم يسألهم أن يعينوه فى فكاك أنفسهم بشيء فقال: ما أرى مصقله إلّا قد حمل حماله و لا أراكم إلّا سترونه عن قريب مبلدحا(۱) ثمّ كتب عليه السّلام إليه أمّا بعد، فانّ أعظم الخيانه خيانه الامه، و أعظم الغشّ على أهل المصر غشّ الامام، و عندک من حقّ المسلمين خمسمائه ألف درهم، فابعث بها إليّ حين يأتيک رسولى و إلّا فاقبل إليّ حين تنظر فى كتابى فانى قد تقدّمت إلى رسولى أن لا يدعک ساعه واحده تقيم بعد قدومه عليک إلّا أن تبعث بالمال و السّلام.

فلما قرء كتابه أتاه بالكوفه فأقرّه أياما لم يذكر له شيئا، ثمّ سأله المال فأدّى، إليه مأتى ألف درهم و عجز عن الباقى ففرّ و لحق بمعاويه فلما بلغ ذلک عليّا قال:

ماله ترحه اللّه فعل فعل السّيد و فرّ فرار العبد، و خان خيانه الفاجر فلو عجز ما زدنا على حسبه، فان وجدنا له شيئا أخذناه، و إن لم نجد له مالا تركناه.

ثمّ سار عليّ عليه السّلام إلى داره فهدمها و كان أخوه نعيم بن هبيره شيعه لعليّ عليه السّلام مناصحا فكتب إليه مصقله من الشام مع رجل من النّصارى تغلب يقال له حلوان أمّا بعد

ص:۲۴۰

۱- (۱) بلدح ضرب بنفسه الى الارض و وعد و لم ينجز العده ق.

فانّی کلّمت معاویه فیک فوعدک الکرامه، و مناک الاماره فأقبل ساعه تلقی رسولی و السّلام.

فأخذه مالک بن کعب الأرحبی فسرح به إلی علیّ علیه السّلام فأخذ کتابه فقرأه ثمّ قدّمه فقطع یده فمات، و کتب نعیم إلی مصقله شعرا یتضمّن امتناعه و تعییره، فلما بلغ الکتاب إلیه علم أنّ النّصرانی قد هلک و لم یلبث التغلبیّون إلاّ قلیلا حتّی بلغهم هلاک صاحبهم، فأتوا مصقله فقالوا: أنت أهلکت صاحبنا فامّا أن تجیئنا به، و إمّا أن تدیه فقال: أمّا أن أجیء به فلست أستطیع ذلک، و أمّا أن أدیه فنعم فودیه قال إبراهیم: و حدّثنی ابن أبی سیف عن عبد الرّحمن بن جندب عن أبیه قال: قیل لعلیّ علیه السّلام حین هرب مصقله: اردد الذین سبوا و لم یستوف ثمنهم فی الرّقّ، فقال علیه السّلام لیس ذلک فی القضاء بحقّ قد عتقوا إذ اعتقهم الذی اشتراهم و صار مالی دینا علی الذی اشریهم

الترجمه

از جملهٔ کلام آن حضرت است در حینی که بگریخت مصقله بن هبیره شیبانی بسوی معاویهٔ ملعون، و جهه فرار او این بود که خریده بود اسیران بنی ناحیه را از معقل بن قیس ریاحی عامل أمیر المؤمنین علیه السّلام و آزاد کرده بود ایشان را، پس زمانی که مطالبه کرد إمام علیه السّلام ثمن آنها را غدر کرد مصقله بآن و گریخت بطرف شام پس چون آن خبر بحضرت رسید فرمود:

دور گرداند خدا مصقله را از رحمت خود، کرد کار خواجگان را که خریدن بندگان بود و آزاد کردن ایشان، و گریخت همچو گریختن غلامان پس گویا نگردانید مدح گویندهٔ خود را تا این که ساکت ساخت او را بغدر و فرار، و تصدیق نکرد وصف کنندهٔ خود را تا این که توبیخ نمود او را بجهه سوء کردار، و اگر اقامت میکرد و نمی گریخت هر آینه دریافت می کردیم از او آنچه مقدور او بود، و انتظار می کشیدیم بمال او افزونی او را، یعنی می گذاشتیم مال او زیاده شود و از عهدهٔ قرض و دین خود بر آید

و من خطبه له علیه السّلام و هی الخامسه و الاربعون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

الحمـد للّه غیر مقنوط من رحمته، و لاـ مخلوّ من نعمته، و لاـ مأیوس من مغفرته، و لاـ مستنکف عن عبادته، الّذی لا تبرح منه رحمه، و لا تفقـد له نعمه، و الـدّنیا دار منی لها الفناء، و لأهلها منها الجلاء، و هی حلوه خضـره، و قد عجّلت للطّالب، و التبست بقلب النّاظر، فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتکم من الزّاد، و لا تسئلوا فیها فوق الکفاف، و لا تطلبوا منها أکثر من البلاغ.

اللغه

(القنوط) الیاس و (الاستنکاف) الاستکبار و المستنکف علی صیغه المفعول و (مناه) اللّه أی قدره و (الجلاء) بفتح الجیم الخروج من الوطن قال سبحانه:

«وَ لَوْ لاـ أَنْ کَتَبَ اللّهُ عَلَیْهِمُ الْجَلاءَ » و (الخضـره) بفتـح الخاء المعجمه و کسـر الضّاد و الخضـر ککتف الغصن و الزّرع و البقله الخضراء و (الکفاف) من الرزق کسحاب ما اغنی عن النّاس و (البلاغ) کسحاب أیضا الکفایه.

الاعراب

غیر مقنوط نصب علی الحال، و لا مخلوّ عطف علی مقنوط و نحوه قوله سبحانه «فَمَنِ اضْطُرَّ غَیْرَ باغٍ وَ لا عادٍ »

و ربّما يجىء المعطوف بالنّصب عطفا على موضع غير، و جمله الذى لا يبرح و صفته و لأهلها إمّا متعلق بمقدّر و هو خبر مقدّم و الجلاء مبتداء مؤخّر و الواو عاطفه للجمله على الجمله فتكون المعطوفه فى محلّ الرّفع على كونها صفه لدار كالمعطوف عليها أو لأهلها عطف على لها و الجلاء مرفوع على النيابه عن الفاعل كما أنّ الفناء مرفوع كذلك، و الباء فى قوله بأحسن للمصاحبه و الملابسه، و فى قوله بحضرتكم للظرفيّه و من الزّاد بيان لما

المعنى

اشاره

اعلم أنّ المستفاد من شرح البحرانى هو أنّ هذه الخطبه ملتقطه من خطبه طويله له عليه السّلام خطبها يوم الفطر، و أنّ بين قوله: و نعمه، و قوله: و الدّنيا، فصل طويل، و المستفاد منه أيضا أنّ الخطبه الثامنه و العشرين أيضا من فصول تلك الخطبه الطويله إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ ما أتى به السّيّد (ره) هنا منتظم من فصلين

الفصل الاول

مشتمل على حمد اللّه سبحانه و ثنائه

و هو قوله(الحمد للّه غير مقنوط من رحمته)أصل الرّحمه رقّه القلب و انعطاف أى نيل روحانى يقتضى التّفضّل و الاحسان، و إذا اسندت إلى اللّه سبحانه كان المراد بها غايتها أعنى التفضّل و الاحسان، لأنّ الرّقه من الكيفيّات المزاجيّه المستحيله فى حقّه سبحانه، فيكون اطلاقها على التّفضّل إمّا من باب المجاز المرسل من قبيل ذكر السّبب و إراده المسبّب لكون الرّقه سببا للتّفضّل و إمّا من باب التمثيل بأن شبّه حاله تعالى بالقياس إلى المرحومين فى إيصال الخير إليهم بحال الملك إذا عطف على رعيّته ورقّ لهم فأصابهم بمعروفه و انعامه، فاستعير الكلام الموضوع للهيئه الثانيه للاولى من غير أن يتمحّل فى شىء من مفرداته و كيف كان ففى كلامه عليه السّلام تنبيه على عدم جواز اليأس من رحمه اللّه سبحانه لعمومها و سعتها للخلايق فى الدّنيا و الآخره كما قال سبحانه: «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْ ءٍ » و قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ للّه عزّ و جلّ مأئه رحمه أنزل منها واحده إلى الأرض

فقسّمها بين خلقه فبها يتعاطفون و يتراحمون، و أخّر تسعا و تسعين لنفسه يرحم بها يوم القيامه.

و روى إنّ اللّه قابض هذه إلى تلك فيكملها مأئه يرحم بها عباده يوم القيامه (و لا مخلوّ من نعمته) لأنّ سبوغ نعمته دائم لآثار قدرته التى استلزمت طبائعها الحاجه إليه فوجب لها فيض جوده إذ كلّ ممكن مفتقر إلى كرمه وجوده (و لا مأيوس من مغفرته) و ذلك لأنّ عفوه تعالى غالب على عقابه، و رحمته سابقه على غضبه، و مغفرته قاهره لعقوبته كما قال سبحانه:

«قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » و فى الحديث ليغفرنّ اللّه يوم القيامه مغفره ما خطرت قطّ على قلب أحد حتّى أنّ إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه هذا و نظير كلامه فى الفقرات الثلاث المفيده لاتّصافه سبحانه بالرّحمه و الانعام و المغفره ما ورد فى دعاء الاستقاله عن الذّنوب من الصّحيفه السّجاديّه و هو قوله عليه السّلام:

«أنت الّذى و سعت كلّ شىء رحمه و علما، و أنت الّذى جعلت لكلّ مخلوق فى نعمك سهما، و أنت الّذى عفوه أعلى من عقابه» (و لا مستنكف عن عبادته) إذ هو المستحقّ للعباده دون ما عداه، لأنّه جامع الكمال المطلق ليس فيه جهه نقصان إليها يشار، فيكون سببا للاستنكاف و الاستكبار فالمقصود بقوله: و لا مستنكف عن عبادته، أنّ عبادته ليست محلاّ لأنّ يستنكف عنها، لأنّها لا استنكاف عنها و لا استكبار، ضروره أنّ المستكبرين و المستنكفين من الجنّه و النّاس من الكافرين و المنافقين فوق حدّ الاحصاء، و لذلك خصّ سبحانه عدم الاستكبار بأهل التّقرّب و المكانه كما قال:

«وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ »

«عَنْ عِبـادَتِهِ وَ لاـ یَسْتَحْسِـرُونَ » و قـال: «إِنَّ الَّذِینَ عِنْـدَ رَبِّکَ لاـ یَسْـتَکْبِرُونَ عَنْ عِبـادَتِهِ وَ یُسَـبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْـجُدُونَ » و قال: «لَنْ یَسْـتَنْکِفَ الْمَسِـیحُ أَنْ یَکُونَ عَبْـداً لِلّهِ وَ لاـ الْمَلائِکَهُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ یَسْـتَنْکِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ یَسْـتَکْبِرْ فَسَیَحْشُـرُهُمْ إِلَیْهِ جَمِیعاً فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحـاتِ فَیُوَفِّیهِمْ أُجُورَهُمْ وَ یَزِیـدُهُمْ مِنْ فَضْـلِهِ وَ أَمَّا الَّذِینَ اسْـتَنْکَفُوا وَ اسْـتَکْبَرُوا فَیُعَـذِّبُهُمْ عَـذاباً أَلِیماً » (الـذی لا تبرح له رحمه و لا تفقد له نعمه) الاتیان بهذین الوصـفین للاشاره إلی وجوب شـکره سـبحانه بهذین الاعتبارین أیضـا فان قلت ألیس قوله غیر مقنوط من رحمته و لا مخلوّ من نعمته مغنیا عن هـذین الوصـفین؟ قلت: لا إذ عـدم القنوط من رحمته لا یستلزم دوام الرّحمه فلا یغنی ذکره عنه و هو ظاهر، و أمّا عـدم الخلوّ من النّعمه و إن کان ملازما لعـدم فقدانها إلاّ أنّه یمکن أن یکون المراد بالأوّل الخصوص یعنی عـدم خلوّ نفسه من نعمته کمـا أنّ الظـاهر فی الفقرات الثلاـث الباقیه أیضا ذلک، و بالثّانی مشـمول نعمته لجمیع الخلایق و عـدم فقدانها فی حقّ أحد و أمّا البرهان علی دوام رحمته و کمال نعمته فهو علی ما ذکره الفخر الرّازی أنّ الأشـیاء علی أربعه أقسـام: الـذی یکون نافعـا و ضـروریّا معـا و الـذی یکون نافعـا و لاـ یکون ضـروریّا و الـذی یکون ضروریّا و لا یکون نافعا و الذی لا یکون نافعا و لا یکون ضـروریّا أمّا القسم الأوّل و هو الذی یکون نافعا و ضروریّا معا، فامّا أن یکون

كـذلك فى الـدّنيا فقط و هو مثل النّفس، فانّه لو انقطع منك لحظه واحـده لحصل الموت، و إمّا أن يكون كـذلك فى الآخره و هو معرفه اللّه تعالى فانّها إن زالت عن القلب لحظه واحده حصل الموت للقلب و استوجب العذاب الأبد و أمّا القسم الثّانى و هو الـذى يكون نافعا و لا يكون ضـروريّا فهو كالمال فى الـدّنيا و كساير العلوم و المعارف فى الآخره و أمّا القسم الثّالث و هو الذى يكون ضـروريّا و لا يكون نافعا فكالمضّار التى لا بدّ منها فى الدّنيا، كالأمراض و الموت و الفقر و الهرم و لا نظير لهذا القسم فى الآخره، فانّ ضروريّات الآخره لا يلزمها شيء من المضّار و أمّا القسم الرّابع و هو الذى لا يكون ضروريّا و لا نافعا فهو كالفقر فى الـدّنيا و العـذاب فى الآخره إذا عرفت ذلك فنقول: قـد ذكرنا أنّ النّفس فى الـدّنيا نافع و ضـرورىّ، فلو انقطع عن الانسان لحظه لمـات فى الحـال، و كـذلك معرفه اللّه تعـالى أمر لاـ بـدّ منه فى الآـخره فلو زالت عن القلب لحظه لمـات القلب لاـ محاله، لكنّ الموت الأوّل أسهل من الثّانى لأنّه لم يتألم فى الموت الأوّل إلاّ ساعه واحده، و أمّا الموت الثّانى فانّه يبقى ألمه أبد الآباد.

و كمـا أنّ التنفّس له أثر ان: أحـدهما إدخـال النّسيم الطيب على القلب و ابقاء اعتـداله و سـلامته، و الثانى إخراج الهواء الفاسـد الحـارّ المحترق عن القلب، كـذلك الفكر له أثر ان: أحـدهما ايصال نسـيم الحجّه و البرهان إلى القلب و ابقاء اعتـدال الايمان و المعرفه عليه، و الثّانى إخراج الهـواء الفاسـد المتولـد من الشّبهات عن القلب، و مـا ذاك إلاّـ بـان يعرف أنّ هـذه المحسوسـات متناهيه فى المقدار منتهيه بالأخره إلى الفناء بعد وجودها، فمن وقف على هذه الأحوال بقى آمنا من الآفات و اصلا إلى الخيرات و المسرّات و كمال هـذين الأمرين ينكشف بعقلك بأن تعرف أن كلّ ما وجـدته و وصـلت إليه فهو قطره من بحار رحمه اللّه و ذرّه من أنوار إحسانه فعند هذا ينفتح على قلبك معرفه كون اللّه رحمانا رحيما.

فاذا أردت أن تعرف هـذا المعنى على التفصيل فاعلم أنك جوهر مركب من نفس و بدن و روح و جسد، أمّا نفسك فلا شـكّ أنّها كانت جاهله فى مبدء الفطر كما قال تعالى:

«وَ اللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَـيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِـدَهَ لَعَلَّكُمْ تَشْـكُرُونَ » ثمّ تامّل فى مراتب القوى الحسّـاسه و المحرّكه و المـدركه و العـاقله و تأمّـل فى مراتب المعقولات و فى جهاتها و اعلم أنّه لا نهايه لها البتّه و لو أنّ العاقـل أخـذ فى اكتسـاب العلم بالمعقولاـت و سـرى فيهـا سـيران البرق الخـاطف و الرّيـح العاصف، و بقى فى ذلك السّـير أبد الآبـدين و دهر الـداهرين لكان الحاصل له من المعارف و العلوم قدرا متناهيا، و لكانت المعلومات التى ما عرفها و لم يصل إليها أصلا غير متناهيه و المتناهى فى جنب غير المتناهى قليل فى كثير فعند هذا يظهر له أنّ الذى قاله اللّه تعالى فى قوله:

«وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً » حقّ و صدق.

و أمّـا بـدنك فـانّه جوهر مركب من الأخلاـط الأـربعه، فتأمّـل كيفيّه تركيبها و تشـريحها و تأمّل ما فى كلّ واحـد من الأعضاء و الأجزاء من المنافع العاليه و الآثار الشّريفه، و حينئذ يظهر لك صدق قوله سبحانه و تعالى:

«وَ إِنْ تَعُـدُّوا نِعْمَهَ اللّهِ لا تُحْصُوها » و حينئـذ ينجلى لك أثر من آثار كمال رحمته فى خلقك و هـدايتك، فتفهم شـيئا قليلا من رحمته الكامله و نعمته السّابغه الشّامله.

الفصل الثانى

متضـمّن للتّنفير عن الـدّنيا و التّنبيه على بعض عيوباتها و هو قوله (و الـدّنيا دار منى لها الفناء و) قدّر (لأهلها منها الجلاء) كما قال سبحانه:

«کُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ » و قال: «کُلُّ شَيْ ءٍ هالِکٌ إِلاّ وَجْهَهُ » (و هى حلوه) فى الذّوق (خضره) فى النّظر يستلذّ بها الذّائق و النّاظر (و) لکنّها (قد عجّلت للطالب) فليس لها دوام و ثبات حتّى يتمتّع منها على وجه الکمال (و التبست بقلب النّاظر) أى اشتبهت لديه حتّى صار مولعا بحبّها مفتتنا بخضرتها و نضارتها.

«کَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْکُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَکُونُ حُطاماً وَ فِي الْآخِرَهِ عَذابٌ شَدِيدٌ » قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى روايه أبى هريره: لا تکونوا ممّن خدعته العاجله و غرّته الامنيّه، فاستهوته الخدعه، فرکن إلى دار السوء سريعه الزّوال، و شيکه الانتقال إنّه لم يبق من دنياکم هذه فى جنب ما مضى إلاّ کاناخه راکب أو صر جالب فعلى ما تعرجون و ما ذا تنتظرون، فکأنکم و اللّه و ما أصبحتم فيه من الدّنيا لم يکن، و ما يصيرون إليه من الآخره لم يزل، فخذوا اهبه لا زوال لنقله، و أعدّوا الزّاد لقرب الرّاحله، و اعلموا أنّ کلّ امرء على ما قدّم قادم، و على ما خلف نادم و لما نبّه عليه السّلام على فناء الدّنيا و تعجيل زوالها أردف ذلک بقوله (فارتحلوا عنها) يعنى تهيئوا للارتحال و استعدّوا للموت قبل نزول الفوت (بأحسن ما بحضرتکم من الزّاد) و هو التّقوى و الأعمال الصّالحه (و لا تسألوا فيها فوق الکفاف و لا تطلبوا منها أکثر من البلاغ) کما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى روايه انس بن مالک: يا معشر المسلمين شمّروا فانّ الأمر جدّ، و تأهّبوا فانّ الرّحيل قريب، و تزوّدوا فانّ السّفر بعيد، و خفّفوا أثقالکم فانّ ورائکم عقبه کؤدا لا يقطعها إلاّ المخفّفون، أيها النّاس إنّ بين يدى السّاعه امورا شدادا، و هو الاعظاما، و زمانا صعبا يتملّک فيه الظلمه، و يتصدّر فيه الفسقه، و يضام فيه الآمرون بالمعروف، و يضطهد فيه النّاهون عن المنکر، فأعدّوا لذلک الايمان و عضّوا عليه بالنّواجذ، و الجئوا إلى العمل الصّالح و أکرهوا عليه

النّفوس تفضوا إلى النّعيم الدّائم

هدايه

عقد ثقه الاسلام الكلينى عطر اللّه مضجعه فى الكافى بابا للكفاف و روى فيه الأخبار الوارده فى مدحه و حسنه و لا بأس بروايه بعضها تيمّنا و تبرّكا فأقول:

فيه باسناده عن أبى عبيده الحذّاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول قال: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال اللّه عزّ و جلّ: إنّ من أغبط أوليائى عندى رجلا خفيف الحال ذا حظّ من صلاه أحسن عباده ربّه بالغيب، و كان غامضا فى النّاس، جعل رزقه كفافا فصبر عليه عجّلت منيّته فقلّ تراثه و قلّت بواكيه.

و عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله طوبى لمن أسلم و كان عيشه كفافا و عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اللهمّ ارزق محمّدا و آل محمّد و من أحبّ محمّدا و آل محمّد العفاف و الكفاف، و ارزق من أبغض محمّدا و آل محمّد المال و الولد و عن النّوفلى رفعه إلى علىّ بن الحسين صلوات اللّه عليهما قال: مرّ رسول اللّه براعى إبل فبعث يستسقيه فقال: أمّا ما فى ضروعها فصبوح الحىّ و أمّا ما فى آنيتها فغبوقهم، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اللهمّ أكثر ماله و ولده، ثمّ مرّ براعى غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما فى ضروعها و أكفا ما فى إنائه فى إناء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعث إليه بشاه و قال: هذا ما عندنا و إن أحببت أن نزيدك زدناك، قال: فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اللهمّ ارزقه الكفاف، فقال له بعض أصحابه: يا رسول اللّه دعوت للذى ردّك بدعاء عامّتنا نحبّه، و دعوت للذى أسعفك بحاجتك بدعاء كلّنا نكرهه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّ ما قلّ و كفى خير ممّا أكثر و ألهى اللهمّ ارزق محمّدا و آل محمّد الكفاف و عن البخترىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول: يحزن عبدى المؤمن ان قترت عليه و ذلك أقرب له منّى، و يفرح عبدى المؤمن إن وسّعت عليه و ذلك أبغض له منّى.

ص:۲۴۹

و فى حديث أبى ذرّ المروىّ فى البحار قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا باذر إنّى قد دعوت اللّه جلّ ثناؤه أن يجعل رزق من يحبّنى الكفاف، و أن يعطى من يبغضنى كثره المال و الولد و قد أكثر شعراء العرب و العجم فى مدح الكفاف و الاستغناء عن النّاس، و من جيّد ما قالوه قول أبى العلاء المعرّى:

فان كنت تهوى العيش قانع توسطا فعند التناهى يقصر المتطاول

توفى البدور النقص و هى أهلّه و يدركها النّقصان و هى كوامل

و قال سليمان بن مهاجر البجلى:

كسوت جميل الصّبر وجهى فصانه به اللّه عن غشيان كلّ بخيل

فلم يتبذلنى البخيل و لم اقم على بابه يوما مقام ذليل

و انّ قليلا يستر الوجه ان يرى إلى النّاس مبذولا بغير قليل

و قال بعض شعراء الحكماء:

فلا تجزع إذا أعسرت يوما فقد أيسرت فى الدّهر الطويل

و لا تظنن بربّک ظنّ سوء فإنّ اللّه أولى بالجميل

و إنّ العسر يتبعه يسار و قيل اللّه أصدق كلّ قيل

و لو أنّ العقول تجرّ رزقا لكان المال عند ذوى العقول

تكمله

قد ذكرنا سابقا أنّ المستفاد من شرح البحرانى أنّ هذه الخطبه و الخطبه الثّامنه و العشرين ملتقطتان من خطبه طويله خطب بها يوم الفطر، و قد ظفرت بعد ما شرحت الخطبه على تمامها بروايه الصّدوق فى كتاب من لا يحضره الفقيه فأحببت ايرادها على ما رواها قدّس سرّه فأقول: قال:

و خطب أمير المؤمنين عليه السّلام يوم الفطر فقال: الحمد للّه الذى خلق السّموات و الأرض و جعل الظلمات و النّور ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون، لا نشرک باللّه شيئا و لا نتّخذ من دونه وليّا، و الحمد للّه له ما فى السّموات و ما فى الأرض و له

الحمد فی الدّنیا و الآخره و هو الحکیم الخبیر، یعلم ما یلج فی الأرض و ما یخرج منها و ما ینزل من السّـماء و ما یعرج فیها و هو الرّحیم الغفور، کـذلک اللّه لاـ إله إلاّـ هو إلیه المصـیر، و الحمـد للّه الـذی یمسک السّـماء أن تقع علی الأرض إلاّ باذنه إنّ اللّه بالنّاس لرؤف رحیم اللهمّ ارحمنا برحمتک، و اعممنا بمغفرتک إنّک أنت العلیّ الکبیر، و الحمد للّه الذی لا مقنوط من رحمته، و لا مخلوّ من نعمته، و لا مؤیس من روحه، و لا مسـتنکف عن عبادته، بکلمته قامت السّماوات السّبع، و استقرّت الأرض المهاد، و ثبتت الجبال الرّواسـی، و جرت الرّیاح الواقع، و سار فی جوّ السّـماء السّحاب، و قامت علی حدودها البحار، و هو إله لها و قاهر یذلّ له المتعزّزون، و یتضأل له المتکبّرون، و یدین له طوعا و کرها العالمون.

نحمـده کما حمـد نفسه و کما هو أهله، و نسـتعینه و نسـتغفره و نسـتهدیه، و نشـهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شـریک له یعلم ما تخفی النّفوس و ما یجنّ البحار و ما تواری منه ظلمه، و لا یغیب عنه غائبه، و ما یسـقط من ورقه من شـجره، و لا حبّه فی ظلمات الأـرض إلاّ یعلمها، لا إله إلاّ هو، و لا رطب و لا یابس إلاّ فی کتاب مبین، و یعلم ما یعمل العاملون، و أیّ مجری یجرون، و إلی أیّ منقلب ینقلبون و نستهدی اللّه بالهـدی و نشـهد أنّ محمّـدا عبـده و نبیّه و رسوله إلی خلقه، و أمینه علی وحیه، و أنّه قـد بلغ رسالات ربّه و جاهد فی اللّه الحائدین عنه العادلین به، و عبد اللّه حتّی أتاه الیقین صلّی اللّه علیه و آله اوصیکم بتقوی اللّه الذی لاـ تبرح منه نعمه، و لاـ تفقـد منه رحمه، و لاـ یستغنی العباد عنه، و لا یجزی انعمه الاعمال، الـذی رغب فی التّقوی، و زهـد فی الدّنیا و حذر المعاصی و تعزّز بالبقاء، و ذلّل خلقه بالموت و الفناء، و الموت غایه المخلوقین، و سبیل العالمین، و معقود بنواصی البـاقین، لا یعجزه إباق الهاربین، و عنـد حلوله یاس أهل الهوی یهـدم کلّ لـذّه، و یزیل کلّ نعمه، و یقطع کلّ بهجه و الـدّنیا دار کتب اللّه لهـا الفنـاء، و لأهلها منها الجلاء، فأکثرهم ینوی بقائها و یعظم بنائها: و هی حلوه خضـره قـد عجلت للطالب، و التبست بقلب النّاظر و یضنیء ذو الثروه

الضّعيف، و يحتويها الخائف الوجل، فارتحلوا منها يرحمكم اللّه بأحسن ما بحضرتكم و لا تطلبوا منها أكثر من القليل و لا تسألوا منهـا فوق الكفـاف، و ارضوا منهـا باليسـير و لاـ تمـدّن أعينكم منهـا إلى مـا متّع المترفون و اسـتهينوا بهـا و لا توطنوها و أضـرّوا بأنفسـكم فيها، و إيّاكم و التنعّم و التلهّى و الفاكهات، فانّ فى ذلك غفله و اغترارا ألا إنّ الدّنيا قد تنكّرت و ادبرت و أصولت و آذنت بوداع، ألا و إنّ الآخره قد رحلت فأقبلت و أشـرفت و آذنت باطلاع، ألا و إنّ المضمار اليوم و السّباق غدا، ألا و إنّ السّبقه الجنّه و الغـايه النّـار، أفلاـ تـائب من خطيئته قبـل يوم منيته، ألاـ عامل لنفسه قبل يوم بؤسه، و فقره، جعلنا اللّه و إيّاكم ممّن يخافه فيرجو ثوابه ألاـ و إنّ هـذا اليوم يوم جعله اللّه لكم عيـدا، و جعلكم له أهلا، فاذكروا اللّه يـذكركم و ادعوه يسـتجب لكم و أدّوا فطرتكم فانّها سنّه نبيّكم و فريضه واجبه من ربّكم فليؤدّها كلّ امرء منكم عن نفسه و عن عياله كلّهم ذكرهم و انثاهم و صغيرهم و كـبيرهم و حرّهم و مملوكهم عن كـلّ إنسـان منهم صاعـا من برّ أو صاعـا من تمر أو صاعـا من شـعير و أطيعوا اللّه فيمـا فرض عليكم و أمركم به من إقـام الصّـلاه و إيتـاء الزّكـاه و حـجّ البيت و صوم شـهر رمضـان و الأمر بالمعروف، و النّهى عن المنكر، و الاحسـان إلى نسائكم و ما ملكت أيمانكم و أطيعوا اللّه فيما نهيكم عنه من قـذف المحصـنه، و إتيان الفاحشه، و شـرب الخمر و بخس المكيال، و نقص الميزان، و شـهاده الزّور، و الفرار عن الزّحف عصمنا اللّه و إيّاكم بالتّقوى، و جعل الآخره خيرا لنا و لكم من الاـولى، إنّ أحسن الحـديث و أبلغ موعظه المتّقين كتـاب اللّه العزيز أعوذ باللّه العظيم من الشّـيطان الرّجيم «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ اَللّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ».

الترجمه

از جمله خطبه هاى آن حضـرت است: حمـد و ثنا مر خـداى را است در حالتى كه نوميد كرده نشده است از رحمه او، و خالى كرده نشده است از نعمه او، و نوميد

ص:۲۵۲

کرده نشده است از مغفره او، و کبر ورزیده نشده است از عبادت او، چنان خداوندی که زایل نمی شود از او هیچ رحمتی، و نا یـاب نمی شود از او هیـچ نعمتی، و دنیا سـرائیست تقـدیر کرده شـده است از برای او فنا، و از برای اهل او بیرون رفتن از آن با رنج و عنا، و آن دنیا شـیرینست در مذاق و سبز و خرّمست در نظر أهل آفاق و بتحقیق که شـتابانیده شده است از برای جویندهٔ او، و مشتبه شده است در قلب نظر کنندهٔ او، پس رحلت نمائید و کوچ کنید از او به نیکوترین چیزی که در حضور شماست از توشه که عبارتست از تقوی و أعمال صالحه، و سؤال نکنید در او بالاتر از قدر کفاف در معیشت، و طلب ننمائید از او زیاده از حدّ کفایه که اینست شعار صاحبان بصیرت، و سالکان طریق حقیقت

و من کلام له علیه السّلام عند عزمه علی المسیر الی

اشاره

الشام و هو السادس و الاربعون من المختار

فی باب الخطب

اللّهمّ إنّی أعوذ بـک من وعثـاء السّـفر، و کأبه المنقلب، و سوء المنظر فی الأهل و المال، أللّهمّ أنت الصّاحب فی السّـفر، و أنت الخلیفه فی الأهل، و لا یجمعهما غیرک، لأنّ المستخلف لا یکون مستصحبا، و المستصحب لا یکون مستخلفا.

و فی نسـخه ابن أبی الحدیـد قال الرّضـیّ و ابتداء هذا الکلام مرویّ عن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و قد قفاه أمیر المؤمنین علیه السّلام بأبلغ کلام و بأحسن تمام من قوله: و لا یجمعهما غیرک إلی آخر الفصل

ص:۲۵۳

اللغه

(و عثاء السّفر) مشقّته و أصل الوعث المكان السّهل الدّهس، تغيب فيه الأقدام و الطريق العسر، و قد وعث الطريق كسمع و كرم تعسّر سلوكه و (الكأبه) و الكأب الغمّ و سوء الحال و الانكسار من حزن و (المنقلب) مصدر و مكان من القلب اى رجع و مثله (المنظر) قال الفيروز آبادى: نظره كضربه و سمعه و إليه نظرا و منظرا و نظرانا و منظره و قال: و المنظر و المنظره ما نظرت إليه فأعجبك حسنه أو ساءك.

الاعراب

لفظه اللّهمّ منادى محذوف النّداء و لا يجوز حذف حرف النّداء من لفظ الجلاله إلّا مع الحاق الميم المشدّده به، و ذلك لأنّ حقّ ما فيه اللام أن يتوصّل إلى ندائه بأىّ أو باسم الاشاره، فلمّا حذفت الوصله فى هذه اللفظه الشّريفه لكثره ندائها لم يحذف الحرف إلّا نادرا لئلّا يكون إجحافا، فان أردت الحذف ألحقت الميم المشدّده، و إنّما اخّرت الميم تبرّكا باسمه سبحانه، و قال الكوفيّون: إنّ الميم ليست عوضا بل مأخوذه من فعل و الأصل يا اللّه آمنّا بخير فيخيّرون الجمع بينها و بين ياء فى السّعه و ردّ بأنه لو كان كذلك لما حسن اللهمّ آمنّا بخير و فى حسنه دليل على أنّ الميم ليست مأخوذه منه إذ لو كان كذلك لكان تكرارا

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الدّعاء دعا به أمير المؤمنين عليه السّلام بعد وضع رجله فى الرّكاب حين ما توجّه من النّخيله إلى الشّام لحرب معاويه و أتباعه، قال نصر بن مزاحم لمّا وضع علىّ عليه السّلام رجله فى ركاب دابّته قال: بسم اللّه، فلمّا جلس على ظهرها قال:

سبحان الذى سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين و إنّا إلى ربّنا لمنقلبون (اللهمّ إنّى أعوذ بك من وعثاء السّفر) و مشقّته (و كأبه المنقلب) أى الحزن بعد الرّجوع إلى الوطن، و فى روايه نصر بعده و الحيره بعد اليقين (و سوء المنظر فى الأهل و المال) الموروث للكأبه و الملال.

(اللهمّ أنت الصّاحب فى السّفر) و من شأن الصّاحب العنايه بامور صاحبه

ص:۲۵۴

(و أنت الخليفه فى الأهل و) من وظيفه الخليفه على الشىء حسن القيام و الولايه على ضروريّات ذلك الشىء و حفظه ممّا يوجب له الضّرر (لا يجمعهما) أى الصّحابه و الخلافه فى آن واحد (غيرك) لامتناع ذلك فى حقّ الأجسام (لأنّ المستخلف لا يكون مستصحبا و المستصحب لا يكون مستخلفا) و أمّا اللّه سبحانه فلتنزهّه عن الجهه و الجسميّه يجوز كونه خليفه و صاحبا معا فى آن واحد كما قال سبحانه «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ » و قال: «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا » و قد مضى تحقيق الكلام فى ذلك فى الفصل الخامس و السّادس من فصول الخطبه الاولى عند شرح قوله: مع كلّ شىء لا بمقارنه فتذكّر

تنبيه و تحقيق

اعلم أنّ الدّعاء من معظم أبواب العبادات و أعظم ما يستعصم به من الآفات و أمتن ما يتوسل به إلى استنزال الخيرات، و وجوبه و فضله معلوم من العقل و الشّرع أما العقل فلأنّ دفع الضّرر عن النّفس مع القدره عليه و التمكّن منه واجب و حصول الضّرر ضرورىّ الوقوع فى دار الدّنيا، إذ كلّ انسان لا ينفكّ عمّا يشوّش نفسه و يشغل عقله و يتضرّر به إمّا من داخل كحصول عارض يغشى مزاجه، أو من خارج كأذيّه ظالم و نحوها و لو خلا من الكلّ فالعقل يجوز وقوعه فيها، و كيف لا و هو فى دار الحوادث التى لا تستقرّ على حال، و فجايعها لا ينفكّ عنها آدمىّ إمّا بالفعل أو بالقوّه، فضررها إمّا واقع حاصل أو ممكن الوقوع و متوقّع الحصول، و كليهما يجب إزالته مع القدره عليه، و الدّعاء محصّل لذلك و هو مقدور فيجب المصير إليه.

و قد نبّه على ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام حيث قال: ما من أحد ابتلى و ان عظمت بلواه بأحقّ بالدّعاء من المعافى الّذى لا يأمن من البلاء

فقد ظهر من هذا الحديث احتياج كلّ أحد إلى الدّعاء معافا و مبتلا، و فايدته رفع البلاء الحاصل و دفع السّوء النّازل أو جلب نفع مقصود أو تقرير خير موجود فان قلت: المطلوب بالدّعاء إمّا أن يكون معلوم الوقوع للّه سبحانه، أو معلوما عدم وقوعه، فعلى الأوّل يكون واجبا و على الثانى ممتنعا، و على التّقديرين فلا يكون للدّعاء فايده، لأنّ الأقدار سابقه، و الأقضيه واقعه و قد جفّ القلم بما هو كائن، فالدّعاء لا يزيد و لا ينقص فيها شيئا قلنا: هذه شبهه ربّما سبقت إلى الأذهان القاصره و فسادها ظاهر، لأنّ كلّ كاين فاسد موقوف فى كونه و فساده على شرايط توجد و أسباب تعدّ لأحدهما لا يمكن يدونها، و على ذلك فلعلّ الدّعاء من شرايط ما يطلب به و هما، و ان كانا معلومى الوقوع للّه سبحانه و هو تعالى علّتهما الاولى إلاّ أنّه هو الذى ربط أحدهما بالآخر، فجعل سبب وجود ذلك الشىء الدّعاء كما جعل سبب صحّه المرض شرب الدّواء و ما لم يشرب الدّواء لم يصحّ، و بذلك ايضا ظهر فساد ما قيل إنّ المطلوب بالدّعاء إن كان من مصالح العباد فالجواد المطلق لا يبخل به، و إن لم يكن من مصالحهم لم يجز طلبه، وجه ظهور الفساد أنّه لا يمتنع أن يكون وقوع ما سأله مصلحه بعد الدّعاء و لا يكون مصلحه قبل الدّعاء و أما النقل فمن الكتاب قوله سبحانه:

«قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْ لا دُعاؤُكُمْ » و قوله: «وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ ».

فجعل الدّعاء عباده و المستكبر عنها كافرا و قوله:

«وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَ لْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ».

ص:۲۵۶

قال أحمد بن فهد الحلّى فى كتاب عدّه الدّاعى: هذه الآيه قد دلّت على امور الأوّل تعريفه تعالى لعباده بالسؤال بقوله:

«وَ إِذا سَأَلَکَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ » الثّانى غايه عنايته بمسارعه اجابته و لم يجعل الجواب موقوفا على تبليغ الرّسول بل قال: فانّى قريب و لم يقل قل لهم إنّى قريب الثّالث خروج هذا الجواب بالفاء المقتضى للتعقيب بلا فصل الرّابع تشريفه تعالى لهم بردّ الجواب بنفسه ليتبّه بذلک على كمال منزله الدّعاء و شرفه عنده تعالى و مكانه منه، قال الباقر عليه السّلام لا تملّ من الدّعاء فانّه من اللّه بمكان.

الخامس دلّت هذه الآيه على أنّه لامكان له إذ لو كان له مكان لم يكن قريبا من كلّ من يناجيه.

السّادس أمره تعالى لهم بالدّعاء فى قوله: فليستجيبوا لى أى فليدعونى السّابع قوله تعالى: و ليؤمنوا بى أى و ليتحقّقوا أنّى قادر على إعطائهم ما سألوه، فأمرهم باعتقادهم قدرته على إجابتهم و فيه فايدتان: إعلامهم باثبات صفه القدره له و بسط رجائهم فى وصولهم إلى مقترحاتهم و بلوغ مراداتهم و نيل سؤالاتهم فانّ الانسان إذا علم قدره معامله و معاوضه على دفع عوضه كان ذلک داعيا له إلى معاملته و مرغبا له فى معاوضته، كما أنّ علمه بعجزه عنه على الضدّ من ذلک، و لهذا تراهم يجتنبون معامله المفلس الثّامن تبشيره تعالى لهم بالرّشاد الذى هو طريق الهدايه المؤدّى إلى المطلوب فكأنّه بشّرهم باجابه الدّعاء، و مثله قول الصّادق عليه السّلام: من تمنّى شيئا و هو للّه رضى لم يخرج من الدّنيا حتّى يعطاه، و قال: إذا دعوت فظنّ حاجتک بالباب فان قلت: نحن نرى كثيرا من النّاس يدعون اللّه فلا يجيبهم فما معنى قوله:

اجيب دعوه الدّاع إذا دعان؟ و بعباره اخرى إنّه سبحانه وعد إجابه الدّعاء و خلف الوعد عليه تعالى محال لأنّه كذب قبيح فى حقّه عزّ و جلّ

قلت: قد أجاب الطبرسی فی مجمع البیان بأنّه لیس أحد یدعو اللّه علی ما یوجبه الحکمه إلاّ أجابه اللّه، فانّ الدّاعی إذا دعاه یجب أن یسأل ما فیه صلاح له فی دینه و لا یکون له مفسده فیه فانّه سبحانه یجیب إذا اقتضت المصلحه إجابته أو یؤخّر الاجابه إن کانت المصلحه فی التأخیر، ثمّ قال: و إذا قیل إنّ ما یقتضیه الحکمه لا بدّ أن یفعله فما معنی الدّعاء و اجابته؟ أجاب بأنّ الدّعاء عباده فی نفسها لما فیه من إظهار الخضوع و الانقیاد، و أیضا لا یمتنع أن یکون وقوع ما سأله إنّما صار مصلحه بعد الدّعاء أقول: أمّا ما ذکره من أنّه لیس أحد یدعو اللّه اه، فهو حقّ لا ریب فیه و به صرّح فی عدّه الدّاعی حیث قال: لیس أحد یدعو اللّه سبحانه و تعالی علی ما یوجبه الحکمه ممّا فیه صلاحه إلاّ أجابه و علی الدّاعی أن یشرط ذلک بلسانه او یکون منویّا فی قلبه، فاللّه یجیبه البتّه إن اقتضت المصلحه إجابتها، أو یؤخّر له إن اقتضت المصلحه التأخیر قال اللّه تعالی:

«وَ لَوْ یُعَجِّلُ اللّهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَیْرِ لَقُضِیَ إِلَیْهِمْ أَجَلُهُمْ » و فی دعائهم: یا من لا تغیّر حکمته الوسایل، و لما کان علم الغیب منطویا عن العبد و ربّما تعارض عقله القوی الشّهویّه و یخالطه الخیالات النّفسانیّه فیتوهّم أمرا ممّا فیه فساده صلاحا له فیطلبه من اللّه سبحانه و یلحّ فی السّؤال علیه، و لو یعجّل اللّه إجابته و یفعله به لهلک البتّه، و هذا أمر ظاهر العیان غنیّ عن البیان کثیر الوقوع، فکم نطلب أمرا ثمّ نستعیذ منه و کم نستعیذ من أمر ثمّ نطلبه، و علی هذا خرج قول علیّ علیه السّلام: ربّ أمر حرص الانسان علیه فلمّا أدرکه ودّ أن لم یکن أدرکه و کفاک قوله تعالی:

«وَ عَسی أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئاً وَ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ وَ عَسی أَنْ تُحِبُّوا شَیْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَکُمْ وَ اللّهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ » فانّ اللّه سبحانه و تعالی من وفور کرمه و جزیل نعمه لا یجیبه، و ذلک إمّا لسابق رحمته

به فانّه هو الذی سبقت رحمته غضبه و إنّما أنشأه رحمه به و تعریضا لا ثابته و هو الغنیّ عن خلقته و معاقبته أو لعلمه سبحانه بأنّ المقصود للعبد من دعائه هو إصلاح حاله فکان ما طلبه ظاهرا غیر مقصود له مطلقا، بل بشرط نفعه له فالشّرط المذکور حاصل فی نیّته و إن لم یذکره بلسانه بل و إن لم یخطر بقلبه حاله الدّعاء و إیضاح ذلک علی سبیل المثل أنّه إذ قال کریم أنا لا أردّ سائلا و لا أخیّب آملا، ثمّ اتی سفیه و طلب منه ما یعلم أنّه یقتله و السّائل لم یکن عالما بذلک، أو أتی صبیّ جاهل و طلب منه أفعیّا لحسن نقشه و نعومته، فالحکمه و الجود یقتضیان منعهما لا عطائهما، و لو أعطاهما لذمّه العقلاء، فظهر أنّ هذا الوعد من الحکیم لا بدّ أن یکون مشروطا بالمصلحه و توهّم أنّ ما فیه صلاح العباد یأتی اللّه تعالی به لا محاله من دون حاجه إلی الدّعاء، مدفوع بما أشار إلیه الطبرسی من إمکان کون المصلحه فی الاعطاء مع الدّعاء و مع عدمه یکون الصّلاح فی المنع و علی هذا فالمطالب ثلاثه الاول ما یکون المصلحه فی إعطائه مطلقا کالرّزق الضّروریّ الثانی ما یکون المصلحه فی المنع کذلک الثالث أن یکون المصلحه فی العطاء مع الدّعاء و فی العدم مع العدم و إنّما یظهر أثر الدّعاء فی الثّالث هذا.

و أمّا ما ذکره أخیرا فی الجواب من أنّ الدّعاء عباده فی نفسها فصحیح إلاّ أنّه لا ربط له بالسؤال هذا، و الانصاف أنّ مجرّد اشتمال الدّعاء علی المصلحه لا یستلزم الاجابه بل لا بدّ من اقترانه مضافا إلی ذلک بشرایطها المقرّره المستفاده من الأخبار مع کونه صادرا عن وجه الاخلاص و تمام الانقطاع و الفراغ و التّخلیه التّامّه للقلب و لنعم ما قال إبراهیم بن أدهم حیث قیل له: ما بالنا ندعو اللّه سبحانه فلا یستجیب لنا قال: لانّکم عرفتم اللّه فلم تطیعوه، و عرفتم الرّسول فلم تتّبعوا سنّته، و عرفتم القرآن فلم تعملوا بما فیه، و أکلتم نعمه اللّه فلم تؤدّوا شکرها، و عرفتم الجنّه

فلم تطلبوها، و عرفتم النّار فلم تهربوا منها، و عرفتم الشّيطان فلم تحاربوه و وافقتموه، و عرفتم الموت فلم تستعدّوا له، و دفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم، و تركتم عيوبكم و اشتغلتم بعيوب النّاس و الحاصل أنّ الدّعاء كساير العبادات لها شروط لحصولها و موانع عن قبولها فلمّا لم يتحقّق الشّرايط و لم ترتفع الموانع لم يترتّب عليها آثارها الدّنيويّه و الاخرويّه مثلا الصّلاه إذ ورد فيها من صلّى دخل الجنّه أو زيد فى رزقه، فاذا صلّى بغير وضوء أو فعل ما يبطلها و يحبطها لم يترتّب عليها آثارها الدّنيويّه و الاخرويّه، و إذا قال الطبيب: السّقمونيا مسهل فاذا شرب الانسان معه ما يبطل تأثيره كالأفيون فهو لا ينافى قول الطبيب و لا ينافى حكمه فى ذلك فكذا الدّعاء استجابتها و قبولها و ترتيب الأثر عليها مشروطه بشرايط، فاذا أخلّ لشيء منها لم تترتّب عليها الاستجابه، و قد وردت أخبار كثير فى شرايط الدّعاء و منافاته، و ربّما يشير إليه قوله تعالى: اوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال الشّارح البحرانى: سبب اجابه الدّعاء هو توافى الأسباب، و هو أن يتوافى دعاء رجل مثلا فيما يدعو فيه و ساير أسباب وجود ذلك الشّيء معا عن البارى تعالى لحكمه الهيّه على ما قدر و قضى، ثمّ الدّعاء واجب و توقّع الاجابه واجب، فانّ انبعاثنا للدّعاء سببه من هناك، و يصير دعانا سببا للاجابه و موافاه الدّعاء الحدوث الأمر المدعوّ لأجله و قد يكون أحدهما بواسطه الاخر، و إذا لم يستجب الدّعاء لداع و إن كان يرى أنّ الغايه التى يدعو لأجلها نافعه فالسّبب فى عدم الاجابه أنّ الغايه النّافعه ربّما لا تكون نافعه بحسب نظام الكلّ بل بحسب مراده فلذلك تتأخّر إجابه الدّعاء أو لا يستجاب له، و بالجمله قد يكون عدم الاجابه لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب حال الدّعاء و اعلم أنّ النّفس الزّكيه عند الدّعاء قد يفيض عليها من الأوّل قوّه تصير بها مؤثّره فى العناصر فتطاوعها متصرّفه على ارادتها فيكون ذلك إجابه للدّعاء، فانّ العناصر موضوعه لفعل النّفس فيها و اعتبار ذلك فى أبداننا فانّا ربّما تخيلنا شيئا

فتتغيّر أبداننا بحسب ما تقتضيه أحوال نفوسنا و تخييلاتها و قد يمكن أن تؤثر النّفس فی غير بدنها كما تؤثّر فی بدنها، و قد تؤثّر فی نفس غيرها و قد يستجيب اللّه لتلك النّفس إذا دعت فيما تدعو فيه إذا كانت الغايه التی تطلبها بالدّعاء نافعه بحسب نظام الكلّ.

و من السنه أخبار فوق حدّ الاحصاء و لتقصر علی بعض ما رواه فی عدّه الدّاعی فعن حنّان بن سدير قال: قلت لأبی جعفر عليه السّلام: أیّ العباده أفضل؟ فقال عليه السّلام:

ما شیء أحبّ إلی اللّه من أن يسأل و يطلب ما عنده، و ما أحد أبغض إلی اللّه ممّن يستكبر عن عبادته و لا يسأله ما عنده و عن زراره عن أبی جعفر عليه السّلام قال: إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِی سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ » قال: هو الدّعاء و أفضل العباده الدّعاء، قلت:

«إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوّاهٌ حَلِيمٌ » قال: الأوّاه هو الدّعاء.

و عن ابن القداح عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: أمير المؤمنين عليه السّلام: أحبّ الأعمال إلی اللّه فی الأرض الدّعاء، و أفضل العباده العفاف، و كان أمير المؤمنين عليه السّلام رجلا دعّاء.

و عن عبيد بن زراره، عن أبيه، عن رجل، عن أبی عبد اللّه عليه السّلام الدّعاء هو العباده التی قال اللّه:

«إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِی سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ » و لا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه.

و عن عبد اللّه بن ميمون القداح، عن أبی عبد اللّه عليه السّلام الدّعاء كهف الاجابه كما أنّ السّحاب كهف المطر و عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: هل تعرفون طول البلاء من

قصـره؟ قلنا: لا، قال: إذا الهم أحدكم الدّعاء فاعلموا أنّ البلاء قصـير و عن أبى ولّاد قال: قال أبو الحسن عليه السّلام: ما من بلاء ينزل على عبـد مؤمن فيلهمه اللّه الدّعاء إلّا كان كشف ذلك البلاء وشـيكا(۱) ، و ما من بلاء ينزل على عبـد مؤمن فيمسك عن الدّعاء إلّا كان البلاء طويلا، فاذا نزل البلاء فعليكم بالدّعاء و التّضرّع إلى اللّه عزّ و جلّ.

و عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أفزعوا إلى اللّه عزّ و جلّ فى حوائجكم، و الجئوا إليه فى ملمّاتكم، و تضـرّعوا إليه و ادعوه، فانّ الدّعاء مخّ (۲) العباده، و ما من مؤمن يدعو اللّه إلّا استجاب له فامّا أن يعجّل له فى الدّنيا أو يؤجّل له فى الآخره، و إمّا أن يكفّر عنه من ذنوبه بقـدر ما دعا ما لم يدع بما ثم و عنه صلّى اللّه عليه و آله أعجز النّاس من عجز عن الدّعاء، و أبخل النّاس من بخل بالدّعا و عنه صلّى اللّه عليه و آله ألا أدلكم على أبخل النّاس و أكسل النّاس و أسـرق النّاس و أجفا النّاس و أعجز النّاس؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه، قال، أمّا أبخل النّاس فرجل يمرّ بمسلم و لم يسلّم عليه، و أمّا أكسل النّاس فعبد صحيح فارغ لا يذكر اللّه بشفه و لا بلسان، و أمّا أسـرق النّاس فالـذى يسـرق من صـلاته، فصـلاته تلفّ كما يلفّ الثّوب الخلق فيضـرب بها وجهه، و أمّا أجفى النّاس فرجل ذكرت بين يديه فلم يصلّى علىّ، و أمّا أعجز النّاس فمن عجز عن الدّعاء و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أفضـل العبادات الدّعاء و إذا أذن اللّه للعبد فى الدّعاء فتح له باب الرّحمه، إنّه لن يهلكك مع الدّعاء أحد و عن معاويه بن عمّار قال: قلت لأبى عبـد اللّه عليه السّلام فى الرّجلين افتتحا الصّلاه فى ساعه واحـده فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته أكثر من دعائه، و دعا هذا فكان دعاؤه أكثر من تلاوته، ثمّ انصرفا فى ساعه واحده أيّهما أفضل؟ قال عليه السّلام: كلّ فيه فضل و كلّ حسن، قلت: إنّى قد علمت أنّ كلّا حسن و أنّ كلّا فيه فضل، لكن أيّهما

۱- (۱) اى سريعا.

۲- (۲) اى خالصها.

أفضل؟ فقال عليه السّلام الدّعاء أفضل أما سمعت قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِی أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِی سَیَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِینَ » هی(۱) و اللّه العباده هی و اللّه أفضل أ لیست هی العباده هی و اللّه العباده، أ لیست هی أشدّ هن هی و اللّه أشدّ هنّ هی و اللّه أشدّهنّ و عن یعقوب بن شعیب قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إنّ اللّه أوحی إلی آدم إنّی سأجمع لک الكلام فی أربع كلمات، قال: یا ربّ و ما هنّ؟ قال: واحده لی، واحده لک، واحده فیما بینی و بینک، واحده بینک و بین النّاس، فقال آدم: بیّنهنّ لی یا ربّ، فقال اللّه تعالی: أمّا التی لی فتعبدنی و لا تشرک بی شیئا، و أمّا التی لک فاجزیک بعملک أحوج ما تكون إلیه، و أمّا التی بینی و بینک فعلیک الدّعاء و علیّ الاجابه و أمّا التی بینک و بین النّاس فترضی للنّاس ما ترضی لنفسک و من كتاب الدّعاء لمحمّد بن حسن الصّفار فی حدیث مرفوع قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: یدخل الجنّه رجلان كانا یعملان عملا واحدا فیری أحدهما صاحبه فوقه فیقول: یا ربّ بما أعطیته و كان عملنا واحدا، فیقول اللّه تبارک و تعالی سألنی و لم تسألنی ثمّ قال: اسألوا اللّه و اجزلوا فانّه لا یتعاظمه شیء و منه أیضا بروایه مرفوعه قال: قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیسألنّ اللّه أو لیقضینّ علیكم إنّ للّه عبادا یعملون فیعطیهم و آخرین یسألونه صادقین فیعطیهم ثمّ یجمعهم فی الجنّه فیقول الذین عملوا ربّنا عملنا فأعطیتنا فبما اعطیت هؤلاء، فیقول: عبادی اعطیتكم اجوركم و لم ألتكم من أعمالكم شیئا و سألنی هؤلاء فأعطیتهم و هو فضلی اوتیه من أشاء و عن الصّادق علیه السّلام قال لمیسر بن عبد العزیز: یا میسرادع اللّه و لا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه إنّ عند اللّه منزله لا تنال إلّا بمسأله، و لو أنّ عبدا سدّ فاه و لم یسأل لم

۱- (۱) ای الدعاء و التانیث باعتبار الخبر أعنی العباده أو كانه داخل فی الحكم بكونه عباده و اللام فی العباده للعهد ای المراء یقول عبادتی ای العباده المعهوده ای الدّعاء و اللّه أعلم.

یعط شیئا فاسأل تعط، یا میسر انّه لیس یقرع باب إلّا یوشک أن یفتح لصاحبه و فی هذه الرّوایه دلاله علی ما قدّمناه سابقا من أنّه لا امتناع فی کون الدّعاء محدثا للمصلحه فی المطلوب بعد أن لم یکن فیه مصلحه و لا بعد فی کونه من أسباب وجود المطلوب و شرایط حصوله حسبما مرّ تفصیلا و اللّه ولیّ التّوفیق

الترجمه

از جمله کلام آن حضرت است هنگام عزم بر تشریف بردن شام و آن اینست:

که بار خدایا بدرستی که من پناه می برم بتواز مشقت سفر و از غم و اندوه بازگشت، یعنی از پریشانی که بعد از مراجعت وطن حاصل می شود، و از بدی نظر در أهل و مال، بار خدایا توتی همراه در سفر، و توئی جانشین در محافظت أهل در حضر، و جمع نمی کند مصاحبت و خلافت غیر تو، از جهت این که کسی که خلیفه ساخته شده باشد نمی باشد همراه داشته شده و کسی که همراه داشته شده باشد نمی شود خلیفه ساخته شده، یعنی محالست که جانشین همراه در سفر باشد بجهت این که ممکن نیست جسم واحد در آن واحد در دو مکان بوده باشد، أما خداوند ذو العزه که منزهست از جهت و جسمیه پس در حق او جایز است خلافت و مصاحبت معا.

و من کلام له علیه السّلام فی ذکر الکوفه و هو

اشاره

السابع و الاربعون من المختار فی باب الخطب

کأنّی بک یا کوفه تمدّین مدّا لأدیم العکاظی، و تعرکین بالنّوازل، و ترکبین بالزّلازل، و إنّی لأعلم أنّه ما أراد بک جبّار سوء إلّا ابتلاه اللّه بشاغل، و رماه بقاتل.

اللغه

(الادیم) الجلد أو مدبوغه و جمعه ادم و (عکاظ) بالضّم اسم سوق للعرب بناحیه مکه

كانت العرب يجتمع بها فى كل سنه و يقيمون شهرا و يتبايعون و يتعاكظون أى يتفاخرون و يتناشدون الأشعار قال أبو ذويب:

اذا بنى القباب على عكاظ و قام البيع و اجتمع الالوف

فلما جاء الاسلام هدمه و أكثر ما كان يباع بها الأديم فنسب إليها و (العرك) الدلك و الحكّ و عركه أى حمل عليه الشّر و عركت القوم فى الحرب إذا ما رستهم حتّى اتعبتهم و (النّوازل) المصائب و الشّدايد و (الزّلازل) البلايا.

الاعراب

المستفاد من المطرزى فى شرح المقامات أنّ الفعل فى كأنى بك محذوف، و الأصل كانّى ابصرك فزيدت الباء بعد حذف الفعل، و قال الرّضىّ: و الأولى أن تبقى كان على معنى التّشبيه و لا تحكم بزياده شىء و تقول التّقدير كأنّى أبصر بك أى اشاهدك من قوله تعالى فبصرت به عن جنب، و الجمله بعد المجرور بالباء حال أى كانّى أبصر بك يا كوفه حال كونك ممدوده مدّ الأديم، و قوله تركبين على البناء للمجهول كالفعلين السّابقين أى تجعلين مركوبه لها أو بها على أن تكون الباء للسّبيّه كالسّابقه.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام من جمله ما أخبر به عن المغيبات بيّن فيه حال الكوفه و حال أهلها و تجاذب أيدى الظالمين، و تسلّطهم عليهم بالظلم و العدوان و فى قوله(كأنّى بك يا كوفه)إشاره إلى أنّ المخبر به لا محاله واقع و وقوعه شاهد بعين اليقين(تمدّين مدّ الأديم العكاظى)وجه الشّبه شدّه ما يقع بأهله من الظلم و البلاء كما أنّ الاديم العكاظى مستحكم الدّباغ شديد المدّ (تعركين بالنّوازل و تركبين بالزّلازل) أراد بهما الشّدايد و المصايب التى نزلت بأهل الكوفه و الظلم و البلايا التى حلّت بها و أوجبت اضطراب أهلها، و هى كثيره معروفه مذكوره فى كتب السّير و التواريخ.

و فى قوله:(و إنّى لأعلم) مؤكدا بانّ و اللاّم و القسم إشاره إلى تحقّق وقوع المخبر به يعنى أنّه معلوم بعلم اليقين (أنّه ما أراد بك جبّار سوءا إلاّ ابتلاه

اللّه بشاغل و رماه بقاتل).

قال أبو الحسن الكيدرى فى شرحه: فمن الجبابره الذين ابتلاهم اللّه بشاغل فيها زياد و قد جمع النّاس فى المسجد ليلعن عليا صلوات اللّه عليه فخرج الحاجب و قال انصرفوا فانّ الأمير مشغول عنكم و قد أصابه الفالج فى هذه الساعه و ابنه عبيد اللّه بن زياد و قد أصابه الجذام و الحجاج بن يوسف و قد تولّدت الحيّات فى بطنه حتّى مات و عمر بن هبيره و ابنه يوسف و قد أصابهما البرص و خالد القسرى و قد حبس فطولت حتّى مات جوعا.

و أمّا الذين رماهم اللّه بقاتل فعبيد اللّه بن زياد و مصعب بن الزبير و ابو السرايا و غيرهم قتلوا جميعا و يزيد بن مهلب قتل على أسوء حال هذا.

و العجب من الشّارح البحرانى حيث قال: و أمّا الجبابره التى أرادوا بها سوء و طعنوا فيها فأكثروا فيها الفساد فصبّ عليهم ربك سوط عذاب و أخذهم بذنوبهم و ما كان لهم من اللّه من واق، فجماعه و ذكر التى تقدّم ذكرها من الكيدرى و أضاف إليها المختار بن أبى عبيده الثّقفى.

و أنت خبير بأنّ عد المختار فى ذلك العداد ظلم فى حقّه و سوء أدب بالنّسبه إليه إذ الأخبار فى ذمّه و إن كانت كثيره إلاّ أنّها مع ضعف سندها معارضه بأخبار المدح، و قد ذكرهما الكشى فى رجاله فغايه الأمر مع عدم التّرجيح لأخبار المدح هو التوقف، و على فرض الترجيح لأخبار الذّم فهى لم تبلغ حدّا يوجب الجرأه على عدّه فى عداد أمثال زياد و حجاج و مصعب و نحوهم، و على جعله من الجبابره الموصوفه لعنهم اللّه.

كيف؟ و ابن طاوس بعد القدح فى روايات الذّم قال: إذا عرفت هذا فانّ الرجحان فى جانب الشكر و المدح، و لو لم يكن تهمه فكيف و مثله موضع أن يتّهم فيه الرواه و يستغشّ فيما يقول عنه المحدّثون لعيوب تحتاج إلى نظر و يكفى فى فضله ما رواه الكشّى عن عبد اللّه بن شريك قال: دخلنا على أبى جعفر عليه السّلام يوم النّحر و هو متّك و قد أرسل إلى الحلاّق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفه فتناول يده ليقبّلها فمنعه، ثمّ قال: من أنت؟ قال: أنا

أبو محمّـد الحكم بن المختار بن أبى عبيـده الثقفى، و كان متباعدا من أبى جعفر فمدّيده إليه حتّى كاد أن يقعده فى حجره بعد منعه يـده، ثمّ قال: أصـلحك اللّه إنّ النّاس قد أكثروا فى أبى و قالوا: و القول و اللّه قولك، قال: أىّ شـىء يقولون؟ قال: يقولون كذّاب و لا تأمرنى بشـىء إلاّ قبلته، فقال: سـبحان اللّه أخبرنى أبى و اللّه أنّ مهر امّى كان ممّا بعث به المختار أو لم يبن دورنا، و قتـل قاتلنا، و طلب بـدمائنا؟ رحم اللّه، و أخبرنى و اللّه أنّه كان ليقيم عنـد فاطمه بنت علىّ يمهـدها الفراش و يثنى لها الوسائـد و منها أصاب الحـديث رحم اللّه أباك رحم اللّه أباك ما ترك لنا حقّا عنـد أحـد إلاّ طلبه قتل قتلتنا و طلب بـدمائنا هذا و اعلم أنّ فى قوله: ما أراد بك جبّار سوء إلاّ ابتلاه اللّه إشعارا بمدح الكوفه و فضلها و قد جاء عن أهل البيت عليهم السّلام فى ذلك شىء كثير مثل قول أمير المؤمنين عليه السّـلام نعمت المدره، و قوله عليه السّـلام إنّه يحشر من ظهرها يوم القيامه سبعون ألفا وجوههم فى صـوره القمر، و قوله عليه السّـلام مـدينتنا و محلّتنـا و مقرّ شـيعتنا، و قول الصّـادق عليه السّـلام اللّهمّ ارم من رماهـا و عـاد من عاداها، و قوله عليه السّـلام تربه تحبّنا و نحبّها و فى البحار من معانى الأخبار و الخصال للصّدوق باسـناده عن موسى بن بكير عن أبى الحسن الأوّل قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّ اللّه اختار من البلدان أربعه فقال عزّ و جلّ:

«وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ وَ طُورِ سِـينِينَ وَ هـذَا الْبَلَـدِ الْأَمِينِ » فالتّين المدينه، و الزّيتون البيت المقدّس، و طور سـينين الكوفه، و هذا البلد الأمين مكّه، الخبر.

قـال المجلسـى: لعلّه إنّمـا كنى عن المـدينه بـالتّين لو فوره و جودته فيهـا، أو لكونهـا من أشارف البلـد كما أنّ التّين من أفاضـل الثّمـار، و كنّى عن الكوفه بطور سـينين لأنّ ظهرهـا و هو النّجف كـان محـلّ مناجـاه سـيّد الأوصـياء كمـا أنّ الطور محلّ مناجاه الكليم، أو لأنّ الجبل الذى سأل موسى عليه الرّؤيه تقطّع فوقع جزء منها

هناک کما ورد فی بعض الأخبار، أو أنّ ابن نوح لمّا اعتصم بهذا الجبل تقطّع فصار بعضها فی طور سینا، أو أنّه طور سینا حقیقه.

و غلط فیه المفسّرون و اللغویّون کما روی الشّیخ فی التّهذیب باسناده عن الثمالی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: کان فی وصیّه أمیر المؤمنین أن أخرجونی إلی الظهر فاذا تصوّبت أقدامکم و استقبلتکم ریح فادفنونی و هو أوّل طور سینا ففعلوا ذلک و من مجالس الشّیخ باسناده عن عبد اللّه بن الولید قال: دخلنا علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فسلّمنا علیه و جلسنا بین یدیه فسألنا من أنتم؟ قلنا: من أهل الکوفه فقال: أما إنّه لیس من بلد من البلدان أکثر محبّا لنا من أهل الکوفه، ثمّ هذه العصابه(۱) خاصّه إنّ اللّه هداکم لأمر جهله النّاس، احببتمونا و أبغضنا النّاس، و صدّقتمونا و کذبنا النّاس، و اتّبعتمونا و خالفنا النّاس، فجعل اللّه محیاکم محیانا و مماتکم مماتنا

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در ذکر حال کوفه و خراب شدن آن از دست ظلمه می فرماید: گویا می بینم تو را ای کوفه در حالتی که کشیده می شوی همچو کشیدن چرم عکاظی، مالیده شوی بسبب فرود آمدن مصیبتها و حادثها، و سوار کرده شوی بجنبشها و زلزلها، این همه اشاره است به انواع بلا و محنت و جفا و مصیبت که واقع شد بأهل کوفه از ظلم ظلمه و ستم فجره، و بدرستی که می بینم آنکه اراده نکند بتو هیچ گردن کش ستمکار بدی و مضرّت را مگر این که گرفتار سازد او را خداوند قهّار ببلائی که مشغول کنندۀ اوست، و بیندازد او را بدست قاتلی که کشندۀ او است و اللّه أعلم بمعانی کلامه

و من خطبه له علیه السّلام عند المسیر الی الشام و هی الثامنه

اشاره

و الاربعون من المختار فی باب الخطب

و هی مرویّه فی کتاب صفین لنصر بن مزاحم باختلاف و زیاده تطلّع علیه انشاء اللّه

ص:۲۶۸

۱- (۱) ای هم فیها أکثر من سایر البلدان و المراد عصابه الشیعه فانّ المحب أعمّ منها (بحار)

الحمد للّه كلّما وقب ليل و غسق، و الحمد للّه كلّما لاح نجم و خفق و الحمد للّه غير مفقود الانعام، و لا مكافا الافضال، أمّا بعد، فقد بعثت مقدّمتى و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط، حتّى يأتيهم أمرى، و قد رأيت أن أقطع هذه النّطفه إلى شرذمه منكم، موطّنين أكناف دجله، فأنهضهم معكم إلى عدوّكم، و أجعلهم من أمداد القوّه لكم. قال السّيد (ره) أقول يعنى عليه السّلام بالملطاط السّمت الذى أمرهم بلزومه، و هو شاطئ الفرات، و يقال ذلک لشاطئ البحر و أصله ما استوى من الأرض، و يعنى بالنّطفه ماء الفرات و هو من غريب العبارات و أعجبها

اللغه

(الوقوب) الدّخول و (غسق) الليل أظلم، و منه الغاسق قال سبحانه:

«وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ » قال الطبرسى: الغاسق فى اللغه الهاجم بضرره و هو ههنا الليل لأنّه يخرج السّباع من آجامها و الهوام من مكانها فيه، يقال: غسقت القرحه إذا جرى صديدها و منه الغساق صديد أهل النّار لسيلانه بالعذاب و غسقت عينه سال دمعها و (خفق) النّجم يخفق خفوقا غاب و (المكافا) بصيغه المفعول من كافاه مكافئه كمعامله و كفاء جازاه و (مقدمه) الجيش بالكسر و قد يفتح أوّله ما يتقدّم منه على العسكر و (الملطاط) حافه الوادى و ساحل البحر، و المراد هنا شاطىء الفرات كما قال السيّد و (النّطفه) بالضّم الماء الصّافى قلّ أو كثر و (الشّرذمه) بالكسر القليل من النّاس و (موطنين) إمّا من باب الافعال أو التّفعيل يقال: أوطنه و وطنه و استوطنه اتّخذه وطنا و (الكنف) بالتّحريک الجانب و النّاحيه و (نهض) كمنع قام و أنهضه غيره أقامه و (الامداد)

جمع مدد بالتّحريك و هو النّاصر و المعين.

الاعراب

غير منصوب على الحاليه، و قوله: و لا مكافا الافضال، و لا زايده عند البصريين للتّوكيد و عند الكوفيّين هى بمعنى غير كما قالوا جئت بلا شىء فادخلوا عليها حرف الجرّ فيكون لها حكم غير، و أجاب البصريّون عن هذا بأنّ لا دخلت للمعنى فتخطاها العامل، و الجار فى قوله: إلى شرذمه، و متعلّق بمحذوف أى متوجّها إليهم و مثلها إلى فى قوله: إلى عدوّكم

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه خطب بها أمير المؤمنين عليه السّلام و هو بالنّخيله خارجا من الكوفه متوجّها إلى صفّين بخمس مضين من شوّال سنه سبع و ثلاثين فقال:(الحمد للّه كلّما وقب ليل و غسق) أى دخل و أظلم (و الحمد للّه كلّما لاح نجم و خفق) أى ظهر و غاب.

تقييد الحمد بالقيود المذكوره قصدا للدّوام و الثّبات مع ما فى ذلك من الاشاره إلى كمال القدره و العظمه و التّنبيه بما فى وقوب الليل من النّعم الجميله من النّوم و السّكون و السّبات، و التّذكير بما فى طلوع الكواكب و غروبها من المنافع الجليله من معرفه الحساب و السّنين و الشّهور و السّاعات و الاهتداء بها فى الفيافى و الفلوات إلى غير هذه ممّا يترتّب عليها من الفوايد و الثمرات (و الحمد للّه غير مفقود الأنعام) و قد مرّ تحقيق ذلك فى شرح الخطبه الرّابعه و الأربعين فى بيان معنى قوله عليه السّلام و لا تفقد له نعمه (و لا مكافا الافضال) إذ إحسانه سبحانه لا يمكن أن يقابل بالجزاء، إذ القدره على شكره و ثنائه الذى هو جزاء احسانه نعمه ثانيه من نعمه و قد مرّ تفصيل ذلك فى شرح الخطبه الاولى فى بيان معنى قوله عليه السّلام: و لا يؤدّى حقّه المجتهدون (أمّا بعد فقد بعثت مقدّمتى) أراد مقدّمه جيشه التى بعثها مع زياد بن النّصر و شريح بن هانى نحو صفّين، و قد كانوا إثنا عشر ألف فارس

ص:۲۷۰

(و أمرتهم بلزوم هـذا الملطـاط) و الوقوف فی شـاطیء الفرات (حتّی یأتیهم أمری) و یبلغهم حکمی (و قـد رأیت) المصـلحه فی (ان اقطع هذه النّطفه) أراد ماء الفرات کما مرّ متوجّها (إلی شرذمه منکم موطنین أکناف دجله) أراد بهم أهل المداین (فانهضهم معکم إلی عدوّکم و أجعلهم من أمداد القوّه لکم) و فی روایه نصـر بن مزاحم الآتیه فانهضـهم معکم إلی أعداء اللّه و قال نصر: فسار علیه السّلام حتّی انتهی إلی مدینه بهر سیر، و إذا رجل من أصحابه یقال له جریر بن سهم بن طریف من بنی ربیعه ینظر إلی آثار کسری و یتمثّل بقول الاسود بن یعفر

جرت الرّیاح علی محلّ دیارهمفکأنّما کانوا علی میعاد

فقال علیه السّلام له ألا قلت:

«کَمْ تَرَکُوا مِنْ جَنّاتٍ وَ عُیُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقـامٍ کَرِیمٍ وَ نَعْمَهٍ کـانُوا فِیهـا فاکِهِینَ کَذلِکَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِینَ فَما بَکَتْ عَلَیْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما کانُوا مُنْظَرِینَ » انّ هؤلاء کانوا وارثین فأصـبحوا مورثین، و لم یشکروا النّعمه فسلبوا دنیاهم بالمعصیه إیّاکم و کفر النّعم لاـ تحـلّ بکم النّقم انزلوا بهـذه النّجوه، قـال نصـر فـأمر الحرث الأـعور فصاح فی أهل المـداین من کان من المقاتله فلیواف أمیر المؤمنین صلاه العصر فوافوه فی تلک السّاعه فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

فانّی قد تعجّبت من تخلّفهم عن دعوتکم، و انقطاعکم من أهل مصـرکم فی هذه المساکن الظالم أهلها الهالک أکثر ساکنها، لا معروف تأمرون به، و لا منکر تنهون عنه قالوا: یا أمیر المؤمنین إنّا کنّا ننتظر أمرک مرنا بما أحببت، فسار و خلّف علیهم عدیّ بن حـاتم فأقـام علیهم ثلاثـا، ثمّ خرج فی ثمانمـائه رجل منهم و خلّف ابنه زیـدا بعـده فلحقه فی أربعمائه رجل، و هؤلاء هم الـذین جعلهم من أمداد القوّه لجیشه، هذا.

و من عجایب ما روی عنه علیه السّلام ما فی البحار من کتاب الفضایل لشاذان بن جبرئیل القمّی عن الأحوص، عن أبیه، عن عمار الساباطی قال: قدم أمیر المؤمنین علیه السّلام المداین فنزل بایوان کسری و کان معه دلف بن بحیر، فلمّا صلّی علیه السّلام قام و قال لدلف قم معی، و کان معه جماعه من أهل ساباط، فما زال یطوف منازل کسری و یقول لدلف: کان لکسری فی هذا المکان کذا و کذا و یقول دلف: هو و اللّه کذلک فما زال کذلک حتّی طاف المواضع بجمیع من کان عنده و دلف یقول: یا سیّدی و مولای کأنّک وضعت هذه الأشیاء فی هذه المساکن ثمّ نظر إلی جمجمه نخره فقال لبعض أصحابه: خذ هذه الجمجمه ثمّ جاء إلی الایوان و جلس فیه، و دعا بطشت فیه ماء فقال للرّجل دع هذه الجمجمه فی الطشت ثمّ قال: أقسمت علیک یا جمجمه أخبرنی من أنا و أنت، فقال الجمجمه بلسان فصیح:

أمّا أنت فأمیر المؤمنین و سیّد الوصیّین و إمام المتّقین، و أمّا أنا فعبد اللّه و ابن أمه اللّه کسری أنو شیروان.

فقال له أمیر المؤمنین: کیف حالک، فقال: یا أمیر المؤمنین إنّی کنت ملکا عادلا شفیقا علی الرّعایا رحیما لا یرضی بظلم، و لکن کنت علی دین المجوس، و قد ولد محمّد فی زمان ملکی فسقط من شرفات قصری ثلاثه و عشرون لیله ولد، فهممت أن امن به من کثره ما سمعت من الزّیاده من أنواع شرفه و فضله و مرتبته و عزّه فی السّموات و الأرض و من شرف أهل بیته، و لکنی تغافلت عن ذلک و تشاغلت منه فی الملک، فیا لها من نعمه و منزله ذهبت منّی حیث لم أومن به، فأنا محروم من الجنّه بعدم ایمانی به و لکنّی مع هذا الکفر خلّصنی اللّه من عذاب النّار ببرکه عدلی و انصافی بین الرّعیّه و أنا فی النّار، و النّار محرّمه علیّ فوا حسرتا لو آمنت لکنت معک یا سیّد أهل بیت محمّد و یا أمیر امّته قال: فبکی النّاس و انصرف القوم الذین کانوا من أهل ساباط إلی أهلیهم و أخبروهم بما کان و ما جری، فاضطربوا و اختلفوا فی معنی أمیر المؤمنین، فقال

المخلصون منهم: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام عبد اللّه و وليّه و وصيّ رسول اللّه، و قال بعضهم بل هو النّبيّ، و قال بعضهم: بل هو الرّبّ، و هو مثل عبد اللّه بن سبا و أصحابه، و قالوا لو لا أنّه الرّب كيف يحيى الموتى.

قال، فسمع بذلك أمير المؤمنين عليه السّلام، و ضاق صدره و أحضرهم و قال: يا قوم غلب عليكم الشّيطان إن أنا إلاّ عبد اللّه أنعم علىّ بامامته و ولايته و وصيّه رسوله، فارجعوا عن الكفر، فأنا عبد اللّه و ابن عبده و محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خير منّى، و هو أيضا عبد اللّه و إن نحن إلاّ بشر مثلكم، فخرج بعضهم من الكفر و بقى قوم على الكفر ما رجعوا فألحّ أمير المؤمنين عليهم بالرّجوع فما رجعوا فأحرقهم بالنّار و تفرّق قوم منهم فى البلاد و قالوا: لو لا أنّ فيه الرّبوبيّه ما كان أحرقنا بالنّار، فنعوذ باللّه من الخذلان.

تكمله

روى نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين بسنده عن عبد الرّحمن بن عبيد بن أبى الكنود، قال: لمّا أراد علىّ عليه السّلام الشّخوص من النّخيله قام فى النّاس لخمس مضين من شوال يوم الأربعاء فقال:

الحمد للّه غير مفقود النّعم، و لا مكافا الافضال، و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، و نحن على ذلكم من الشّاهدين، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّى اللّه عليه و آله أمّا بعد ذلكم فانّى قد بعثت مقدّماتى و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط، حتّى يأتيهم أمرى، فقد أردت أن اقطع هذه النّطفه إلى شرذمه منكم موطنون بأكناف دجله، فانهضكم معكم إلى أعداء اللّه إنشاء اللّه، و قد أمرت على المصر عقبه بن عمرو الأنصارى، و لم الوكم و نفسى، فايّاكم و التخلّف و التّربص، فانّى قد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعى و أمرته أن لا يترك متخلّفا إلاّ الحقه بكم عاجلا إنشاء اللّه.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرت است هنگام رفتن شام فرموده: سپاس بى قياس خداوندى را سزاست هر وقتى كه داخل شد شب و رو بتاريكى نهاد، و ثناء بى انتها

ص:۲۷۳

واجب الوجودی را رواست هر وقتی که طلوع نمود ستاره و در غروب افتاد، و ستایش بی حد معبود بحقّی راست در حالتی که نایاب شده نیست إحسان او و جزا داده و برابر کرده نیست انعام او پس از حمد الهی و شکر نامتناهی پس بتحقیق فرستادم پیشرو لشکر خود را بجانب صفین، و أمر کردم ایشان را بلازم شدن و مکث نمودن در این جانب فرات تا این که بیاید بایشان فرمان من، و بتحقیق که مصلحت را در این دیدم که قطع کنم آب فرات را یعنی بگذرم از فرات و متوجّه شوم بطرف گروهی اندک از شما در حالتی که وطن گرفته اند آن گروه در کنار شط، پس بر پای کنم ایشان را با شما و متوجه شوند بسوی عدوی شما، و بگردانم ایشان را از مددهای قوت شما در وقت پیدا شدن اماره محاربه

و من خطبه له علیه السّلام و هی التاسعه و الاربعون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

الحمد للّه الّذی بطن خفیّات الأمور، و دلّت علیه أعلام الظّهور، و امتنع علی عین البصیر، فلا عین من لم یره تنکره، و لا قلب من أثبته یبصره، سبق فی العلوّ فلا شیء أعلا منه، و قرب فی الدّنوّ فلا شیء أقرب منه، فلا استعلائه باعده عن شیء من خلقه، و لا قربه ساواهم فی المکان به، لم یطلع العقول علی تحدید صفته، و لم یحجبها عن واجب معرفته، فهو الّذی تشهد له أعلام الوجود، علی إقرار قلب ذی الجحود، تعالی اللّه عمّا یقول المشبّهون به و الجاحدون له علوّا کبیرا.

ص:۲۷۴

اللغه

(بطنته) أبطنه علمته و أخبرته و (الأعلام) جمع العلم بالتّحريك و هو ما يستدلّ به على الشيء كالعلامه و (لم يطلع) من باب الافعال يقال اطلعت زيدا على كذا مثل أعلمته و زنا و معنا و (الجحود) الانكار يقال جحد حقّه أى أنكره قال الفيومى و لا يكون إلّا على علم من الجاحد به.

الاعراب

فاعل امتنع محذوف بقرينه المقام أى امتنع رؤيته، و كلمه لا ـ فى قوله فلا ـ عين و لا قلب بمعنى ليس، و فى قوله فلا شيء لنفى الجنس و به متعلّق بقوله ساواهم، و اضافه الواجب إلى معرفته من باب إضافه الصّفه إلى الموصوف، و على اقرار متعلّق بتشهد.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشّريفه مشتمله على مباحث جليله من الحكمه الالهيّه و مطالب نفيسه من صفات الرّبوبيه.

الاول أنّه سبحانه عالم بالخفيّات و السّرایر و خبير بما فى الصّدور و الضمائر و إليه الاشاره بقوله (الحمد للّه الذى بطن خفيّات الامور) و يدلّ ذلك على كونه عالما بالجليّات بطريق أولى كما برهن ذلك فى الكتب الكلاميّه، و قد حقّقنا الكلام فى علمه بجميع الأشياء و دللنا عليه بطريق النقل و العقل بما لا مزيد عليه فى تنبيه الفصل السّابع من فصول الخطبه الاولى و لا حاجه لنا إلى إطناب الكلام فى المقام و كفى بما ذكره عليه السّلام شهيدا قوله سبحانه:

«عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً » و قوله: «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِى الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

ص:۲۷۵

و قوله: «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُها إِلاّٰ هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّٰ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتابٍ مُبِينٍ » فانّ المراد بالغيب هو الغايب عن الحواسّ الخفىّ على الخلق، و أظهر منها دلاله قوله سبحانه:

«وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى » يعنى لا تجهد نفسك برفع الصّوت فانّک و إن لم تجهر علم اللّه السرّ و أخفى من السّرّ، قال الطبرسى: اختلفوا فيما هو أخفى من السّرّ فقيل: السّرّ ما حدّث به العبد غيره فى خفيّه و أخفى منه ما أضمره فى نفسه ما لم يحدّث به غيره، و قيل: السّرّ ما أضمره العبد فى نفسه و أخفى منه ما لم يكن و لا أضمره أحد، و روى عن السّيدين الباقر و الصّادق عليهما السّلام السّرّ ما أخفيته فى نفسك و أخفى ما خطر ببالك ثمّ أنسيته.

(و) الثانى أنّه تعالى (دلّت عليه أعلام الظهور) و المراد بأعلام الظهور الآيات و الآثار الداله على نور وجوده الظاهر فى نفسه المظهر لغيره، و اليها الاشاره فى قوله سبحانه:

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » و لا يخفى أنّ الاستدلال بتلك الأدلّه و الآيات هو طريق الملّيّين و ساير فرق المتكلّمين فانّهم قالوا: إنّ الأجسام لا يخلو عن الحركه و السّكون، و هما حادثان و ما

لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، فالأجسام كلّها حادثه، و كلّ حادث مفتقر إلى محدث فمحدثها غير جسم و لا جسمانى و هو البارى جلّ اسمه دفعا للدّور و التّسلسل.

و قريب منها طريقه الطبيعيين و هو الاستدلال بالحركه قالوا: إنّ المتحرّك لا- يوجب حركه بل يحتاج إلى محرّك غيره، و المحرّك لا محاله ينتهى إلى محرّك غير متحرّك أصلا دفعا للدّور و التّسلسل، و هو لعدم تغيّره و براءته عن القوه و الحدوث واجب الوجود.

و هنا طريقه اخرى أحكم من السّابقتين و هو الاستدلال بالفعل على الفاعل و إليه الاشاره فى حديث الزنديق المروىّ فى الكافى فانّه بعد ما سأل أبا عبد اللّه عليه السّلام عن دليل التّوحيد و أجاب عنه عليه السّلام فكان من سؤاله أن قال: فما الدّليل عليه أى على وجوده تعالى؟ فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: وجود الأفاعيل دلّت على أنّ صانعا صنعها، ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبنى علمت أنّ له بانيا و إن كنت لم تر البانى و لم تشاهده، قال: فما هو: قال: شيء بخلاف الاشياء.

و إنّما قلنا: إنّ هذه الطريقه أحكم لأنّه يرجع إلى البرهان اللّمّى و ذلك لأنّ كون الشيء على صفه قد يكون معلولا لما ذاته علّه له، ألا ترى أنّ البنامن حيث إنّه بناء لا يعرف إلّا بالبناء، و الكاتب من حيث هو كاتب يدخل فى حدّ الكتابه و ما يدخل فى حدّ الشّيء يكون سببا له و برهانا عليه لميّا، فذاته تعالى و إن لم يكن من حيث ذاته برهان عليه إذ لا جنس له و لا فصل له، و ما ليس له جنس و لا- فصل لا- حدّ له و ما لا حدّ له لا برهان عليه، إلّا أنّه من حيث صفاته و كونه مصدرا لأفعاله ممّا يقام عليه البرهان، كقولنا: العالم مصنوع مبنىّ يقتضى أن له صانعا بانيا، و إذا ثبت أنّ له صانعا ثبت وجوده فى نفسه ضروره، إذ ثبوت الشّيء على صفه فى الواقع لا ينفكّ عن ثبوته فى نفسه كما هو ظاهر، و كيف كان فهذه الطرق هى المشار إليها بقوله سبحانه:

«سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »

و هی کلها مشترکه فی أنّ التّوسّل فیها إلی معرفته سبحانه إنّما هو باعتبار امر آخر غیره، کالامکان للمهیّه و الحدوث للخلق و الحرکه للجسم.

و هنا طریقه اخری هی أسدّ و ألطف و أشرف و هی أن یستدلّ به تعالی علیه ثمّ یستشهد بذاته علی صفاته و أفعاله واحدا بعد واحد و إلیها أشار الشّارح البحرانیّ بقوله: و أمّا الالهیّون فلهم فی الاستدلال طریق آخر، و هی انّهم ینظرون أوّلا ـ فی مطلق الوجود أهو واجب أو ممکن، و یستدلّون من ذلک علی اثبات واجب، ثمّ بالنظر فی لوازم الوجوب من الوحده الحقیقیه علی نفی الکثره بوجه ما المستلزمه(1) لعدم الجسمیه و العرضیّه و الجهه و غیرها، ثمّ یستدلّون بصفاته علی کیفیه صدور أفعاله عنه واحدا بعد آخر.

و ظاهر أنّ هذا الطریق أجلّ و أشرف من الطریق الأوّل و ذلک لأنّ الاستدلال بالعلّه علی المعلول أولی البراهین باعطاء الیقین، لکون العلم بالعلّه المعینه مستلزما للعلم بالمعلول المعین من غیر عکس.

قال بعض العلماء: و إنّه طریق الصّدیقین الذین یستشهدون به لا علیه أی یستدلّون بوجوده علی وجود کلّ شیء إذ هو منه و لا یستدلّون بوجود شیء علیه بل هو أظهر وجودا من کلّ شیء فان خفی مع ظهوره، فلشدّه ظهوره، و ظهوره سبب بطونه، و نوره هو حجاب نوره، إذ کلّ ذرّه من ذرّات مبدعاته و مکوناته فلها عدّه ألسنه تشهد بوجوده و بالحاجه إلی تدبیره و قدرته لا یخالف شیء من الموجودات شیئا من تلک الشّهادات و لا یتخصّص أحدها بعدم الحاجات.

و قال الصّدر الشّیرازی فی شرح الکافی: و اعلم أنّ للحکماء فی إثبات هذا المطلب یعنی وجود الصّانع منهجین احدهما الاستدلال علی وجوده تعالی من جهه النظر فی أفعاله و آثاره و ثانیهما الاستشهاد علیه من جهه النظر فی حقیقه الوجود و أنّها یجب أن یکون بذاتها محقّقه و بذاتها واحده و هی ذات الواجب و أنّ ما سواه من الأشیاء التی لها مهیّات غیر حقیقه الوجودیه تصیر موجوده و انّ

1- (1) صفه للوحده، منه.

وجودها رشح و تبع لوجوده فدلّت ذاته على ذاته.

و إلى هذين المنهجين اشير فى الكتاب الالهى حيث قال اللّه تعالى:

«سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » هذا منهج قوم و قال: «أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ شَهِيدٌ » هذا منهج قوم آخروهم الصّديقون الذين يستشهدون من ذاته على حقيقه ذاته و من حقيقه ذاته على احديّه ذاته كما قال اللّه تعالى:

«شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ » و من أحديّه ذاته على ساير صفاته، و من معرفه صفاته على كيفيه أفعاله الأوائل و الثّوانى واحدا بعد واحد على ترتيب الأشرف و الأشرف إلى أن ينتهى إلى الجسمانيات و المتحركات، و لا شك أنّ هذا المنهج أحكم و أوثق و أشرف و أعلا انتهى كلامه.

فليفهم جيّدا فانّه غير خال عن ايهام القول بوحده الوجود الفاسد عند أهل الشّرع كما يأتى تفصيلا فى شرح الكلام المأتين و الثّامن إنشاء اللّه تعالى، و قد قرّر هذا المرام فى أوّل السّفر الالهى من كتابه الأسفار بتقرير أوضح و أبسط، و لا حاجه بنا إلى ذكره و فيما أوردناه هنا كفايه للمستر شد و هدايه للمهتدى.

و فى كلّ شىء له آيه تدلّ على أنّه واحد

(و) الثالث أنّه سبحانه (امتنع) رؤيته (على عين البصير):

فَ «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » و هذا هو مذهب أصحابنا وفاقا للمعتزله، و عليه دلّت الآيات الكريمه و البراهين المتينه و الأخبار المتواتره عن أهل بيت العصمه سلام اللّه عليهم و لنقتصر منها على روايه واحده.

و هو ما رواه فى الكافى باسناده عن أحمد بن إسحاق قال: كتبت إلى أبى الحسن الثالث عليه السّلام أسأله عن الرؤيه و ما اختلف فيه النّاس قال: فكتب لا يجوز

الرّؤيه ما لم يكن بين الرّائى و المرئى هواء ينفذه البصر فاذا انقطع الهواء من الرائى و المرئى لم يصّح الرؤيه و كان فى ذلك الاشتباه، لأنّ الرّائى متى ساوى المرئى فى السبب الموجب بينهما فى الرؤيه وجب الاشتباه و كان ذلك التّشبيه لأنّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسبّبات.

و هذه الرّوايه كما ترى دالّه على امتناع الرّؤيه بوجهين احدهما أنّ من شرايط تحقّق الرؤيه وجود الهواء أو ما يجرى مجراه كالماء الصافى و نحوه بين الرائى و المرئى لتنفذ فيه شعاع البصر و يتّصل بالمبصر فاذا انقطعت الهواء عنهما أو عن أحدهما امتنعت الرّؤيه الثانى لو جاز رؤيته سبحانه لزم كونه مشابها لخلقه تعالى عن ذلك علوّا كبيرا و إليه أشار عليه السّلام بقوله: و كان فى ذلك الاشتباه، يعنى فى كون الهواء بين الرّائى و المرئى الاشتباه يعنى شبه كل منهما بالآخر يقال اشتبها إذا شبه كلّ منهما الآخر لأنّ الرّائى متى ساوى المرئى و ماثله فى النّسبه إلى السّبب الذى أوجب بينهما الرؤيه وجب الاشتباه و مشابهه أحدهما الآخر فى توسّط الهواء بينهما.

و كان فى ذلك التّشبيه أى كون الرّائى و المرئى فى طرفى الهراء الواقع بينهما يستلزم الحكم بمشابهه المرئى بالرّائى من الوقوع فى جهه ليصحّ كون الهواء بينهما فيكون متحيّزا ذا صوره وضعيه فانّ كون الشّىء فى طرف مخصوص من طرفى الهواء و توسط الهواء بينه و بين شىء آخر سبب عقلىّ للحكم بكونه فى جهه و متحيّزا و ذا وضع، و هو المراد بقوله: لأنّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسبّبات فقد تحقّق و استبان من ذلك امتناع رؤيته سبحانه مطلقا فى الدّنيا و الآخره.

و ظهر بطلان ما ذهبت إليه الاشاعره من امكان رؤيته منزّها عن المقابل و الجهه و المكان كما قال عمر النّسفى و هو من عظماء الأشاعره: و رؤيه اللّه جايزه فى العقل واجبه بالنّقل فيرى لا فى مكان و لا على جهه من مقابله أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافه بين الرّائى و بين اللّه تعالى.

و قوله: فيرى لا فى مكان له ناظر إلى منع اشتراط الهواء بين الرائى و المرئى و اشتراط الجهه و المكان كما استدلّ به الباقون للرؤيه، و توضيح هذا المنع ما ذكره الغزالى فى محكىّ كلامه من كتابه المسمّى بالاقتصاد فى الاعتقاد، فانّه بعد

ما نقل استدلال أهل الحقّ فی نفی الرّؤیه من أنّه یوجب کونه تعالی فی جهه و کونه فی جهه یوجب کونه عرضا أو جوهرا جسمانیا و هو محال.

قال: إنّ أحد الأصلین من هذا القیاس مسلّم و هو أنّ کونه تعالی فی جهه یوجب المحال، و لکنّ الأصل الأوّل و هو ادّعاء هذا اللاّزم علی اعتقاد الرّؤیه ممنوع، فنقول: لم قلتم انّه إن کان مرئیا فهو فی جهه من الرّائی أعلمتم ذلک ضروره أم بنظر و لا سبیل إلی دعوی الضروره، و أمّا النظر فلا بدّ من بیانه و منتهاه أنّهم لم یروا إلی الآن شیئا إلاّ و کان بجهه من الرّائی مخصوصه، و لو جاز هذا الاستدلال لجاز للخصم «للمجسم خ ل» أن یقول: إنّ الباری تعالی جسم لأنّه فاعل فانّا لم نر إلی الآن فاعلا إلاّ جسمیا، و حاصله یرجع إلی الحکم بأنّ ما شوهد و علم ینبغی أن یوافقه ما لم یشاهد و لم یعلم أقول: و هذا معنی قول التفتازانی فی شرح العقائد النّسفیه فی هذا المقام من أنّ قیاس الغایب علی الشّاهد فاسد هذا، و غیر خفیّ علی الفطن العارف فساد ما زعموه، إذ دعوی کون المرئی بهذا العین مطلقا یجب أن یکون فی جهه لیست مبتیّه علی أنّ المرئیات فی هذا العالم لا یکون إلاّ فی جهه حتّی یکون من باب قیاس الغایب علی الشّاهد، بل النظر و البرهان یؤدّیان إلیه.

بیان ذلک علی ما حقّقه بعض المحقّقین(۱) هو أنّ القوّه الباصره التی فی عیوننا قوّه جسمانیه وجودها و قوامها بالمادّه الوضعیّه، و کلّ ما وجوده و قوامه بشیء فقوام فعله و انفعاله بذلک الشّیء إذ الفعل و الانفعال بعد الوجود و القوام و فرعه، إذ الشّیء یوجد أوّلا إمّا بذاته أو بغیره، ثمّ یؤثّر فی شیء أو یتأثّر عنه، فلأجل هذا نحکم بأنّ البصر لا یری إلاّ لما له نسبه وضعیه إلی محلّ الباصره، و السّامعه لا تنفعل و لا تسمع إلاّ ما وقع منها فی جهه أو أکثر فهذا هو البرهان.

ثمّ إنّه علیه السّلام بعد ما نبّه علی امتناع رؤیته سبحانه أردف ذلک بجملتین.

إحداهما قوله:(فلا عین من لم یره تنکره) مشیرا بذلک إلی ردّ ما ربما یسبق إلی الوهم فی بادی الرّأی من أنّ العین إذا امتنع علیها رؤیته فلا بدّ من إنکارها

۱- (۱) الصدر الشیرازی فی شرح الکافی منه.

له، و محصّل دفع ذلک التّوهّم أنّ عـدم الرّؤيه لا يسـتلزم الانكار، إذ آيات القدره و علامات المقدره و آثار العظمه من الآفاق و الأنفس شاهد حقّ على وجوده و برهان صدق على ذاته، فكيف يمكن مع هذه الآيات الظاهره و البراهين الساطعه الانكار بمجرّد عـدم الابصار، مضافا إلى أنّ حظّ العين أن يدرک بها ما صحّ إدراكه فأمّا أن ينفى بها ما لا يدرک من جهتها فلا، و يأتى تحقيق الكلام فى ذلک بما لا مزيد عليه فى شرح الخطبه الرّابعه و السّتين إنشاء اللّه تعالى.

و الثانيهقوله عليه السّـلام:(و لا قلب من أثبته يبصـره)مريـدا بـذلک تاكيـد امتناع الاحاطه به و بيان عجز العقول عن الوصول إلى كنه حقيقته، فانّ معنى الابصار هو الادراک على وجه الاكتناه، فالمقصود أنّ المثبت لا يمكن له أن يعرفه بقلبه معرفه ضـروريّه و أن يحيط به إحاطه تامّه.

و لمّا كان الابصار حقيقه فى الرّؤيه بالعين المسـتلزمه للاحاطه بالعلم و العرفان الضّرورى فاطلق لفظ يبصر و اريد به ذلک مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم على اللاّزم.

بيان ذلک أنّ اثباته تعالى بالقلب الّـذى هو عباره اخرى عن الايمان به ممّا يضـعف و يشـتدّ و ينقص و يكمل و يكون فى مبـدء اكتسابه ضـعيفا ناقصا، ثمّ يتدرج بمزاوله الأفكار و الأعمال و يشتدّ شيئا فشيئا و يستكمل قليلا قليلا كما يقع للفحم بمجاوره النّار يتسخّن أوّلا تسخّنا قليلا، ثمّ يشتدّ تسخّنه حتّى يحمرّ، ثمّ يتنوّر ثمّ يضىء و يحرق، و يفعل كما يفعله النّار من التّسخين و الاضائه و الاحراق، فهكـذا يشـتدّ نور العلم و قوّه الايمان حتّى يصـير العلم عينا، و الايمان عيانا، و المعرفه تنقلب مشاهـده و لهذا قيل إنّ المعرفه بذر المشاهده.

و لكـن يجب أن يعلم أنّ العلم إذا صـار عينـا لم يصـرعينا محسوسـا، و أنّ المعرفه إذا انقلب مشاهـده لم ينقلب مشاهـده بصـرّيه حسيه لأن الحسّ و المحسوس نوع مضاد للعقل و المعقول لا يمكن لشىء من أفراد أحد النّوعين المضادّين أن ينتهى فى مراتب استكمالاته و اشتداداته إلى شىء من أفراد النّوع الآخر فالابصار إذا اشتدّ لا يصير

تخیلا مثلا، و لا التّخیل إذا اشتدّ یصیر تعقّلا، و لا بالعکس.

نعم إذا اشتدّ التّخیل یر مشاهده و رؤیه بعین الخیال لا بعین الحسّ و کثیرا ما یقع الغلط من صاحبه أنّه رأی بعین الخیال أم بعین الحسّ الظاهر کما یقع للمجانین و الکهنه، و کذا التّعقل إذا اشتدّ یصیر مشاهده قلبیّه و رؤیه عقلیّه لا خیالیه و لا حسیه و هذا هو معنی الابصار بالقلب علی ما ثبت فی بعض الأخبار.

و هو ما رواه فی الکافی عن أبی جعفر علیه السّلام فی جواب الرّجل الخارجی الذی قال له: أیّ شیء تعبد؟ قال: اللّه، قال: رأیته؟ قال علیه السّلام: بل لم تره العیون بمشاهده الابصار و لکن رأته القلوب بحقایق الایمان.

فانّ المراد برؤیه القلوب له هو ادراک العقول القدسّیه له بالأنوار العقلیّه الناشیه من الایمان و الاذعان الخالص فانّ الایمان إذا اشتدّ حسبما ذکرنا حصل فی القلب نور یشاهد به الرّبّ کمشاهده العیان، و سیأتی لهذا مزید توضیح و تحقیق فی مقامه المناسب إنشاء اللّه.

فان قلت: فکیف یجتمع ذلک مع کلامه علیه السّلام الذی نفی فیه الابصار.

قلت لعلک لم تتأمّل فیما حقّقناه حقّ التّامل إذ لو تأمّلته عرفت عدم التدافع بین الخبرین لعدم رجوع النفی و الاثبات فیهما إلی شیء واحد إذ الابصار المنفی فی حقّه هو إدراکه علی وجه الاحاطه و معرفته حقّ المعرفه، کما قال صلوات اللّه علیه: ما عرفناک حقّ معرفتک، و الرؤیه المثبته فی خبر أبی جعفر علیه السّلام هو إدراکه لا علی وجه الاحاطه، بل غایه ما یمکن أن یتصوّر فی حقّ العبد الّتی هی أشدّ مراتب الایمان و أکمل درجاته، و یأتی لذلک الخبر توجیهات اخر فی شرح الکلام المأه و الثامن و السّبعین إنشاء اللّه.

فان قلت: هل لک شاهد من الأخبار علی حمل الابصار المنفیّ فی کلامه علی المعنی الّذی ذکرت؟ قلت: نعم و هو ما رواه فی الکافی باسناده عن عبد اللّه بن سنان عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی:

«لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ » قال: إحاطه الوهم ألا ترى إلى قوله:

«قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ » ليس يعنى به بصر العيون:

«فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ » ليس يعنى من أبصر بعينه:

«وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها » ليس يعنى عمى العيون إنّما عنى إحاطه الوهم كما يقال فلان بصير بالشعر، و فلان بصير بالفقه، و فلان بصير بالدّراهم، و فلان بصير بالثّياب اللّه أعظم من أن يرى بالعين فانّ السّائل لمّا توهّم كون المراد بالآيه نفى الرّؤيه المعتاده بهذا البصر الحسّى نبّه عليه السّلام على أنّ المراد بها ليس ذلك، لأنّه أمر مستغنى عنه، و ذاته تعالى أجلّ من أن يحتمل فى حقّه ذلك حتّى يصير الآيه محموله عليه، بل المراد نفى إحاطه الوهم به عنه و أنّ الابصار ليست ههنا بمعنى العيون بل بمعنى العقول و الأوهام على ما وردت فى الآيات و اشتهر اطلاقها عليها بين أهل اللّسان و مثله ما رواه أيضا عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن أبى هاشم الجعفرى عن أبى الحسن الرّضا عليه السّلام قال: سألته عن اللّه هل يوصف، فقال: أما تقرء القرآن قلت: بلى قال: أما تقرء قوله تعالى:

«لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ » قلت: بلى، قال: فتعرفون الابصار، قلت: بلى، قال: ماهى؟ قلت: إبصار العيون، قال:

إنّ أوهام القلوب أكبر من ابصار العيون، فهو لا يدركه الأوهام و هو يدرك الأوهام قال المحدّث المجلسى فى مرآت العقول: و المراد بأوهام القلوب إدراك القلوب باحاطتها به، و لما كان إدراك القلوب بالاحاطه لما لا يمكن

أن يحاط به و هما عبّر عليه السّلام عنه بأوهام القلوب هكذا ينبغى أن يفهم هذا المقام و يحمل عليه كلام الامام عليه السّلام، و أمّا ما ذكره الشّارح البحرانى من أنّ المراد بقوله: و لا قلب من أثبته يبصره، أنّ من أثبته مع كونه مثبتا له بقلبه لا يبصره فبعيد لفظا و معنى فافهم جيّدا (و) الرابع أنّه سبحانه (سبق فى العلوّ) و تقدّم على من عداه (فلا شىء أعلا منه) و المراد بالعلوّ العقلى لا الحسّى كعلوّ السّماء بالنّسبه إلى الأرض، و لا التّخييلى كما للملك بالنّسبه إلى الرّعيه إذ الأوّل مقصور فى المحسوسات و المتحيّزات، و الثّانى متغيّر بحسب الاشخاص و الأوقات، و هو سبحانه منزّه عن الحسّ و المكان، و مقدّس عن الكمال الخيالى القابل للزّياده و النّقصان، فله الفوقيّه المطلقه و العلوّ العقلى و ذلك انّ أعلى مراتب الكمال هو مرتبه العليّه و لمّا كان الأوّل تعالى مبدء كلّ شىء حسّى و عقلىّ و علّته التى لا يتصوّر فيها النّقصان بوجه لا جرم كان مرتبته أعلى المراتب العقليّه مطلقا، و له الفوق المطلق فى الوجود العارى عن الاضافه إلى شىء دون شىء، و عن إمكان أن يكون فوقه ما هو أعلى منه أو فى مرتبته ما يساويه، فهو المتفرّد بالفوقيه المطلقه و العلوّ المطلق لا يلحقه فيهما غيره و يحتمل أن يكون المراد بالعلوّ العلوّ بالقدره و القهر و الغلبه أو بالكمال و الاتّصاف بالصّفات الحسنه و تماميّته بالنّسبه إلى كلّ شىء و نقص الكلّ بالنّسبه إليه فكلّ متوجّه إلى فوق ما عليه متوجّه إليه، فهو فوق كلّ شىء و لا يقال شىء فوقه و مرجع ذلك كلّه إلى كمال رتبه وجوده و شدّه نوره (و) الخامس أنّه جلّت عظمته (قرب فى الدّنوّ) إلى من سواه (فلا شىء أقرب منه) إليهم، و لمّا كان السّبق فى العلوّ مستلزما للبعد عن الغير حسن المقابله بينه و بين القرب فى الدّنوّ، و كما أنّ علوّه على خلقه كان علوّا عقليّا، فكذلك قربه إليه قرب عقلىّ و هو القرب بالعلم و الاحاطه أو القرب بالرّحمه و الافاضه، فهو الذى لا يعزب عن علمه شىء و أقرب إلى النّاس من حبل الوريد و لمّا كان قربه إلى الأشياء و إلى الخلق بهذا المعنى لا يكون له منافاه لبعده

عنهم اللازم من علوّه، فهو سبحانه فى كمال علوّه عليهم و بعده عنهم من حيث الذّات و الصّفات منهم قريب، و فى كمال قربه منهم و دنوّه إليهم من حيث العلم و الاحاطه عنهم بعيد، لأنّ النّور كلّما كان أشدّ و أقوى كان مع علوّه و بعده أقرب و أدنى و اعتبر ذلك بنور الشّمس و هى فى السّماء الرّابعه و بنور السّراج و المشعل و هو عندك فى وجه الأرض فانظر أيّهما أقرب منك حتّى تعلم أنّ أعلى الموجودات شرفا و نورا يجب أن يكون أقربها منك و حيث إنّ علوّه سبحانه لم يكن علوّا حسّيا و لا فوقيّته فوقيّه مكانيّه (فلا) يكون (استعلاؤه باعده عن شىء من خلقه) بعدا مكانيّا و إن كان بعيدا منهم بمقتضى علوّه العقلىّ و متباعدا عن عقولهم بسبب ارتفاعه الذّاتى (و) حيث إنّ قربه من الخلق لم يكن قربا حسيّا و لا دنوّه دنوّا مكانيّا ف (لا) يكون (قربه) منهم (ساواهم فى المكان به) و المقصود بهاتين الجملتين ردّ توهّم اولى الأوهام النّاقصه و الأذهان القاصره الذين لم يفهموا من العلوّ إلّا الحسّى المستلزم للتّباعد، و لم يعرفوا من القرب إلّا المكانى المستلزم لمساواه المتقاربين فى المحلّ، و قد عرفت هنا و فى شرح الفصل الخامس و السّادس من الخطبه الاولى فى بيان معنى قوله: و من قال علام فقد اعلا منه، و قوله: مع كلّ شىء لا بمقارنه بطلان هذا التوهم بما لا مزيد عليه و أقول الآن تأكيدا لما سبق و توضيحا لما هنا إنّه روى فى الكافى فى باب الحركه و الانتقال باسناده عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن أبى إبراهيم عليه السّلام قال:

ذكر عنده قوم يزعمون أنّ اللّه ينزل إلى السّماء الدّنيا، فقال إنّ اللّه لا ينزل و لا يحتاج إلى أن ينزل إنّما منظره فى القرب و البعد سواء، لم يبعد منه قريب و لم يبعد منه بعيد و لم يحتج إلى شىء بل يحتاج إليه، و هو ذو الطول لا إله إلّا هو العزيز الحكيم الحديث أقول: لمّا كان زعم بعض العامّه أنّ للّه سبحانه مكانا أعلى الأمكنه و هو العرش و أنّه ينزل فى الثلث الأخير من اللّيل إلى السّماء الدّنيا ليقرب من أهل الأرض و يناديهم بما أراد، ردّ زعمهم بأنّه تعالى لا ينزل و لا حاجه له إلى أن ينزل، و ذلك لأنّ المتحرّك من مكان إلى مكان إنّما يتحرّك لحاجته إلى الحركه، حيث

إنّ نسبه جميع الأمكنه إليه ليست نسبه واحده بل إذا حضر له مكان أو مكانى غاب عنه مكان أو مكانى آخر، و إذا قرب من شىء بعد من شىء آخر، فيحتاج فى حصول مطلوبه الغائب إلى الحركه إليه، و اللّه تعالى لما لم يكن مكانيا كانت نسبته إلى جميع الامكنه و المكانيات نسبه واحده، و ليس شىء أقرب اليه من شىء آخر و لا أبعد و لا هو أقرب إلى شىء من شىء آخر و لا أبعد، و نظره فى القرب و البعد أى فيما يتصوّر فيه القرب و البعد بالنظر إلى عالم الحواسّ و أوهام الخلق سواء لا تفاوت فيه أصلا و فيه أيضا عن عبد الرّحمن بن الحجّاج، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه تعالى:

«اَلرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى » فقال: استوى فى كلّ شىء فليس شىء أقرب إليه من شىء، لم يبعد منه بعيد و لم يقرب منه قريب، استوى فى كلّ شىء.

و عن ابن اذينه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله تعالى:

«ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَهٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَهٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ » فقال هو واحد واحدىّ الذّات، باين من خلقه، و بذلك وصف نفسه و هو بكلّ شىء محيط بالاشراف و الاحاطه و القدره و لا يعزب عنه مثقال ذرّه فى السّموات و لا فى الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر بالاحاطه و العلم لا بالذّات لأنّ الأماكن محدوده تحويها حدود أربعه فاذا كان بالذّات لزمها الحوايه توضيح جوابه عليه السّلام إنّ وحدته سبحانه وحده ذاتيّه لا عدديّه حتّى ينافى الكثره و كونه رابعا لثلاثه و بعينه سادسا لخمسه، باين من خلقه و تباعد عنهم لا مباينته من حيث التّشخّصات و الأوضاع، و تباعدا من حيث الامكنه و الحيزات، و إنما مباينته من حيث الذّات و عدم مشاركتهم له فى شىء من الصّفات، فهو تامّ كامل و هم ناقصون محتاجون إليه و به تمامهم و غنائهم، و بذلك التّباين، وصف نفسه و قال: ليس كمثله شىء و هو بكلّ شىء محيط، لا يخلو منه شىء من الأشياء

و احاطته إنّما هو بالاشراف و الاطلاع و إحاطه العلم و القدره فمثال احاطته بكلّ شىء كمثال علم أحد منّا بأشياء كثيره متباينه الوضع من جهه العلم بأسبابها و مباديها، لكن علمه عين ذاته و علمنا زايد على ذاتنا، و علمه تامّ و لكلّ شىء و علمنا ناقص و ببعض الأشياء و كما لا يلزم من علمنا بتلك الأشياء حصول شىء واحد بالعدد فى أماكن متباينه الوضع، فكذلك لا يلزم فيه بل ذاته أشدّ إحاطه و أوسع علما و هو معنى قوله عليه السّلام لا بالذات يعنى أنّ عدم عزوب شىء من الأشياء عنه باعتبار الاحاطه العلميّه لا باعتبار حصول ذاته فى مكان قريب من مكانه، لأنّ الأماكن محدوده تحويها حدود أربعه، عدّها أربعه مع كونها ستّه لأنّ القدام و الخلف و اليمين و الشّمال لما كانت غير متحيّزه إلّا باعتبار عدّ الجميع عدّين و عدّ الفوق و التحت حدّين فصارت أربعه، و المعنى أنه لو كان عدم بعد شىء عنه باعتبار كون ذاته فر مكان قريب منه لزم احتواء المكان عليه كالمتمكّن و كونه محاطا بالمكان تعالى اللّه عمّا يقول الظّالمون علوّا كبيرا، و بذلك التحقيق ظهر معنى قوله عليه السّلام و لا قربه ساواهم فى المكان به و السادس أنه تعالى شأنه (لم يطلع العقول على تحديد صفته) إذ ليس لصفاته الكماليه التى هى عين ذاته حدّ يحدّ به حتّى يمكن للعقول الاطلاع عليه بيان ذلك أنّ الحدّ يراد به أحد معنيين أحدهما القول الشارح لمهيّه الشىء المؤلف من المعانى الذّاتيه المختصّه إمّا بحسب الحقيقه أو بحسب الاسم الثانى النهايه و الطرف، و كلاهما منفيّان عنه سبحانه أمّا الحدّ بالمعنى الأوّل فلأنّ ذاته غير مؤلف من معانى و امور ذاتيه و لا تركيب فيها أصلا بشىء من أنحاء التركيب، بل هو بسيط الذات من جميع الجهات و صفاته عين ذاته و وجودها وجود ذاته، فليس لصفاته حدّ به تحدّ حتى يصحّ اطلاع العقول عليه و أمّا الحدّ بالمعنى الثانى فلأنّ التناهى و اللّاتناهى إنّما يوصف بهما أوّلا

و بالـذّات المقادير و الأعداد و إذا وصف بها شىء آخر كان إمّا باعتبار تعلّقه بالكمّيات و إمّا باعتبار ترتّبها أو ترتّب ما يوصف بهـا على ذلـك الشـىء، و اللّه سبحانه أجلّ من ذلك و إلاّ لزم كونه محلاّ للحوادث مضافا إلى أنّه لو كان له حـدّ معيّن و نهايه معيّنه لزم احتيـاحه إلى علّه محـدّده قـاهره، إذ طبيعه الوجود بما هو وجود لا يقتضـى حـدّا خاصّا، و يلزم من ذلك أى من وجود العله المتباينه القاهره أن يكون لخالق الأشـياء كلّها من خالق محـدّد فوقه، و هو محال (و) السابع أنّه سـبحانه (لم يحجبها) أى لم يجعل العقول محجوبه (عن واجب معرفته) بل قد وهب لكلّ نفس قسطا من معرفته هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبوله و لو لا ذلك لكان تكليفهم بالأصول و الفروع تكليفا بما لا يطاق و لـذلك قال الصّادق عليه السّـلام: ليس للّه على خلقه أن يعرفوا و للخلق على اللّه أن يعرّفهم و للّه على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوا و فى روايه الكـافى عن إبراهيم عمر اليمانى قال: سـمعت أبا عبد اللّه عليه السّـلام يقول: إنّ أمر اللّه كلّه عجيب إلاّ أنّه قد احتجّ عليكم بما عرفكم من نفسه، يعنى أنّ معرفه ذاته و صفاته الحقيقيّه كمـا هى فوق إدراك كـلّ أحـد، تكلّ العقول و الأذهان و تبهر الألباب عن كنه جلاله و غور عزّه و كماله إلاّ أنّه مع ذلك لكلّ أحد نصيب عن لوامع إشراقات نوره قلّ أو أكثر، فله الحجّه على كلّ أحد بما عرفه من آيات وجوده و دلايل صنعه وجوده فوقع التّكليف بمقتضـى المعرفه و العمل بموجب العلم (فهو الـذى تشـهد له أعلام الوجود) و آيات الصّـنع و القدره (على اقرار) قلب كلّ أحـد حتّى (قلب ذى الجحود) لأنّ الجاحـد و إن كان يجحـده متابعه لرايه و هواه إلاّ أنّه لو تدبّر فى آثار القدره و الجلال و اعلام العظمه و الكمال لارتـدع عن رأيه و هواه، و رجع عن جحده و إنكاره، و أذعن بوجود الإله، فلا يعبد معبودا سواه، لكفايه تلك الآثار فى الشّهاده، و تماميّه هذه الأعلام فى الهدايه و الدّلاله كما قال سبحانه:

«وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ »

«لَيَقُولُنَّ اللّهُ فَأَنّى يُؤْفَكُونَ »، «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ » و فى الكافى باسناده عن أبى سعيد الزهرى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: كفى لأولى الألباب بخلق الرّبّ المسخّر، و ملك الربّ القاهر، و جلال الربّ الظاهر، و نور الربّ الباهر و برهان الربّ الصّادق، و ما أنطق به ألسن العباد، و ما ارسل به الرّسل، و ما انزل على العباد، دليلا على الرّبّ عزّ و جلّ قال بعض شرّاح الحديث: ذكر عليه السّلام ثمانيه امور كلّ منها كاف لذوى العقول دليلا على وجود الرّبّ أحدها خلقه المسخّر له و ثانيها ملكه القاهر على كلّ مالك و مملوك و ثالثها جلاله الظاهر من عظائم الخلقه و بدايع الفطره كالأجرام العاليه و النّفوس و غيرها و رابعها نوره الغالب على نور كلّ ذى نور و حسّ كلّ ذى حسّ و شعور و خامسها برهانه الصّادق و هو وجود آياته الكاينه فى السّموات و الأرض و سادسها ما أنطق به ألسن العباد من العلوم و المعارف و غيرهما و سابعها ما أرسل به الرّسل من الشّرايع و الأحكام و السّياسات و الحدود و ثامنها ما أنزل على العباد من الصّحايف الالهيّه و الكتاب السّماويّه ف (تعالى اللّه عمّا يقول المشبّهون به و الجاحدون له علوّا كبيرا) و المراد بالمشبّهين المشبّهون للخلق بالخالق، و هم المشركون الذين جعلوا للّه شركاء و قالوا: إنّه ثالث ثلاثه، و نحو ذلك و بالجاحدين المنكرون للصّانع، و ليس المراد بالمشبّهين المشبّهه المعروفه أعنى الذين شبّهوه سبحانه بخلقه كالمثبتين له تعالى أوصافا زايده على الذّات، و المجوّزين فى حقّه الرّؤيه و المكان و نحوهما و المثبتين له الأعضاء و الجوارح إلى غير هذه ممّا هو من صفات الممكن و بالجمله المراد المشبّهون به كما هو صريح كلامه عليه السّلام لا المشبّهون له بخلقه على ما توهّمه الشّارح البحرانى و اعلم أنّ المشبّهين به أوله مقرّون به سبحانه صريحا و جاهدون له لزوما

إذ المعنى الـذى يتصـوّرونه إلهـا و يجعلـونه له شـركاء أو يجـوّزون فى حقّه و يثبتون له صـفات الممكن ليس هو نفس الالـه، و الجاحـدين منكرون له صـريحا معـترفون به لزومـا و اضـطرارا على مـا حقّقنـاه آنفـا فى شـرح قـوله: فهـو الّـذى يشـهد له أعلاـم الوجودات و كلا الفريقين جاحدان له فى الحقيقه و إن كانا يفترقان فى الاعتراف باللسان

الترجمه

از جملـهٔ خطبهـاى شـريفهٔ آن حضـرت است: حمـد و ثنا مر خـداى را سـزاست كه عالم است بباطن امور پنهانى، و خبير اسـت بجميع أشـياء نهانى، و دلالت كرده بر وجود او علامات ظاهرهٔ قـدرت و آيات باهرهٔ عظمت، و ممتنع و محال شـده ديـدن او بر چشم بينا پس نه چشم كسـى كه او را نديـده انكار ذات او بتوانـد بنمايـد، و نه قلب كسـى كه اثبات وجود او را كرده احاطه و ادراك تـام وجـود او را دارد، پيشـى گرفتـه در بلنـدى بمخلوقـات پس هيـچ چيز عـالى مرتبه بلنـدتر از او نيست، و قريبست در نزديكى بمخلوقـات پس هيـچ چيز نزديكـتر از او نيسـت پس نـه بلنــدى او دور مى گردانــد او را از چيزى از مخلوقـات، و نه نزديكى او مسـاوى نمـوده ايشـان را بـا او در مكـان و جهـات، و مطلع نگردانيـده عقلهـا را بر تعريـف صـفات خـود، و ممنوع نگردانيـده عقلها را از واجب شـناخت خود، پس او آن كسـى است كه گواهى مى دهـد از براى او نشانها وجود بر اقرار كردن دل صـاحب انكـار و جحود، پس بلنـد است حق سـبحانه و تعـالى و منزّهست از آنچه مى گوينـد تشبيه كننـدگان خلايق باو و انكار كنندگان وجود او بلندى بزرگ يعنى او برتر است از أقوال باطله مشركين و عقايد فاسدهٔ منكرين

و من خطبه له عليه السلام و هى الخمسون من

اشاره

المختار فى باب الخطب

و رواها ثقه الاسلام الكلينى عطر اللّه مضجعه فى أصول الكافى و فى كتاب

ص:۲۹۱

الرّوضه منه أيضا مسنده بالسّندين الآيتين باختلاف يسير فى الأوّل و مبسوطه فى الثّانى.

إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، و أحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب اللّه، و يتولّى عليها رجال رجالا على غير دين اللّه، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، و لكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فيمزجان، فهنالك يستولى الشّيطان على أوليائه، و ينجو الّذين سبقت لهم من اللّه الحسنى.

اللغه

(البدء) بفتح الباء و سكون الدالّ و الهمزه أخيرا بمعنى الأوّل و بمعنى الابتداء أيضا يقال بدءت بالشىء بدء أى أنشأته إنشاء، و منه بدء اللّه الخلق أى أنشأهم و (الفتن) جمع الفتنه و هو الاختبار و الامتحان تقول: فتنت الذّهب إذا أدخلته النّار لتنظر جودته، و قد أكثر استعمالها فيما يقع به الاختبار كما فى قوله تعالى:

«إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ» ثمّ اكثر استعمالها فى الاثم و الكفر و الضّلال و الاحراق و الازاله و الصّرف عن الشّىء كذا حكى عن النّهايه و (البدعه) اسم من ابتدع الامر اى ابتدئه ثمّ غلب على ما هو زياده فى الدّين أو نقصان منه و (التّولّى) الاتباع و منه قوله سبحانه:

«وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» أى من يتّبعهم و (المزاج) ككتاب ما يمزج به قال سبحانه:

عَيْناً «كانَ مِزاجُها كافُوراً» و قال الشّاعر:

كانّ سبيئه من بيت رسّ يكون مزاجها عسل و ماء

و الارتياد الطلب و المرتاد الطالب و (الضّغث) قبضه حشيش مختلط رطبها بيابسها و يقال ملاء الكفّ من قضبان أو حشيش أو شماريخ و فى التنزيل:

«وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَثْ »

الاعراب

جمله تتّبع و تبتدع مرفوعه المحلّ على الوصفيّه، و جمله يخالف و يتولّى إمّا فى محلّ الرّفع على الوصف أيضا أو فى محلّ النّصب على الحاليّه، و قوله:

على غير دين اللّه متعلّق بالمقدّر، و هو إمّا حال من رجالا أو صفه له و إضافه المزاج إلى الحقّ بيانيّه

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مقصوده بهذه الخطبه هو توبيخ الخلق على متابعه الأهواء المبتدعه و الآراء المضلّه، و على مخالفه الكتاب القويم، و العدول عن الصّراط المستقيم المؤدّى إلى وقوع الفتن و فساد نظم العالم كما قال عليه السّلام:(إنّما بدء وقوع الفتن) و الضّلالات (أهواء) مضلّه (تتبع و أحكام) باطله (تبتدع) أى فى تلك الأحكام (الّتى (يخالف فيها) (كتاب اللّه) إذ الاحكام المبتدعه خارجه من الكتاب و السّنه مخالفه لهما لما قد عرفت سابقا أنّ البدعه عباره عن إدخال ما ليس من الدّين فى الدّين فهى لا محاله مخالفه لاصول الشّريعه المستفاده من الكتاب و السّنه.

و من ذلک(۱) أنّ يونس بن عبد الرّحمن لمّا قال لأبى الحسن عليه السّلام: بما أوحّد اللّه؟ قال له: يا يونس لا تكوننّ مبتدعا من نظر برأيه هلک، و من ترک أهل بيت نبيّه ضلّ، و من ترک كتاب اللّه و قول نبيّه كفر.

فانّ المستفاد منه أنّ فى العمل بالرّأى و متابعه الهوى مخالفه لكتاب اللّه و عدولا عن سنه رسول اللّه (و يتولّى فيها رجال رجالا على غير دين اللّه) أى يتّخذ طايفه من المايلين إلى تلک الأهواء الزّايفه و الآراء الباطله طايفه أخرى من أمثالهم أولياء

۱- (۱) الروايه فى الكافى فى باب البدع و الراى و المقاييس، منه.

و نواصر لهم، فيتّبعونهم و يحبّونهم تربيه لأهوائهم الفاسده و تقويه لبدعهم الضّاله.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى أنّ أسباب تلك الآراء أيضا إنّما هى امتزاج المقدّمات الحقّه بالباطله فى الحجج التى يستعملها المبطلون فى استخراج المجهولات، و نبّه على ذلك بشرطيّتين متّصلتين.

إحداهما قوله (فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين) وجه الملازمه أنّ مقدّمات الشّبهه إذ كانت كلّها باطله أدرك طالب الحقّ بظلانها بأدنى سعى و لم يخف عليه فسادها، مثال ذلك قول قوم من الباطنيّه: البارى تعالى لا موجود و لا معدوم و كلّ ما لا يكون موجودا و لا معدوما يصح أن يكون حيّا قادرا فالبارى تعالى يصحّ أن يكون قادرا فهاتان المقدّمتان جميعا باطلتان و لذلك صار هذا القول مرغوبا عنه عند العقلاء.

و الاخرى قوله:(و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين) لأنّ المقدّمات إذا كانت صحيحه حقّه كانت النتيجه حقّا و انقطع عنها اللّجاج و العناد، كقولنا: العالم حادث و كلّ حادث محتاج إلى المحدث فالعالم محتاج إلى المحدث، و لكن لما لم يخلص الباطل من المزاج و لم يمحض الحقّ من الالتباس بل امتزج الباطل بالحقّ و اختلط الحقّ بالباطل و تركّبت القضايا من المقدّمات الحقّه و الباطله، مثل ما قال المدّعون للرؤيه: البارى تعالى موجود و كلّ موجود يصحّ أن يكون مرئيا فالبارى تعالى يصحّ أن يكون مرئيا، لا جرم خفى الامر على الطالب المرتاد و كثر لذلك اللّجاج و العناد.

و هذا هو معنى قوله عليه السّلام (و لكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فيمزجان) أى الضّغثان (فهنا لك يستولى الشيطان على أوليائه) و يغلب على اتباعه و أحبّائه و يجد مجالا للاضلال و الاغواء، و يزيّن لهم اتباع الآراء و الأهواء، فأولئك سيجدون قبايح أعمالهم و عقايدهم و هم عليها واردون و أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون (و) أمّا العارفون باللّه بعين الحقيقه و السّالكون لسبيله بنور البصيره ف (ينجو) ن من ذلك و يتخلّصون من المهالك و هم (الّذين سبقت لهم من اللّه الحسنى) و العنايه

الازليّه و قادتهم التوفيقات الرّبانيه و هؤلاء عن النّار مبعدون و أولئک فی الجنّه هم خالدون.

و اعلم أنّ مـا ذکرته فی شـرح المقام إنّما هو جریا علی ما هو المسـتفاد من ظاهر کلامه علیه السّـلام المسوق علی نحو العموم و الاطلاق، و الـذی ظهر لی منه بعـد النظر الـدّقیق خصوصا بملاحظه الزّیادات الآتیه فی روایه الرّوضه هو أنّ غرضه بـذلک الطعن علی المتخلّفین الغاصبین للخلافه و التابعین لهم و علی من حـذا حـذوهم من الناکثین و القاسـطین و المارقین و أضـرابهم، فانّهم أخـذوا بظاهر أحکام الشّـریعه، و دسّوا فیها بدعاتهم الباطله النّاشـئه من متابعه أهوائهم المضـلّه، فخلطوا عملا صالحا بآخر سیّئا و صار ذلک سببا لافتتان النّاس بهم و اتباع أفعالهم و أقوالهم و اشتباه الأمر علیهم.

لأنّ کلّ باطل و کـذب ما لم یکن فیه شـبه حقّ و صـدق لا یقبله ذو عقل و حجی کما أنّ کلّ مزیف کاسد ما لم یکن مغشوشـا بنقـد رایـج لا یصـیر رایجـا فی سوق ذوی الأبصـار إذ التّمیز بین الـذهب و النّحاس و الفضه و الرّصاص ممّا لا یخفی علی ذوی العقول السّلیمه.

لأنّ الباطـل الصّـِرف لاحـظّ له فی الوجود و لا یقع فی توّهم ذوی العقول إلاّ إذا اقـترن بشـبه الحقّ، و لا الکـذب المحض ممّا یصدق به ذو عقل إلّا إذا امتزج بالصّدق فلما حصل الامتزاج و الاختلاط و اشـتبک الظلمه بالنّور التبس الأمر علی النّاس فأضلّهم الشـیطان و زیّن لهم أعمالهم فصدّوا عن سبیل الدّین و انحرفوا عن الامام المبین، فارتدّ کلّهم أجمعون إلّا أولیاء اللّه المخلصـین، ف «إِنَّهُ لَیسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَلی رَبِّهِمْ یتَوَکَّلُونَ إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَی الَّذِینَ یتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِینَ هُمْ بِهِ مُشْرِکُونَ »

تکمله

اشاره

قد أشـرنا سابقا إلی أنّ هذه الخطبه مرویّه مسنده فی الکافی فینبغی لنا أن نورد ما هناک جریا علی ما هو دأبنا فی هذا الشّرح ثمّ نعقبه بتفسیر بعض کلماته الغریبه و توضیح ما فیه من النّکات اللطیفه الشّریفه فأقول:

فی باب البدع و الرأی و المقاییس من کتاب العقل و الجهل منه عن الحسین بن محمّد الأشعری، عن معلّی بن محمّد، عن الحسن بن علیّ الوشّا، و عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن ابن فضال جمیعا، عن عاصم بن حمید، عن محمّد بن مسلم، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام النّاس فقال:

أیّها الناس إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و أحکام تبتدع یخالف فیها کتاب یتولّی فیها رجل «رجال خ ل» رجالا، فلو أنّ الباطل خلص لم یخف علی ذی حجی، و لو أنّ الحقّ خلص لم یکن اختلاف، و لکن یؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فیمزجان فیجیئان معافهنا لک استحوذ الشیطان علی أولیائه و نجی الّذین سبقت لهم من اللّه الحسنی.

و فی کتاب الرّوضه عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن حمّاد بن عیسی عن ابراهیم ابن عثمان عن سلیم بن قیس الهلالی، قال: خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ صلّی علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثمّ قال:

ألا إنّ أخوف ما أخاف علیکم خلّتان: اتّباع الهوی و طول الأمل أمّا اتّباع الهوی فیصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فینسی الآخره، ألا إنّ الدّنیا قد ترحّلت مدبره، و إنّ الآخره قد ترحّلت مقبله، و لکلّ واحده بنون فکونوا من أبناء الآخره و لا تکونوا من أبناء الدّنیا، فانّ الیوم عمل و لا حساب و إنّ غدا حساب و لا عمل.

و إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و آراء تبتدع یخالف فیها حکم اللّه یتولّی فیها رجال رجالا إنّ الحقّ لو خلص لم یکن اختلاف، و لو أنّ الباطل خلص لم یخف علی ذی حجی، لکنه یؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فیمزجان فیجتمعان فیجللان معا فهنا لک یستولی الشّیطان علی أولیائه و نجی الذین سبقت لهم من اللّه «منّاخ» الحسنی.

إنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: کیف أنتم إذا لبستکم فتنه یربو فیها الصّغیر و یهرم فیها الکبیر، یجری النّاس علیها و یتّخذونها سنّه، فاذا غیّر منها شیء قیل قد غیّرت السنّه و قد أتی النّاس منکرا ثمّ تشتدّ البلیّه و نسی الذّریّه و تدقّهم الفتنه کما تدقّ النّار الحطب و کما تدقّ الرّحا بثفالها و یتفقّهون لغیر اللّه،

و یتعلّمون لغیر العمل و یطلبون الدّنیا بأعمال الآخره.

ثمّ أقبل بوجهه و حوله ناس من أهل بیته و خاصّیته و شیعته فقال علیه السّلام: قد عملت الولاه قبلی أعمالا خالفوا فیها رسول اللّه متعمّدین لخلافه ناقضین لعهده، مغیّرین لسنّته، و لو حملت الناس علی ترکها و حوّلتها إلی مواضعها و إلی ما کانت فی عهد رسول اللّه لتفرّق عنّی جندی حتّی أبقی وحدی أو قلیل من شیعتی الّذین عرفوا فضلیّ و فرض امامتی من کتاب اللّه عزّ ذکره و سنّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

أرایتم لو أمرت بمقام ابراهیم فرددته إلی الموضع الذی وضعه فیه رسول اللّه، ورددت فدک إلی ورثه فاطمه، ورددت صاع رسول اللّه کما کان، و أمضیت قطایع أقطعها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأقوام لم تمض لهم و لم تنفض، ورددت دار جعفر علیه السّلام إلی ورثته و هدمتها من المسجد، ورددت قضایا من الجور قضی بها، و نزعت نساء تحت رجال بغیر حقّ فرددتهنّ إلی أزواجهنّ و استقبلت بهنّ الحکم فی الفروج و الأحکام و سبیت ذراری بنی تغلب، و رددت ما قسّم من أرض خیبر، و محوت دواوین العطایا و أعطیت کما کان رسول اللّه یعطی بالسّویّه و لم أجعلها دوله بین الأغنیاء، و ألقیت المساحه، و سوّیت بین المناکح، و أنفذت خمس الرّسول کما أنزل اللّه عزّ و جلّ و فرضه، ورددت مسجد رسول اللّه علی ما کان علیه، و سددت ما فتح فیه من الأبواب، و فتحت ما سدّ منه، و حرّمت المسح علی الخفّین، و حددت علی النّبیذ، و أمرت باحلال المتعتین، و أمرت بالتکبیر علی الجنائز خمس تکبیرات، و ألزمت النّاس الجهر ببسم اللّه الرّحمن الرّحیم، و أخرجت من ادخل مع رسول اللّه فی مسجده ممّن کان رسول اللّه أخرجه، و أدخلت من اخرج بعد رسول اللّه ممّن کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أدخله، و حملت النّاس علی حکم القرآن، و علی الطلاق علی السّنه، و أخذت الصّدقات علی أصنافها و حدودها، و رددت الوضوء و الغسل و الصّلاه إلی مواقیتها و شرایعها و مواضعها، و رددت أهل نجران إلی مواضعهم، و رددت سبایا فارس و سایر الامم إلی کتاب اللّه و سنّه نبیه إذا لتفرّقوا عنّی.

و اللّه لقد أمرت النّاس أن لا یجتمعوا فی شهر رمضان إلاّ فی فریضه و علّمتهم

أنّ اجتماعهم فی النّوافل بدعه فنادی بعض أهل عسکری ممّن یقاتل معی: یا أهل الاسلام غیّرت سنّه عمر ینهانا عن الصّلاه فی شهر رمضان تطوّعا.

و لقد خفت أن یثوروا فی ناحیه جانب عسکری ما لقیت هذه الامه من الفرقه و طاعه أئمه الضّلاله و الدّعاه إلی النّار، و أعطیت من ذلک سهم ذی القربی الذی قال اللّه عزّ و جلّ: إن کنتم آمنتم باللّه و ما أنزلنا علی عبدنا یوم الفرقان یوم التقی الجمعان.

فنحن و اللّه عنی بذی القربی الذی قرّبنا اللّه بنفسه و برسوله فقال تعالی: فللّه و للرّسول و لذی القربی و الیتامی و المساکین و ابن السّبیل، فینا خاصّه کیلا یکون دوله بین الأغنیاء منکم و ما آتیکم الرّسول فخذوه و ما نهیکم عنه فانتهوا و اتّقوا اللّه فی ظلم آل محمّد إنّ اللّه شدید العقاب لمن ظلمهم رحمه منه لنا و غنا أغنانا اللّه به.

و وصّی به نبیّه و لم یجعل لنا فی سهم الصّدقه نصیبا أکرم اللّه رسوله و أکرمنا أهل البیت أن یطعمنا من أوساخ الناس فکذّبوا اللّه و کذّبوا رسول اللّه و جحدوا کتاب اللّه النّاطق بحقّنا و منعونا فرضا فرضه اللّه لنا، ما لقی أهل بیت نبیّ من امّته ما لقیته بعد نبیّنا و اللّه المستعان علی من ظلمنا و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه العلّی العظیم.

بیان

«یجللان» بضّم الیاء بصیغه المضارع المبنیّ للمفعول مأخوذ من التّجلیل یقال جللت الشّیء إذا غطیته «ألبستکم» کذا فی اکثر النّسخ و فی بعضها البستم علی بناء المجهول من باب الافعال و هو الأظهر و فی بعض النّسخ لبستم «و الثفال» بالفاء مثل کتاب جلد أو نحوه یوضع تحت رحی الید یقع علیه الدّقیق قال الفیروز آبادی بثفالها أی علی ثفالها أی حال کونها طاحنه لأنّهم لا یقفلونها إلّا إذا طحنت، و فی أکثر النّسخ ثقالها بالقاف و لعلّه تصحیف، و علیه فلعلّ المراد مع ثقالها أی إذا کانت معها ما یثقلها من الحبوب فیکون أیضا کنایه عن کونها طاحنه.

قال المجلسی (ره): «لو أمرت بمقام إبراهیم» اشاره إلی ما فعله عمر من

تغيير المقام عن الموضع الذى وضعه فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى موضع كان فيه فى الجاهليه «ورددت صاع رسول اللّه» كان صاعه على ما قيل أربعه أمداد فجعله عمر خمسه أمداد «و نزعت نساء» اه كالمطلّقات ثلاثا فى مجلس واحد و غيرها ممّا خالفوا فيه حكم اللّه «و سبيت ذرارى بنى تغلب» لأنّ عمر رفع عنهم الجزيه.

قال المطرزى: بنو تغلب قوم من مشركى العرب طالبهم عمر بالجزيه فأبوا فصولحوا على أن يعطوا الصّدقه متضاعفه فقبلوا و رضوا اه، و لعدم كونهم من أهل الذمه يحلّ سبى ذراريهم «و محوت دواوين العطايا» أى التى بنيت على التّفضيل بين المسلمين فى زمن عمر و عثمان «و ألقيت» إشاره إلى ما عدّه الخاصّه و العامّه من بدع عمر أنّه قال ينبغى أن نجعل مكان هذا العشر و نصف العشر دراهم نأخذها من أرباب الأملاك، فبعث الى البلدان من مسح على أهلها فألزمهم الخراج، فأخذ من العراق و مايليها ما كان أخذه منهم ملوك الفرس على كلّ جريب درهما واحدا و قفيزا من أصناف الحبوب، و أخذ من مصر و نواحيها دينارا و ازدبّا عن مساحه جريب كما كان يأخذ منهم ملوك الاسكندريه، و الازدب لأهل مصر أربعه و ستّون منّا، و كان أوّل بلد مسحه عمر بلد الكوفه.

«و سوّيت بين المناكح» بأن يزوّج الشّريف و الوضيع كما فعله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و زوّج بنت عمه مقدادا و عمر نهى عن تزويج الموالى و العجم «ورددت مسجد رسول اللّه» اه إشاره إلى ما وقع فيه من التغيير فى زمن عثمان حيث و سمّعوه و أدخلوا فيه بعض الدّور التى كانت جواره غصبا و عدوانا «و أمرت بالتّكبير على الجنائز خمس تكبيرات» أى لا أربعا كما ابتدعته العامّه و نسبوه إلى عمر «و ألزمت النّاس الجهر» قال فى البحار: يدلّ ظاهرا على وجوب الجهر بالبسمله مطلقا و إن امكن حمله على تأكّد الاستحباب.

«و أخرجت من ادخل» يحتمل أن يكون المراد إخراج جسدى الملعونين الذين دفنا فى بيته بغير اذنه مع أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يأذن لهما لخوخه فى مسجده

و ادخال جسد فاطمه و دفنها عند النبیّ أو رفع الجدار من بین قبریهما، و یحتمل أن یکون المراد إدخال من کان ملازما لمسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی حیاته کعمار و أبی ذر و أضرابهما و إخراج من أخرجه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله من المطرودین کحکم ابن أبی العاص و ابنه مروان، و قد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أخرجهما فأدخلهما عثمان «ورددت أهل نجران إلی مواضعهم» قال المجلسی: لم أظفر إلی الآن بکیفیه إخراجهم و سببه و بمن أخرجهم «ورددت سبایا فارس» لعلّ المراد الاسترداد ممّن اصطفاهم أو أخذ زایدا من حقّه «ما لقیت» کلام مستأنف للتّعجب «و اعطیت» رجوع إلی الکلام السّابق و لعلّ التّاخیر من الرّواه «إن کنتم آمنتم باللّه» من تتمّه آیه الخمس حیث قال تعالی: «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ »، الآیه.

قال البیضاوی: إن کنتم آمنتم باللّه متعلّق بمحذوف دلّ علیه و اعلموا أی إن کنتم آمنتم باللّه فاعلموا أنّه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إلیهم و اقتنعوا بالأخماس الأربعه الباقیه، فانّ العلم المتعلّق بالعمل لم یرد منه العلم المجرّد، لأنّه مقصود بالعرض و المقصود بالذّات هو العمل «و ما أنزلنا علی عبدنا» محمّد من الآیات و الملائکه و النصر «یوم الفرقان» یوم بدر فانّه فرق فیه بین الحقّ و الباطل «یوم التقی الجمعان» المسلمون و الکفّار.

و قوله «کیلا یکون دوله» تتمّه لآیه اخری ورد فی فیئهم حیث قال: ما أفاء اللّه علی رسوله من أهل القری فللّه و للرّسول و لذی القربی و الیتامی و المساکین و ابن السبیل کیلا یکون، أی الفیء الّذی هو حقّ الامام «دوله بین الأغنیاء منکم» الدوله بالضّم ما یتداوله الأغنیاء و یدور بینهم کما کان فی الجاهلیّه «رحمه لنا» أی قرّر الخمس و الفیء لنا رحمه منه لنا و لیغنینا بهما عن أوساخ أیدی النّاس.

الترجمه

از جمله کلام فصاحت نظام آن امام است که می فرماید: جز این نیست که ابتداء واقعشدن فتن ها هواها و خواهشات نفسانیست که پیروی کرده می شود و حکم

ص:۳۰۰

های شیطانیست که اختراع کرده می شود، مخالفت کرده می شود در آن اهواء و احکام کتاب خدا، و متابعت می نماید در آن احکام مردانی مردانی را در حالتی که می باشند ایشان بر غیر دین خدا، پس اگر باطل خالص می بود از آمیزش حق مخفی نمی ماند بر طلب کنندگان، و اگر حق خالص می بود از التباس بباطل بریده می شد از او زبانهای ستیزه نمایندگان، و لیکن فرا گرفته می شود از حق دستهٔ و از باطل دستهٔ پس اینجا یعنی نزد امتزاج حق بباطل مستولی می شود شیطان بر اولیاء خود، و نجات می یابد از خطر این شبهه آن کسانی که پیشی گرفته است از برای ایشان از جانب خدا حالتی نیکو که عبارتست از عنایت ازلی و توفیق لم یزلی.

و من خطبه له علیه السّلام لما غلب أصحاب معاویه

اشاره

اصحابه علی شریعه الفرات بصفین و منعوهم الماء

و هی الحادیه و الخمسون من المختار فی

باب الخطب

و رواها فی البحار و فی شرح المعتزلی جمیعا من کتاب صفّین لنصر بن مزاحم، قال نصر: حدّثنا عمرو بن سعید عن جابر قال: خطب علیّ علیه السّلام: یوم الماء فقال:

أمّا بعد فإنّ القوم قد بدؤکم بالظّلم، و فاتحوکم بالبغی، و استقبلوکم بالعدوان، و قد استطعموکم القتال حیث منعوکم الماء، فأقرّوا علی مذلّه و تأخیر محلّه، أو روّوا السیّوف من الدّماء ترووا من الماء، فالموت فی حیاتکم مقهورین، و الحیوه فی موتکم قاهرین، ألا

و إنّ معاويه قاد لمّه من الغواه، و عمس عليهم الخبر، حتّى جعل نحورهم أغراض المنيّه.

اللغه

(استطعموكم القتال) اى طلبوه منكم يقال فلان يستطعمنى الحديث اى يستدعيه منّى و يطلبه (فأقرّوا على مذلّه) من القرار و هو السّكون و الثبات كالاستقرار، أو من الاقرار و الاعتراف و الأول أظهر و (اللّمه) بالضّم و التّخفيف جماعه قليله و (عمس عليهم الخبر) بفتح العين المهمله و تخفيف الميم و تشديدها أبهمه عليهم و جعله مظلما، و التّشديد لافاده الكثره و منه ليل عماس أى مظلم و (الأغراض) جمع غرض و هو الهدف.

الاعراب

ضمير الخطاب فى استطعموكم منصوب المحلّ بنزع الخافض على حدّ قوله تعالى: و اختار موسى قومه، أو مجروره على حدّ قوله: أشارت كليب بالأكفّ الأصابع، و الفاء فى قوله فأقرّوا فصيحه، و قوله ترووا من الماء مجزوم لوقوعه فى جواب الأمر على حدّايتنى اكرمك، و مقهورين و قاهرين منصوبان على الحال.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام من أبلغ الكلام و ألطفه فى التّحريض على الحرب و الجذب إلى القتال و قد خطب به لما غلب أصحاب معاويه على شريعه الفرات بصفّين و منعوا أصحابه من الماء و حالوا بينهم و بينه فقال لهم(انّهم قد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء)يعنى أنّهم من جهه ممانعتهم من الماء طلبوا منكم أن تطعموهم القتالفكأنهم لما حازوا الماء أشبهوا فى ذلك من طلب الطعام له، و لما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعيّن تشبيه ذلك بالطعام و هو من لطايف الاستعاره.

(فأقرّوا على مذلّه و تأخير محلّه اوروّوا السّيوف من الدّماء ترووا من الماء) يعنى انهّم لما طلبوا منكم القتال بالمنع من الماء فاللّازم عليكم حينئذ أحد الأمرين،

إمّا الكفّ عن الحرب و الاذعان بالعجز و الاستقرار على الذّله المستلزم لتأخير المنزله و انحطاط الدّرجه عن رتبه أهل الشّرف و الشّجاعه، و إمّا الاستعداد للقتال و ترويه السّيوف من الدّماء المستلزم للتّرويه من الماء.

و فى هذا الكلام من الحسن و اللّطف ما لا يخفى إذ من المعلوم أنّ الاقرار بالعجز و الثبات على الذّله مكروه بالطبع، و التّروّى من الماء للعطاش محبوب بالطبع و العاقل لا يختار للمكروه على المحبوب قطعا بل يرجّحه عليه و يتوصّل إليه و لو بترويه سيفه من الدّماء فيكون القتال محبوبا عنده أيضا مع كونه مكروها بالطبع من أجل ايصاله إلى المطلوب.

و لمّا أشار عليه السّلام الى كون التّوانى فى الجهاد موجبا للذّلّ و انحطاط الرّتبه فرّع على ذلك قوله(فالموت فى حياتكم مقهورين و الحياه فى موتكم قاهرين)تنبيها على أنّ الحياه مع الذّله موت فى الحقيقه و الموت مع العزّه حياه كما قال الشّاعر:

و من فاته نيل العلى بعلومه و أقلامه فليبغها بحسامه

فموت الفتى فى العزّ مثل حياته و عيشته فى الذّلّ مثل حمامه

و ذلك لأنّ الحياه فى حاله المقهوريه و مع الذّله و سقوط المنزله أشدّ مقاساه من موت البدن عند العاقل بكثير، بل موتات متعاقبه عند ذى اللب البصير، كما أنّ الموت فى حاله القاهريّه و مع العزّه موجب للذّكر الباقى الجميل فى الدّنيا و للأجر الجزيل فى العقبى، فهو فى الحقيقه حياه لا تنقطع و لا تفنى كما قال تعالى:

«وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » هذا و لا يخفى ما فى هاتين الفقرتين من حسن المقابله كما فى ما قبلهما من السّجع المطرف، و فيما قبلهما من السّجع المتوازى.

ثمّ أنّه بعد حثّ أصحابه على الجهاد أشار إلى ما عليه معاويه و أصحابه من الغوى

و الضّلاله و العدول عن المنهج القويم و الصراط المستقيم بقوله (ألا إنّ معاويه قاد لمه من الغواه و) ساق طائفه من البغاه (عمس عليهم الخبر) و أظلم عليهم الأثر (حتّى جعل نحورهم أغراض المنيه) بايهام أنّ عثمان قتل مظلوما و أنّه عليه السّلام و أصحابه قاتله و أنّ ذلک الملعون و أصحابه أولياء دمه و المستحقّون لأخذ ثاره، مع أنّهم «عَنِ الصِّراطِ لَناكِبُونَ » و «فِی جَهَنَّمَ خالِدُونَ »، «وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ » و اما کیفیه غلبه اصحاب معاویه على الماء فنحن نرویها من البحار و من شرح المعتزلی جمیعا من کتاب صفّین لنصر بن مزاحم بتلخیص منّا.

قال نصر: کان أبو الأعور السّلمی على مقدّمه معاویه و اسمه سفیان بن عمرو و کان قد ناوش مقدمه علیّ و علیه الأشتر النّخعی مناوشه لیست ما بعظیمه، فلما انصرف أبو الأعور عن الحرب راجعا سبق إلى الماء فغلب علیه فی الموضع المعروف بقنصرین إلى جانب صفّین قد نزلوا منزلا اختاروه مستویا بساطا واسعا و أخذوا الشریعه، فهی فی أیدیهم.

و ساق الأشتر یتبعه فوجده غالبا على الماء و کان فی أربعه آلاف من مستبصری أهل العراق فصدموا أبا الأعور و أزالوه عن الماء، فأقبل معاویه فی جمیع الفیلق(۱) بقضّه و قضیضه، فلما رآهم الاشتر انحاز الى علیّ و غلب معاویه و أهل الشّام على الماء و حالوا بین أهل العراق و بینه و أقبل علیّ علیه السّلام فی جموعه، فطلب موضعا لعسکره و أمر النّاس أن یضعوا أثقالهم و هم أکثر من مأئه ألف فارس فلما نزلوا تسرع فوارس من فوارس علیّ علیه السّلام على خیولهم إلى معاویه یطعنون و یرمون بالسّهام و معاویه بعد لم ینزل، فناوشهم أهل الشّام القتال فاقتتلوا هوّیا(۲).

قال نصر: فحدّثنی عمر بن سعد، عن سعد بن طریف عن الأصبغ بن نباته قال فکتب

ص:۳۰۴

۱- (۱) الفیلق الجیش و القضّ الحصاء الصغار و القضیض الحصاء الکبارای جاء فی جمیع جیشه بالصغیر و الکبیر، قاموس.

۲- (۲) أی قطعه من الزمان، شرح.

معاویه إلی علیّ علیه السّلام عافانا اللّه و إیّاک.

ما أحسن العدل و الانصاف من عمل و أقبح الطیس ثمّ النّفش(۱) فی الرّجل

و کتب بعده شعرا یحثه فیه بأن یروع بجیشه من التّسرّع و العجله عند الحرب، فأمر علیّ علیه السّلام أن یوزع النّاس عن القتال حتّی أخذ أهل الشّام مصافهم، ثمّ قال:

أیّها النّاس إنّ هذا موقف من نطف(۲) فیه نطف یوم القیامه و من فلح فیه فلح یوم القیامه.

قال فتراجع النّاس کلّ من الفریقین إلی معسکره و ذهب شباب من النّاس إلی الماء لیستسقوا فمنعهم أهل الشّام و قد أجمعوا أن یمنعوا الماء و روی نصر عن عبد اللّه بن عوف قال: فتسرعنا إلی أمیر المؤمنین فأخبرناه بذلک فدعا صعصعه بن صوحان فقال: ائت معاویه فقل إنّا صرنا إلیک مصیرنا هذا و أنا أکره قتالکم قبل الاعذار إلیکم و أنک قدمت خیلک فقاتلتنا قبل أن نقاتلک و بدئتنا بالحرب و نحن من رأینا الکفّ حتّی ندعوک و نحتجّ علیک، و هذه اخری قد فعلتموها قد حلتم بین النّاس و بین الماء فخلّ بینهم و بینه حتّی ننظر فیما بیننا و بینکم و فیما قدمنا له و قدمتم له، و إن کان أحبّ إلیک أن ندع ما جئنا له و ندع النّاس یقتتلون حتّی یکون الغالب هو الشّارب فعلنا فلمّا مضی صعصعه برسالته إلی معاویه قال معاویه لأصحابه: ما ترون؟ فقال الولید بن عقبه: أمنعهم الماء کما منعوه ابن عفان، حصروه اربعین یوما یمنعونه برد الماء و لین الطعام، اقتلهم عطشا قتلهم اللّه، و قال عمرو بن العاص: خلّ بین القوم و بین

۱- (۱) النفش کثره الکلام و الدعاوی.

۲- (۲) ای من تلطخ فیه بعیب من فرار او نکول عن العد و یقال نطف فلان بالکسر اذا تدنس بعیب و نطف ایضا افسد یقول من افسدت اذا حاله الیوم فی هذا الحرب فسدت حاله غدا عند اللّه، شرح معتزلی.

الماء فانهم لن يعطشوا و أنت ريّان، و لكن لغير الماء، فانظر فيما بينک و بينهم فأعاد الوليد مقالته.

و قال عبد اللّه بن سعيد بن أبى سرح و كان أخا عثمان من الرضاعه امنعهم الماء إلى الليل فانّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا و كان رجوعهم هزيمتهم، امنعهم الماء منعهم اللّه يوم القيامه فقال صعصعه انّما يمنع الماء يوم القيامه الفجره الكفره شربه الخمر ضربک و ضرب هذا الفاسق يعنى الوليد فتواثبوا إليه يشتمونه و يتهدّدونه، فقال معاويه: كفّوا عن الرّجل فانّما هو رسول قال عبد اللّه بن عوف: إنّ صعصعه لمّا رجع إلينا حدّثنا بما قال معاويه و ما كان منه و ما ردّه عليه، قلنا: و ما الذى ردّه عليک؟ فقال: لمّا أردت الانصراف من عنده قلت ما تردّ علىّ قال سيأتيكم رائى، قال: فو اللّه ما راعنا إلّا تسويه الرّجال و الصّفوف و الخيل فأرسل إلى أبى الأعورا منعهم الماء فازدلفنا و اللّه إليهم فارتمينا و اطعنا بالرّماح و اضطربنا بالسّيوف، فقال: ذلک بيننا و بينهم حتّى صار الماء بأيدينا فقلنا: لا و اللّه لا نسقيهم فأرسل علىّ عليه السّلام أن خذوا من الماء حاجتكم و ارجعوا إلى معسكركم و خلّوا بينهم و بين الماء فانّ اللّه قد نصركم عليهم ببغيهم و ظلمهم و قال نصر: قال عمرو بن العاص: خلّ بينهم و بين الماء فانّ عليّا لم يكن ليظمأ و أنت ريّان و فى يده أعنه الخيل و هو ينظر إلى الفرات حتّى يشرب أو يموت و أنت تعلم أنّه الشّجاع المطرق، و قد سمعته أنا و أنت مرارا و هو يقول لو أنّ معى أربعين رجلاـ يوم فتش البيت يعنى بيت فاطمه و يقول لو استمسكت من أربعين رجلا يعنى من أمر الأوّل.

قال: و لمّا غلب أهل الشّام على الفرات فرجعوا بالغلبه و قال معاويه: يا أهل الشّام هذا و اللّه أوّل الظفر لا سقانى اللّه و لا أبا سفيان إن شربوا منه أبدا حتّى يقتلوا بأجمعهم و تباشر أهل الشام فقام إلى معاويه رجل من أهل الشّام همدانى ناسک يتألّه و يكثر العباده يقال

ص:۳۰۶

له المعرى بن الافيل، و كان صديقا لعمرو بن العاص مواجا له، فقال: يا معاويه سبحان اللّه سبقتم القوم إلى الفرات تمنعونهم الماء أما و اللّه لو سبقوكم إليه لسقوكم منه أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات فينزلون على فرضه(١) اخرى فيجازونكم بما صنعتم، أما تعلمون أنّ فيهم العبد و الامه و الاجير و الضّعيف و من لا ذنب له، هذا و اللّه أوّل الجهل (الجور) فأغلظ له معاويه و قال لعمرو: اكفنى صديقك فأتاه عمرو فأغلظ له فقال الهمدانى فى ذلك شعرا

لعمر و ابى معاويه بن حربو عمرو ما لدائهما دواء

سوى طعن يحار العقل فيهو ضرب حين يختلط الدّماء

و لست بتابع دين ابن هندطوال الدّهر يا ارسى حراء

لقد وهب العتاب فلا عتابو قد ذهب الولاء فلا ولاء

و قولى فى حوادث كلّ حربعلى عمرو و صاحبه العفاء

ألا للّه درّک يا ابن هندلقد برح الخفاء فلا خفاء

أ تحمون الفرات على رجالو فى أيديهم الأسل الظماء

و فى الأعناق أسياف حدادكأنّ القوم عند هم نساء

أ ترجو أن يحاوركم علىّ بلا ماء و للأحزاب ماء

دعا هم دعوه فأجاب قومكجرب الابل خالطها الهناء

قال ثمّ سار الهمدانى فى سواد الليل حتّى لحق بعلىّ عليه السّلام و مكث أصحاب علىّ يوما و ليله بغير ماء و اغتمّ عليه السّلام بما فيه أهل العراق من العطش و فى روايه سهل بن حنيف المرويه فى المجلّد التّاسع من البحار أنّه لمّا أخذ معاويه مورد الفرات أمر أمير المؤمنين عليه السّلام لمالك الأشتر أن يقول لمن على جانب الفرات: يقول لكم علىّ: اعدلوا عن الماء، فلما قال ذلك: عدلوا عنه فورد قوم أمير المؤمنين عليه السّلام الماء فأخذوا منه، فبلغ ذلک معاويه فأحضرهم و قال لهم فى ذلک فقالوا: إنّ عمرو بن العاص جاء و قال: إنّ معاويه يأمركم أن تفرجوا عن الماء

١- (١) الفرضه بالضم ثلمه من النهر يستقى منها.

فقـال معـاويه لعمرو: إنـک لتـأتی أمرا ثمّ تقول مـا فعلته فلمّا کان من غـدو کل معاويه حجل بن عتاب النّخعی فی خمسه آلاف فأنفذ أمير المؤمنين مالکا فنادی مثل الأوّل فمال حجل عن الشّـريعه فورد أصحاب علیّ و أخذوا منه، فبلغ ذلک معاويه فأحضـر حجلاـ و قـال له فی ذلک، فقال: إنّ ابنک يزيـد أتانی فقال: إنّک أمرت بالتّنحّی عنه، فقال ليزيـد فی ذلک فأنکر، فقال معاويه: فاذا کان غـدا فلا تقبل من أحـد و لو أتيتک حتّی تأخذ خاتمی فلمّا کان اليوم الثالث أمر أمير المؤمنين عليه السّـلام لمالک مثل ذلک فرأی حجل معاويه و أخذ منه خاتمه و انصـرف عن الماء و بلغ معاويه فدعا و قال له فی ذلک فأراه خاتمه فضـرب معاويه يده علی يده فقال: نعم و انّ هذا من دواهی علیّ، رجعنا إلی روايه نصر بن مزاحم قال: فاتی الأشعث عليّا فقال يا أمير المؤمنين أ يمنعنا القوم ماء الفرات و أنت فينا و السّيوف فی أيدينا؟ خلّ عنّا و عن القوم فو اللّه لا نرجع حتّی نردّه أو نموت و مرّ الأشتر يعلو بخيله و يقف حيث يـأمره علیّ عليه السّـلام فقـال علیّ: ذلـک إليکم فرجع الأشـعث فنـادی فی النـاس من يريـد المـاء أو الموت فميعاده موضع کذا فانّی ناهض فأتاه إثنی عشـر ألفا من کنده و أفناء قحطان واضـعی سـيوفهم علی عواتقهم فشدّ عليه سـلاحه و نهض بهم حتّی کاد يخالط أهل الشّام و جعل يلقی رمحه و يقول لأصـحابه: بأبی أنتم و أمیّ تقـدّموا إليهم قاب رمحی هـذا فلم يزل ذلک دأبه حتّی خلط القوم و حسر عن رأسه و نادی أنا الأشعث بن قيس خلّوا عن الماء فنادی أبو الأعور أما حتّی لا يأخذنا و إيّـاکم السّـيوف فلاـ فقال الأشـعث قـد و اللّه أظنّها دنت منّا و منکم، و کان الأشتر قـد تعالی بخيله حيث أمره علیّ فبعث إليه الاشعث أقحم الخيل، فأقحمها حتّی وضعت بسنابکها فی الفرات و أخذت أهل الشّام السّيوف فولّوا مدبرين.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبی جعفر و زيد بن الحسن قالا:

فنادى الأشعث(۱) عمرو بن العاص فقال: ويحك يابن العاص خلّ بيننا و بين الماء فو اللّه لئن لم تفعل لتاخذنا و إيّاكم السّيوف: فقال عمرو: و اللّه لا نخلّى عنه حتّى تأخذنا السّيوف و إيّاكم فيعلم ربّنا سبحانه اينا أصبر اليوم، فترجّل الأشعث و الأشتر و ذووا البصاير من أصحاب علىّ و ترجّل معهما اثنى عشر ألفا فحملوا على عمرو و أبى الأعور و من معهما من أهل الشّام، فأزالوهم عن الماء حتّى غمست خيل علىّ عليه السّلام سنابكها فى الماء قال نصر: فروى عمر بن سعيد أنّ عليّا قال ذلك اليوم: هذا يوم نصرتم فيه بالحميّه.

قال نصر: فحدّثنا عمر بن «شمر عن ظ» جابر قال: خطب علىّ يوم الماء فقال: أمّا بعد فانّ القوم قد بدؤكم بالظلم إلى آخر ما رويناه سابقا قال نصر: و حدّثنا عمر بن شمر عن جابر عن الشّعبى عن الحرث بن أدهم و عن صعصعه قال أقبل الأشتر يوم الماء فضرب بسيفه جمهور أهل الشّام حتّى كشفهم عن الماء و كان لواء الأشعث بن قيس مع معاويه بن الحرث، فقال الأشعث: للّه أبوك ليست النّخع بخير من كنده قدّم لواءك فانّ الحظّ لمن سبق، فتقدّم لواء الأشعث و حملت الرّجال بعضها على بعض فما زالوا كذلك حتّى انكشف أهل الشّام عن الماء، و ملك أهل العراق المشرعه هذا و فى روايه أبى مخنف عن عبد اللّه بن قيس قال قال أمير المؤمنين يوم صفّين و قد أخذ أبو الأعور السّلمى الماء على النّاس و لم يقدر عليه أحد فبعث إليه الحسين عليه السّلام فى خمسمائه فارس فكشفه عن الماء، فلمّا رأى ذلك أمير المؤمنين قال: ولدى هذا يقتل بكربلا عطشانا و ينفرّ فرسه و يحمحم و يقول فى حمحمته: الظليمه الظليمه من امّه قتلت ابن بنت نبيّها و هم يقرءون القرآن الذى جاء به اليهم ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أنشأ يقول:

۱- (۱) و فى روضه الصفا لما اخبر معاويه بضعفت ابى الاعور و انحيازه بعث عمرو بن العاص و ضمّ اليه ثلاثه الاف ليكونوا مدد الابى الاعور و عونا، منه.

أرى الحسين قتيلا قبل مصرعه علما يقينا بأن يبلى بأشرار

و كلّ ذى نفس أو غير ذى نفس يجرى إلى أجل يأتى باقدار

قال و قال عمرو بن العاص لمعاويه لمّا ملك أهل العراق الماء: ما ظنّک يا معاويه بالقوم إن منعوک اليوم الماء كما منعتهم أمس أتراک تضاربهم عليه كما ضاربوک عليه؟ ما أغنى عنک أن تكشف لهم السّوره، فقال له معاويه: دع عنک ما مضى فما ظنّک بعليّ بن أبى طالب؟ قال ظنّى أنّه لا يستحلّ منک ما استحللت منه و إنّ الذى جاء له غير الماء قال نصر: فقال أصحاب عليّ له: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوک، فقال: لا، خلّوا بينهم و بينه لا أفعل ما فعله الجاهلون سنعرض عليهم كتاب اللّه و ندعوهم إلى الهدى فان أجابوا و إلاّ ففى حدّ السّيف ما يغنى إنشاء اللّه قال: فو اللّه ما أمسى النّاس حتّى رأوا سقاتهم و سقاه أهل الشّام و روايا أهل الشام يزدحمون على الماء ما يؤذى إنسان إنسانا

الترجمه

از جمله كلام آن امام انامست كه فرموده در حينى كه غالب شدند أصحاب معاويه بر شريعهٔ فرات در صفّين و منع نمودند اصحاب آن حضرت را از آب: بتحقيق كه اصحاب معاويه طلب مى كنند از شما آنكه طعام بدهيد بر ايشان قتال را پس قرار بدهيد يا اقرار نمائيد بر خوارى و مذلت و بر باز پس انداختن منزلت و مرتبت يا سيراب سازيد شمشيرهاى خود را از خونهاى آن جماعت ياغى تا سيراب شويد از آب صاف جارى پس مرگ در زندگانى شما است در حالتى كه مقهور و مغلوب هستيد و زندگانى در مرگ شما است، در حالتى كه غالب و قاهر باشيد، بدانيد و آگاه شويد كه معاويه بد بنياد كشيده دست بحرب جماعت اندک را از صاحبان ضلالت و عناد و پوشانيده است بر ايشان خبر را تا آنكه گردانيده است گلوهاى ايشان را نشانيهاى سهام موت از طعن و ضرب و ساير أسباب فوت.

ص:۳۱۰

و من خطبه له علیه السّلام و هی الثانیه و الخمسون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و هی ملتقطه من خطبه طویله خطب بهـا یوم النّحر رواهـا الصّـدوق مرسـله فی کتاب من لا یحضـره الفقیه علی ما سـتطلع علیه و شرح ما أورده السّید فی الکتاب فی ضمن فصلین:

الفصل الاول

اشاره

ألا و إنّ الدّنیا قد تصرّمت و آذنت بانقضاء و تنکّر معروفها و أدبرت حذّاء فهی تحفز بالفناء سکّانها، و تحدو بالموت جیرانها، و قـد أمرّ منهـا ما کان حلوا، و کـدر منها ما کان صـفوا، فلم یبق منها إلّا سـمله کسـمله الإداوه، أو جرعه کجرعه المقله لو تمزّزها الصّـدیان لم ینقع، فأزمعوا عباد اللّه الرّحیل عن هذه الدّار المقدور علی أهلها الزّوال، و لا یغلبنّکم فیها الأمل، و لا یطولنّ علیکم الأمـد، فواللّه لو حننتم حنین الولّه العجال، و دعوتم بهـدیل الحمام، و جأرتم جؤار متبتّلی الرّهبان، و خرجتم إلی اللّه من الأموال و الأولاد، التماس القربه إلیه فی ارتفاع درجه عنده، أو غفران سیّئه أحصتها کتبه، و حفظها رسله، لکان قلیلا فیما أرجو لکم من ثوابه، و أخـاف علیکم من عقـابه، و تاللّه لو انماثت قلوبکم انمیاثا، و سالت عیونکم من رغبه إلیه أو رهبه منه دما، ثمّ عمّرتم فی الدّنیا ما الدّنیا باقیه، ما جزت

أعمالكم، و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم أنعمه عليكم العظام، و هداه إيّاكم للإيمان.

اللغه

(تصرّمت) انقطعت و فنيت و (آذنت) بالمدّ أعلمت و (تنكّر) جهل و (الحذاء) السّريعه الذّهاب و روى جذّاء بالجيم و هى منقطعه النّفع و الخير و (حفزه) يحفزه من باب ضرب دفعه من خلفه، و بالرّمح طعنه، و عن الأمر أعجله و أزعجه، و حفز الليل النّهار ساقه و (أمرّ) الشّيء صار مرّا و (كدر) الماء كدرا من باب تعب زال صفائه و كدر كدوره من باب صعب.

و (السمله) بالفتحات البقيّه من الماء يبقى فى الاناء و (الاداوه) بالكسر المطهره و (المقله) بفتح الميم و سكون القاف حصاه للقسم يقسم بها الماء عند قلته فى المفاوز و فى السّفر تلقى فى الماء ليعرف قدر ما يسقى كلّ واحد منهم و (التّمزّز) تمصّص الشّراب قليلا قليلا و (الصّديان) كعطشان لفظا و معنى و (نقع) ينقع أى سكن عطشه و (ازمعت) الأمر أى أجمعت و عزمت على فعله و (المقدور) المقدّر الذى لا بدّ منه و (الأمد) بالتّحريك الغايه و (الحنين) مصدر بمعنى الشوق واصله ترجيع النّاقه صوتها أثر ولدها.

و (الوله) جمع واله من الوله و هو ذهاب العقل و فقد التّميز و (العجال) جمع عجول و هى النّاقه التى تفقد أولادها و (هديل الحمام) نوحها و (جار) يجار من باب منع جارا و جؤارا بالضّم رفع صوته و تضرّع و استغاث و (التّبتل) الانقطاع إلى اللّه باخلاص النّيه و (انماث) القلب ذاب و (الجهد) بالضّم و الفتح الطاقه و (الأنعم) كأفلس جمع النّعمه.

الاعراب

حذّاء منصوب على الحال، و الرّحيل منصوب على المفعوليّه، و قوله التماس منصوب على المفعول له، و لكان قليلا جواب لوحننتم، و ما فى قولها ما الدّنيا باقيه ظرفيّه أى مده بقائه، و جمله و لو لم تبقوا اه معترضه بين الفعل و هو جزت و مفعوله الذى هو أنعمه و العظام صفه الانعم، و هداه بالنّصب المحلّى عطف على أنعمه.

ص:٣١٢

المعنى

اشاره

اعلم انّ مدار هذا الفصل من الخطبه على فصول ثلاثه.

الفصل الاول

متضمّن للتّنفير عن الدّنيا و التّحذير منها و النّهى عن عقد القلب عليها و الأمر بالرّحيل عنها، و إليه أشار بقوله (ألا و إنّ الدّنيا قد تصرّمت) اى انقطعت (و آذنت بانقضاء) قد مضى فى شرح الخطبه الثّامنه و العشرين و الخطبه الثّانيه و الأربعين ما يوضح معنى هذه الفقره من كلامه عليه السّلام، فان رجعت إلى ما ذكرناه هناك تعرف أنّ مراده عليه السّلام من تصرّم الدّنيا و انقطاعها هو تقضى أحوالها الحاضره شيئا فشيئا و أنّ المراد من إعلامها بالانقضاء هو الاعلام بلسان الحال على ما مرّ تفصيلا.

(و تنكّر معروفها و أدبرت حذاء) و هى اشاره إلى تغيّرها و تبدّلها و سرعه انقضائها و ادبارها حتّى أنّ ما كان منها معروفا لك يصير فى زمان يسير مجهولا عندك و ادنى ما هو شاهد على ذلك هو حاله شبابك الذى كنت انس إليه متبهجا به كيف طرء عليها المشيب فى زمان قليل:

فولّى الشّباب كأن لم يكن و حلّ المشيب كأن لم يزل

كأنّ المشيب كصبح بدا و أمّا الشّباب كبدر أفل

(فهى تحفز بالفناء سكّانها) اى تعجلهم و تسوقهم أو تطعنهم برماح الفناء و تدفعهم من خلفهم حتّى توقعهم فى حفرتهم (و تحدو بالموت جيرانها) حتّى توصلهم إلى دار غربتهم، أفلا ترى إلى السّلف الماضين و الأهلين و الأقربين كيف توالت عليهم السّنون و طحنتهم المنون و فقدتهم العيون، أو لا ترى إلى الملوك و الفراعنه و الأكاسره و السّياسنه كيف انتقلوا عن القصور و ربات الخدور إلى ضيق القبور.

باتوا على قلل الجبال تحرسهم غلب الرّجال فلم ينفعهم القلل

و استنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم إلى مقابرهم يابئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا أين الأسره و التّيجان و الحلل

أين الوجوه التّى كانت محجّبه من دونها تضرب الأستار و الكلل

ص:۳۱۳

فأفصح القبر عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدّود تنتقل

قد طال ما أكلوا فيها و هم شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

و طال ما كثروا الأموال و ادّخروا فخلّفوها على الأعداء و ارتحلوا

و طال ما شيّدوا دورا لتحصنهم ففارقوا الدّور و الأهلين و انتقلوا

أضحت مساكنهم و حشا معطله و ساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

سل الخليفه إذ وافت منيّته أين الجنود و أين الخيل و الخول

أين الكنوز التى كانت مفاتحها تنوء بالعصبه المقوين لو حملوا

أين العبيد التى أرصدتهم عددا أين الحديد و أين البيض و الأسل

أين الفوارس و الغلمان ما صنعوا أين الصّوارم و الخطّيه الذبل

أين الكفاه أ لم يكفوا خليفتهم لمّا رأوه صريعا و هو يبتهل

أين الكماه التى ماجوا لما غضبوا أين الحماه التى تحمى به الدّول

أين الرّماه أ لم تمنع بأسهمهم لمّا أتتك سهام الموت تنتصل

هيهات ما منعوا ضيما و لا دفعوا عنك المنيّه إذ وافى بك الأجل

و لا الرّشا دفعتها عنك لو بذلوا و لا الرّقى نفعت فيها و لا الخيل

ما ساعدوك و لا واساك أقربهم بل سلّموك لها يا قبح ما فعلوا(۱)

(و قد أمرّ منها ما كان حلوا و كدر منها ما كان صفوا) و ذلك مشاهد بالوجدان و مرئى بالعيان، إذ الامور التى تقع لذيذه فيها و يجدها الانسان فى بعض الأحيان حلوه صافيه عن الكدورات خاليه عن مراره التّنغيص هى فى معرض التّغير و التّبدّل بالمراره و الكدر، فما من أحد تخاطبه بما ذكر إلاّ و يصدق عليه أنّه قد عرضت له من تلك اللذات ما استعقب صفوتها كدرا و حلاوتها مراره إمّا من شباب تبدّل بمشيب أو غنى بفقر أو عزّ بذلّ أو صحّه بمرض.

(فلم يبق منها إلاّ سمله كسمله الاداوه أو جرعه كجرعه المقله لو تمزّزها الصّديان)و تمصّصها العطشان لم يرو و(لم ينقع)قال الشّارح البحرانى: هذا

۱- (۱) الابيات مقتبسه من الديوان المنسوب الى امير المؤمنين (عليه السلام) منه.

تقلیل و تحقیر لما بقی منها لکلّ شخص شخص من النّاس، فانّ بقاء ماله علی حسب بقائه فیها و بقاء کلّ شخص فیها یسیر و وقته قصیر، و استعار لفظ السّمله لبقیتها و شبهها بقیّه الماء فی الاداوه و بجرعه المقله، و وجه الشّبه ما أشار إلیه بقوله:

لو تمزّزها الصّدیان لم ینقع، أی کما أنّ العطشان الواجد لبقیّه الماء فی الاداوه أو الجرعه لو تمصّصها لم ینقع عطشه، کذلک طالب الدّنیا المتعطش إلیها الواجد لبقیّه عمره و للیسیر من الاستمتاع فیه بلذّات الدّنیا لا یشفی ذلک غلیله و لا یسکن عطشه.

ثمّ أنّه بعد التّنبیه علی تحقیر الدّنیا و التّنفیر عنها أمر بالرّحیل عنها بقوله (فازمعوا عباد اللّه الرّحیل عن هذه الدّار المقدور علی أهلها الزوال) یعنی إذا کانت الدّنیا بهذه المثابه من الدّنائه و الحقاره معقبه صفوها للکدوره متغیّره حلاوتها إلی المراره فلا بدّ لکم من العزم علی الرّحیل عنها بقطع العلایق الدّنیویه عن القلب و الاقبال إلی اللّه و الرغبه إلی رضوان اللّه مع ما قدّر فی حقّ أهلها من الزّوال و کتب لسکانها من الرّحیل و الانتقال، أفلا تنظر إلی الامم الماضیه و القرون الفانیه و إلی من عاشرتهم من صنوف النّاس و شیّعتهم إلی الارماس کیف اخترمتهم أیدی المنون من قرون بعد قرون، أ و لا تعتبر ممّن مضی من أسلافک و من وارته الأرض من الافّک، و من فجعت به من اخوانک و نقلت إلی دار البلا من أقرانک.

فهم فی بطون الارض بعد ظهورها محاسنهم فیها بوال دواثر

خلت دورهم منهم و اقوت عراصهم و ساقتهم نحو المنایا المقادر

و خلوا عن الدّنیا و ما جمعوا لها و ضمّتهم تحت التّراب الحفایر

(و) بعد ما اعتبرت بما رأیته من الأهلین و الاخوان، و ادّکرت بما شاهدته من الامثال و الأقران فالبته (لا یغلبنکم فیها الأمل و لا یطولنّ علیکم) فیها (الأمد) أی لا تتوّهم طول مده البقاء فیها مع ما شاهدت من قصر مدّتها و قرب زوالها.

و الفصل الثانی

متضمّن للتّنبیه علی عظیم ثواب اللّه و عقابه، فانّه بعد ما نبّه علی تحقیر الدّنیا و التّحذیر عنها و أمر بالعزم علی الجدّ و الارتحال أشار إلی ما ینبغی أن یهتمّ به

و يلتفت إليه و يرجى و يخشى من ثواب اللّه و عقابه فأشار إلى تعظيمها بتحقير الأسباب و الوسايل التى يتوصّل بها العباد، و يعتمدون عليها فى الفوز إلى الثّواب و الهرب من العقاب.

و قال (فو اللّه لو حننتم) إلى اللّه مثل (حنين الوله العجال) شوقا و رغبه (و دعوتم) له تعالى (بهديل) مثل هديل (الحمام) استيحاشا و وحشه (و جأرتم) إليه سبحانه بمثل (جؤار متبتّلى الرّهبان(۱)) خوفا و خشيه (و خرجتم إلى اللّه من الأموال و الأولاد) و تركتم الأوطان و البلاد و فعلتم كل ذلك (لا لتماس القربه إلى اللّه) و ثمينا للوصول إلى رضوان اللّه (فى ارتفاع درجه عنده أو غفران سيئه أحصتها كتبه و حفظها رسله) الكرام البرره (لكان) ذلك كلّه (قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه و أخاف عليكم من عقابه.) و محصّله على ما ذكره البحرانى هو أنكم لو أتيتم بجميع أسباب التّقرّب إلى اللّه الممكنه لكم من عباده و زهد ملتمسين بذلك التّقرّب إليه فى أن يرفع لكم عنده درجه أو يغفر لكم سيّئه أحصتها كتبه و الوجه المحفوظه لكان الذى أرجوه من نوابه للمتقرّب إليه فى أن يرفع منزلته من حضره قدسه أكثر ممّا يتصوّره المتقرّب أنّه يصل إليه بتقرّبه، و لكان الذى أخافه من عقابه على المتقرّب فى غفران سّيئه عنده أكثر من العقاب الذى يتوّهم أنّه يدفعه عن نفسه بتقرّبه.

فينبغى لطالب الزّياده فى المنزله عند اللّه أن يخلص بكليّته فى التقرّب إليه ليصل إلى ما هو أعظم ممّا يتوّهم أنّه يصل إليه من المنزله عنده، و ينبغى للهارب من ذنبه إلى اللّه أن يخلص من هول ما هو أعظم مما يتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسيلته، فانّ الأمر فى معرفه ما أعدّ اللّه لعباده الصالحين من الثواب العظيم و ما أعدّه لأعدائه الظالمين من العقاب الأليم أجلّ ممّا يتصوّره عقول البشر ما دامت فى عالم الغربه، و إن كان عقولهم فى ذلك الادراك متفاوته، و لمّا كانت نفسه القدسيّه أشرف نفوس الخلق لاجرم نسب الثّواب المرجوّ لهم و العقاب المخوف عليهم إلى رجائه و خوفه و ذلك لقوّه اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه(۲).

۱- (۱) و التشبيه بهم لشهرتهم بشدّه التضرّع منه.

۲- (۲) حيث قال أرجو و أخاف، منه.

و الفصل الثالث

متضـمّن للتّنبيه على عظيم نعمه اللّه على العبـاد و إليه أشار بقوله (و تاللّه لو انماثت قلوبكم انمياثا و سالت عيونكم فی رغبه إليه) سبحانه (أو رهبه منه دما ثمّ عمّرتم فی الدّنيا ما الدّنيا باقيه ما جزت أعمالكم) التی أتيتموها و بذلتم فيها جهدكم و سعيكم (و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم أنعمه) التی أنعم بها (عليكم) من نعمه (العظام و هداه اياكم للايمان).

يعنی أنّ كـلّ مـا أتيتم به من الأعمـال التی بـذلتم جهـدكم فيهـا فی طـاعه اللّه و ما عساه يمكنكم أن تأتوا به منها فهو قاصـر عن مجازاه نعمه العظام و لا سيّما نعمه الهدايه التی هی أشـرف الآلاء و أفضل النّعماء، مع أنّ القيام بوظايف العبوديّه ليس إلاّ بتوفيق منه سبحانه و تأييد منه، و ذلک من جمله نعمه أيضا فكيف يجازی نعمته و نعم ما قيل:

شكر الاله نعمه موجبه لشكره و كيف شكری برّه و شكره من برّه

الترجمه

از جمله خطب لطيفه و شريفۀ آن حضرتست در بيان تحقير دنياى فانى و ترغيب به عقباى جاودانى مى فرمايد:

آگـاه باشـيد كه بـدرستى دنيـا روى آورده بانقطاع و فنا و اعلام كرده است به زوال و انقضاء و مجهول شـده است معروف آن بجهت اين كه بانـدك فرصتى و كمتر مدتى تغيير و تبديل مى يابد لذايذ آن بر ضدّ آن، و پشت كرده و ادباد نموده در حالتى كه سـرعت كننده و شتابنده است، پس آن ميراند بنيزۀ فنا ساكنان خود را و ميراند بسوى مرگ همسايگان خود را، و به تحقيق كه تلخ گشت از دنيا آنچه بود شيرين و با كدورت و ناصاف شد از آن آنچه بود صاف و گزين، پس باقى نمانده است از دنيا مگر بقيۀ مانند بقيه آب در مطهره يا مقدار يک آشاميدن مثل مقدار يك آشاميدن كه بمقله اخذ نمايند در وقت قحط آبى كه اگر بمكد آن بقيه و جرعه را صاحب عطش فرونه نشاند تشنگى او را پس عزم نمائيد اى بندگان خدا بر كوچ

نمودن از این سـرای پر جفـا که مقـدّر شـده است در حق اهل او زوال و فنا، و بایـد که غالب نشود شـما را در این دنیا آرزوی نفس و هوا و باید که توهم ننمائید در این سرا در ازی مدت و طول بقا را.

پس قسم به خداوند که اگر ناله کنید شـما مثل ناله کردن شتران حیران و سر گردان که گم نماینده باشـند بچه کان خود شان را، و بخوانیـد خـدا را بنوحـهٔ حزین مثل نوحه نمودن کبوتران، و تضـرع نمائیـد بخداوند مانند تضرع نمودن زاهدان نصاری و بیرون آیید از أموال و اولاد بجهه خدا در بلند شدن درجه نزد او سـبحانه و تعالی، یا آمرزیدن گناهی که شمرده باشد آن گناه را نامهٔ اعمال و ضـبط نموده باشد او را فرشتگان حضرت ذو الجلال هر آینه باشد این جمله اندك در آنچه امید می دارم برای شما از ثواب دادن او و در آنچه می ترسم از برای شما از عقاب کردن او.

و سوگند به خدا که اگر گداخته شود قلبهای شما گداختنی از ترس الهی، و روان شود چشمهای شما بجهت رغبت ثواب او و از جهت ترس از عـذاب او بخـون هـای دمـادم پس از آن عمر نمائیـد در دنیـا مـادامی که دنیـا بـاقیست جزا و مکافات نباشـد عملهای شـما که در این مـدت به عمل آورده ایـد و اگر چه باقی نگذاریـد چیزی از سـعی و طاقت خود بنعمت های عظیمهٔ او سبحانه، که بشما انعام فرموده، و به هدایت و راهنمائی او بسوی ایمان که در حق شما مرعی داشته:

یعنی اگر تا انقراض دنیا مشـغول عمل صالـح شویـد و دقیقـهٔ فتور ننمائید برابری این نعم عظیمه که در حقّ شـما التفات فرموده است نخواهد بود.

الفصل الثانی

اشاره

منها فی ذکر یوم النحر فی صـفه الاضـحیه و من تمام الاضـحیه استشراف اذنها، و سلامه عینها، فإذا سلمت الاذن و العین سلمت الاضحیه و تمّت، و لو کانت عضباء القرن تجرّ رجلها إلی المنسک.

اللغه

(الاضحيه) بضّم الهمزه و كسرها اتباعا للحاء و الياء المخفّفه و الجمع أضاحى و يقال ضحيه أيضا و الجمع ضحايا كعطيه و عطايا و هى الشّاه التى تضحى بها أى تذبح بها ضحاه، و منها سمّى يوم الاضحى للعاشر من ذى الحجه و (الاستشراف) الارتفاع و الانتصاب يقال اذن شرفاء اى منتصبه و (العضباء) المكسور القرن و قيل القرن الدّاخل و (المنسک) محلّ النسک و هو العباده و المراد به هنا المذبح و يجوز فيه فتح السّين و كسرها.

الاعراب

قوله و لو كانت، شرطيّه وصليّه، و جمله تجرّ فى محلّ الرّفع على النّصب من اسم كان أو فى محلّ النّصب على الحاليّه، و فى نسخه الفقيه على ما ستطلع عليه و لو كانت عضباء القرن أو تجرّ رجلها إلى المنسک فلا تجزى.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الاضحيه مستحبه مؤكده إجماعا بل يمكن دعوى ضروره مشروعيتها و قول الاسكافى بوجوبها شاذّ و يدلّ على شدّه الاستحباب مضافا إلى الاجماع أخبار كثيره.

ففى الفقيه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم استفر هو اضحاياكم فانّها مطاياكم على الصّراط.

و جاءت أمّ سلمه إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يحضر الأضحى و ليس عندى ثمن الاضحيه فأستقرض فأضحّى؟ فقال: استقرضى و ضحّى فانّه دين مقضىّ و يغفر لصاحب الاضحيه عند أوّل قطره يقطر من دمها.

و من العلل عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قلت له: ما علّه الاضحيه؟ فقال:

إنّه يغفر لصاحبها عند أوّل قطره تقطر من دمها فى الأرض و ليعلم اللّه عزّ و جلّ من يتّقيه بالغيب قال اللّه عزّ و جلّ: «لَنْ يَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى » ثمّ قال: انظر كيف قبل اللّه قربان هابيل وردّ قربان قابيل.

و روى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: ما من عمل يوم النّحر أحبّ إلى اللّه عزّ و جلّ من

إراقه دم و أنّها لتأتى يوم القيامه بقرونها و أظلافها، و أنّ الدّم ليقع من اللّه بمكان قبل أن يقع الارض فطيبوا بها نفسا.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا أنّ لكم بكلّ صرفه من جلدها حسنه، و بكلّ قطره من دمها حسنه، و أنّها لتوضع فى الميزان فابشروا.

إذا عرفت ذلک فأقول إنّ قوله (و من تمام الاضحيه استشراف اذنها و سلامه عينها) أراد بذلک أن لا يكون بعض أذنها أو جميعها مقطوعه و أن لا يكون عوراء (فاذا سلمت الاذن) من النّقص (و العين) من العور (سلمت الاضحيه و تمّت) أى أجزئت (و لو كانت عضباء القرن) و عرجاء (تجرّ رجلها إلى المنسک).

فروع

الاول

قد عرفت أنّ الاضحيه مستحبه عندنا و هل سلامه العين و الاذن شرط الاجزاء أو شرط الكمال ظاهر كلامه يعطى الأوّل، لأنّ قوله: إذا سلمت الاذن و العين سلمت الاضحيه يدل بمفهومه على أنّه إذا لم تسلم الاذن و العين لم تسلم الاضحيه، و معنى عدم سلامتها عدم كفايتها فى الاتيان بالمستحب.

و هو المستفاد أيضا ممّا رواه فى الوسايل عن محمّد بن الحسن الصّفار باسناده عن شريح بن هانى عن علىّ صلوات اللّه عليه قال: أمرنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الأضاحى أن تستشرف العين و الاذن و نهانا عن الخرقاء و الشّرقاء و المقابله و المدابره.

و عن الصّدوق فى معانى الاخبار الخرقاء أن يكون فى الاذن نقب مستدير و الشرقاء المشقوقه الاذن باثنين حتّى ينفذ إلى الطرف و المقابله أن يقطع فى مقدم اذنها شيء ثمّ يترک ذلک معلقا لاثنين كأنه زنمه و يقال لمثل ذلک من الابل المزنم و المدابره ان يفعل ذلک بمؤخر اذن الشّاه.

و فى الوسايل أيضا عن السكونى عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا يضحّى بالعرجاء البيّن عرجها، و لا بالعوراء البيّن عورها و لا بالعجفاء، و لا بالخرقاء، و لا بالجدعاء، و لا بالعضباء هذا.

ص:۳۲۰

و لكن الأظهر هو أنّهما شرطا الكمال فيكون المراد بالأمر و النّهى فى روايه شريح هو الاستحباب و الكراهه دون الوجوب و الحرمه، و على الكراهه أيضا يحمل قوله: لا يضحّى بالعرجاء اه فى الرّوايه الثّانيه.

و يدلّ على ما ذكرناه ما رواه الحلبى قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الضّحيه تكون الاذن مشقوقه، فقال: إن كان شقّها و سما فلا باس و إن كان شقّا فلا يصلح، فان لفظه لا يصلح ظاهره فى نفى الكمال أو المراد بالاضحيه فى الرّوايتين هى الاضحيه الواجبه المسماه بالهدى دون المستحبه، و على ذلك فيبقى الامر و النهى و النّفى على ظاهرها فيكون الشّروط المذكوره شرطا للصّحه.

و يدلّ عليه ما رواه الصّدوق باسناده عن علىّ بن جعفر انّه سأل أخاه موسى ابن جعفر عليه السّلام عن الرّجل يشترى الاضحيه عوراء فلا يعلم إلّا بعد شرائها هل تجزى عنه؟ قال: نعم إلّا أن يكون هديا واجبا فانّه لا يجوز أن يكون ناقصا، هذا.

و لعلّ حمل الرّوايتين على الوجه الأخير أولى نظرا إلى فهم الأصحاب حيث إنّ بناء استدلالهم فى الشروط الواجبه للهدى عليهما و لا يتمّ إلّا بعد صرف الاضحيه فيهما إلى الهدى، و كيف كان فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ سلامه العين و الاذن فى الاضحيه شرط الكمال كما هو صريح روايه علىّ بن جعفر التى قد مرّت، و قد نصّ به غير واحد من الأصحاب أيضا، و عليه فلا بدّ أن يراد بقوله عليه السّلام فى الخطبه: و من تمام الاضحيه انه كمالها فافهم جيّدا

الثانی

أنّ كسر القرن الخارج مع سلامه الداخل و هو الابيض الذى فى وسط الخارج لا بأس به فى الهدى و الاضحيه جميعا، و أمّا كسر الدّاخل فان كان فى الهدى فلا يجزى قطعا، و أما فى الاضحيه فظاهر كلامه عليه السّلام على ما رواه السيّد (ره) يعطى الاجزاء، و أمّا على روايه الصّدوق الآتيه فالعدم، قال المحدّث الحرّ فى الوسائل بعد نقله روايه الصّدوق: و هو محمول على الاستحباب.

الثالث

أنّ المستفاد من كلامه هنا أيضا إجزاء العرجاء و على ما رواه الصّدوق فهى

أیضا غیر مجزیه و یطابقه قوله: و لا یضحّی بالعرجاء البیّن عرجها فی روایه السکونی السالفه، إلّا أن یراد بها التّضحیه بالواجب علی ما ذکرناه سابقا، قال العلامه (ره) فی محکیّ المنتهی العرجاء البیّن عرجها التی عرجها متفاحش یمنعها السّیر مع الغنم و مشارکتهنّ فی العلف و الرّعی فتهزل.

تکمله استبصاریه

روی الصّدوق هذه الخطبه فی الفقیه مرسله قال: و خطب علیه السّلام أی أمیر المؤمنین علیه السّلام فی عید الأضحی فقال اللّه أکبر اللّه أکبر لا إله إلّا اللّه و اللّه أکبر اللّه أکبر و للّه الحمد اللّه أکبر علی ما هدانا و له الشّکر علی ما «فیما» أولانا و الحمد للّه علی ما رزقنا من بهیمه الأنعام، و کان علیه السّلام یبدء بالتّکبیر إذا صلّی الظهر من یوم النّحر و کان یقطع التّکبیر آخر أیام التشریق عند الغداه، و کان یکبّر فی دبر کلّ صلاه فیقول: اللّه أکبر اللّه أکبر لا إله إلا اللّه و اللّه أکبر اللّه أکبر و للّه الحمد، فاذا انتهی إلی المصلّی تقدّم فصلّی بالنّاس بغیر أذان و لا إقامه، فاذا فرغ من الصّلاه صعد المنبر ثمّ بدء فقال:

اللّه أکبر اللّه أکبر زنه عرشه رضا نفسه و عدد قطر سمائه و بحاره له الأسماء الحسنی و الحمد للّه حتّی یرضی و هو العزیز الغفور، اللّه أکبر کبیرا متکبرا و إلها متّعزا و رحیما متحنّنا یعفو بعد القدره و لا یقنط من رحمته إلّا الضّالّون.

اللّه أکبر کبیرا و لا إله إلّا اللّه کثیرا و سبحانه اللّه حنّانا قدیرا و الحمد للّه نحمده و نستعینه و نستغفره و نستهدیه و نشهد أن لا إله إلّا هو و أنّ محمّدا عبده و رسوله، من یطع اللّه و رسوله فقد اهتدی و فاز فوزا عظیما، و من یعص اللّه و رسوله فقد ضلّ ضلالا بعیدا و خسر خسرانا مبینا.

أوصیکم عباد اللّه بتقوی اللّه و کثره ذکر الموت و الزّهد فی الدّنیا التی لم یتمتّع بها من کان فیها قبلکم، و لن تبقی لأحد من بعدکم، و سبیلکم فیها سبیل الماضین ألا ترون أنّها قد تصرّمت و آذنت بانقضاء و تنکّر معروفها و أدبرت حذّاء فهی تخبر «تحفز خ» بالفناء و ساکنها یحدی بالموت، فقد أمرّ منها ما کان حلوا و کدر منها ما کان

صفوا فلم يبق منها إلّا سملة كسملة الادواه و جرعه كجرعه الاناء و لو يتمزّزها الصّديان لم تنقع غلبه بها.

فازمعوا عباد اللّه بالرّحيل من هذه الدّار المقدور على أهلها الزّوال، الممنوع أهلها من الحياه المذلله أنفسهم بالموت، فلا حىّ يطمع بالبقاء و لا نفس إلّا مذعنه بالمنون، فلا يغلبنّكم الأمل، و لا يطل عليكم الأمد، و لا تغترّوا فيها بالآمال، و تعبّدوا للّه أيّام الحياه.

فو اللّه لو حننتم حنين الواله العجلان، و دعوتم بمثل دعاء الأنام، و جأرتم جؤار متبتّلى الرّهبان، و خرجتم إلى اللّه من الأموال و الأولاد التماس القربه إليه فى ارتفاع درجه عنده، أو غفران سيّئه أحصتها كتبه و حفظتها رسله، لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه و أتخوّف عليكم من أليم عقابه.

و باللّه لو انماثت قلوبكم انمياثا، و سالت عيونكم من رغبه إليه أو رهبه منه دما، ثمّ عمّرتم فى الدّنيا ما كانت الدّنيا باقيه ما جزت أعمالكم و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم لنعمه العظام عليكم، و هداه إيّاكم إلى الايمان ما كنتم لتستحقّوا أبد الدّهر ما الدّهر قائم بأعمالكم جنّته و لا رحمته و لكن برحمته ترحمون، و بهداه تهتدون، و بهما إلى جنّته تصيرون، جعلنا اللّه و إيّاكم برحمته من التّائبين العابدين.

و إنّ هذا يوم حرمته عظيمه و بركته مأموله، و المغفره فيه مرجوّه، فأكثروا ذكر اللّه و استغفروه و توبوا إليه إنّه هو التّواب الرّحيم، و من ضحّى منكم بجذع من المعز فانّه لا يجزى عنه، و الجذع من الضّأن يجزى، و من تمام الاضحيه استشراف عينها و اذنها، و إذا سلمت العين و الاذن تمّت الاضحيه، و إن كانت عضباء القرن أو تجرّ برجلها إلى المنسك فلا تجزى.

و إذا ضحيتم فكلوا و أطعموا و اهدوا و احمدوا اللّه على ما رزقكم من بهيمه الانعام و أقيموا الصّلاه، و آتوا الزكاه، و أحسنوا العباده، و أقيموا الشّهاده، و ارغبوا فيما كتب عليكم و فرض الجهاد و الحجّ و الصّيام، فانّ ثواب ذلك عظيم لا ينفذ، و تركه و بال لا يبيد، و أمروا بالمعروف، و انهوا عن المنكر، و اخيفوا

ص:۳۲۳

الظالم، و انصروا المظلوم، و خذوا على يد المريب و احسنوا إلى النساء و ما ملكت أيمانكم، و اصدقوا الحديث، و أدّوا الامانه و كونوا قوّامين بالحقّ، و لا تغرنّكم الحياه الدّنيا و لا يغرنّكم باللّه الغرور

الترجمه

بعض ديگر از اين خطبه در ياد كردن عيد قربان در صفت گوسفند قربانى بيان مى فرمايد: كه از تمامى گوسفند قربانيست درازى گوش او و سلامتى چشم او پس هر گاه سلامت باشد گوش و چشم بسلامت باشد آن قربانى و بمرتبۀ تماميت مى رسد، و اگر چه باشد گوسفند شاخ شكسته و بكشد پاى خود را بسبب لنگى بسوى رفتن بموضع عبادت كه عبارتست از قربانگاه، و اللّه أعلم بالصّواب، و إليه المآب.

و من خطبه له عليه السلام و هى الثالثه و الخمسون

اشاره

من المختار فى باب الخطب

فتداكّوا علىّ تداكّ الإبل الهيم يوم وردها قد أرسلها راعيها و خلعت مثانيها، حتّى ظننت أنّهم قاتلىّ، أو بعضهم قاتل بعض لدىّ، و قد قلّبت هذا الأمر بطنه و ظهره، حتّى منعنى النّوم فما وجدتنى يسعنى إلاّ قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فكانت معالجه القتال أهون علىّ من معالجه العقاب، و موتات الدّنيا أهون علىّ من موتات الآخره.

اللغه

(الدّك) هو الدّق و التّداك مأخوذ منه و (الهيم) بالكسر العطاش و (الورد)

الشّرب و فی بعض النّسخ یوم ورودها و هو حضورها لشرب الماء و (المثانی) جمع مثناه بالفتح و الکسر و هی الحمال من صوف أو شعر یثنی و یعقل بها البعیر و (قاتلی) علی صیغه الجمع مضافه إلی یاء المتکلم، و (وجدتنی) علی صیغه المتکلم.

الاعراب

بعضهم بالنّصب عطف علی محلّ اسم انّ و النّوم منصوب بنزع الخافض، و جمله یسعنی مفعول ثان، و علی فی قوله اهون علیّ، للاستعلاء المعنوی علی حدّ قوله تعالی «وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ».

المعنی

قال الشّارح البحرانی: هذا الکلام إشاره إلی صفه أصحابه بصفّین لمّا طال منعهم من قتال أهل الشّام و فی البحار أنّ کثیرا من الشّواهد تدلّ علی أنّه لبیان حاله البیعه لا سیّما ما کان فی نسخه ابن أبی الحدید فانه ذکر العنوان: و من کلام له علیه السّلام فی ذکر البیعه و کیف کان فقوله(فتداکّوا علیّ تداکّ الابل الهیم یوم وردها)کنایه عن شدّه ازدحامهم یعنی أنّهم اجتمعوا علیّ و تزاحموا مثل تزاحم الابل العطاش حین شرب الماء تدکّ بعضها بعضا (قد أرسلها راعیها و خلعت مثانیها) ای اطلقها راعیها و خلع عقالها (حتّی ظننت انّهم قاتلی أو بعضهم قاتل بعض لدیّ) لفرط ما شاهدت منهم من الزّحام و شدّه ما رأیت منهم من الاجتماع و التداکّ (و قد قلبت هذا الأمر بطنه و ظهره) و صرت أتفکّر فی أمر القتال مع أهل الشّام و أتردّد بین الاقدام علیه و ترکه، او المراد أمر الخلافه حسبما استظهره المحدّث المجلسی (حتّی منعنی) ذلک من (النّوم) و الکری (فما وجدتنی یسعنی إلّا قتالهم) ای قتال معاویه و أصحابه علی ما ذکره البحرانی أو قتال النّاکثین علی ما ذکره المجلسی «قد» (او الجحود بما جاء به محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم) و قد مرّ وجه انحصار أمره فی القتال و الجحود فی شرح کلامه الثّالث و الأربعین مفصّلا و قد ذکرنا هناک أنّه کان مأمورا من اللّه و من رسوله بقتال النّاکثین و القاسطین

ص:۳۲۵

و المـارقين، فكان أمره دائرا بين الجهاد و القتال امتثالا لحكم اللّه و حكم رسوله و بين الترك و المنابـذه المسـتلزمين للجحود و المخالفه و العقاب فى الآخره (فكانت معالجه القتال أهون علىّ من معالجه العقاب) إذ سـعاده الدّنيا و شـقاوتها و نعمتها و نقمتها لا نسـبه لها إلى سـعاده الآخره و شقوتها، لأنّها فانيه لا تبقى و تلك دائمه لا تزول (و موتات الدّنيا أهون علىّ من موتات الآخره) و المراد بموتـات الـدّنيا شدايـدها و أهوالهـا و متاعبهـا بقرينه موتـات الآـخره، و يحتمـل أن يراد بالاـولى أنواع الموت و بالثّـانيه الشّدايد التى هى أشدّ من الموت

الترجمه

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن حضـرت است كه اشاره است بحال اصحاب خود در صفين در حينى كه ايشان را منع مى فرمود از قتـال أهـل شام بجهه اين كه حرص و شوق ايشان بجهاد بيشتر گردد بملاحظـهٔ اين كه طبيعت انسان مجبولست به آن كه هر چند او را از امرى منع نمايند شوق او و در طلب او زياد خواهد شد چنانكه گفته اند:

أحبّ شـىء إلى الانسان مامنعا، و يا اشاره است بحال بيعت كنـدگان مرا و را بعـد از قتل عثمان كه ازدحام داشـتند در بيعت او مى فرمايد:

پس كوفتنـد يكـديگر را بر سـر بيعت من چون كوفتن شتران تشـنه يكـديگر را در روز وارد شـدن ايشـان بر آب در حالتى كه واگذاشـته باشد ايشان را چرانندهٔ ايشان و بر كنده شده باشد ريسـمانهاى زانو بند ايشان تا اين كه گمان كردم كه ايشان كشندهٔ منند يا بعض ايشان كشـندهٔ بعض ديگرند نزد من و بتحقيق كه برگرداندم پشت و شكم اين كار را حتّى اين كه بازداشت تفكّر در آن مرا از خواب، پس نيـافتم خود را كه وسـعت داشته باشـد بمن امرى مگر كار زار نمودن با أهل شام يا با طلحه و زبير و اتبـاع ايشـان، و يـا انكـار نمودن به آن چه كه آمـده است بـا او حضـرت خاتم الأنبياء از جانب حقّ جلّ و علا، پس شـد علاج جنگ نمودن و كوشش نمودن در آن آسان تر نزد من از علاج كردن عقاب و عـذاب، و مرگ هاى دنيا آسانتر در نزد من از مرگ هاى آخرت و سختيهاى روز قيامت

و من كلام له عليه السّلام و هو الرابع و الخمسون من المختار

اشاره

فى باب الخطب

و قد استبطأ اصحابه اذنه لهم فى القتال بصفين أمّا قولكم أكلّ ذلك كراهيه الموت فو اللّه ما أبالى أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ، و أمّا قولكم شكاّ فى أهل الشّام فو اللّه ما دفعت الحرب يوما إلاّ و أنا أطمع أن تلحق بى طايفه فتهتدى بى و تعشو إلى ضوئى و ذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها و أن كانت تبوء بآثامها.

اللغه

(عشى) إلى نار و إليها يعشو عشوا رآها ليلا من بعيد ببصر ضعيف فقصدها، و يقال لكلّ قاصد عاش، قال الشّاعر:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

و (باء) باثمه رجع به قال سبحانه:

«إِنِّی أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِی وَ إِثْمِکَ » اى ترجع إلى ربّك متلبّسا باثمى و اثمك

الاعراب

كلّ ذلك فى بعض النّسخ بالنّصب فيكون مفعولا لفعل محذوف، و كراهيّه منصوب على المفعول لاجله اى تفعل كلّ ذلك لأجل كراهيّه الموت، و فى أكثر النّسخ كلّ مرفوع فيكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره أكلّ هذا مفعول او تفعله كراهيه للموت، و جوز فى الكراهيه الرّفع أيضا على قراءه كلّ بالرّفع على أنّه خبر منه و شكّا منصوب على أنّه مفعول له أيضا و عامله محذوف أى إنّى اسامح فى القتال للشّك، او منصوب على المصدريّه أى أشكّ شكّا

ص:۳۲۷

المعنى

اعلم أنّه قد روى أنّه لمّا ملك أمير المؤمنين الماء بصفّين و سمح بأهل الشّام فى المشاركه و المساهمه رجاء أن يعطفوا إليه استماله لقلوبهم و إظهار المعدله و حسن السّيره فيهم، مكث أيّاما لا يرسل إلى معاويه أحدا و لا يأتيه من عنده أحد، قال له أهل العراق: يا أمير المؤمنين خلّفنا نسائنا و ذرارينا بالكوفه و جئنا إلى أطراف الشّام لنتّخذها وطنا ائذن لنا فى القتال فانّ النّاس قد قالوا، قال لهم: ما قالوا؟ فقال منهم قائل: إنّ النّاس يظنّون أنّك تكره الحرب كراهيه للموت و أنّ من النّاس من يظنّ أنّك فى شكّ من قتال أهل الشّام فأجابهم عليه السّلام بذلك و ردّ زعم الفرقه الاولى بقوله (أمّا قولكم أ كل ذلك كراهيّه الموت فو اللّه ما أبالى أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إلى) ضروره أنّ العارف باللّه بمعزل عن تقيّته الموت خصوصا من بلغ الغايه فى الكمالات النّفسانيه و الخصال القدسيّه و ردّ زعم الفرقه الثّانيه بقوله (و أمّا قولكم شكّا فى أهل الشّام فو اللّه ما دفعت الحرب يوما إلا و أنا أطمع أن تلحق بى طائفه) منهم (فتهتدى بى و تعشو إلى ضوئى) و تستضيئوا بى و فيه تعريض بضعف بصائر أهل الشّام فهم فى الاهتداء بهداه كمن يعشو ببصر ضعيف إلى النّار فى الليل و لمّا كان المقصود بالذات للأنبياء و الأولياء هو اهتداء الخلق بهم و الاكتساب من كمالاتهم و الاستضائه بأنوارهم، و كان تحصيل ذلك المقصود باللّطف و الرّفق أولى من القتل و القتال، لا جرم حسن انتظاره بالحرب و مدافعتها يوما فيوما طمعا لأن يلحق به منهم من يجذب العنايه الالهيّه بذهنه و يجرّه نور التّوفيق الأزلى إلى مدارج الكمال و اليقين و سلوك طريق الحقّ المبين و لأجل ذلك رتّب عليه قوله (و ذلك أحبّ إلىّ من أن أقتلها على ضلالها و ان كانت) الطائفه الضّالّه (تبوء) إلى ربّها (بآثامها)

ص:۳۲۸

إذ «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أَخْرى »

الترجمه

از جمله کلام آن عالیمقام است در حالتی که دیر شمردند اصحاب او رخصت و اذن دادن او ایشان را در جنگ صفین که فرمود:

امّا گفتار شما که آیا این همه تعلّل و تأخیر و منع از قتال بجهه مکروه داشتن مرگست و فنا پس قسم بخداوند که هیچ باک ندارم که داخل شوم بسوی مرگ یا خارج شود مرگ بسوی من، و أمّا گفتار شما که این تاخیر و مسامحه بجهه شک من است در قتال أهل شام پس بحقّ خدا که دفع نکردم حرب را یک روز مگر بملاحظه طمعی که دارم در این که لاحق شود بمن طایفه پس هدایت یابند بجهه اقتداء بمن و بنگرند بچشم ضعیف بسوی روشنی راه من، و این محبوب تر است نزد من از آنکه بکشم آن گروه را بگمراهی ایشان و اگر چه باشند که باز می گردند بگناهان خود در آن جهان.

و من كلام له عليه السّلام و هو الخامس و الخمسون

اشاره

من المختار فى باب الخطب

و قد قاله فى قصّه ابن الحضرمى بعد إصابه محمّد بن أبى بكر بمصر حسبما تطلع عليه لا فى يوم صفّين على ما زعمه الشّارح البحرانى و لقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نقتل آبائنا و أبنائنا و إخواننا و أعمامنا ما يزيدنا ذلک إلّا إيمانا و تسليما، و مضيّا على اللّقم، و صبرا على مضض الألم، و جدّا فى جهاد العدوّ، و لقد كان الرّجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقى

ص:۳۲۹

صاحبه كأس المنون، فمرّه لنا من عدوّنا و مرّه لعدوّنا منّا، فلمّا رأى اللّه صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، و أنزل علينا النّصر، حتّى استقرّ الاسلام ملقيا جرانه، و متبوّء أوطانه و لعمرى لو كنّا نأتى ما أتيتم ما قام للدّين عمود، و لا اخضرّ للإيمان عود، و أيم اللّه لتحتلبنّها دما، و لتتبعنّها ندما.

اللغه

(لقم) الطريق بالتّحريك الجادّه الواضحه و (المضض) بفتح الأوّل و الثانى أيضا وجع الالم و (الصّوله) الحمله و التصاول مأخوذ منه و هو أنّ يحمل كلّ واحد من القرنين على صاحبه و (التخالس) التّسالب و (الكبت) الاذلال و (جران) البعير مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره و (تبوّأت) المنزل نزلته

الاعراب

جمله يتصاولان فى محلّ النّصب على الخبريّه، و أيّهما يسقى بالرّفع مرفوع على الابتداء، و جمله يسقى خبره و ایّ هذه استفهاميّه لا يجوز كونها موصوله لفساد المعنى مضافا إلى أنّ الموجود فى النّسخ رفعها، و لو كانت موصوله لا بدّ من انتصابها قال نجم الأئمه الرّضىّ: يتبيّن الاستفهام من غيره فى أىّ لكونه معربا تقول فى الاستفهام علمت أيهم قام برفع أىّ، و إذا كان موصولا قلت علمت أيّهم قام بنصبه و ليس معنى الاستفهام هنا هو استفهام المتكلّم للزوم التّناقض لأنّ علمت المقدّم على أيّهم مفيد أنّ قائل هذا الكلام عارف بنسبه القيام إلى القائم المعيّن، لأنّ العلم واقع على مضمون الجمله فلو كان أىّ لاستفهام المتكلّم لكان دالّا على أنّه لا يعرف انتساب القيام إليه، لأنّ ايّهم قام استفهام عن مشكوك فيه هو انتساب القيام إلى معين ربّما يعرفه الشّاك بانّه زيد أو غيره، فيكون المشكوك فيه اذن النّسبه و قد كان المعلوم هو تلك النّسبه و هو تناقض فنقول اذن أداه الاستفهام لمجرّد الاستفهام

لا لاستفهام المتكلّم و المعنى عرفت المشكوك فيه الذى يستفهم عنه و هو أنّ نسبه القيام إلى أىّ شخص هى ثمّ قال: ثمّ اعلم أنّ جميع أدوات الاستفهام ترد على الوجه المذكور أى لمجرّد الاستفهام لا لاستفهام المتكلّم بعد كلّ فعل شكّ لا ترجيح فيه لأحد الجانبين على الآخر لتبيين المشكوك فيه نحو شككت أزيد فى الدّار أم عمرو، و نسيت أو تردّدت أقوم أم أقعد، كما ترد بعد كلّ فعل يفيد العلم كعلمت و تبيّنت و دريت و بعد كلّ فعل يطلب به العلم كفكرت و امتحنت و بلوت و سألت و استفهمت و جميع أفعال الحواس الخمس كلمست و أبصرت و نظرت و استمعت و شممت و ذقت، تقول: تفكرت أزيد يأتينى أم عمرو، و قد يضمر الدّالّ على التفكّر كقوله تعالى:

«يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ ».

أى مفكّرا أ يمسكه أم يدسّه و فى نهج البلاغه: يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون، أى مفكّرين أيّهما يسقى انتهى كلامه رفع مقامه و مرّه، منصوب على الظرفيّه و العامل محذوف تقديره فمرّه تكون الدواله لنا من عدوّنا و مرّه تكون له منّا، و ملقيا و متبوء منصوبان على الحاليّه، و دما و ندما منصوبان على التّميز

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مقصوده بهذا الكلام توبيخ أصحابه على التّثاقل عن الجهاد و التّقصير فى الحرب، فمهّد قبل الاتيان بمقصوده مقدّمه تهييجا لهم و الهابا بالاشاره إلى حاله و حال ساير الصّحابه فى الثّبات على الشّدايد و تحمّل المشاق فى الحروب فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله.

و ذلك قوله:(و لقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نقتل آبائنا و أبنائنا و اخواننا و أعمامنا) ابتغاء لمرضات اللّه (ما يزيدنا ذلك إلّا ايمانا) باللّه (و تسليما) لقضاء اللّه

ص:۳۳۱

(و مضيّا على اللّقم) و الجادّه الوسطى (و صبرا على مضض الألم) و مراره البلاء (و جدّا فى جهاد العدوّ) و الخصماء (و لقد كان الرّجل منّا و الآخر من عـدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسـهما) مفكرين (أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون) و جرع الموت (فمرّه) كـانت الـدّواله (لنـا من عـدوّنا و مرّه) اخرى كـانت (لعـدوّنا منّا فلمّا رأى اللّه صـدقنا) و علم اسـتعدادنا و قابليّتنا بمشاهده الصّبر و الثبات الذى كان منّا (أنزل بعدوّنا الكبت) و الخذلان (و أنزل علينا النّصر) و التّأييد.

كمـا قـال سـبحانه: «يـا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ اَلْآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَ اللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ » (حتّى) انتظـم أمر الـدّين و(اسـتقرّ الاسـلام ملقيا جرانه)تشبيه الاسـلام بالبعير اسـتعاره بالكنايه و اثبات الجران تخييل و ذكر الالقاء ترشـيح و كـذلك قوله(و متبوّء أوطانه)اسـتعار لفظ التبوّء و نسـبه إلى الأوطان تشبيها له بمن كان من النّاس خائفا متزلزلا غير مسـتقرّ ثمّ اطمأنّ و اسـتقرّ فى وطنه، و استعار لفظ الأوطـان لقلوب المؤمنين و كنّى يتبوّء أوطـانه عن اسـتقراره فيهـاثمّ إنّه بعـد مـا مهّـد المقـدّمه الـتى أشـرنا اليهـا رجع إلى مـا هو مقصوده الأصـلى من سوق الكلام، و هو تنبيه الأصحاب على التّقصير و التفريط فقال:(و لعمرى لو كنّا نأتى) مثل (ما أتيتم) يعنى لو قصـرنا فى بـدو الاسـلام كتقصـيركم اليوم(ما قام للـدّين عمود و لا اخضـرّ للايمان عود)الأوّل تشبيه للدّين بالبيت ذى العمود الـذى قوائمه عليه و لولاـه لا نهـدم و خرب و الثانى تشبيه للايمان بالشّجره ذات الفروع و الاغصان التى بهجتها و نضارتها بها(و أيم اللّه لتحتلبنّها دما)قال البحرانى استعار لفظ حلب الـدّم لثمره تقصـيرهم و تخاذلهم عمّا يدعوهم إليه من الجهاد، و لاحظ فى تلك الاستعاره تشبيههم لتقصيرهم فى أفعالهم

ص:٣٣٢

بالنّاقه التی اصیب ضرعها ناقه من تفریط صاحبها فیها، و الضّمیر المؤنث یرجع فی المعنی إلی أفعالهم، و کذلک الضّمیر فی قوله: (و لتتبعنّها ندما)فانّ ثمره التّفریط النّدامه

تنبیه

زعم الشّارح البحرانی أنّ هذا الکلام صدر منه یوم صفّین حین أقرّ النّاس بالصّلح و أنّه هو الذی قدّمنا ذکره فی شرح الخطبه الخامسه و الثلاثین بروایه نصر ابن مزاحم عند شرح کیفیّه التّحکیم، و لکنّ الأظهر بملاحظه الاختلاف بین ما هنا و ما سبق أنّه لیس بذلک، و المستفاد من روایه الواقدی الآتیه أنّه قال فی قضیّه ابن الحضرمی.

و أصل تلک القضیّه علی ما رواه ملخّصا فی البحار من کتاب الغارات لابراهیم ابن محمّد الثقفی هو أنّ معاویه لمّا أصاب محمّد بن أبی بکر بمصر بعث عبد اللّه بن عامر الحضرمی إلی أهل البصره لیدعوهم إلی نفسه و إلی الطلب بدم عثمان، فلما أتاهم و قرء علیهم کتاب معاویه اختلفوا، فبعضهم ردّوا و أکثرهم قبلوا و أطاعوا، و کان الأمیر یومئذ بالبصره زیاد بن عبید، و قد استخلف عبد اللّه بن العبّاس و ذهب إلی علیّ لیعزیه عن محمّد بن أبی بکر فلمّا رأی زیاد إقبال النّاس علی ابن الحضرمی استجار من الأزد و نزل فیهم، و کتب إلی ابن عبّاس و أخبره بما جری، فرفع ابن عبّاس ذلک إلی علیّ علیه السّلام و شاع فی النّاس بالکوفه ما کان من ذلک و اختلف أصحابه علیه السّلام فیمن یبعثه الیهم فقال علیه السّلام:

تناهوا أیّها النّاس و لیرد عکم الاسلام و وقاره عن التباغی و التّهاوی، و لتجتمع کلمتکم، و الزموا دین اللّه الذی لا یقبل من أحد غیره، و کلمه الاخلاص التی هی قوام الدّین، و حجّه اللّه علی الکافرین، و اذکروا إذ کنتم قلیلا مشرکین متباغضین متفرّقین، فألف بینکم بالاسلام، فکثّرتم و اجتمعتم و تحاببتم، فلا تتفرّقوا بعد إذ اجتمعتم، و لا تباغضوا بعد إذ تحاببتم، و إذا رأیتم النّاس و بینهم النّایره و قد تداعوا إلی العشائر و القبائل فاقصدوا لهامهم و وجوههم بسیوفکم حتی یفرغوا إلی اللّه و کتابه و سنّه نبیه صلّی اللّه علیه و آله، فأمّا تلک الحمیه فانها من خطوات الشیطان فانتهوا عنها لا أبا لکم

ثمّ قال: و قال ابن أبى الحديد: و روى الواقدى أنّ عليّا استنفر بنى تميم أيّاما لينهض منهم إلى البصره من يكفيه أمر ابن الحضرمى و يردّ عاويه بنى تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه أحد فخطبهم و قال:

أليس من العجب أن ينصرنى الأزد و يخذلنى مضر، و أعجب من ذلك تقاعد بنى تميم الكوفه بى و خلاف بنى تميم البصره و أن أستنجد بطائفه منهم ما يشخص إلى أحد منها فيدعوهم إلى الرّشاد فان أجابت و إلاّ فالمنابذه و الحرب، فكأنى اخاطب صمّا بكما لا يفقهون حوراء و لا يجيبون نداء، كلّ ذلك حبّا عن النّاس و حبّا للحياه، لقد كنّا مع رسول اللّه نقتل آبائنا إلى آخر ما مرّ فى المتن قال: فقام إليه أعين بن صبيعه المجاشعى فقال: أنا إنشاء اللّه أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب و أتكفّل لك بقتل ابن الحضرمى و إخراجه عن البصره، فأمره بالتّهيؤ للشخوص فشخص حتّى قدم البصره قال: قال الثّقفى فى كتاب الغارات: فلمّا قدمها دخل على زياد و هو بالأزد مقيم فرحّب به و أجلسه إلى جانبه فأخبره بما قال له علىّ و أنّه ليكلّمه إذ جاءه كتاب من علىّ فيه:

من عبد اللّه أمير المؤمنين علىّ إلى زياد بن عبيد، سلام عليك أمّا بعد فانّى قد بعثت أعين بن صبيعه ليفرّق قومه عن ابن الحضرمى فارقب ما يكون منه فان فعل و بلغ من ذلك ما يظنّ به و كان فى ذلك تفريق تلك الأوباش فهو ما نحبّ، و إن ترامت الامور بالقوم إلى الشّقاق و العصيان فانبذ من أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم، فان ظفرت فهو ما ظننت، و الاّ فطاولهم و ما طلهم فكان كتائب المسلمين قد أظلت عليك، فقتل اللّه الظالمين المفسدين، و نصر المؤمنين المحقّين و السّلام فلمّا قرأه زياد أقرئه أعين بن صبيعه فقال له: إنّى لأرجو أن يكفى هذا الأمر إنشاء اللّه، ثمّ خرج من عنده فأتى رحله فجمع إليه رجالا من قومه فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

يا قوم على ما ذا تقتلون أنفسكم و تهريقون دمائكم على الباطل مع السّفهاء

و الاشـرار، و إنّى و اللّه ما جئتكم حتّى عبّيت إليكم الجنود، فان تنيبوا إلى الحقّ نقبل منكم و نكفّ عنكم، و إن أبيتم فهو و اللّه استيصـالكم و بواركم فقـالوا بل نسـمع و نطيع فقال: انهضوا اليوم على بركه اللّه، فنهض بهم على جماعه ابن الحضـرمى فخرجوا إليه فصـافوه و وافقهم عـامّه يومه يناشـدهم اللّه و يقول: يـا قوم لاـ تنكثوا بيعتكم و لاـ تخالفوا إمامكم و لا تجعلوا على أنفسـكم سبيلا، فقد رأيتم و جرّبتم كيف صنع اللّه بكم عند نكثكم بيعتكم و خلافكم، فكفّوا عنه و هم فى ذلك يشتمونه فانصرف عنهم و هو منهم منتصف فلمّـا آوى إلى رحله تبعه عشـره نفر يظنّ النـاس أنهم خوارج فضـربوه بأسـيافهم و هو على فراشه لاـ يظنّ انّ الذى كان يكون فخرج يشتدّعريانا فلحقوه فى الطريق فقتلوه فكتب زياد إلى علىّ عليه السّلام ما وقع، و كتب أنى أرى أن تبعث إليهم جاريه بن قدامه فانه نافذ البصـيره، و مطاع فى العشيره، شديد على عدوّ أمير المؤمنين فلما قرء الكتاب دعا جاريه فقال عليه السّـلام، يابن قدامه تمنع الأزد عاملى و بيت مالى و تشاقّنى مضـروتنا بذنى و بنا ابتدأها اللّه بالكرامه، و عرفها الهدى و تدعو الى المعشر الذين حادّوا اللّه و رسوله و أرادوا إطفاء نور اللّه سبحانه حتّى علت كلمته عليهم و أهلك الكافرين.

فروى إبراهيم باسـناده عن كعب بن قعين قال: خرجت مع جاريه من الكوفه فى خمسين رجلا من بنى تميم و ما كان فيهم يمانىّ غيرى و كنت شديد التّشـيّع فقلت لجاريه إن شـئت كنت معك و إن شـئت ملت إلى قومى، فقال، بل سر معى فو اللّه لوددت أنّ الطير و البهايم تنصـرنى عليهم فضـلا عن الانس، فلما دخلنا البصره بدء بزياد فرحّب به و أجلسه إلى جانبه و ناجاه ساعه و سائله، ثمّ خرج فقام فى الأزد فقال: جزاكم اللّه من حىّ خير الجزاء، ثمّ قرء عليهم و على غيرهم كتاب أمير المؤمنين فاذا فيه:

من عبد اللّه أمير المؤمنين إلى من قرء عليه كتابى هذا من ساكنى البصـره من المؤمنين و المسلمين، سلام عليكم أمّا بعد فانّ اللّه حليم ذو اناه لا يعجل بالعقوبه قبل البيّنه،

و لا يأخذ المذنب عند أوّل و هله، و لكنّه يقبل التّوبه، و يستديم الاناه، و يرضى بالانابه ليكون أعظم للحجّه و أبلغ فى المعذره.

و قد كان من شقاق جلّكم أيّها النّاس ما استحققتم أن تعاقبوا عليه، فعفوت عن مجرمكم، و رفعت السّيف عن مدبركم، و قبلت من مقبلكم، و أخذت بيعتكم، فان تفوا ببيعتى و تقبلوا نصيحتى و تستقيموا على طاعتى، أعمل فيكم بالكتاب و قصد الحقّ، و اقم فيكم سبيل الرّشد، فو اللّه ما أعلم أنّ واليا بعد محمّد صلّى اللّه عليه و آله أعلم بذلك منّى و لا أعلم، أقول قولى هذا صادقا غير ذامّ لمن مضى و لا منتقصا لأعمالهم و إن خطت بكم الأهواء المرديه و سفه الرّأى الجائر إلى منا بذتى و تريدون خلافى فها أناذا قربت جيادى و رحلت ركابى.

و أيم اللّه لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعه لا يكون يوم الجمل عندها إلّا كلعقه لاعق، و إنّى لظانّ إنشاء اللّه أن لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا، و قد قدمت هذا الكتاب حجه عليكم، و ليس أكتب إليكم من بعده كتابا إن أنتم استغششتم نصيحتى، و نابذتم رسولى حتّى أكون، أنا الشّاخص نحوكم إنشاء اللّه و السّلام.

فلما قرء الكتاب على النّاس قام صبره بن شقان فقال: سمعنا و أطعنا و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم سلم، إن كفيت يا جاريه قومك بقومك فذاك، و إن أحببت أن ننصرك نصرناك، و قام وجوه النّاس فتكلّموا مثل ذلك فلم يأذن لأحد أن يصير معه و مضى نحو بنى تميم و كلّمهم فلم يجيبوه، و خرج منهم أوباش فنا و شوه بعد أن شتموه، فأرسل إلى زياد و الأزد يستصرخهم و يأمرهم أن يسيروا إليه.

فسارت الأزد بزياد، و خرج إليهم ابن الحضرمى فاقتتلوا ساعه و اقتتل شريك ابن أعور الحارثى و كان من شيعه علىّ و صديقا لجاريه، فما لبث بنو تميم أن هزموهم و اضطروهم إلى دار سبيل السّعدى، فحصروا ابن الحضرمى فيها، و أحاط جاريه و زياد بالدّار، و قال جاريه علىّ بالنّار، فقالت الأزد: لسنا من الحريق

فی شیء و هم قومک و أنت أعلم، فحرق جاریه الدّار علیهم، فهلک ابن الحضرمی فی سبعین رجلا أحدهم عبدّ الرحمن بن عثمان القرشی، و سارت الأزد بزیاد حتّی أوطئوا قصر الاماره، و معه بیت المال و قالت له: هل بقی علینا من جوارک شیء؟ قال: لا، فانصرفوا عنه و کتب زیاد إلی أمیر المؤمنین: أمّا بعد فانّ جاریه بن القدامه العبد الصالح قدم من عندک، فناهض جمع ابن الحضرمی ممّن نصره و أعانه من الأزد، فقصّه و اضطره إلی دار من دور البصره فی عدد کثیر من أصحابه، فلم یخرج، حتّی حکم اللّه بینهما، فقتل ابن الحضرمی و أصحابه، منهم من احرق و منهم من القی علیه جدار و منهم من هدم علیه البیت من أعلاه، و منهم من قتل بالسّیف، و سلم منهم نفر فتابوا و أنابوا فصفح عنهم، و بعد المن عصی و غوی و السّلام علی أمیر المؤمنین و رحمه اللّه و برکاته.

فلما وصل الکتاب قرأه علی النّاس فسرّ بذلک و سرّ أصحابه و أثنی علی جاریه و علی الأزد، و ذمّ البصره فقال إنّها أوّل القری خرابا إمّا غرقا و إما حرقا حتّی یبقی مسجدها کجؤجؤ سفینه.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در بیان حال اصحاب سید ابرار و تحریص اصحاب خود را بر این که متابعت نمایند بر ایشان در افعال و کردار و ثابت قدم باشند در روز مصاف و کارزار که می فرماید:

و هر آینه بتحقیق بودیم ما با رسول خدا صلوات اللّه و سلامه علیه و آله در حالتی که می کشتیم پدران خود را و پسران خود را و برادرها و عموهای خود را، زیاده نمی ساخت ما را آن کشتن مگر ایمان و تسلیم و گذشتن بر راه راست مستقیم و صبر نمودن بر سوزش الم و محن و جد و جهد کردن در محاربهٔ دشمن، و هر آینه بود در زمان پیغمبر که مردی از ما و مردی دیگر از دشمن ما حمله می آوردند بر یکدیگر مثل حمله آوردن دو نر با قوّهٔ تمامتر که می ربودند نفس یکدیگر در

حالتی که فکر می نمودند که کدام یک از ایشان می نوشاند به همراه خود کاسهٔ مرگ را.

پس یک بار نوبت گردش دولت ما را بود از دشمن ما، و بار دیگر دشمن ما را بود از ما، پس چون که دید حق سبحانه و تعالی صدق و راستی ما را نازل فرمود بر دشمن ما ذلت و خواری را، و نازل فرمود بر ما نصرت و یاری را، تا این که قرار گرفت دین اسلام در حالتی که افکنده بود پیش گردن را بر زمین مثل شتر آرام گیرنده، و جای گیرنده بود در مکانهای خود که عبارتست از قلوب مؤمنان گرونده.

و سوگند به زندگانی خودم که اگر می بودیم ما در آن زمان که می آمدیم با مثل آنچه که شما آمدید به آن یعنی تقصیر می کردیم در حرب چنانچه شما تقصیر می کنید بر پای نمی شد از برای دین هیچ ستونی، و سبز نمی شد از برای ایمان هیچ شاخ و دعوی، و بحق خدا سوگند هر آینه می دوشید از آن حالت تقصیر خون را بعوض شیر، و در می آورید پشیمانی را عقب آن حالت تفریط و تقصیر، و اللّه أعلم بحقایق کلماته.

و من كلام له عليه السّلام و هو السادس و الخمسون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

أما إنّه سيظهر عليكم بعدی رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، و يطلب ما لا يجد، فاقتلوه، و لن تقتلوه، ألا و إنّه سيأمركم بسبّی و البراءه منّی، فأمّا السّبّ فسبّونی، فإنّه لی زكاه و لكم نجاه، و أمّا البراءه فلا تتبرّؤا منّی، فإنّی ولدت على الفطره،

و سبقت إلى الإيمان و الهجره.

اللغه

(ظهر) عليه غلب و (رحب البلعوم) و اسعه و البلعوم بضّم الباء مجرى الطعام فى الحلق و (المندحق) البارز من اندحقت رحم النّاقه إذا خرجت من مكانه و (الفطره) بالكسر الخلقه و المراد بها الاسلام.

الاعراب

أما بالفتح و التّخفيف حرف استفتاح بمنزله ألا قال الرّضىّ كانّهما مركبان من همزه الانكار و حرف النّفى، و نفى النّفى اثبات ركبا لافاده الاثبات و التّحقيق و قول الشّارح البحرانى يحتمل أن يكون المشدّده و التّقدير أما بعد إنّه كذا، فيه أنّ أمّا الشّرطيه يلزمها الفاء بعدها اللازمه للشّرط و لا يجوز حذفها إلاّ فى مقام الضّروره قال الشّاعر:

فأمّا القتال لا قتال لديكم

و أيضا فانّهم قد قالوا فى كتب الأدبيّه إنّ أمّا بعد أصله مهما يكن من شىء بعد الحمد فوقعت كلمه أما موقع اسم هو المبتدأ و فعل هو الشّرط و تضمّنت معناهما فلتضمّنها معنى الابتداء لزمها لصوق الاسم اللاّزم للمبتدأ أداء بحقّ ما كان و إبقاء له بقدر الامكان، و لتضمّنها معنى الشّرط لزمتها الفاء، فعلى ما ذكروه يستلزم حذف كلمه بعد القائها عن اصلها و عدم أداء الحقّ الواجب مراعاته.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السّلام اخبار ببعض ما يبتلى به أهل الكوفه بعده و أمر لهم بما يجب عليهم أن يعملوه حين الابتلاء بتلك البليّه فخاطبهم بقوله (أما انّه سيظهر عليكم بعدى رجل) أكول (رحب البلعوم مندحق البطن) و هو لفرط حرصه بالأكل (يأكل ما يجد و يطلب ما لا يجد) و حيث أدركتموه (فاقتلوه) لعدوله عن طريق السداد و كونه من أهل الزّندقه و الالحاد (و لن تقتلوه ألا و إنّه سيأمركم بسبّى)

ص:٣٣٩

لشدّه ما فيه من الكفر و النّفاق (و بالبرائه منّى) لغلبه ما عليه من البغضاء و الشقاق (فأما السّبّ فسبّونى فانّه لى زكاه) إذ ذكر المؤمن بسوء هو زكاه له و سبّه ما ليس فيه هو زياده فى جاهه و شرفه كما ورد فى الحديث (و لكم نجاه) إذ مع السّبّ يرتفع التهمه عنكم و لا يؤخذ بأعناقكم (و أما البراءه فلا تتبرّءوا منّى) و ذلک (فانّى ولدت على الفطره) أى على فطره الاسلام التى فطر النّاس عليها (و سبقت) النّاس (إلى الايمان و الهجره).

و فى هذا الكلام نكات شريفه ينبغى الاشاره اليها

الاول

أنّ هذا الكلام له عليه السّلام إخبار بما يكون قبل كونه باعلام من اللّه و تعليم من رسول اللّه، و نحو هذا قد وقع منه عليه السّلام كثيرا فوق حدّ الاحصاء فى الوقايع الملحمه و الخطوب المعظمه حسبما يأتى فى شرح الخطبه الثّانيه و التسعين و غيرها أيضا، و لا باس بالاشاره إلى نبذ منها هنا.

مثل ما عن كتاب الغارات لابراهيم بن هلال الثقفى عن زكريا بن يحيى العطار عن فضيل، عن محمّد بن على عليهما السّلام، قال قال لمّا قال علىّ عليه السّلام: سلونى قبل أن تفقدونى فو اللّه لا تسألونى عن فئه تضلّ مأئه و تهدى مأئه إلاّ أنبأتكم بناعقها و سائقها، قام إليه رجل فقال: أخبرنى بما فى رأسى و لحيتى من طاقه شعر، فقال له علىّ عليه السّلام: و اللّه لقد حدّثنى خليلى انّ على كلّ طاقه شعر من رأسک ملكا يلعنک، و أنّ على كلّ طاقه شعر من لحيتک شيطانا يغويک، و إنّ فى بيتک سخل يقتل ابن رسول اللّه، و كان ابنه قاتل الحسين يومئذ طفلا يحبو، و هو سنان بن أنس النخعى.

و روى الحسن بن محبوب، عن ثابت الثّمالى، عن سويد بن غفله أنّ عليّا خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال: يا أمير المؤمنين إنّى مررت بواد القرى فوجدت خالد بن عرفطه قد مات، فاستغفر له فقال عليه السّلام: ما مات و لا يموت حتّى يقود جيش ضلاله صاحب لوائه حبيب بن حمّاد، فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال:

يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمّاد و انّى لک شيعه و محبّ، فقال: و أنت حبيب ابن حمّاد؟ قال: نعم فقال له ثانيه: و اللّه إنّک لحبيب بن حمّاد؟ فقال اى و اللّه

قال: أما و اللّه إنّک لحاملها و لتحملنّها و لتدخلنّ بها من هذا الباب، و أشار إلی باب الفیل بمسجد الکوفه، قال ثابت فو اللّه مامتّ حتّی رأیت ابن زیاد و قد بعث عمر بن سعد إلی الحسین بن علیّ و جعل خالد بن عرفطه علی مقدّمته، و حبیب بن حمّاد صاحب رایته، و دخل بها من باب الفیل.

و روی عثمان بن سعید، عن یحیی التّمیمی عن الأعمش، عن إسماعیل بن رجا قال قام أعشی باهله و هو غلام یومئذ حدث إلی علّی و هو یخطب و یذکر الملاحم، فقال: یا أمیر المؤمنین ما أشبه هذا الحدیث بحدیث الخرافه، فقال: إن کنت آثما فیما قلت یا غلام فرماک اللّه بغلام ثقیف ثمّ سکت، فقال رجال: و من غلام ثقیف یا أمیر المؤمنین؟ قال: غلام یملک بلدتکم هذه لا یترک للّه حرمه إلّا انتهکها یضرب عنق هذا الغلام بسیفه.

فقالوا: کم یملک یا أمیر المؤمنین؟ قال: عشرین إن بلغها، قالوا فیقتل قتلا أم یموت موتا، قال: بل یموت حتف أنفه بداء البطن یثقب مریره لکثره ما یخرج، قال اسماعیل بن رجا: فو اللّه لقد رأیت بعینی أعشی باهله و قد احضر فی جمله الاسری الذین اسروا من جیش عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث بین یدی الحجاج، فقرعه و ذبحه و استنشده شعره الذی یحرض فیه عبد الرّحمن علی الحرب، ثمّ ضرب عنقه فی ذلک المجلس.

و روی إبراهیم بن میمون الأزدی عن حبّه العرنی قال: کان جویریه بن مسهر العبدی صالحا، و کان لعلیّ بن أبی طالب صدیقا، و کان علیّ یحبّه، و کان له شدّه اختصاص به حتّی دخل علی علیّ یوما و هو مضطجع و عنده قوم من أصحابه، فناداه جویریه أیّها النّائم استیقظ فلتضربنّ علی رأسک ضربه تخضب منها لحیتک، قال: فتبسّم أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: و أحدّثک یا جویریه بأمرک أما و الذی نفسی بیده لتعتلنّ إلی العتلّ الزّنیم فلیقطعنّ یدک و رجلک و لیصلّبنک تحت جذع کافر، قال:

فو اللّه ما مضت الأیّام علی ذلک حتّی أخذ زیاد جویریه، فقطع یده و رجله و صلبه إلی جانب جذع ابن مکعبر، و کان جذعا طویلا فصلبه علی جذع

قصیر إلی جانبه.

و عن کتاب الغارات عن أحمد بن الحسن المیثمی قال: کان میثم التّمار مولی علیّ بن أبی طالب عبدا لا مرئه من بنی أسد، فاشتراه علیّ منها و أعتقه، و قال له ما اسمک؟ فقال: سالم فقال: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: أخبرنی أنّ اسمک الذی سمّاک به أبوک فی العجم میثم، فقال: صدق اللّه و صدق رسوله و صدقت یا أمیر المؤمنین فهو و اللّه اسمی قال: فارجع إلی اسمک و دع سالما فنحن نکنّیک به فکنّاه أبا سالم.

قال: و قد کان قد اطلعه علیّ علیه السّلام علی علم کثیر و أسرار خفیّه من أسرار الوصیّه، فکان میثم یحدّث ببعض ذلک فیشکّ فیه قوم من أهل الکوفه و ینسبون علیا فی ذلک إلی المخرفه و الایهام و التّدلیس.

حتّی قال له یوما بمحضر من خلق کثیر من أصحابه و فیهم الشّاک و المخلص:

یا میثم إنّک تؤخذ بعدی و تصلب، فاذا کان الیوم الثّانی ابتدر منخراک و فمک دما حتّی یخضب لحیتک، فاذا کان الیوم الثّالث طعنت بحربه یقضی علیک، فانتظر ذلک، و الموضع الذی تصلب فیه نخله علی باب دار عمرو بن حریث، إنّک لعاشر عشره أنت أقصرهم خشبه و أقربهم من المطهره یعنی الأرض، و لارینّک النّخله التی تصلب علی جذعها، ثمّ أراه إیّاها بعد ذلک بیومین.

و کان میثم یأتیها فیصلّی عندها و یقول: بورکت من نخله، لک خلقت، ولی نبتّ، فلم یزل یتعاهدها بعد قتل علیّ علیه السّلام حتّی قطعت، فکان یرصد جذعها و یتعاهده و یتردّد إلیه و یبصره، و کان یلقی عمرو بن حریث فیقول له: إنّی مجاورک فأحسن جواری، فلا یعلم ما یرید فیقول له: أ ترید أن تشتری دار ابن مسعود أم دار ابن حکیم؟ قال: و حجّ فی السّنه التی قتل فیها، فدخل علی أمّ سلمه رضی اللّه عنها، فقالت له: من أنت؟ قال: عراقیّ فاستنسبته فذکر لها أنّه مولی علیّ بن أبی طالب، فقالت:

و أنت میثم؟ قال: أنا میثم، فقالت: سبحان اللّه و اللّه لربما سمعت رسول اللّه یوصی بک علیّا فی جوف اللیل فسألها عن الحسین بن علیّ علیه السّلام فقالت: هو فی حایط له،

قال: أخبريه أنّى قد أحببت السلام عليه و نحن ملتقون عند ربّ العالمين إنشاء اللّه و لا اقدر اليوم على لقائه و أريد الرّجوع.

فدعت بطيب فطيب لحيته فقال لها: أما أنها ستخضب بدم فقالت: من أنباك هذا؟ قال: أنبأنى سيدى فبكت أمّ سلمه و قالت له: إنّه ليس بسيّدك وحدك و هو سيّدى و سيّد المسلمين ثمّ و دّعته.

فقدم الكوفه فاخذوا دخل على عبيد اللّه بن زياد، و قيل له: هذا كان من آثر النّاس عند أبى تراب، قال: و يحكم هذا الأعجمى؟ قالوا: نعم، فقال له عبيد اللّه:

أين ربك؟ قال: بالمرصاد، قال: قد بلغنى اختصاص أبى تراب لك، قال: قد كان بعض ذلك فما تريد؟ قال: و انّه ليقال إنّه قد أخبرك بما سيلقاك، قال نعم: أخبرنى.

قال: ما الذى أخبرك أنّى صانع بك؟ قال: أخبرنى أنك تصلبنى عاشر عشره و أنا أقصرهم خشبه و أقربهم من المطهره، قال: لاخالفنّه، قال: ويحك كيف تخالفه؟ إنّما أخبر عن رسول اللّه، و أخبر رسول اللّه عن جبرئيل، و أخبر جبرئيل عن اللّه، فكيف تخالف هؤلاء أما و اللّه لقد عرفت الموضع الذى أصلب فيه أين هو من الكوفه، و إنّى لأوّل خلق اللّه الجم فى الاسلام بلجام كما يلجم الخيل، فحبسه و حبس معه المختار بن أبى عبيده الثقفى، فقال ميثم للمختار و هما فى حبس ابن زياد: إنّك تفلت و تخرج ثائرا بدم الحسين فتقتل هذا الجبار الذى نحن فى حبسه و تطاء بقدمك هذا على جبهته و خديه، فلما دعا عبيد اللّه بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاويه إلى عبيد اللّه بن زياد يأمره بتخليه سبيله و ذاك أنّ اخته كانت تحت عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع فأمضى شفاعته و كتب بتخليه سبيل المختار على البريد فوافى البريد و قد اخرج ليضرب عنقه فاطلق.

و أما ميثم فاخرج بعده ليصلب و قال عبيد اللّه لأمضينّ حكم أبى تراب فيك فلقاه رجل فقال له: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم؟ فتبسّم فقال و هو يؤمى إلى

ص:۳۴۳

النخله لها خلقت ولی غذّیت، فلما رفع علی الخشبه اجتمع النّاس حوله علی باب عمرو ابن حریث، فقال عمرو: و لقد کان یقول لی إنّی مجاورک فکان یأمر جاریته کلّ عشیّه أن تکنس تحت خشبته و ترشّه و تجمر بالمجمر تحته.

فجعل میثم یحدّث بفضایل بنی هاشم و مخازی بنی أمیّه و هو مصلوب علی الخشبه فقیل لابن زیاد: قد فضحکم هذا العبد، فقال: ألجموه، فالجم، فکان أوّل خلق اللّه ألجم فی الاسلام، فلما کان الیوم الثانی فاضت منخراه و فمه دما، فلما کان الیوم الثالث طعن بحربه فمات، و کان قتله قبل قدوم الحسین علیه السّلام العراق بعشره أیام.

و روی صاحب الغارات عن زیاد بن النّصر الحارثی قال کنت عند زیاد و قد اتی برشید الهجری و کان من خواصّ أصحاب علیّ علیه السّلام فقال له زیاد: ما قال لک خلیلک إنّا فاعلون بک؟ قال: تقطعون یدی و رجلی و تصلبوننی! فقال زیاد: أما و اللّه لأکذّبنّ حدیثه خلّوا سبیله، فلما أراد أن یخرج قال: ردّوه لا نجد شیئا أصلح ممّا قال لک صاحبک، إنّک لا تزال تبغی لنا سوء إن بقیت، اقطعوا یدیه و رجلیه، فقطعوا یدیه و رجلیه و هو یتکلّم، فقال: اصلبوه خنقا فی عنقه، فقال رشید: قد بقی لی عندکم شیء ما أراکم فعلتموه، فقال زیاد: اقطعوا لسانه، فلما أخرجوا لسانه لیقطع قال: خلّوا عنّی أتکلّم کلمه، فنفسوا عنه، فقال: هذا و اللّه تصدیق خبر أمیر المؤمنین أخبرنی بقطع لسانی، فقطعوا لسانه و صلبوه.

و فی البحار من کتاب کشف الغمه، من کتاب لطف التّدبیر لمحمد بن عبد اللّه الخطیب قال: حکی أنّ معاویه بن أبی سفیان قال لجلسائه بعد الحکومه: کیف لنا أن نعلم ما تؤل إلیه العاقبه فی أمرنا، قال جلساؤه: ما نعلم لذلک وجها، قال:

فأنا استخرج علم ذلک من علیّ فانّه لا یقول الباطل.

فدعا ثلاثه رجال من ثقاته و قال لهم امضوا حتّی تصیروا جمیعا من الکوفه علی مرحله، ثمّ تواطئوا علی أن تنعونی بالکوفه و لیکن حدیثکم واحد فی ذکر العلّه و الیوم و الوقت و موضع القبر و من تولّی الصلاه علیه و غیر ذلک حتی لا تختلفوا

فی شیء ثمّ لیدخل أحدکم فلیخبر بوفاتی، ثمّ لیدخل الثانی فیخبر بمثله، ثمّ لیدخل الثّالث فلیخبر بمثل خبر صاحبه و انظروا ما یقول علیّ.

فخرجوا کما أمرهم معاویه ثمّ دخل أحدهم و هو راکب مغذّ(۱) شاحب فقال له النّاس بالکوفه: من أین جئت؟ قال: من الشّام قالوا له: ما الخبر؟ قال:

مات معاویه، فأتوا علیّا علیه السّلام فقالوا رجل راکب من الشّام یخبر بموت معاویه فلم یحفل علیّ علیه السّلام بذلک، ثمّ دخل آخر من الغد و هو مغذّ فقال له النّاس: ما الخبر؟ فقال: مات معاویه و خبر بمثل ما خبر صاحبه، فأتوا علیّا علیه السّلام فقالوا: رجل راکب یخبر بموت معاویه بمثل ما أخبر صاحبه و لم یختلف کلامهما، فأمسک علیّ علیه السّلام ثمّ دخل الآخر فی الیوم الثّالث فقال النّاس: ما وراءک؟ قال: مات معاویه، فسألوه عمّا شاهد فلم یخالف قول صاحبیه، فأتوا علیّا فقالوا: یا أمیر المؤمنین صحّ الخبر هذا راکب ثالث قد خبر بمثل ما خبر صاحباه.

فلمّا أکثروا علیه قال علیّ صلوات اللّه علیه، کلاّ أو تخضب هذه من هذه یعنی لحیته من هامته و یتلاعب بها(۲) ابن آکله الاکباد، فرجع الخبر بذلک إلی معاویه هذا.

و الأنباء الغیبیه منه علیه السّلام متجاوزه عن حدّ الاحصاء، و لو أردنا أن نجمع منها ما یسعها الطاقه و تناولها ید التّتبع لصار کتابا کبیر الحجم، و یأتی بعض منها فی تضاعیف الشّرح، و منها إخباره بغرق البصره و من فی ضمنها و بقاء مسجدها کجؤجؤ سفینه فی لجّه بحر علی ما مرّ إلیه الاشاره فی کلامه الحادی عشر.

الثانی

اختلف الشّرّاح فی الرّجل الذی أخبر علیه السّلام بظهوره علی أهل الکوفه فقیل:

هو زیاد بن ابیه، و قیل: الحجاج بن یوسف، و قیل المغیره بن شعبه، و الأکثرون علی أنّ المراد به معاویه بن ابی سفیان، لاتّصافه بما وصفه علیه السّلام به من النّهم و کثره

۱- (۱) الاغذاذ فی السیر الاسراع و الشاحب المتغیّر ای کان علیه لون السفر «بحار»

۲- (۲) بها ای بالخلافه و الریاسه «بحار»

الأكل، و كان بطينا يقعد بطنه إذا جلس على فخذيه، و كان جوادا بالمال و الصّلاه و بخيلا على الأكل و الطعام.

يقال: إنّه مازح أعرابيا على طعامه و قد قدم بين يديه خروف، فأمعن الاعرابى فى أكله فقال له ما ذنبه اليك انطحك أبوه، فقال الأعرابى (للأعرابى): و ما حنوك عليه أرضعتك أمّه، و قد روى أنّه كان يأكل فيكبر ثمّ يقول: ارفعوا فو اللّه ما شبعت و لكن مللت و تعبت.

قال فى شرح المعتزلى تظاهرت الأخبار أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دعا على معاويه لمّا بعث إليه يستدعيه فوجده يأكل ثمّ بعث فوجده يأكل فقال: اللهمّ لا تشبع بطنه قال الشّاعر:

و صاحب لى بطنه كالهاويه كانّ فى أمعائه معاويه

و يدلّ على ما ذكرنا من أنّ مراده عليه السّلام بالرّجل الموصوف معاويه قوله: أما أنّه سيأمركم بسبّى و البراءه منّى، فانّ غيره ممّن ذكرنا و إن كان يأمر بالبرائه و السّب أيضا إلاّ أنّ هذا الملعون ابن الملعون قد أخذ ذلك شعارا له، و قد أمر النّاس بالشّام و العراق بسبّه و البراءه منه، و خطب بذلك على منابر الاسلام حتّى صار ذلك سنه فى أيام بنى أميّه على ما يأتى تفصيله فى شرح الكلام السّابع و التسعين إلى أن قام عمر بن عبد العزيز، فأزاله.

روى الجاحظ أنّ قوما من بنى اميه قالوا لمعاويه يا أمير المؤمنين إنك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرّجل، فقال: لا و اللّه حتّى يربو عليها الصغير و يهرم عليها الكبير و لا يذكر له ذاكر فضلا.

و أمّا السّبب فى منع عمر بن عبد العزيز عن ذلك فهو على ما روى عنه أنّه قال: كنت غلاما أقرء القرآن على بعض ولد عتبه بن مسعود، فمرّ بى يوما و أنا ألعب مع الصّبيان و نحن نلعن عليا، فكره ذلك و دخل المسجد فتركت الصّبيان و جئت إليه لادرس عليه وردى، فلمّا رءانى قام و صلّى و أطال فى الصّلاه شبه المعرض عنّى حتّى أحسست منه بذلك فلمّا انفتل من صلاته كلح فى وجهى، فقلت له: ما

بال الشّيخ، فقال لى: يا بنىّ أنت اللاعن عليّا منذ اليوم، قلت: نعم، قال: فمتى علمت أنّ اللّه سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم؟ فقلت: يا ابه و هل كان علىّ من أهل بدر؟ فقال: ويحك و هل كان بدر كلّها إلّا له، فقلت: لا أعود، فقال: اللّه انك لا تعود، قلت: نعم، فلم العنه بعدها ثمّ كنت احضر تحت منبر المدينه و أبى يخطب يوم الجمعه و هو حينئذ أمير المدينه فكنت أسمع يمرّ فى خطبه حتّى تهدر شقاشقه حتّى يأتى إلى لعن علىّ فيجمجم و يعرض له من الفهاهه و الحصر ما اللّه عالم به، فكنت أعجب من ذلك فقلت له يوما: أنت أفصح النّاس و أخطبهم فما بالى أراك أفصح خطيب يوم حفلك و إذا مررت بلعن هذا الرّجل صرت ألكن عييّا فقال: يا بنىّ إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشّام و غيرهم لو علموا من فضل هذا الرّجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد، فوقرت كلمته فى صدرى مع ما كان قال لى معلمى ايام صغرى، فأعطيت اللّه عهدا لئن كان لى فى هذا الأمر نصيب لاغيّرن، فلما منّ اللّه علىّ بالخلافه أسقطت ذلك و جعلت مكانه:

«إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِی الْقُرْبی وَ يَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » و كتبت به إلى الآفاق فصار سنّه و عن مروج الذهب جعل مكانه:

«رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ » و فى هذا المعنى قال السّيد الرّضى رحمه اللّه عليه:

يابن عبد العزيز لو بكت العين فتا من أميّه لبكيتك

غير انّى أقول إنّك قد طبت و إن لم يطب و لم يزك بيتك

أنت نزّهتنا عن السّبّ و القذف فلو أمكن الجزاء جزيتك

و لو إنّى رأيت قبرك لاستحييت من أن أرى و ما حيّيتك

و قليل أن لو بذلت دماء البدن صردا على الذى اسقيتك

دير سمعان(۱) فيك نادى أبى حفص يؤدى لو اننى اوتيتك

دير سمعان لا أعبك(۲) غيث خير ميت من آل مروان ميتك

أنت بالذكر بين عينى و قلبى إن تدا نيت منك أو إن نأيتك

و عجبت إنّى قليت بنى مروان كلاّ و أنّنى ما قليتك

قرب العدل منك لما نأى الجور منهم فاحتويتهم و اجتبيتك

فلو انّى ملكت دفعا لما نابك من طارق الرّدى لفديتك(۳)

(۴)

الثالث

لقائل أن يقول: ما الفرق بين السّبّ و التبرّى حيث رخّص فى الأوّل و نهى عن الثانى مع أنّ السّبّ أفحش من التبرّى قال الشّارح المعتزلى: لأنّ هذه اللفظه ما وردت فى القرآن العزيز إلاّ عن المشركين ألا ترى إلى قوله:

۱- (۱) دير سمعان موضع بحمص به دفن عمر بن عبد العزيز قاموس

۲- (۲) اعب القوم جاءهم يوما و ترک يوما، ق

۳- (۳) نأى منه اى بعد، لعه

۴- (۴) لا يخفى على الفطن العارف أن المستفاد من ابيات السيد ان ابن عبد العزيز بحسن فعاله الحميده مستحق للمدح الا انه لكونه من جمله الغاصبين للخلافه غير مستحق للجزاء فى الآخره بل جزائه النكال و العقوبه و الى ذلک ينظر ما رواه عبد اللّه بن عطاء التميمى قال كنت مع علىّ بن الحسين فى المسجد فمرّ عمر بن عبد العزيز و عليه شرا كان من فضله و كان من امحن الناس يعنى اصلبهم و اغلظهم و هو شابّ فنظر اليه علىّ بن الحسين فقال يا عبد اللّه بن عطا أ ترى هذا المطرف انه لن يموت حتى يلى الناس قلت انا للّه هذا الفاسق، قال نعم فلا يلبث فيهم الا يسيرا حتى يموت فاذا مات لعنه أهل السماء و استغفر له أهل الأرض، منه

«بَراءَةٌ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ».

و قال تعالى: «أَنَّ اللّهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ » فقد صارت بحسب العرف الشّرعى مطلقه على المشركين خاصّه، فاذن يحمل هذا النّهى على ترجيح تحريم لفظ البراءه على لفظ السّبّ و إن كان حكمهما واحدا أقول و التحقيق فى الجواب ما ذكره الشّارح البحرانى حيث قال: إنّ السّبّ من صفات القول اللسانى و هو أمر يمكن ايقاعه من غير اعتقاده مع احتماله التّعريض و مع ما يشتمل عليه من حقن دماء المأمورين و نجاتهم بامتثال الأمر به و أمّا التبرّء فليس بصفه قوليّه فقط بل يعود إلى المجانبه القلبيّه و المعاداه و البغض و هو المنهىّ عنه ههنا، فانّه أمر باطن يمكنهم الانتهاء عنه و لا يلحقهم بسبب تركه و عدم امتثال الأمر به ضرر، و كأنّه لحظ فيه قوله تعالى «إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ » الآيه.

و محصّله ارجاع النّهى عن التبرىّ فى قوله: و لا تتبرّؤا، على التّبرّى بالقلب دون التّبرّى بمجرّد اللسان مع اطمينان القلب بالايمان، و يدل على ذلك ما يأتى فى حديث الطبيب اليونانى مع أمير المؤمنين عليه السّلام فى شرح الفصل الأوّل من الخطبه المأه و السّابعه، من أمره عليه السّلام له باظهار التّبرّى فى مقام التّقيه، و يستفاد من بعض الأخبار أنّ ترك كلمه الكفر و الصّبر على القتل أفضل من التقيّه و هو ما رواه المحدّث الجزائرى.

قال فى زهر الرّبيع: روى أنّ مسيلمه الكذّاب أخذ رجلين من المسلمين فقال لأحدهما: ما تقول فى محمّد؟ قال: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: فما تقول فىّ؟ قال:

أنت أيضا، فخلاه، و قال للآخر فما تقول فى محمّد؟ قال: رسول اللّه، قال: فما تقول فىّ؟ قال: أنا أصمّ، فأعاد عليه ثلاثا، فأعاد جوابه الأوّل فقتله، فبلغ ذلك رسول اللّه

فقال: أمّا الأوّل فقد أخذ برخصه اللّه، و أمّا الثّانى فقد صدع بالحقّ فهنيئا له

الترجمه

از جملهٔ کلام بلاغت انجام آن حضرت است که فرمود بأصحاب خود: آگاه باشید که زود باشد غالب شود بر شما بعد از من مردی گشاده گلوی بر آمده شکم که می خورد آنچه را که یابد و می جوید آنچه را که نیابد، منظور معاویه بن ابی سفیان علیه اللعنه و النیرانست پس بکشید آنرا و حال آنکه هرگز نخواهید کشت، بدانید بدرستی زود باشد که امر نماید شما را آن مرد بناسزا گفتن بمن و به تبرّی کردن از من، پس اما ناسزا گفتن پس ناسزا گوئید مرا از جهه این که آن ناسزا گفتن شما باعث پاکیزگی من است و سبب نجاه و خلاصی شماست و اما برائت و بیزاری پس تبرّی نکند از جهه این که من مولود شده ام بر فطره اسلام و پیشی گرفته ام بر هجرت و ایمان و معلوم است کسی که متّصف باین صفت باشد تبری از او جایز و سزا نیست، بلکه باعث عذاب ابدیست و سبب عقاب دائمی

و من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج و هو السابع

اشاره

و الخمسون من المختار فى باب الخطب

أصابكم حاصب، و لا بقي منكم آبر، أبعد إيماني باللّه و جهادى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أشهد على نفسى بالكفر، لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين، فأوبوا شرّ مآب، و ارجعوا على أثر الأعقاب، أما إنّكم ستلقون بعدى ذلّا شاملا، و سيفا قاطعا، و أثره يتّخذها الظّالمون فيكم سنّه.

اللغه

(الحاصب) الريح الشديده التى تثير الحصباء، و هى صغار الحصى قال أبو نواس:

كأنّ صغرى و كبرى من فواقعها(۱) حصباء درّ على أرض من الذّهب

قال السّيد قوله (و لا بقى منكم آبر) يروى بالراء من قولهم ابر للذى يأبر النخل اى يصلحه، و يروى آثر و هو الذى يأثر الحديث أى يحكيه و يرويه، و هو أصحّ الوجوه عندى كأنّه قال: لا بقى منكم مخبر، و يروى آبز بالزاء المعجمه و هو الواثب و الهالك يقال له أيضا آبز انتهى.

و قيل: يجوز أن يكون المراد بالآبر النمام و (آب) يؤب رجع و (الاعقاب) جمع عقب بالكسر و هو مؤخّر القدم و أثرها و علامتها و (الأثره) بالفتحات اسم من الاستيثار و هو الاستبداد بالشىء و التّفرّد به أو من آثر ايثارا إذا اعطى

الاعراب

جمله اصابكم حاصب و لا بقى منكم آبر، دعائيّه لا محلّ لها من الاعراب، و كلمه بعد ظرف لغو متعلّق بقوله اشهد، و الفاء فى قوله فاوبوا فصيحه، و جمله يتّخذها الظالمون فى محلّ النّصب على الوصفيّه

المعنى

اعلم أنّ المروىّ فى عدّه من شروح الكتاب و فى البحار هو أنّ الخوارج لمّا اعتزلوا منه و تنادوا من كلّ ناحيه لا حكم إلاّ اللّه الحكم للّه يا على لا لك، و قالوا: بان لنا خطائنا فرجعنا و تبنا فارجع إليه أنت و تب، و قال بعضهم: اشهد على نفسك بالكفر ثمّ تب منه، حتّى نطيعک، على ما مرّ تفصيل ذلك كلّه فى شرح الخطبه السّادسه و الثّلاثين و الكلام الأربعين أيضا أجابهم بهذا الكلام فقال(أصابكم حاصب)و هو كنايه عن العذاب و قيل أى أصابكم حجاره من السّماء (و لا بقى منكم آبر) و هو دعاء عليهم بانقطاع نسلهم كما قال نوح:

ص:۳۵۱

۱- (۱) الضمير راجع الى الخمر، منه

«رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيّاراً إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَکَ وَ لا يَلِدُوا إِلاّ فاجِراً كَفّاراً » ثمّ نبّه على إنكار مقالتهم و طلبهم شهادته على نفسه بالكفر بقوله (أ بعد ايمانى باللّه و جهادى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أشهد على نفسى بالكفر) و الخطاء (ل «قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ») إذ الشّهاده على النّفس بالكفر مع وجود الايمان الرّاسخ ضلال عن الهدى و عدول عن الرّشاد لا محاله قال المبرّد و من شعر أمير المؤمنين عليه السّلام الذى لا اختلاف فيه أنّه قال، و كان يرووه انّهم لمّا سألوه أن يقرّ بالكفر و يتوب حتّى يسيروا معه إلى الشّام فقال: أ بعد صحبه رسول اللّه و التّفقّه فى دين اللّه أرجع كافرا، ثمّ قال عليه السّلام:

يا شاهد اللّه علىّ فاشهد إنّى على دين النّبىّ أحمد

من شكّ فى اللّه فانّى مهتدى يا ربّ فاجعل فى الجنان موردى

و قوله (فأوبوا شرّ مآب و ارجعوا إلى أثر الاعقاب) قيل هو أمر لهم بالرّجوع و الاياب إلى الحقّ من حيث خرجوا منه قهرا كان القاهر يضرب فى وجوههم بردّهم على الاعقاب و الرّجوع هكذا شرّ الأنواع، و قيل هو دعاء عليهم بالذّلّ و انعكاس الحال قال العلاّمه المجلسىّ (ره): و يحتمل أن يكون الأمر على التّهديد كقوله تعالى:

«قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ » (أما انّكم ستلقون بعدى ذلاّ شاملا و سيفا قاطعا)و هو كنايه عن ابتلائهم بعده بالقتل و الاستيصال و قد كان الأمر بعده على ما أخبر، و قتلوا بيد مهلب و غيره حتى أفناهم اللّه تعالى و تفصيل احوالهم و استيصالهم و مقاتلتهم مع المهلب مذكور فى شرح المعتزلى من أراد الاطلاع فليرجع اليه (و اثره يتّخذها الظالمون فيكم سنّه) يعنى أنّ الظالمين يختارون لأنفسهم فى الفىء و الغنايم أشياء حسنه، و ينفردون بها، أو أنّهم يفضّلون غيركم عليكم

فی نصیبکم و یعطونهم دونکم.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست که تکلم کرده به آن با خوارج در وقتی که ایشان گفتند ما و تو بجهت تحکیم خطا نمودیم و کافر شدیم و ما از کفر خود توبه نمودیم بایست تو هم شهادت بدهی بر نفس خود با کفر و توبه کنی از آن پس تعرّض فرمود بایشان و گفت که:

برسد بشما عذاب و باقی نماند از شما مصلح کار ساز، آیا بعد از ایمان آوردن من بحضرت پروردگار و مجاهده نمودن من با رسول مختار شهادت بدهم بر نفس خود بکافر شدن و از دین برگشتن، هر آینه گمراه باشم این هنگام که شهادت بر کفر خود دهم، و نباشم از هدایت یافتگان پس برگردید از بدترین جای بازگشت بسوی حق، و رجوع نمائید بحق بر اثر پاشنهای خود، آگاه بشوید که شما زود باشد که ملاقات نمائید بعد از من بخواری فراوان و بشمشیر بران و باشیاء نفیسهٔ که فرا گیرند آنرا ظالمان در شما سنه جاریه یعنی بعد از من ظالمین خوب ترین مالهای شما را از شما می گیرند و بجهت خودشان اختیار می نمایند، و این سنت می شود در میان شما.

و قال علیه السلام لما عزم علی حرب الخوارج و هو

اشاره

الثامن و الخمسون من المختار فی باب الخطب

و قیل له انّهم قد عبروا جسر النهروان:

مصارعهم دون النّطفه و اللّه لا یفلت منهم عشره و لا یهلك منكم عشره.قال السّیـد یعنیبالنطفهماء النّهر و هی أفصح کنایه عن الماء و إن کان کثیرا

جمّا و قد أشرنا إلی ذلک فیما تقدم عند مضی ما اشبهه.

اللغه

(الجسر) معروف و (الصّرع) الطرح علی الارض و المصرع یکون موضعا و مصدرا و المراد هنا موضع هلاکهم و (النطفه) بالضّم الماء الصّافی قلّ أو کثر و النطفتان فی الحدیث بحر المشرق و المغرب أو ماء الفرات و بحر جدّه، و المراد بها هنا کما ذکره السّید (ره) ماء النهروان، و قد مضی التّعبیر بها أیضا فی الخطبه السابعه و الأربعین و (الافلات) و التفلت و الانفلات التخلّص من الشّیء فجأه.

الاعراب

کلمه لما فی کلام السّید ظرفیه بمعنی حین، و جمله قیل له عطف علی عزم و قوله مصارعهم دون النطفه فی محلّ النّصب مقول لقال.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ قوله(مصارعهم دون النطفه و اللّه لا یفلت منهم عشره و لا یهلک منکم عشره)اخبار عمّا یکون قبل کونه و هو من معجزاته المتواتره.

و روی أنّه لما قتل الخوارج وجدوا المفلت منهم تسعه تفرّقوا فی البلاد، فانهزم اثنان منهم الی عمّان، و اثنان إلی کرمان، و اثنان الی سجستان، و اثنان الی الجزیره، و واحد الی تلّ موزون، فظهرت بدعهم فی البلاد و صاروا فرقا کثیره علی ما ستطلع علیه فی شرح کلامه الآتی، و وجدوا المقتول من أصحابه ثمانیه و یمکن أن یکون خفی علی القوم مکان واحد من المقتولین أو یکون التّعبیر بعدم إهلاک العشره للمشاکله و المناسبه بین القرینتین.

تذکره

قد مضی فی شرح الخطبه السّادسه و الثّلاثین أسماء المقتولین من أصحابه، و مضی أیضا فی شرح کلامه الخامس و الثلاثین سند تلک الرّوایه و نقلها من العلاّمه المجلسی من کتاب الخرائج عن جندب بن زهیر.

و أقول هنا مضافا إلی ما سبق: أنّه روی عن المداینی فی کتاب الخوارج أنه لما خرج

ص:۳۵۴

علیّ إلی أهل النهروان أقبل رجل من أصحابه ممّن کان علی مقدمته یرکض حتّی انتهی إلی علیّ فقال: البشری یا أمیر المؤمنین، قال: ما بشراک؟ قال: إنّ القوم عبروا النهر لما أبلغهم وصولک فابشر فقد منحک اللّه اکتافهم، فقال اللّه أنت رأیتهم قد عبّروا، قال: نعم فأحلفه ثلاث مرّات فی کلّها یقول نعم، فقال: و اللّه ما عبروا و لن یعبروا و أنّ مصارعهم لدون النطفه و الذی فلق الحبّه و برء النسمه لن یبلغوا الا ثلث و لا قصر بوران حتی یقتلهم اللّه، و قد خاب من افتری.

قال: ثمّ أقبل فارس آخر یرکض فرسه فقال کقول الأوّل فلم یکترث علیه السّلام بقوله، و جاءت الفرسان کلّها ترکض و تقول مثل ذلک فقام علیه السّلام فجال فی متن فرسه.

قال فقال شابّ من النّاس: و اللّه لأکوننّ قریبا منه فان کان عبروا النهر لأجعلنّ سنان رمحی فی عینه أیدّعی علم الغیب، فلما انتهی علیّ إلی النّهر وجد القوم، قد کسروا جفون سیوفهم و عرقبوا خیولهم و حبوا علی رکبهم و تحکموا تحکیمه واحده بصوت عظیم له نرجل، فنزل ذلک الشّاب فقال: یا أمیر المؤمنین انّی کنت شککت فیک آنفا و إنّی تائب إلی اللّه و إلیک فاغفر لی فقال علیّ: إنّ اللّه هو الذی یغفر الذّنوب فاستغفره.

تنبیه و تحقیق

اشاره

قال الشّارح المعتزلی: هذا الخبر من الأخبار التی تکاد تکون متواتره، لاشتهاره و نقل النّاس له کافه، و هو من معجزاته و إخباره المفصله عن الغیوب و الاخبار علی قسمین:

أحدهما الأخبار المجمله و لا إعجاز فیها نحو أن یقول الرّجل لأصحابه:

إنّکم ستنصرون علی هذه الفئه التی تلقونها غدا فان نصر جعل ذلک له حجه عند اصحابه و سماها معجزه و إن لم ینصر قال لهم تغیّرت نیّاتکم فمنعکم اللّه نصره و نحو ذلک من القول.

و القسم الثّانی الأخبار المفصله عن الغیوب مثل هذا الخبر فانّه لا یحتمل التّلبیس

ص:۳۵۵

لتقييـده بالعـدد المعين فى أصـحابه و فى الخوارج و وقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زياده و لا نقصان، و ذلک أمر إلهیّ عرفه من جهه رسول اللّه و عرفه رسول اللّه من جهه اللّه سـبحانه، و القوّه البشـريه تقصـر عن إدراک مثل هـذا، و لقد کان له من هذا الباب ما لم يکن لغيره.

و بمقتضـی ما شاهد النّاس من معجزاته و أحواله المنافيه لقوی البشـريّه غلافيه من غلا حتّی نسب إلی أنّ الجوهر الإلهی حلّ فی بدنه کما قالت النّصاری فی عيسـی، و قد أخبره النبیّ صـلّی اللّه عليه و آله بذلک، فقال يهلک فيک محبّ غال و مبغض قال، و قال له تاره: و الذی نفسـی بيده لو لا أنّی اشـفق أن يقول طوايف من امّتی فيک ما قالت النّصاری فی ابن مريم لقلت اليوم فيک مقالا لا تمرّ بملاء من النّاس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميک للبرکه.

قـال الشّـارح: و اوّل من جهر بـالغلوّ فی أيّـامه عبـد اللّه بن سـبا قـام إليه و هو يخطب فقـال له أنت أنت و جعل يکرّرها، فقال له ويلک من أنا فقال أنت اللّه فأمر بأخذه و أخذ قوم کانوا علی رأيه.

و روی ابو العباس أحمد بن عبيد اللّه من عمّار الثّقفی عن علیّ بن محمّد بن سـليمان النّوفلی عن أبيه و عن غيره من مشـيخته أنّ عليّا قال: يهلک فیّ رجلان: محبّ مطر يضعنی غير موضعی و يمدحنی بما ليس فیّ، و مبغض مفترير مينی بما أنا منه بریء.

قال أبو العباس: و هذا تأويل الحديث المروّی عن النبیّ صلّی اللّه عليه و آله فيه و هو قوله صلّی اللّه عليه و آله إنّ فيک مثلا عن عيسی بن مريم، أحبّته النصاری فرفعته فوق قدره، و أبغضته اليهود حتّی بهتت أمّه.

قال ابو العباس و قد کان علیّ عثر علی قوم خرجوا من محبّته باسـتحواذ الشـيطان عليهم إلی أن کفروا بربّهم و جحد و اما جاء به نبيّهم و اتّخذوه ربّا و إلها و قالوا:

أنت خالقنا و رازقنا فاستتابهم و توعّدهم فأقاموا علی قولهم فحفر لهم حفرا دخن عليهم طمعا فی رجوعهم فأبوا فحرّقهم بالنّار.

قال الشّارح: و روى أصحابنا فى كتاب المقالات أنّه لما حرّقهم صاحوا إليه الآن ظهر لنا ظهورا بيّنا أنك أنت الاله لأنّ ابن عمك الذى أرسلته قال لا يعذّب بالنار إلّا ربّ النّار.

و روى أبو العباس عن محمّد بن سليمان بن حبيب المصيصى عن علىّ بن محمّد النّوفلى عن أبيه و مشيخته، أن عليّا مرّ بهم و هم يأكلون فى شهر رمضان نهارا فقال أسفر أم مرضى؟ قالوا: و لا واحده، قال: أ فمن أهل الكتاب أنتم؟ قالوا: لا قال:

فما بال الأكل فى شهر رمضان نهارا؟ قالوا: أنت أنت لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم و نزل عليه السّلام عن فرسه فألصق خدّه بالتّراب ثمّ قال عليه السّلام: ويلكم إنّما أنا عبد من عبيد اللّه فاتّقوا اللّه و ارجعوا إلى الاسلام فأبوا فدعاهم مرارا فأقاموا على أمرهم فنهض عنهم، ثمّ قال شدّوهم وثاقا و علىّ بالفعله و النّار و الحطب ثمّ أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل أحدهما سربا و الآخره مكشوفه و ألقى الحطب فى المكشوفه و فتح بينهما فتحا و ألقى النّار فى الحطب فدخن عليهم و جعل يهتف بهم و يناشدهم ارجعوا إلى الاسلام فأبوا فأمر بالحطب و النّار و القى عليهم فاحترقوا فقال الشّاعر:

لترم بى المنيه حيث شائت اذا لم ترم بى فى الحفرتين

اذا ما حشّتا حطبا بنار فذاك الموت نقدا غير دين

قال أبو العباس ثمّ إنّ جماعه من أصحاب علىّ منهم عبد اللّه بن عبّاس شفعوا فى عبد اللّه بن سبا خاصّه و قالوا: يا أمير المؤمنين إنّه قد تاب فاعف عنه فأطلقه بعد ان اشترط عليه أن لا يقيم بالكوفه، فقال: أين أذهب؟ قال: المداين فنفاه إلى المداين فلما قتل أمير المؤمنين أظهر مقالته و صارت له طائفه و فرقه يصدّقونه و يتبعونه.

و قال لمّا بلغه قتل علىّ عليه السّلام: و اللّه لو جئتمونا بدماغه فى سبعين صره لعلمنا أنّه لم يمت و لا يموت حتّى يسوق العرب بعصاه، فلما بلغ ابن عباس ذلك قال: لو علمنا لما تزوّجنا نساءه و لا قسّمنا ميراثه.

قال أصحاب المقالات: و اجتمع إلى عبد اللّه بن سبا بالمداين جماعه على هذا

ص:۳۵۷

القول و تفاقم أمرهم و شاع بين النّاس قولهم و صار لهم دعوه يدعون إليها و شبهه يرجعون اليها و هى ما ظهر و شاع بين النّاس من اخباره بالمغيبات حالا بعد حال، فقالوا:

إنّ ذلك لا يمكن أن يكون إلّا للّه تعالى أو من حلّت ذات الاله فى جسده، و لعمرى أنّه لا يقدر على ذلك إلّا باقدار اللّه تعالى إيّاه عليه، و لكن لا يلزم من إقداره إيّاه عليه أن يكون هو الاله أو تكون ذات الاله حالّه فيه هذا.

و حيث انجرّ الكلام إلى هذا المقام فلا بأس بأن نحقّق الكلام فى معنى الغلوّ و التّفويض و نشير إلى بعض الآيات و الأخبار الوارده فيهما، و نذكر وجوه التفويض و ما ينبغى أن يدان به و يعتقد عليه.

فأقول: قال الصّدوق فى اعتقاداته: اعتقادنا فى الغلاه و المفوّضه أنّهم كفار باللّه جلّ جلاله و أنّهم شرّ من اليهود و النصارى و المجوس و القدريّه و الحروريه و من جميع أهل البدع و الأهواء المضلّه، و أنّه ما صغر اللّه جل جلاله تصغيرهم شىء و قال اللّه جلّ جلاله:

«ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّهَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنّاسِ كُونُوا عِباداً لِی مِنْ دُونِ اللّهِ وَ لكِنْ كُونُوا رَبّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَ لا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَهَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْباباً أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » و قال اللّه عزّ و جلّ: «لا تَغْلُوا فِی دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ » و اعتقادنا فى النبىّ و الأئمه أنّ بعضهم قتلوا بالسيف و بعضهم بالسمّ و أنّ ذلك جرى عليهم على الحقيقه و أنه ما شبّه أمرهم كما يزعمه من يتجاوز الحدّ فيهم «إلى أن قال» و كان الرّضا عليه السّلام يقول فى دعائه:

اللّهمّ إنّى برىء اليک من الحول و القوّه، و لا حول و لا قوّه إلاّ بک، اللهمّ إنّى أعوذ بک و أبرء إليک من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحقّ، اللهمّ إنّى أبرء إليک من الذين قالوا فينا ما لم نقله فى أنفسنا، اللهمّ لک الحقّ و منک الرّزق و «إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ »، اللهمّ أنت خالقنا و خالق آبائنا الأوّلين و آبائنا الآخرين، اللهمّ لا تليق الرّبوبيّه إلاّ بک، و لا تصلح الالهيّه إلاّ لک، فالعن النّصارى الذين صغّروا عظمتک، و العن المضاهئين لقولهم من بريّتک.

اللهمّ إنّا عبيدک و أبناء عبيدک، لا نملک لأنفسنا نفعا و لا ضرّا، و لا موتا، و لا حياه، و لا نشورا، اللهمّ من زعم أنّنا أرباب فنحن منه براء، و من زعم أنّ إلينا الخلق و علينا الرّزق، فنحن منه براء كبراءه عيسى بن مريم من النّصارى، اللهمّ إنّا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، و اغفرنا ما يدعون، و لا تدع على الأرض منهم ديّارا، «إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلاّ فاجِراً كَفّاراً » و روى عن زراره أنّه قال: قلت للصّادق عليه السّلام إنّ رجلا من ولد عبد اللّه بن سبا يقول بالتّفويض، فقال: و ما التّفويض؟ قلت: يقول إنّ اللّه خلق محمّدا و عليّا صلوات اللّه عليهما ففوّض الأمر إليهما فخلقا و رزقا و أماتا و أحييا، فقال: كذب عدوّ اللّه إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآيه التى فى سوره الرّعد «أَمْ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهّارُ ».

فانصرفت إلى الرّجل فأخبرته بما قال الصّادق عليه السّلام فكأنّى ألقمته حجرا أو قال فكانّما خرس و قد فوّض اللّه عزّ و جلّ إلى نبيّه أمر دينه فقال عزّ و جلّ:

«وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ».

و قد فوّض ذلک إلى الأئمه عليهم السّلام و عن المفيد فى شرح هذا الكلام: الغلوّ فى اللغه هو تجاوز الحدّ و الخروج عن القصد قال اللّه تعالى:

«يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكَمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقَّ » الآيه فنهى عن تجاوز الحدّ فى المسيح و حذّر من الخروج عن القصد فى القول و جعل ما ادّعته النّصارى فيه غلوّا لتعديه الحدّ على ما بينّاه، و الغلاه من المتظاهرين بالاسلام الذين نسبوا أمير المؤمنين و الأئمه من ذرّيته عليهم السّلام إلى الالهيّه و النّبوّه، و وصفوهم من الفضل فى الدّين و الدّنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحدّ، و خرجوا عن القصد و هم ضالّ كفّار حكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل و التّحريق بالنّار و قضت الأئمه عليهم السلام عليهم بالاكفار و الخروج عن الاسلام، و المفوّضه صنف من الغلاه و قولهم الذى فارقوا به من سواهم من الغلاه اعترافهم بحدوث الأئمه و خلقهم، و نفى القدم عنهم و إضافه الخلق و الرّزق مع ذلك إليهم، و دعواهم أنّ اللّه تفرّد بخلقهم خاصّه و أنّه فوّض إليهم خلق العالم بما فيه و جميع الأفعال انتهى كلامه رفع مقامه و قال المحدّث العلامه المجلسى طاب ثراه: اعلم أنّ الغلوّ فى النبيّ و الأئمه عليهم الصّلاه و السّلام إنّما يكون بالقول بالوهيّتهم، أو بكونهم شركاء للّه تعالى فى المعبوديّه أو فى الخلق و الرّزق، أو أنّ اللّه تعالى، حلّ فيهم، أو اتحد بهم، أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحى أو إلهام من اللّه تعالى، أو بالقول فى الأئمه أنهم كانوا أنبياء أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأنّ معرفتهم تغنى عن جميع الطاعات و لا تكليف معها بترک المعاصى، و القول بكلّ منها الحاد و كفر و خروج عن الدّين كما دلّت عليه الأدلّه العقليه و الآيات و الأخبار و قد عرفت أنّ الائمّه عليهم السّلام تبرّؤوا منهم و حكموا بكفرهم و أمروا بقتلهم و إن قرع سمعک شیء من الأخبار الموهمه لشيء من ذلک فهى إمّا مأوّله أو هى من مفتريات الغلاه، و لكن أفرط بعض المتكلمين و المحدّثين فى الغلوّ لقصورهم عن معرفه الأئمه عليهم السّلام و عجزهم عن إدراک غرائب أحوالهم و عجائب شئوناتهم فقدحوا فى كثير من الرّوات الثقاه لنقلهم بعض غرائب المعجزات حتّى قال بعضهم من الغلوّ نفى السّهو عنهم أو القول بأنّهم يعلمون ما كان و ما يكون و غير ذلک

مع أنّه قد ورد فی أخبار کثیره: لا تقولوا فینا ربا و قولوا ما شئتم و لن تبلغوا و ورد أنّ أمرنا صعب مستصعب لا یحتمله إلّا ملک مقرّب أو نبیّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للایمان، و ورد لو علم أبو ذر ما فی قلب سلمان لقتله و غیر ذلک فلا بدّ من المتدیّن أن لا یباد ربردّ ما ورد عنهم من فضایلهم و معجزاتهم و معالی أمورهم إلّا إذا ثبت خلافه بضروره الدین أو بقواطع البراهین أو بالآیات المحکمه أو بالأخبار المتواتره، انتهی کلامه رفع مقامه و هو کاف فی تحقیق المقام و توضیح المرام و ما ذکره (ره) هی الجادّه الوسطی و النّمط الأوسط و الصّراط المستقیم الذی ینبغی سلوکه و المذهب الحقّ الواجب أخذه و لزومه، فالرّاغب عنه مارق و اللاّزم له لاحق و المقصّر فیه زاهق و أما التفویض فالوارد فی الأخبار الکثیره المنع من القول به، و قد أکثروا فیها من ذمّ المفوّضه و تکذیبهم و التّبرّی منهم و من ذلک ذهب جمع من الاصحاب إلی نفیه و المنع من القول به، و لکن الانصاف أنّ القول بالمنع مطلقا تفریط، کما أنّ القول بثبوته مطلقا إفراط إذ الأخبار فی طرفی المنع و الثّبوت بالغه حدّ الاستفاضه لو لم تبلغ حدّ التواتر، فالعمل باحدی الطائفتین و طرح الطایفه الأخری بالمرّه و إسقاطها عن درجه الاعتبار غیر ممکن، فاللازم الأخذ بکلّ منهما فی الجمله، و مقتضاه القول بالتفصیل فی المسأله و یظهر ذلک برسم وجوه التّفویض فأقول و باللّه التّوفیق إنّ التفویض عباره عن تسلیم الأمر إلی الخلق و ردّه إلیه، و هو علی وجهین أحدهما تفویض أمور الخلق إلی أنفسهم، و هو الذی قال به القدریه و یقال لها المفوّضه أیضا و محصّل ما ذهبوا إلیه أنّ اللّه أوجد العباد و أقدرهم علی أفعالهم و فوّض إلیهم الاختیار فهم مستقلّون بایجادها علی وفق مشیّتهم و ارادتهم و طبق قدرتهم من دون أن یکون له سبحانه تأثیر فیها بوجه من الوجوه، و بازاء هؤلاء الجماعه جماعه أخری ذهبت إلی أن لا مؤثّر فی الوجود إلّا اللّه فیفعل ما یشاء و یحکم ما یرید لا علّه لفعله و لا رادّ لقضائه و هذان الفریقان واقعان فی طرفی التّضادّ، أحدهما یسمّی بالقدریّه و الآخر

بالجبريّه، و زعم الفرقه الاولى أنّ بالقول بالتّفويض يظهر فايده التّكليف بالأمر و النّهى و الوعد و الوعيد، و به يحصل استحقاق الثواب و العقاب، و به ينزّه اللّه سبحانه عن ايجاد الشّرور و القبايح التى هى أنواع الكفر و المعاصى، و زعم الفرقه الاخرى أنّ بالقول بالجبر يحصل سلطنه مالك الملوك فى ملكوته و ملكه و أنّ فيه تعظيما لقدره اللّه تعالى و تقديسا له عن شوائب النّقصان و الافتقار فى التّاثير إلى شىء آخر و أنت خبير بأنّ القول الأوّل مستلزم للشّرك، و الثانى مستلزم للكفر، و قد ورد فى الأخبار الكثيره المنع منهما و الرّد عليهما صريحا بقولهم: لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين، و تحقيق الأمر بين الأمرين و توضيح الرّد على الفريقين لعلنا نشير إليها فى مقام مناسب إنشاء اللّه.

الوجه الثانى تفويض أمور الخلق إلى النّبىّ و الأئمه الطاهرين سلام اللّه عليهم وردّها إلى اختيارهم و هو يتصوّر على أنحاء بعضها صحيح و بعضها باطل

الاول

التّفويض فى الخلق و الايجاد و التّربيه و الرّزق و الاماته و الاحياء و غيرها من الأفعال، و قد أثبته بهذا المعنى بعض النّاقصين من الغلاه فان كان مرادهم منه أنّهم يفعلون جميع ذلك بارادتهم و قدرتهم و هم الفاعلون لها حقيقه كما هو ظاهر كلماتهم على ما حكى عنهم غير واحد، فهو كفر صريح دلّت على امتناعه الأدله العقليّه و النقليه، و قد مضى الاشاره إلى بعضها فى كلامى الصّدوق و المفيد السابقين و يدلّ عليه صريحا(۱) ما رواه فى العيون عن الرّضا عليه السّلام أنّه قال: من زعم أن اللّه يفعل أفعالنا ثمّ يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر، و من زعم أنّ اللّه فوّض أمر الخلق و الرّزق إلى حججه فقد قال بالتّفويض، و القائل بالجبر كافر و القائل بالتفويض مشرك و فيه أيضا باسناده عن أبى هاشم الجعفرى قال: سألت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام عن

۱- (۱) و التقييد بذلک نظرا الى ان آيات الخلق و دلائل التوحيد و الآيات الوارده فى كفر النصارى و بطلان مذهبهم و الاخبار الوارده فيها دالّه على الامتناع أيضا الّا انّ المقصود فى المقام ذكر الادلّه الخاصه الصريحه، منه

الغلاه و المفوّضه فقال: الغلاه كفّار و المفوّضه مشركون من جالسهم أو خالطهم أو و اكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوّجهم أو تزوّج إليهم أو امنهم أو ائتمنهم على أمانه أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمه، خرج من ولايه اللّه عزّ و جلّ و ولايه رسول اللّه و ولايتنا أهل البيت و فى البحار من كتاب الرّجال للكشّى باسناده عن عبد اللّه بن شريك عن أبيه قال: بينا علىّ عند امرأه له من غنزه و هى امّ عمرو إذ أتاه قنبر فقال: إنّ عشره نفر بالباب يزعمون أنّك ربّهم فقال: ادخلهم قال: فدخلوا عليه فقال لهم: ما تقولون فقالوا إنّك ربّنا و أنت الّذى خلقتنا و أنت الذى رزقتنا، فقال لهم: ويلكم ربّى و ربّكم اللّه، ويلكم توبوا أو ارجعوا فقالوا: لا نرجع عن مقالتنا أنت ربّنا ترزقنا و أنت خلقتنا فقال: يا قنبر ائتنى بالفعله فخرج قنبر فأتاه بعشره رجال مع الزّبل(۱) و المرود، فأمر أن يحفروا لهم فى الأرض فلمّا حفروا خدّا(۲) أمر بالحطب و النّار فطرح فيه حتّى صار نارا تتوقّد قال لهم: توبوا قالوا: لا نرجع فقذف علىّ عليه السّلام بعضهم ثمّ قذف بقيّتهم فى النّار قال عليه السّلام:

إنّى إذا أبصرت شيئا منكرا أو قدت نارى و دعوت قنبرا

(۳) و عن العيون عن ماجيلويه، عن علىّ، عن أبيه، عن ياسر الخادم قال: قلت للرّضا عليه السّلام ما تقول فى التفويض؟ فقال: إنّ اللّه تبارك و تعالى فوّض إلى نبيّه أمر دينه فقال:

«ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » فامّا الخلق و الرّزق فلا ثمّ قال: إنّ اللّه عزّ و جلّ خالق كلّ شىء و هو يقول عزّ و جلّ:

ص:۳۶۳

۱- (۱) الزبل ككتب جمع زبيل كأمير و قنديل و سكّين قاله فى القاموس

۲- (۲) أى الحفره المستطيله فى الارض ق

۳- (۳) و فى بعض الروايات بعد هذا البيت هكذا:ثم احتفرت حفرا فحفراو قنبر يحطم حطما منكرا (منه)

«اَلَّذِی خَلَقَکُمْ ثُمَّ رَزَقَکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یُحْیِیکُمْ هَلْ مِنْ شُرَکائِکُمْ مَنْ یَفْعَلُ مِنْ ذلِکُمْ مِنْ شَیْ ءٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمّا یُشْرِکُونَ »
و فی الاحتجاج و عن العیون جمیعا عن علیّ بن أحمد الدّلال القمّی، قال:

اختلف جماعه من الشّیعه فی أنّ اللّه عزّ و جلّ فوّض إلی الأئمه أن یخلقوا و یرزقوا فقال قوم: هذا محال لا یجوز علی اللّه، لأنّ الاجسام لا یقدر علی خلقها غیر اللّه عزّ و جلّ، و قال آخرون بل اللّه عزّ جلّ أقدر الأئمه علی ذلک و فوّض إلیهم، فخلقوا و رزقوا، و تنازعوا فی ذلک نزاعا شدیدا فقال قائل: ما بالکم لا ترجعون إلی أبی جعفر محمّد بن عثمان فتسألونه عن ذلک لیوضح لکم الحقّ فیه فانّه الطریق إلی صاحب الأمر علیه السّلام فرضیت الجماعه بأبی جعفر و سلّمت و أجابت إلی قوله، فکتبوا المسأله فأنفذوها إلیه، فخرج إلیهم من جهته توقیع نسخته إنّ اللّه تعالی هو الّذی خلق الأجسام و قسّم الأرزاق، لأنّه لیس بجسم و لا حالّ فی جسم، لیس کمثله شیء و هو السّمیع البصیر، فأمّا الأئمه فانّهم یسألون اللّه فیخلق و یسألونه فیرزق ایجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم إلی غیر هذه من الأخبار الوارده فی ردّ هذه المقاله الفاسده و طعن القائلین به، فلا یستریب عاقل فی الحکم بکفرهم إن کان مرادهم التّفویض بالاستقلال.

و إن کان مرادهم أنّ اللّه یفعل الأشیاء مقارنا لارادتهم کشقّ القمر و إحیاء الموتی و قلب العصاحیّه و غیر ذلک من المعجزات، بمعنی أن یکون الفاعل لها حقیقه هو اللّه سبحانه و یکون هو الخالق و الرّازق و المحیی و الممیت و الضارّ و النافع إلّا أن ذلک لما کان مقارنا لإرادتهم و مقترنا لمشیّتهم فاطلق ذلک علیهم مجازا.

و بعباره أخری لما کان وقوع هذه الأفعال بسبب ارادتهم فصاروا بمنزله الفاعل لها حقیقه، فهذا المعنی مما لا إباء للعقل عنه لأنه لا یأبی عن أن یکون اللّه خلقهم و أکملهم و ألهمهم ما یصلح لنظام العالم ثمّ خلق کلّشیء بقدرته مقارنا

لارادتهم و مشيتهم.

إلّا انّ المحدّث المجلسى قال: إنّ الأخبار الكثيره تمنع من القول به فيما عدا المعجزات ظاهرا بل صريحا، مع أنّ القول به قول بما لا ـ يعلم، إذ لم يرد ذلك فى الأخبار المعتبره فيما نعلم، و ما ورد من الأخبار الدّالّه على ذلك كخطبه البيان و أمثالها فلم يوجد إلّا فى كتب الغلاه و أشباههم مع أنه يمكن أن يكون المراد كونهم علّه غائيه لجميع الممكنات، و ايجاد جميع المكونات و انه تعالى جعلهم مطاعين فى الأرضين و السماوات، و يطيعهم باذن اللّه تعالى كلّ شىء حتى الجمادات، و انهم إذا شاءوا امرا لا يرد اللّه مشيتهم و لكنّهم لا يشاءون إلّا أنّ يشاء اللّه.

و أمّا ما ورد من الاخبار فى نزول الملائكه و الرّوح اليهم لكلّ أمر و أنه لا ينزل من السماء ملك لأمر إلّا بدء بهم فليس ذلك لمدخلهم فى ذلك و لا ـ للاستشاره بهم، بل له الخلق و الأمر تعالى شأنه و ليس ذلك إلّا لتشريفهم و إكرامهم و اظهار رفعه مقامهم

الثانى

التّفويض فى أمر الدّين فى الجمله و إنّما قيّدنا به و خالفنا ظاهر أكثر العباير لأنّ كثيرا من الأمور الدّينيّه ممّا نطق به الكتاب العزيز، و بعضها ثبت بالاحاديث القدسيّه، فلا ـ بدّ أن يكون التّفويض فيما عداها، و به يظهر ما فى إطلاقات الاكثر، فالمقصود بذلك أنّه سبحانه لمّا أكمل نبيّه بحيث لم يكن يختار من الأمور شيئا إلّا ما يوافق الحقّ و الصّواب، و لم يكن يخطر بباله ما يخالف مشيّه اللّه فى كلّ باب فوّض إليه تعيين بعض الامور كالزياده فى الصّلاه و تعيين النّوافل فى الصّلاه و الصّوم و طعمه بالجد، و تحريم كلّ مسكر و نحو ذلك ممّا سيأتى فى ضمن الأخبار و التّفويض بذلك المعنى حقّ ثابت بالأخبار المستفيضه و قد ذهب إليه جمع من الأصحاب و هو الظّاهر من أكثر المحدّثين بل صريح بعضهم كالكلينى حيث عقد فى الكافى بابا فيه و الصّدوق فى جمله من كتبه، فقد ذكر الأخبار الداله على ذلك من غير تعرّض لردّها، و صرّح به فى عقايده حسبما عرفت سابقا، و المحدّث

المجلسی فی جمله من کتبه و غیرهم فممّا یدلّ علی ذلک روایه یاسر الخادم الّتی أسلفناها و ما رواه فی الکافی عن فضیل بن یسار قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول لبعض أصحاب قیس الماصر: إنّ اللّه عزّ و جلّ أدّب نبیّه فأحسن أدبه، فلمّا أکمل له الأدب قال:

«وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ » ثم فوّض إلیه أمر الدّین و الامّه لیسوس عباده فقال:

«وَ ما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » و إنّ رسول اللّه کان مسدّدا موفّقا مؤیّدا بروح القدس لا یذلّ «یزلّ ظ» و لا یخطی شیء ممّا یسوس به الخلق، فتأدّب بآداب اللّه ثمّ إنّ اللّه عزّ و جلّ فرض الصّلاه رکعتین رکعتین عشر رکعات، فأضاف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی الرکعتین رکعتین و إلی المغرب رکعه، فصارت عدیل الفریضه لا یجوز ترکهنّ إلاّ فی سفر، و أفرد الرّکعه فی المغرب فترکها قائمه فی السّفر و الحضر، فأجاز اللّه له ذلک کلّه فصارت الفریضه سبع عشر رکعه.

ثمّ سنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله النّوافل أربعا و ثلاثین رکعه مثلی الفریضه فأجاز اللّه له ذلک، و الفریضه و النافله احدی و خمسون رکعه، منها رکعتان بعد العتمه جالسا تعدّ برکعه مکان الوتر، و فرض اللّه فی السّنه صوم شهر رمضان و سنّ رسول اللّه صوم شعبان و ثلاثه أیّام فی کل شهر مثلی الفریضه فأجاز اللّه له ذلک و حرّم اللّه الخمر بعینها و حرّم رسول اللّه المسکر من کلّ شراب فأجاز اللّه ذلک و عاف رسول اللّه أشیاء و کرهها لم ینه عنها نهی حرام إنما نهی عنها نهی إعافه و کراهه، ثمّ رخّص فیها فصار الاخذ برخصته واجبا علی العباد کوجوب ما یأخذون بنهیه و عزایمه و لم یرخّص لهم رسول اللّه فیما نهیهم عنه نهی حرام، و لا فیما أمر به أمر فرض لازم فکثیر المسکر من الأشربه نهیهم عنه نهی حرام

و لم يرخّص رسول اللّه تقصير الركعتين اللتين ضمّهما إلى ما فرض اللّه بل ألزمهم ذلك إلزاما واجبا لم يرخّص لأحد فى شيء من ذلك إلّا للمسافر، و ليس لأحد أن يرخّص ما لم يرخّصه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فوافق أمر رسول اللّه أمر اللّه عزّ و جلّ، و نهيه نهى اللّه عزّ و جلّ، و وجب على العباد التسليم له كالتسليم للّه تبارك و تعالى و فى الكافى أيضا عن عبد اللّه بن سليمان العامرى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لما عرج برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نزل بالصلاه عشر ركعات ركعتين ركعتين، فلما ولد الحسن و الحسين زاد رسول اللّه سبع ركعات شكرا للّه فأجاز اللّه له ذلك و ترك الفجر لم يزد فيها لضيق وقتها، لأنّه يحضرها ملائكه اللّيل و ملائكه النّهار، فلمّا أمره اللّه تعالى بالتقصير فى السّفر وضع عن امّته ستّ ركعات و ترك المغرب لم ينقص منها شيئا و فى البحار من كتاب الاختصاص باسناده عن جابر بن يزيد، قال تلوت على أبى جعفر عليه السّلام هذه الآيه من قول اللّه:

«لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْ ءٌ » فقال إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حرص أن يكون علىّ ولىّ الأمر من بعده فذلك الّذى عنى اللّه «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْ ءٌ » و كيف لا يكون له من الأمر شيء و قد فوّض اللّه إليه فقال: ما أحلّ النّبىّ فهو حلال و ما حرّم النّبىّ فهو حرام و فيه أيضا من بصائر الدّرجات باسناده عن محمّد بن الحسن الميثمى، عن أبيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: إنّ اللّه أدّب رسوله حتّى قوّمه على ما أراد ثمّ فوض إليه فقال:

«ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » فما فوّض اللّه إلى رسوله فقد فوّض إلينا، و رواه فى الكافى أيضا مثله و فى البحار من البصاير أيضا عن أديم بن الحرّ، قال اديم: سأله موسى بن اشيم يعنى أبا عبد اللّه عليه السّلام عن آيه من كتاب اللّه فخبّره بها، و لم يبرح حتّى دخل رجل

فسأله عن تلك الآيه بعينها فأخبره بخلاف ما أخبره، قال ابن أشيم فدخلنى من ذلك ما شاء اللّه حتّى كنت كاد قلبى أن يشرح بالسّكاكين، و قلت. تركت أبا قتاده بالشّام لا يخطى فى الحرف الواحد الواو و شبهها و جئت إلى من يخطى هذا الخطاء كلّه فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآيه بعينها فأخبره بخلاف ما أخبرنى و الّذى سأله بعدى فتجلّى عنّى و علمت أنّ ذلك تعمّدا منه، فحدّثت نفسى بشىء فالتفت إلىّ أبو عبد اللّه عليه السّلام فقال يابن اشيم لا تفعل كذا و كذا فحدّثنى عن الامر الذى حدثت به نفسى ثمّ قال: يابن اشيم إنّ اللّه فوّض إلى سليمان بن داود فقال:

«هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ » و فوّض إلى نبيّه فقال:

«ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » فما فوّض إلى نبيّه فقد فوّضه إلينا، و رواه فى الكافى نحوها إلى غير ذلك ممّا ورد فى هذا الباب هذا و المستفاد من الرّوايتين الأخيرتين هو ثبوت التّفويض إلى الأئمه كما ثبت للنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هو نصّ الصّدوق فى عبارته التى نقلناها سابقا، و لكنه مشكل جدّا، و ذلك لأنّ الظاهر من تفويض أمر الدّين إليهم حسبما ذكرناه سابقا هو تسليم أمره إليهم و جعله موكولا إلى اختيارهم، بمعنى أن يكون لهم الخيار فى تحريم شىء أو تحليله و الحكم بطهاره شىء أو نجاسته إلى غير ذلك من الأحكام الشّرعيه و الوضعيّه و هو مناف للأحاديث المستفيضه بل المتواتره الدّاله على أنّ جميع الأحكام ممّا علمه رسول اللّه عليّا و الأئمه من ولده، و أنّه ما بقى شىء يحتاج إليه الامّه من الأحكام الشّرعيّه و المسائل الدّينيّه حتّى أرش الخدش إلاّ بيّنه صلّى اللّه عليه و آله و تنافيه للتّفويض ظاهر، إذ المستفاد من هذه الأخبار أنّه لم يبق من أمر الدّين شىء إلاّ و أودعه صلّى اللّه عليه و آله عندهم، فلم يبق حكم واقعىّ حتّى يفوّض الأمر فيه إليهم أو يحكموا به من تلقاء أنفسهم، بل الظاهر أنّ كلّ ما حكموا به فهو نور مقتبس من

أنوار الرّساله.

و منه ينقدح إشكال آخر، و هو أنّ المستفاد من كثير من الأخبار و الآيات أنّ فى القرآن تبيان كلّ شىء و أنّه لا رطب و لا يابس إلّا فى كتاب مبين، و أنّ جميع الأحكام ممّا نزل به الرّوح الأمين من عند ربّ العالمين، و ذلك ينافى التفويض إلى النّبىّ أيضا بالتقريب الذى ذكرناه آنفا، و قد قال سبحانه: «و ما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى، و إن اتّبع إلّا ما يوحى الىّ و ما أنا إلّا نذير مبين» و من المعلوم أنّه كثيرا ما كان ينتظر الوحى و لا يجيب من تلقاء نفسه، فلو كان الأمر مفوّضا إليه لما احتاج إلى ذلك و يمكن الجواب عن الاشكال الأوّل بحمل الأحكام المفوّضه إليهم على الأحكام الظاهريّه كالوارده فى مقام التّقيه و ربّما يشعر به الرّوايه الأخيره إلّا أنّ المستفاد من ذيلها كالرّوايه المتقدّمه عليها هو كون التّفويض إلى الأئمه على حدّ التّفويض إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنّ ما فوّض إلى رسول اللّه فوّض إلى الأئمه، و قد ظهر من روايه الفضيل أنّ التّفويض إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّما هو فى الأحكام الواقعيّه فالأولى الجواب بأنّ المراد بالتّفويض إليهم هو التّفويض فى تشريع الأحكام و اختراعها.

لا يقال: إنّ تشريع الأحكام كان مختصّا بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله إذ لم يبق بعده حكم حتّى يكون مفوّض التشريع إلى الأئمه لأنّا نقول: إنّ غايه ما يستفاد من الأخبار هو أنّ إكمال الدّين و إنزال جميع الاحكام كان فى زمن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمّا تبليغه لها كلّها إلى الامه فلا بل لم يبلّغ صلوات اللّه عليه إلّا قليلا من الاحكام، و إنّما أودعها كلّها عند الأئمه و سلّمها إليهم و هم عليهم السّلام بلّغوا منها إلى الامّه ما كانت محتاجه إليه، و بقى مخزونا عندهم ما لم يكن لها إليه حاجه و بمثل هذا الجواب أيضا يمكن الذّبّ عن الاشكال الثّانى إلاّ أنّ التّحقيق فى الجواب عنه أن يقال: إنّ كون جميع الاحكام ممّا اوحى بها إلى النبىّ لا ينافى

التّفويض إليه، لأنّ المستفاد من الأخبار أنّ تفويض أمور الدّين إليه صلّى اللّه عليه و آله إنّما وقع بعد أن أدّبه اللّه سبحانه، و المراد بتأديبه هو اجتبائه بالهدايه إلى جميع ما فيه صلاح العباد فى أمر المعاش و المعاد، و اكرامه بالعصمه المانعه من الخطاء و الزّلل، و اكمال عقله و إقداره على معرفه جهات الأفعال من المصالح و المفاسد الواقعه فيها فيكون محصّل المراد بتلك الأخبار أنّ اللّه أكمل عقل نبيّه و علّمه جميع المصالح و المفاسد الواقعيّه، فحسن علمه و كماله، ثمّ فوّض إليه أمر دينه أى أذن له فى مراجعه عقله فى معرفه الأحكام، فعرف فى شيء جهه حسن ملزم فحكم فى نفسه بوجوبه، و فى شيء آخر جهه قبح ملزم فحكم فى نفسه بحرمته، و هكذا ثمّ لحقه الاجازه من اللّه سبحانه، فحاله عند التّحقيق كحال المجتهد إذا رجع الأدلّه فحكم بحكم ثمّ عرض على المعصوم فأقرّه عليه و أجاز له ذلك و بعباره أخرى أنّ اللّه لمّا أكمل نبيّه بالعقل و العلم و العصمه و الهدايه، و النّبيّ لمّا عرف الجهات الواقعيّه للأفعال، فعيّن فى نفسه الشّريف لكلّ فعل حكما من الأحكام على حسب ملاحظه الجهات و مراعات اقتضاء المقتضيات الواقعيّه فلحقه الاجازه منه سبحانه بما عيّنه فى نفسه، ثمّ كلف النّاس به بعد لحوق الاجازه فيكون و حيا و يندرج فى أحكام اللّه سبحانه، ثمّ فى الكتاب المشتمل عليها و على غيرها، و كيف كان فلا ينطق بما اختاره فى نفسه إلّا بعد الاجازه و نزول وحى يدلّ على تقريره عليه.

و من هنا ذهب بعض أصحابنا الأصوليّين إلى أنّ المراد بقولهم كلّما حكم به العقل حكم به الشّرع: هو العقل الكلّ العالم بالجهات المحسّنه و المقبحه العارف بالمصالح و المفاسد الواقعيّه، و يوضح ما حقّقناه ما ورد فى أمر تحويل القبله من أنّ النبيّ كان متعبّدا باستقبال بيت المقدّس، فلما عيرت به اليهود و قالوا له: إنك تابع لقبلتنا كره استقبال قبلتهم و أحبّ التحويل إلى الكعبه فأنزل اللّه سبحانه:

«قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ »

«وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ ».

فانّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قد اختار فی نفسه التّحویل، و مع ذلک لم یکلّف النّاس به من هوی نفسه و إنما کلّفهم بعد نزول الوحی، فولّی وجهه شطره فولّوا وجوههم إلیه، فافهم و اغتنم

الثالث

تفویض أمر الخلق إلیهم من سیاستهم و تأدیبهم و تکمیلهم و تعلیمهم و وجوب إطاعتهم فیما أحبّوا و کرهوا، و فیما علموا جهه المصلحه فیه و ما لم یعلموا، و بعباره اخری أنّه تعالی فوّض زمام الخلق إلیهم و أوجب علیهم طاعتهم فی کلّ ما یأمرون به و ینهون عنه، سواء علموا جهه المصلحه أم لم یعلموا، و انما الواجب علیهم الاذعان و الانقیاد.

قال العلّامه المجلسی (ره): و هذا المعنی حقّ دلّت علیه الآیات و الأخبار و أدلّه العقل اه أقول: من الآیات قوله تعالی:

«أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ » و قوله:

«مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّهَ ».

و من الأخبار ما رواه فی الکافی باسناده عن أبی اسحاق النحوی قال: دخلت علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فسمعته یقول: إنّ اللّه أدّب نبیّه علی محبّته(۱) فقال:

«وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ » ثمّ فوّض إلیه، فقال: «وَ ما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » و قال: «مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّهَ » ثمّ قال و إنّ نبیّ اللّه فوّض إلی علیّ و ائتمنه فسلمتم و جهد الناس فو اللّه لنحبّکم (لحسبکم خ ل) أن تقولوا اذا قلنا، و أن تصمتوا اذا صمتنا و نحن فیما بینکم و بین

۱- (۱) أی علی ما أحبّ و أراد من التأدیب، منه

اللّه ما جعل اللّه لأحد خيرا فی خلاف أمرنا و فی الکافی و البحار من بصایر الدّرجات باسنادهما عن زراره قال سمعت أبا جعفر و أبا عبد اللّه علیهما السّلام یقول: إنّ اللّه فوّض الی نبیّه أمر خلقه لینظر کیف طاعتهم ثمّ تلی هذه الآیه:

«وَ ما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ».

و عن زراره أیضا عن أبی جعفر علیه السّلام قال: وضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دیه العین و دیه النفس و دیه الأنف، و حرّم النبیذ و کلّ مسکر فقال له رجل: فوضع هذا رسول اللّه من غیر أن یکون جاء فیه شیء؟ قال: نعم لیعلم من یطع الرّسول ممن یعصیه

الرابع

تفویض القول بما هو أصلح لهم أو للخلق بسبب اختلاف العقول و الافهام و الازمنه و الحالات أو غیر ذلک من الاعتبارات و بعباره أوضح أنّه سبحانه فوّض إلیهم بیان العلوم و الأحکام بما أراد و أراد المصلحه فیها بسبب اختلاف عقول النّاس و بسبب التقیّه فیفتون بعض النّاس بالواقع من الأحکام و بعضهم بالتقیّه، و یبیّنون تفسیر الآیات و تأویلها بحسب ما یحتمل عقل کلّ سائل و لهم أن یبیّنوا و لهم أن یسکتوا بحسب ما یریهم اللّه من مصالح الوقت و یشهد بذلک روایه ابن أشیم السّالفه.

و ما رواه الکلینیّ باسناده عن الوشا عن الرّضا علیه السّلام قال: قلت له: حقّا علینا أن نسألکم قال: نعم، قلت: حقّا علیکم أن تجیبونا، قال: لا ذاک إلینا إن شئنا فعلنا و ان شئنا لم نفعل أما تسمع قول اللّه:

«هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَیْرِ حِسابٍ ».

و باسناده عن زراره بن أعین عن أبی جعفر علیه السّلام قال سألته عن مسأله فأجابنی ثمّ جاءه رجل آخر فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنی ثمّ جاء آخر فأجابه بخلاف ما أجابنی و أجاب صاحبی فلمّا خرج الرّجلان قلت له: یابن رسول اللّه

رجلان من أهل العراق من شيعتكم قد ما يسألان فأجبت كلّ واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه، فقال: يا زراره إنّ هذا خير لنا و لكم و أبقى لنا و لكم و لو اجتمعتم على أمر واحد لما صدقكم النّاس علينا و لكان أقلّ لبقائنا و لبقائكم و عن الخصال بسنده عن حماد قال: قلت للصّادق عليه السّلام: انّ الأحاديث تختلف عنكم قال: فقال: إنّ القرآن نزل على سبعه أحرف و أدنى ما للامام أن يفتى على سبعه وجوه ثمّ قال:

«هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ ».

و فى الكافى مسندا عن منصور بن حازم قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام أسألك عن المسأله فتجيبنى فيها بالجواب، يجيئك غيرى فتجيب فيها بجواب آخر، فقال: إنّا نجيب النّاس على الزّياده و النقصان قال العلاّمه المجلسى: و لعلّ تخصيص هذا النّحو من التّفويض بالنّبىّ و الأئمه عليهم السّلام لعدم تيسّر هذه التّوسعه لساير الأنبياء و الأوصياء، بل كانوا مكلّفين بعدم التّقيه فى بعض الموارد و إن أصابهم الضّرر

الخامس

التّفويض فى قطع الخصومات و مقام القضاء، فلهم أن يحكموا بظاهر الشريعه و لهم أن يحكموا بعلمهم و بما يلهمهم اللّه من الواقع و مخّ الحقّ فى كلّ واقعه و يدلّ عليه ما رواه محمّد بن سنان قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام لا و اللّه ما فوّض اللّه إلى أحد من خلقه إلاّ إلى الرسول و إلى الأئمه عليه و عليهم السّلام فقال:

«إِنّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ بِما أَراكَ اللّهُ » و هى جاريه فى الأوصياء فانّ الظاهر أنّ المراد بالارائه هو الالهام و ما يلقى فى القلب فتدلّ على التّفويض بالمعنى المذكور، و يأتى تحقيق ذلك إنشاء اللّه فى شرح كلامه المأه و التاسع عشر

السادس

التفويض فی العطاء و المنع، فانّ اللّه تعالی خلق لهم الأرض و ما فیها و جعل لهم الأنفال و الخمس و الصّیفایا فلهم أن یعطوا من شاءوا و أن یمنعوا من شاءوا و یدلّ علیه ما رواه فی البحار من کتاب الاختصاص و بصایر الدّرجات، عن محمّد بن خالد الطیالسی عن سیف بن عمیره عن أبی بکر الحضرمی عن رفید مولی ابن هبیره قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام إذا رأیت القائم اعطی رجلا مأئه ألف و أعطی آخر درهما فلا یکبر فی صدرک، و فی روایه اخری فلا یکبر ذلک فی صدرک فانّ الأمر مفوّض الیه و فی هذا المعنی أخبار کثیره أوردها الأصحاب بعضها فی أبواب الخمس و بعضها فی أبواب الجهاد هذا، و أنت بعد ما أحطت خبرا بما ذکرناه من أقسام التّفویض و عرفت صحیحها و باطلها ظهر لک فساد القول بالنّفی و الاثبات علی وجه الاطلاق، و علیک بالتّأمّل حقّ التّأمل فی هذا المقام فانّه من مزالّ الاقدام

الترجمه

و گفته أمیر مؤمنان علیه التّحیّه و السّلام در وقتی که عزم نمود بر حرب خوارج نهروان و گفته شده آن حضرتر ا که خارجیان عبور کرده اند از پل نهروان: مواضع هلاک شدن ایشان نزد آب نهروانست، بخدا سوگند نمیر هند از ایشان ده نفر و هلاک نمی شود از شما ده نفر، شارح می گوید بقراری که آن حضرت خبر داده بود نه نفر از خوارج خلاصی یافت و نه نفر از أصحاب آن حضرت شهید شد و این از جمله اخبار غیبیّهٔ آن حضرتست.

و قال علیه السلام لما قتل الخوارج و هو التاسع و الخمسون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

فقیل له یا أمیر المؤمنین هلک القوم بأجمعهم:

کلاّ و اللّه إنّهم نطف فی أصلاب الرّجال، و قرارات النّساء، کلّما

ص:۳۷۴

نجم منهم قرن قطع حتّى يكون آخرهم لصوصا سلّابين.

اللغه

(القرار) و القراره بالفتح ما قرّ فيه شىء و سكن و المراد هنا الأرحام و (نجم) ينجم من باب نصر ظهر و طلع و (القرن) الرّدق من الحيوان و موضعه من رأس الانسان أو الجانب الاعلى منه و القرن من القوم سيّدهم و رئيسهم و (اللصوص) جمع لص مثلّثه و (السّلب) الاختلاس

الاعراب

قوله فى أصلاب الرّجال متعلق بالاستقرار المقدّر صفه للنطف، و سلّابين حال مؤكده.

المعنى

اشاره

هذا الكلام أيضا من جمله اخباره الغيبيّه حسبما عرفت فى شرح كلامه السّابق فانّ أصحابه لمّا توهّموا هلاك القوم جميعا و استيصالهم ردعهم بقوله (كلاّ و اللّه إنّهم نطف) مستقرّه (فى أصلاب الرّجال و قرارات النّساء) يعنى أنّ قوما ممّن يرى رايهم و يقول بمثل مقالتهم الآن موجودون بعضهم فى أصلاب الآباء و بعضهم فى أرحام الامهات و سيظهرون و يتّبعون لهم و يكون لهم رؤساء ذو و أتباع و (كلّما نجم منهم قرن قطع)أراد به استيصال رؤسائهم و استعار لهم لفظ القرن مرشحا بذكر النّجم و القطع لكونهما من ملايمات المستعار منه،ثمّ أشار إلى ما يصير إليه حالهم من الدّنائه و الابتذال بقوله (حتّى يكون آخرهم لصوصا سلّابين) أى قطاعا للطريق روى أنّ طائفه من الخوارج لم يحضروا القتال و لم يظفر بهم أمير المؤمنين عليه السّلام و قد عرفت فى شرح الكلام السّابق أنّ المفلتين من القتل كانوا تسعه نفر، فتفرقوا فى البلاد و شاعت بدعهم فيها و صاروا نحوا من عشرين فرقه و كبارها ستّ و قيل سبع

احداها المحكمه

و هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السّلام عند التحكيم و كفّروه، و هم اثنا عشر ألف رجل كانوا أهل صلاه و صيام، و فيهم قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يحقر صلاه أحدكم فى

ص:۳۷۵

جنب صلاتهم، و صوم أحدكم فی جنب صومهم، و لكن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم، قالوا: من نصب من قريش و غيرهم و عدل فيما بين النّاس فهو امام، و إن غيّر السّيره و جار وجب أن يعزل أو يقتل و لم يوجبوا نصب الامام، و جوّزوا أن لا يكون فی العالم إمام و كفّروا عثمان و أكثر الصّحابه و مرتكب الكبيره

الثانيه البيهسيه

أصحاب أبی بيهس هيصم بن جابر و كان بالحجاز و قتل فی زمن الوليد قالوا:

الايمان هو الاقرار و العلم باللّه و بما جاء به الرّسول فمن وقع فيما لا يعرف أحلال هو أم حرام فهو كافر، لوجوب الفحص عليه حتّی يعلم الحقّ، و قيل لا يكفر حتّی يرجع أمره إلی الامام فيحدّه و كلّما ليس فيه حدّ فمغفور، و قيل لا حرام إلّا ما فی قوله:

«قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً » الآيه.

و قالوا: إذا كفر الامام كفرت الرّعيّه حاضرا أو غايبا، و قال بعضهم السّكر من شراب حلال لا يؤاخذ صاحبه

الثالثه الازارقه

أصحاب نافع بن الازرق و كانوا أكبر الفرق غلبوا علی الأهواز و بعض بلاد فارس و كرمان فی أيّام عبد اللّه بن زبير، و هم فی ثلاثين ألف فارس فأنفذ إليهم المهلب و لم يزل فی حربهم هو و أولاده تسع عشره إلی أن فرغ من أمرهم فی أيّام الحجّاج و مذهبهم أنّهم قالوا: كفر علیّ بالتّحكيم، و هو الّذی أنزل اللّه فی شأنه:

«وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ » و ابن ملجم محقّ فی قتله، و هو الذی انزل فی شأنه:

«وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ ».

ص:٣٧٦

و فيه قال شاعرهم:

يا ضربه من تقىّ ما أراد بها إلّا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

إنّى لأذكره يوما فأحسبه أو فى البريّه عند اللّه ميزانا(۱)

عليه و عليهم ألف ألف لعنه من اللّه و الملائكه و النّاس أجمعين، و قالوا: أيضا بكفر عثمان و طلحه و الزّبير و عايشه و عبد اللّه بن العبّاس و ساير المسلمين معهم و قضوا بتخليدهم فى النّار، و كفروا الذين قعدوا عن القتال و إن كانوا موافقين لهم فى الدّين، و قالوا بتحريم التّقيّه فى القول و العمل و بجواز قتل أولاد المخالفين و نسائهم و أنّه لا رجم على الزّانى المحصن إذ هو غير مذكور فى القرآن، و المرأه إذا قذفت أحدا لا تحدّ، لأنّ المذكور فى القرآن هو صيغه الذين و هى للمذكّر، و جوّزوا أن يكون النبىّ كافرا و إن كان بعد النبوّه، و قالوا: إنّ مرتكب الكبيره كافر.

الرابعه النجدات

نسبتهم إلى نجده بن عامر النّخعى و كان معه أميران يقال: لأحدهما عطيه و للآخر أبو فديك، ففارقاه بشبهه ثمّ قتله أبو فديك و صار لكلّ منهما جمع عظيم، و قتلا فى زمن عبد الملک، و هم افترقوا من حيث المذهب إلى فرق عديده منها.

العاذرّيه و هم الذين عذروا النّاس فى الجهالات بالفروع و ذلک أنّ نجده وجد لعنه اللّه بجيش إلى أهل القطيف فقتلوهم و أسروا نسائهم و نكحوهنّ قبل القسمه و أكلوا من الغنيمه قبلها أيضا فلمّا رجعو إلى نجده و أخبروه بما فعلوا قال: لم يسعكم ما فعلتم، فقالوا: لم نعلم أنّه لا يسعنا فعذروهم بجهالتهم و قال النّجدات كلّهم:

لا حاجه للنّاس إلى الامام بل الواجب عليهم رعايه النّصفه فيما بينهم و يجوز لهم نصبه إذا توقّفت عليه الامور و خالفوا الأزارقه فى غير التّكفير.

و منها الأصغريه أصحاب زياد بن الأصغر يخالفون الأزارقه فى تكفير من قعد عن القتال إذ كانوا موافقين لهم فى الدّين و فى إسقاط الرّجم فانّهم لم يسقطوه

۱- (۱) البيت لعمران بن الخطان الخارجى لعنه اللّه بمدح ابن ملجم

و جوّزوا التّقيه فى القول دون العمل، و قالوا المعصيه الموجبه للحدّ لا يسمّى صاحبها إلّا بها فيقال سارق مثلا و لا يقال كافر و ما لا حدّ فيه لعظمته كترك الصّلاه و الصّوم يقال لصاحبه كافر.

الخامسه الاباضيه

نسبتهم إلى عبد اللّه بن أباض كان فى أيّام مروان بن محمّد فوجد إليه عبد اللّه محمّد بن عطيه فقاتله و قتله، و هؤلاء ذهبوا إلى أنّ مخالفينا من أهل القبله كفار غير مشركين يجوز مناكحتهم و غنيمه أموالهم حلال عند الحرب دون غيره، و دارهم دار الاسلام إلّا معسكر سلطانهم، و مرتكب الكبيره موّحد غير مؤمن بناء على أنّ الأعمال داخله فى الايمان، و فعل العبد مخلوق للّه تعالى و مرتكب الكبيره كافر كفر نعمه لا كفر ملّه، و توقفوا فى النّفاق أ هو شرك أم لا و كفّروا عليّا و أكثر الصّحابه و تحت هذه الفرقه أيضا فرق عديده.

منهم الحفصيّه نسبتهم إلى أبى حفص بن أبى المقدام و زادوا على الاباضيه أنّ بين الايمان و الشّرك معرفه اللّه تعالى فانّها خصله متوسطه بينهما، فمن عرف اللّه تعالى و كفر بما سواه من رسول أو جنّه أو نار أو بارتكاب كبيره فكافر لا مشرك.

و منهم اليزيديه و هم أصحاب يزيد بن أنيسه زادوا على الاباضيه بقولهم: إنّه سيبعث نبىّ من العجم بكتاب يكتب فى السماء و ينزل جمله واحده و يترك شريعه محمّد إلى ملّه الصّابيه المذكوره فى القرآن، و قالوا أصحاب الحدود مشركون، و كلّ ذنب شرك صغيره كانت أو كبيره.

و منهم الحارثيه و هم أصحاب أبى الحارث الأباضى، خالفوا الأباضيه فى القدر أى كون أفعال العباد مخلوقه منه تعالى، و فى كون الاستطاعه قبل الفعل.

السادسه العجارده

أصحاب عبد الكريم بن عجرد، زعموا أنّ العبد إذا أتى بما امر به و لم يقصد اللّه كان ذلک طاعه، و قالوا أيضا بوجوب التبرّى عن الطفل حتّى يدّعى الاسلام بعد البلوغ، و يجب دعاؤه إلى الاسلام إذا بلغ، و هذه الفرقه افترقوا

فرقا كثيره:

منهم الميمونيه نسبتهم إلى ميمون بن عمران قالوا: باسناد الأفعال إلى قدر العباد، و يكون الاستطاعه قبل الفعل و أن اللّه يريد الخير دون الشّرّ و لا يريد المعاصى كما هو مذهب المعتزله، قالوا: و أطفال الكفّار فى الجنّه، و يروى منهم تجويز نكاح البنات للبنين و البنين للبنات، و جوّزوا أيضا نكاح بنات البنين و بنات البنات و بنات أولاد الاخوه و الأخوات، و نقل عنهم إنكار سوره يوسف فانهم زعموا أنّها قصّه من القصص، و لا يجوز أن تكون قصّه العشق قرآنا و منهم الحمزيه نسبتهم إلى حمزه بن أدرك وافقوا الميمونيّه إلّا أنّهم قالوا أطفال الكفّار فى النّار.

و منهم الشّعيبيّه نسبتهم إلى شعيب بن محمّد و هم كالميمونيّه فى بدعتهم إلّا فى القدر.

و منهم الحازميّه نسبتهم إلى حازم بن عاصم وافقوا الشّعيبيّه و يحكى عنهم أنّهم يتوقّفون فى أمر علىّ و لا يصرّحون بالبرائه منه كما يصرّحون بالبرائه من غيره.

و منهم الخلفيه أصحاب خلف الخارجى و هم خوارج كرمان أضافوا القدر خيره و شرّه إلى اللّه و حكموا بأنّ أطفال المشركين فى النار بلا عمل و شرك.

و منهم الاطرافيه و هم على مذهب حمزه و رئيسهم رجل من سجستان يقال له: غالب إلّا أنهم قالوا بمعذوريه أهل الاطراف فيما لم يعرفوه من الشريعه إذا أتوا بما يعرف لزومه من جهه العقل، و وافقوا أهل السّنه فى أصولهم.

و منهم المعلوميه هم كالحازميه إلّا أنّهم قالوا يكفى المعرفه ببعض أسمائه، فمن علمه كذلك فهو عارف به و فعل العبد مخلوق له.

و منهم الصّيلتيه نسبتهم إلى عثمان بن أبى الصلت، و هم كالعجارده لكن قالوا من أسلم و استجار بنا تولّينا و تبرأنا من أطفاله حتّى يبلغوا فيدعوا إلى

الاسلام فيقبلوا.

السابعه الثعالبه

و ربما عدت هذه من فرق العجارده فيكون الفرق الكبار ستّا، و بعضهم جعلها ستّا باسقاط المحكمه، و كيف كان فهم أصحاب ثعلبه بن عامر، قالوا بولايه الأطفال صغارا كانوا أو كبارا حتى يظهر منهم إنكار الحقّ بعد البلوغ، و نقل عنهم أنهم يرون أخذ الزكاه من العبيد إذا استغنوا و إعطائها لهم إذا افتقروا، و تفرّقوا إلى أربع فرق.

الاولى الأخنسيه أصحاب الأخنس بن قيس، و امتازوا عن الثعالبه بأن توقفوا فيمن هو فى دار التقيه من أهل القبله فلم يحكموا عليه بايمان و لا كفر، و نقل عنهم تجويز نكاح المسلمات من مشركى قومهنّ.

الثانيه المعبديه نسبتهم إلى معبد بن عبد الرّحمن، خالفوا الأخنسيه فى تزويج المسلمات من المشركين و خالفوا الثعالبه فى زكاه العبيد أى أخذها منهم و دفعها إليهم.

الثالثه الشيبانيه نسبتهم إلى شيبان بن سلمه قالوا بالجبر و نفى القدره الحادثه الرّابعه المكرميه نسبتهم إلى مكرم العجلى قالوا تارك الصلاه كافر لا لترك الصلاه بل لجهلهم باللّه، فانّ من علم أنه مطلع على سرّه و علنه و مجازيه على طاعته و معصيته لا يتصوّر منه الاقدام على ترك الصلاه، و كذا كلّ كبيره فانّ مرتكبها كافر بجهله باللّه

الترجمه

و فرموده آن حضرت وقتى كه قتل نمود خوارج را و عرض كردند به آن حضرت كه جميع طايفهٔ خوارج هلاك و تمام شدند: نيست و همچنين بخدا قسم به درستى كه ايشان نطفه ها هستند در پشتهاى مردان و در رحمهاى زنان هر گاه ظاهر شود از ايشان شاخى بريده شود تا اين كه مى باشد آخر ايشان دزدان ربايندگان يعنى مآل كارشان به جائى رسد كه در آخر از رذاله و دنائه نفس قطاع الطريق

و راهزن میشوند

و قال علیه السلام و هو الستون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

لا تقتلوا الخوارج بعدی فلیس من طلب الحقّ فأخطأه کمن طلب الباطل فأدرکه. قال السّید: یعنی معاویه و أصحابه.

اللغه

المراد (بالحقّ و الباطل) هنا کلّما هو مطلوب للّه سبحانه و مبغوض له.

الاعراب

الفاء فی الموارد الثلاثه للسّببیّه إلاّ أنّها فی الأوّل بمعنی لام السّببیّه دون الأخیرین بل هی فیهما للسّبب و العطف.

و توضیحه یظهر ممّا حقّقه نجم الأئمه الرّضی حیث قال: و الفاء التی لغیر العطف أیضا لا تخلو من معنی التّرتیب، و هی التی تسمّی فاء السّببیّه و یختصّ بالجمل و تدخل ما هو جزاء مع تقدّم کلمه الشّرط، نحو إن لقیته فأکرمه، و من جاءک فأعطه، و بدونها، نحو زید فاضل فاکرمه إلی أن قال: و کثیرا ما یکون فاء السّببیه بمعنی لام السببیّه، و ذلک إذا کان ما بعده سببا لما قبله کقوله تعالی:

«فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّکَ رَجِیمٌ ».

و تقول اکرم زیدا فانه فاضل فهذه تدخل علی ما هو الشّرط فی المعنی کما أنّ الاولی دخلت علی ما هو الجزاء فی المعنی، و ذلک إنّک تقول: زید فاضل فاکرمه فهذا دخل علی الجزاء فاذا عکست الکلام فقلت أکرمه فانّه فاضل فقد دخل علی ما هو شرط، ثمّ اعلم أنّه لا تنافی بین السببیه و العاطفه، فقد تکون سببیّه و هی مع ذلک

عاطفه جمله على جمله، نحو يقوم زيد فيغضب عمرو، لكن لا يلازمها العطف نحو إن لقيته فاكرمه، انتهى كلامه رفع مقامه.

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام نهى عن قتل الخوارج بعده مشيرا إلى علّه النّهى بقوله (لا تقتلوا الخوارج بعدى) فانّه (ليس من طلب الحقّ فأخطاه كمن طلب الباطل فأدركه) و محصّل التّعليل أنّ استحقاق القتل إنّما هو بطلب الباطل و الوقوع فيه عن علم و عمد لا مجرد الوقوع فى الباطل و لو من حيث لا يشعر، و الخوارج لمّا لم يكن مقصودهم بالذّات إلّادرك الحقّ فخطئوا فيه و وقعوا فى الباطل من حيث لا يشعرون لا جرم نهى عن قتله، و أمّا معاويه و أصحابه فلما كان مطلوبهم بالذّات هو الباطل و محق الحقّ لم يمنع عليه السّلام عن قتلهم بل أمر به فيما سبق من كلامه بقوله: أما أنّه سيظر عليكم من بعدى رجل رحب البلعوم إلى قوله: فاقتلوه و لن تقتلوه آه.

أمّا أنّ الخوارج كان مقصودهم بالذّات هو الحقّ و وقوعهم فى الباطل كان بالعرض، فلما عرفت من حالهم فى شرح الخطبه السّادسه و الثلاثين و أنّهم كانوا أهل عباده و زهاده حتّى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال فى حقهم: يخرج قوم من امتّى يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، و لا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء و لا صومكم إلى صومهم بشيء، إلّا أنّهم بالغوا فى التّحرّى و شدّه الطلب للحقّ حتّى تجاوزوا عن فضيله العدل فيه إلى رذيله الافراط، و زعموا أنّهم كفروا بالتحكيم، و زعموا كفر أمير المؤمنين بذلك أيضا فوقعوا فى الباطل و مرقوا من الدّين.

و أما أنّ مقصود معاويه كان بالذّات هو الباطل و هكذا أصحابه فلما عرفت فى شرح الخطبه الخامسه و العشرين و غيرها و ستعرف بعد ذلك أيضا أنّه كان أهل زندقه و الحادوذا تعرّض لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و محاربا لأمير المؤمنين عليه السّلام و سابّا له و لاعنا فى الجمعه و الأعياد، و كانت أحواله كلّها مؤديه بانسلاخه عن العداله و اصراره على الباطل عليه لعنه اللّه و لعنه اللّاعنين من الملائكه و الانس و الجنّ أجمعين ملاّ السّماوات و الأرضين.

فان قلت: إذا كان علّه المنع من قتل الخوارج بعده هو عدم كونهم بالذّات طالبين للباطل، فهذه العلّه بعينها كانت موجوده فى زمانه فلم قاتلهم و قتلهم؟ قلت: أجاب الشّارح البحرانى بأنّه نهى عن قتلهم على تقدير لزوم كل منهم نفسه و اشتغالهم بها و استتارهم فى بيوتهم، و هو إنّما قتلهم من حيث إنّهم أفسدوا فى الأرض و سفكوا الدّم الحرام و قتلوا جماعه من الصّالحين كعبد اللّه بن خباب، و شقوا بطن امرأته و دعوا النّاس إلى بدعتهم، و مع ذلك كان يقول لأصحابه:

لا تبدءوهم بالقتال حتّى يبدؤكم، و لم يشرع فى قتلهم حتّى بدءوا بقتل جماعه من أصحابه.

قال: و يحتمل أن يقال: إنّه إنّما قتلهم لأنّه إمام عادل رأى الحقّ فى ذلك و إنّما نهى عن قتلهم بعده لأنّه علم أنّه لا يلى هذا الأمر بعده من له بحكم الشريعه أن يقتل و يتولّى الحدود.

أقول: و التّحقيق فى الجواب ما ذكره فى البحار تبعا للشّارح المعتزلى حيث قال: لعلّ المراد لا تقتلوا الخوارج بعدى ما دام ملك معاويه و أضرابه كما يظهر من التّعليل، و قد كان يسبّه عليه السّلام و يبرء منه فى الجمع و الأعياد و لم يكن إنكاره للحقّ عن شبهه كالخوارج، و لم يظهر منهم من الفسوق ما ظهر منه و لم يكن مجتهدا فى العباده و حفظ قوانين الشّرع مثلهم، فكان أولى بالجهاد، انتهى.

و يدلّ على ذلك ما رواه أبو العباس المبرّد قال: و خرج من الخوارج على معاويه بعد قتل علىّ حوثره الأسدى و حابس الطائى خرجا فى جمعهما فصارا إلى موضع أصحاب النّخيله و معاويه يومئذ بالكوفه و قد دخلها فى عام الجماعه، و وفد الحسن بن علىّ و خرج يزيد المدينه فوجه إليه معاويه و قد تجاوز فى طريقه يسأله أن يكون المتولى لمحاربه الخوارج فكان جواب الحسن: و اللّه لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين(۱) و ذاك يسعنى، أفا قاتل عنك قوما أنت و اللّه أولى بالقتل منهم

۱- (۱) البياض كان فى اصل الروايه و الظاهر انه سقط هنا شيء و لعلّ اصل الكلام و ليس ذاك يسعنى و اللّه العالم، منه.

و هذا الجواب مطابق لكلام أبيه عليه السّلام، و المقصود منهما أنّ الخوارج أعذر من معاويه و أقلّ ضلالا و معاويه أولى بالمحاربه منهم.

الترجمه

و فرموده است آن حضرك در شأن خوارج كه: نكشيد خارجيان را بعد از من، پس نيست كسى كه طلب كند حق را پس خطا كند در آن مثل كسى كه طلب كند باطل را پس دريابد آنرا، سيد رضى اللّه عنه گفته كه اراده فرموده حضرت بطالب باطل معاويه عليه الهاويه و أصحاب او را.

و من كلام له عليه السلام لما خوف من الغيله

اشاره

و هو الحادى و الستون من المختار فى باب الخطاب

و إنّ علىّ من اللّه جنّه حصينه، فإذا جاء يومى انفرجت عنّى و أسلمتنى فحينئذ لا يطيش السّهم، و لا يبرء الكلم.

اللغه

(الغيله) بالكسر فعله من الاغتيال و هو القتل على غفله و (الجنّه) بضّم الجيم ما يجنّ به اى يستتر من درع و ترس و نحوهما و (طاش) السّهم يطيش من باب ضرب صدف عن الغرض و انحرف عنه و (الكلم) بفتح الكاف و سكون اللاّم الجرح.

الاعراب

علىّ خبر إنّ قدّم على الاسم توسّعا و على لاستعلاء المعنوى، و من اللّه متعلّق بمقدّر حال من فاعل حصينه و تقدّمه للتّوسع أيضا.

المعنى

روى أنّه عليه السّلام خوف من غيله ابن ملجم لعنه اللّه مرارا و أنّ الأشعث لقاه

متقلّدا سيفه فقال له، ما يقلّدك السّيف و ليس بأوان حرب؟ فقال لعنه اللّه: أردت أن أنحربه جزور القريه، فأتى الأشعث إليه عليه السّلام فأخبره و قال قد عرفت ابن ملجم و فتكه فقال ما قتلنى بعد.

و روى أنّه عليه السّلام: كان يخطب مرّه و يذكر أصحابه و ابن ملجم تلقاء المنبر فسمعه يقول: و اللّه لاريحنّهم منك، فلما انصرف عليه السّلام أتوابه ملبّبا فأشرف عليهم، و قال ما تريدون، فخبروه بما سمعوا عنه، فقال فما قتلنى بعد خلّوا عنه(و إنّ علىّ من اللّه جنّه حصينه)استعار الجنّه لعنايه اللّه سبحانه بحفظ أسباب حياته فى المده الممكنه له فى القضاء الالهى، و الجامع أنّ الجنّه كما أنّها حافظه للانسان عن آلام السّهام و نحوها، فكذلك بقاء أسباب الحياه و ثبات مادّتها حافظان له عن سهام الموت فحسن استعارتها لها و ذكر الحصينه ترشيح للاستعاره(فاذا جاء يومى)الذى قدّر فيه موتى(انفرجت)تلك الجنّه(عنّى و أسلمتنى)للموت و كنّى بانفراجها عن انعدام بعض أسباب الحياه فى حقّه، و هو ترشيح آخر للاستعاره المذكوره (فحينئذ لا يطيش السّهم) كما قال فى الدّيوان المنسوب إليه.

للموت فينا سهام غير خاطئه إن فاته اليوم سهم لم يفته غدا

(و لا يبرء الكلم) و فى معنى هذا الكلام قال عليه الصّلاه و السّلام فى الدّيوان:

أىّ يومىّ من الموت أفرّ يوم ما قدّر أو يوم قدر

يوم ما قدّر لم أخش الرّدى و إذا قدّر لا يغنى الحذر

أقول: و فى هذا الكلام إشعار بأنّ للانسان أجلا موقوتا و أمدا ممدودا إذا أدركه يبطل حياته، و إلى ذلك ذهب جماعه، و استدلّوا عليه بقوله سبحانه:

«وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً »:

و قال أيضا: «وَ لِكُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَهً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ ».

و بأنّ المقـدّرات فى الأزل و المكتوبات فى اللّوح المحفوظ لا تتغيّر بالزّياده و النّقصان، لاستحاله خلاف معلوم اللّه، و قـد سبق العلم بوجود كـلّ ممكن أراد وجوده و بعـدم كلّ ممكن أراد عـدمه الأزلى أو إعـدامه بعـد ايجاده، فكيف يمكن الحكم بزياده العمر أو نقصانه بسبب من الاسباب.

و ذهب آخرون إلى قبوله الزّيـاده و النّقصان مسـتدلّين بقوله: «وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاّ فِي كِتابٍ » و بالأخبار الكثيره الدّالّه على أنّ صله الرّحم توجب الزّياده فى العمر و القطيعه توجب النّقصان، و كذلك البرّ و العقوق هذا.

و التّحقيق فى المقـام هو التّفصـيل بما يجمع به بين الأدلّتين، و توضـيحه يحتاج إلى تمهيـد مقـدّمه، و هو أنّ المسـتفاد من بعض الآيات و الأخبار هو أنّ الأجل على قسمين محتوم، و موقوف، قال سبحانه فى سوره نوح:

«أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ ».

قال المفسّرون: الأجل المسمّى هو الأمد الأقصى الذى قدّر اللّه لهم بشرط الايمان و الطاعه و راء ما قدّره لهم على تقدير بقائهم على الكفر و العصيان، فـانّ وصف الأجل بالمسـمّى و تعليق تأخيرهم إليه بالايمان صـريح فى أنّ لهم أجلا آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا، و هو المراد بقوله: «إنّ أجل اللّه إذا جاء لا يؤخّر» أى ما قدّر لكم على تقدير بقائكم على الكفر إذا جاء و أنتم على ما أنتم عليه من الكفر و العصيان لا يؤخر، فبادروا إلى الايمان و الطاعه قبل مجيئه حتّى لا يتحقّق شرطه الذى هو البقاء على الكفر، فلا يجىء و يتحقّق شرط التّاخير إلى الأجل المسمّى فتأخّروا إليه.

و فى الكافى باسناده عن حمران عن أبى جعفر عليه السّلام قال سألته عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«قَضى أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ».

قال هما أجلان: أجل محتوم، و أجل موقوف.

و عن عليّ بن إبراهيم باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه، قال:

الأجل المقتضى هو المحتوم الذى قضاه و حتمه، و المسمّى هو الذى فيه البداء، و يقدّم ما يشاء و يؤخّر ما يشاء، و المحتوم ليس فيه تقديم و لا تأخير.

إذا عرفت هذه المقدّمه ظهر لک أنّ من الأجل قسما قابلا للتّغيير و قسما ليس قابلا له، و عليه فاللّازم حمل الأدلّه الاوله الدّاله على عدم التّغير فى الآجال بالتقدّم و التّأخرّ على الأجل المحتوم، و حمل الأدله الثّانيه على الأجل الموقوف القابل للتغيّر بحصول شروط الزّياده و أسبابها و عدمه، و على ذلک فان كان مراد القائلين بثبوت التّغير و القائلين بعدمه هو ما ذكرناه فلا مشاحه بيننا و بينهم و يصير نزاع أحدهما مع الآخر أيضا على ذلک لفظيّا، و إن أرادوا ثبوت التّغير فى مطلق الآجال و عدمه كذلک فالمنع على القولين واضح.

ثمّ لا يذهب عليک أنّ وجود التّغير فى الأجل الموقوف حسبما ذكرنا لا يوجب التّغيّر فى علمه سبحانه حسبما يزعمه القائلون بالقول الأوّل، و ذلک لأنّه سبحانه كما علم كمّيه العمر علم ارتباطه بسببه المخصوص، و كما علم من زيد دخول الجنّه علم ارتباطه بأسبابه المخصوصه من ايجاده، و خلق العقل له و بعث الأنبياء و نسب الألطاف و حسن الاختيار و العمل بموجب الشّرع، و علم أيضا حصول تلک الاسباب فى الخارج المحصّله لوجود المسبّب، و بالجمله جميع ما يحدث فى العالم فهو معلوم للّه سبحانه على ما هو واقع عليه من شرط أو سبب.

توضيح ذلک أنّ اللّه سبحانه قد خلق لوحا و سمّاه لوح المحو و الاثبات قد كتب فيه الآجال و الأرزاق و جميع ما يكون فى عالم الكون معلّقا على الأسباب و الشرائط و هو الذى يقع فى المحو و الاثبات و التّغيير و البداء، مثلا كتب أنّ عمر زيد عشر سنين إن لم يصل رحمه، و عشرون إن وصل، و أنّه إن أدّى الزّكاه يحصل له

ص:٣٨٧

البركه فى ماله و إن لم يؤدّه لم يحصل، و كذلك جميع الكاينات فهذا اللّوح الذى ابدع فيه صور الموجودات على الوجه القابل للتّغيير، و خلق لوحا آخر أبدع فيه صور الموجودات و جميع الأشياء مفصّله معقوله محفوظه عن التّغيّر و هو المسمّى بامّ الكتاب المشار إليه فى قوله تعالى:

«يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ » و قد كتب اللّه فيه الكاينات على ما علمه فى الأزل و يسمّى ذلك بالعلم الملزم لا تغيّر فيه و لا تبدّل بوجه من الوجوه، لأنّ علمه بالاسباب و المسبّبات على نهج واحد، و قد علم وقوع الاسباب و عدم وقوعها و أنّ زيدا يصل رحمه فيكون عمره كذا، أو لا يصل رحمه فيكون كذا و قد علم فى الازل أحد الطرفين فكتبه فى اللوح المحفوظ، و هذا هو المشار إليه فى الاخبار بقولهم: جفّ القلم بما هو كائن، يعنى أنّه كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامه فلن يكتب بعده أبدا إذ لم يبق شىء حتّى يكتب.

نعم يبقى الكلام فى فايده لوح المحو و الاثبات و تغيير الكاينات و صفاتها فيه مع وجود اللّوح المحفوظ، و لا حاجه لنا إلى البحث فى ذلك الآن و إنّما الواجب التّسليم و الاذعان بعد دلاله نصّ الأخبار عليهما و القرآن، و اللّه العالم الخبير بأسرار عالم الامكان.

الترجمه

از جمله كلام آن امام عالى مقامست در وقتى كه ترسانيدند او را از كشتن ابن ملجم ملعون غفلت مى فرمايد كه: بدرستى بر من است از جانب خداوند سپرى محكم كه عبارتست از بقاء اسباب حياه تا روز فوت، پس هر گاه بيايد روز مرگ من وا شود آن سپر از من و باز گذارد مرا بدست مرگ، پس اين هنگام خطا نمى كند تير موت و البّته بر نشانه بدن واقع مى شود، و خوب نشود أثر جراحت و روى بصحت نگذارد.

و من خطبه له علیه السلام و هی الثانیه و الستون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

ألا ـ و إنّ الـدّنیا دار لا ـ یسـلم منهـا إلاّ ـ فیهـا، و لا ـ ینجی بشـیء کـان لها، أبتلی النّاس بها فتنه، فما أخـذوه منها لها أخرجوا منه و حوسـبوا علیه، و مـا أخـذوه منهـا لغیرها قـدموا علیه و أقاموا فیه، فإنّها عنـد ذوی العقول کفیء الظّلّ، بینا تراه سابغا حتّی قلص و زایدا حتّی نقص.

اللغه

(فاء) الظلّ یفیء فیئا رجع من جانب المغرب إلی جانب المشرق، قال الفیروز آبادی: الفیء ما کان مشمّسا فینسخه الظلّ و (سبغ) الشـیء سـبوغا من بـاب قعـد تمّ و کمـل، و سـبغ الـدّرع طال من فوق إلی أسـفل، و سـبغ الظلّ طال إلی الأرض و (قلص) الظلّ انقبض

الاعراب

فتنه مفعول مطلق بغیر لفظ فعله، نحو قعدت جلوسا و انتصابه بالفعل المقدّر علی مذهب سیبویه ای ابتلی النّاس و فتنوا بها فتنه، و بالفعل الظاهر علی مذهب المازنی و المبرد و السیرافی، و هو الأولی إذ الأصل عدم التّقدیر بلا ضروره داعیه إلیه، و قول الشّارح البحرانی بکونه منصوبا بالمفعول له أو کونه مصـدرا بمعنی الضّلال سادّا مسدّ الحال بعید عن الصّواب و إضافه الفیء إلی الظلّ من قبیل إضافه الخاصّ إلی العامّ، و بینا أصـله بین فاشـبعت الفتحه فحـدثت الألف، و قـد یزاد ما فتقول: بینما، و المعنی واحد، و الجمله بعدها مجروره المحلّ باضافتها إلیها، و هی فی الظاهر مضافه إلی الجمله و فی المعنی إلی مصدرها کسایر ما یضاف إلی الجمل، تقول جئتک یوم قدم زید، أی یوم قدومه

ص:۳۸۹

و التّقدير بين رؤيتک إيّاه زايدا، و حتّى حرف ابتداء يعنى أنّها حرف يستأنف بعدها الكلام، سواء كانت الجمله اسميّه أو فعليّه كقوله: حتّى يقول الرّسول، بالرّفع.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه وارده فى مقام التّزهيد عن الدّنيا و الترغيب فى الآخره و فيها إشاره إلى كونها دار بلاء و فتنه، و إلى أنّها قريبه الزوال سريعه الفناء فقوله (ألا و إنّ الدّنيا دار لا يسلم منها إلّا فيها) تنبيه على أنّ السّلامه من شرور الدّنيا و مفاسدها و ما يترتّب عليها من العذاب الأليم و النّكال العظيم لا تكون إلّا فى دار الدّنيا بالزّهد و الرّياضات و بملازمه التّقوى و الطاعات، و ذلک لأنّ التّكليف إنّما هو فى دار الدّنيا، و الآخره ليست بدار تكليف بل هى دار جزاء، و بامتثال التّكاليف فيها يسلم من العقاب و ينال حسن الثّواب كما أنّ بمخالفتها يحصل الشّقاوه و يستحقّ العقوبه.

و إلى ذلک الاشاره فى حديث الهيثم بن واقد الحريرى «الجزرى ظ» المروى فى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من زهد فى الدّنيا أثبت اللّه الحكمه فى قلبه، و أنطق بها لسانه و بصّره عيوب الدّنيا دائها و دوائها، و أخرجه من الدّنيا سالما إلى دار السّلام (و) منه يعلم انّه (لا ينجى بشىء كان لها) بيان ذلک أنّ الدّنيا و الآخره ضرّتان متضادّتان فما هو للدّنيا مضادّ للآخره فكيف يوجب النّجاه فيها كما أنّ ما هو للآخره مضادّ للدّنيا و مضارّ لها، و لذلک قيل: إنّهما ككفّتى الميزان بقدر ترجيح إحداهما تخفّ الاخرى و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّ فى طلب الدنيا إضرارا بالآخره و فى طلب الآخره اضرارا بالدّنيا، فأضرّوا بالدّنيا فانّها أحقّ بالاضرار و قال اللّه سبحانه:

«اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَهُ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلًا »

ص:۳۹۰

يعنى أنّ المـال و البنين يتفـاخر بهمـا فى الـدنيا و يتزيّن بهما فيها و لا ينفعان فى الآخره اذ لا يبقى شـىء منهما للانسان فينتفع به فيها، و الأعمال الصّالحه و الطاعه الحسـنه التى تبقى ثوابها أفضل ثوابا عند اللّه من المال و البنين و أصدق أملا من زهرات الدّنيا و زخارفهـا، لأنّهـا أمل لا يكـذب فيها يؤمّل الثّواب و ينجى من أليم العقاب و قوله (ابتلى النّاس بها فتنه) اشاره الى أنّ الـدّنيا دار ابتلاء و امتحان، و أنّ اللّه ابتلى عباده فيها تاره بالمسارّ ليشكروا تاره بالمضارّ ليصبروا قال الشّاعر:

ألا انّما الدنيا بلاء و فتنه على كلّ حال أقبلت أو تولّت

فصارت المنحه و المحنه كلاهما بلاء، فالمنحه مقتضيه للشكر، و المحنه مقتضيه للصّبر كما قال تعالى:

«وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَهً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ » قال الطبرسى: اى نعاملكم معامله المختبر بالفقر و الغنا و السّراء و الضرّاء و الشّدّه و الرخاء، و قيل ممّا تكرهون و ما تحبّون ليظهر صبركم فيما تكرهون و شكركم فيما تحبّون، و قيل: الشرّ غلبه الهوى على النّفس و الخير العصـمه عن المعاصـى و اعلم أنّ أصل الابتلاء و الاختبار أن يراد به الوقوف على حال المختبر بفتح الباء و الاطلاع على ما يجهـل من أمره، و قـد يراد به إظهـار جودته و ردائته و ربمـا يقصـد به الأـمران، و لمّا كان الأوّل محالا فى حقه تعالى لاسـتلزامه الجهـل لاـ بـدّ أن يراد به حيثمـا نسب الابتلاـء إليه سبحانه المعنى الثـانى، فاذا قيل: بلاه اللّه بكـذا و ابتلاه فليس المراد إلّا اظهار حسن طينته و خبث سـريرته دون التعرّف لحاله و الوقوف على ما يجهل منه و على هذا يحمل الآيات القرآنيّه مثل «نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ » «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْ ءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ » الآيه «وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ ».

و ربما يحمل على معنى ثالث قال فى الكشاف فى تفسير الآيه الأخيره: اختبره بأوامر و نواهى و اختبار اللّه عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد اللّه

ص:۳۹۱

و ما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك و قال الطبرسىّ فى تفسيرها أى اختبر إبراهيم و هو مجاز و حقيقته أنّه أمر إبراهيم ربّه و كلّفه و سمّى ذلك اختبارا لأنّ ما يستعمل الأمر منافى مثل ذلك يجرى على جهه الاختبار و الامتحان فاجرى على امره اسم امور العباد توسّعا، و أيضا فانّ اللّه لمّا عامل عباده معامله المبتلى المختبر إذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم أنّهم سيفعلونه قبل أن يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازى المختبر للغير ما لم يقع الفعل منه، سمّى أمره ابتلاء هذا و لمّا ظهر أنّ الدّنيا و ما فيها إنّما خلقت لاختبار النّاس و ابتلائهم لا بدّ و أن يكون همّتهم فيها مصروفه إلى ما هو محصّل للسّعاده فى الآخره حتّى يخلصوا عن قالب الامتحان، و يستحقّوا الدّرجات الرّفيعه العليّه، و لا يكون نظرهم مقصورا على عاجل زهراتها الخسيسه الدّنيّه (ف) انّ (ما أخذوه منها لها اخرجوا منه و حوسبوا عليه و ما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه و أقاموا فيه) و من المعلوم أنّ العاقل لا يرجّح ما هى سريعه الانقراض و الانقضاء مشرفه على الزّوال و الفناء على ما هى دائمه البقاء خصوصا إذا كانت الفانيه حقيره خسيسه و الباقيه خطيره نفيسه، و ذلك لأنّ خيرات الدّنيا حسيّه و خيرات العقبا عقليّه و العقليّه أشرف من الحسّيه بمراتب كثيره لا سيّما إذا كانت الدّنيويّه محاسبا عليها مسؤولا عنها قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: فى روايه الكافى فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بنىّ إنّ النّاس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا و لم يبق من جمعوا له و إنّما أنت عبد مستأجر قد امرت بعمل و وعدت عليه أجرا، فأوف عملك و استوف أجرك، و لا تكن فى هذه الدّنيا بمنزله شاه وقعت فى زرع أخضر فأكلت حتّى سمنت فكان حتفها عند سمنها، و لكن اجعل الدّنيا بمنزله قنطره على نهر جزت عليها و تركتها و لم ترجع إليها آخر الدّهر أخربها و لا تعمرها فانّك لم تؤمر بعمارتها و اعلم أنّك ستسأل غدا إذا وقفت بين يدى اللّه عزّ و جلّ عن أربع: شبابك فيما أبليته، و عمرك فيما أفنيته، و مالك ممّا اكتسبته، و فيما أنفقته فتأهّب لذلك و أعدّ له

جوابا، و لا تأس على ما فاتک من الدّنيا فانّ قليل الدّنيا لا يدوم بقاؤه، و کثيرها لا يؤمن بلاؤه، فخذ حذرک و جد فى أمرک، و اکشف الغطاء عن وجهک و تعرض لمعروف ربّک، و جدّد التّوبه فى قلبک، و اکمش فى فراغک قبل أن يقصد قصدک، و يقضى قضاؤک، و يحال بينک و بين ما تريد (فانّها عند ذوى العقول کفىء الظلّ بينا تراه سابغا حتّى قلص و زايدا حتّى نقص) تخصيص ذوى العقول بالذکر من أجل أنّهم هم الذين عبروا بقدمى الذکر و الفکر عن قشر الوجود الظلمانى الفانى إلى لبّ الوجود الرّوحانى النّورانى الباقى فشاهدوا بعيون البصاير و نواظر الضّماير سرعه زوال الدّنيا و انقضائها، و عرفوا أنّ بقائها عين حدوثها و تجدّدها و وجودها نفس زوالها و فنائها، و أمّا غيرهم فانهّم عن الذّکر لمعزولون، و ما هم مهتدون إن هم إلّا کالأنعام بل أضلّ سبيلا، هذا و تشبيه الدّنيا بفىء الظلّ من التشبيهات السّائره فى الأشعار و الأخبار قال الباقر عليه السّلام لجابر الجعفى: يا جابر أنزل الدّنيا منک کمنزل نزلته تريد التّحوّل عنه، و هل الدّنيا إلّا دابه رکبتها فى منامک فاستيقظت و أنت على فراشک غير راکب، و لا أحد يعبأ بها، أو کثوب لبسته أو کجاريه وطئتها، يا جابر الدّنيا عند ذوى الألباب کفىء الظلال و عن العيون، عن البيهقى، عن الصّولى، عن محمّد بن يحيى بن أبى عباد، عن عمّه قال: سمعت الرّضا عليه التّحيه و الثّناء يوما ينشد شعرا

کلّنا نأمل مدّا فى الأجلو المنايا هنّ آفات الأمل

لا يغرّنّک أباطيل المنيو الزم القصد و دع عنک العلل

إنّما الدّنيا کظلّ زايلحلّ فيه راکب ثمّ رحل

و لبعضهم:

ألا إنّما الدّنيا کظلّ غمامه أظلّت يسيرا ثمّ حفّت فولّت

و قال آخر:

ص:۳۹۳

ألا إنّما الدّنيا كظلّ سحابه أظلّتک يوما ثمّ عنک اضمحلّت

فلاتک فرحانا بها حين أقبلت و لا تک جزعانا بها حين ولّت

الترجمه

از جملۀ خطب شريفۀ آن حضرت است در مقام تنفير از دنيا و ترغيب در آخرت مى فرمايد كه: بدانيد و آگاه باشيد كه دنيا سرائيست كه سلامت مانده نمى شود از آن مگر در آن، و خلاصى يافته نمى شود بچيزى كه باشد از براى آن، امتحان شده انـد مردمان با او امتحان شدنى، پس آنچه كه گرفته اند از براى دنيا بيرون كرده ميشوند از آن بصد رنج و عنا، و حساب كرده ميشوند بر آن در روز جزا، و آنچه كه گرفته آنرا از دنيا از براى غير دنيا يعنى از براى نجاه عقبا، مى آيند بر او و مى ايستند در او يعنى ثواب آنرا در مى يابند و بجزاى آن نايل ميشوند بدرستى دنيا در نزد صاحبان عقل و شعور مانند سايه ايست در اين اثنا كه مى بينى آنرا شايع و منتشر حتى آنكه بر چيـده مى شود در اين كه زايد و تمامست، تا اين كه ناقص مى شود يعنى دنيا در نظر مردم ثبات و دوام دارد لكن اگر تأمل و فكر درست بكنى در معرض زوال و فنا است.

و من خطبه له عليه السّلام و هى الثالثه و الستون من المختار

اشاره

فى باب الخطب

فاتّقوا اللّه عباد اللّه و بادروا آجالكم بأعمالكم، و ابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، و ترحّلوا فقد جدّ بكم، و استعدّوا للموت فقد أظلّكم، و كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا، و علموا أنّ الدّنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإنّ اللّه لم يخلقكم عبثا، و لم يترككم

ص:۳۹۴

سدى، و ما بين أحدكم و بين الجنّه أو النّار إلاّ الموت أن ينزل به، و إنّ غايه تنقصها اللّحظه و تهدمها السّاعه لجديره بقصر المدّه، و إنّ غائبا يحدوه الجديدان اللّيل و النّهار لحرىّ بسرعه الأوبه، و إنّ قادما يقدم بالفوز أو الشّقوه لمستحقّ لأفضل العدّه، فتزوّدوا فى الدّنيا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا. فاتّقى عبد ربّه نصح نفسه قدّم توبته غلب شهوته، فإنّ أجله مستور عنه، و أمله خادع له، و الشّيطان موكّل به، يزيّن له المعصيه ليركبها، و يمنّيه التّوبه ليسوّفها، حتّى تهجم منيّته عليه أغفل ما يكون عليها، فيا لها حسره على كلّ ذى غفله أن يكون عمره عليه حجّه، و أن يؤدّيه أيّامه إلى شقوه، نسئل اللّه سبحانه أن يجعلنا و إيّاكم ممّن لا تبطره نعمه، و لا تقصّر به عن طاعه ربّه غايه، و لا تحلّ به بعد الموت ندامه و لا كابه.

اللغه

(بادره) مبادره و بدارا و بدر غيره إليه عاجله و (جدّ بكم) بصيغه المجهول أى عجل بكم و حثثتم على الرّحيل و (استعدّ) له تهيأ و (أظلّنى) الشّيء غشينى أودنا منّى حتّى القى على ظلّه و (صيح بهم) من الصّياح و هو الصّوت بأقصى الطاقه و (استبدلوا) بصيغه الامر بمعنى أبدلوا و (السّدى) بالضّم و قد يفتح المهمله من الابل يستعمل فى الواحد و الجمع و (الجديدان) و الاجدان الليل و النّهار و (الاوبه) الرّجوع و (العدّه) ما اعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك و الجمع عدد مثل

ص:٣٩٥

غرفه و غرف و (الحرز) الحفظ و تحرزون إمّا ثلاثى مجرّد من باب نصر أو مزيد فيه من باب الافعال و (التّسويف) المبطل و اصله أن يقول مرّه بعد أخرى سوف أفعل و (البطر) الطغيان و (كتب) الرّجل كابه إذا صار كئيبا أى منكسرا حزنا

الاعراب

الباء فى قوله بأعمالكم للمصاحبه، و فى قوله بما يزول للمقابله، و فى قوله بكم للتّعديه، و الفاء فى قوله فقد جدّ بكم، و قوله فقد أظلكم للسّببيّه، و فى قوله فانتبهوا عاطفه، و فى قوله فاستبدلوا فصيحه، و فى قوله فانّ اللّه للسّببيّه أيضا.

و ما فى و ما بين أحدكم للنفى، و قوله أن ينزل به فى محلّ رفع بدل من الموت، و قوله و أنّ غايه اه عطف على قوله فانّ اللّه و الليل و النّهار بدل من الجديدان أو عطف بيان، و جمله يزين آه منصوب المحلّ على الحاليه و أغفل منصوب بنزع الخافض أى فى أغفل حاله، و قوله يالها حسره منادى مستغاث، و الحسره منصوب على التّمييز كانّه قال يا للحسره على الغافلين ما أكثرك، أو أنّه مستغاث لأجله و المنادى محذوف اى يا قوم ادعوكم للحسره، و فتحه اللّام حينئذ من أجل دخولها على الضّمير، و مثل ذلك قول علىّ بن موسى الرّضا عليه التّحيّه و الثّناء:

و قبر بطوس يا لها من مصيبه ألحّت على الأحشاء بالزّفرات

و قوله أن يكون عمره آه فى محلّ الجرّ على كونه بدلا من كلّ ذى غفله، و جمله نسأل اللّه دعائيه لا محلّ لها من الاعراب.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ المقصود بهذه الخطبه أيضا هو التنفير عن الدّنيا نظرا إلى قصر مدتها و سرعه زوالها و التّرغيب فى الآخره لتحصيل ما هو وسيله إلى ثوابها منجيه عن عقابها و هو التّقوى و لزوم الأعمال الصّالحه المشار إليها بقوله(فاتقو اللّه عباد اللّه و بادروا آجالكم بأعمالكم)أى سارعوا إلى آجالكم الموعوده مصاحبا بأعمالكم الصالحه و هو كنايه عن ترّقب الموت و عدم الغفله عنه، و هو إنّما يكون بالتّجافى عن دار الغرور و الرّغبه إلى دار السّرور و الاستعداد للموت قبل نزول الموت (و ابتاعوا

ما يبقى لكم بما يزول عنكم) و هو أمر بشراء الآخره بالدّنيا و توصيف المبتاع بالبقاء و الثّمن بالزّوال ترغيبا و تحريصا، إذ تبديل الزّايل بالباقى بيعه رابحه و كفه راجحه لا يرغب عنها العاقل، و استعمال المبايعه فى هذه المبادله و المعاوضه غير عزيز قال سبحانه:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَهٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » و اعلم أنّ البيع اعتماده على أركان أربعه: البايع، و المشترى، و الثّمن، و المثمن فالثّمن كما علمت هو متاع الحياه الدّنيا الفانيه و لذايذها النّفسانيه، و المبتاع نعيم الآخره الباقيه و الجنّه التى أكلها دائم و ظلّها، و المشترى هو العبد، و معلوم أنّ البايع لا بد أن يكون هو اللّه سبحانه إذ هو مالك ملك السّماوات و الأرض و له الآخره و الاولى، و له الجنّه المأوى.

فقد شبه عليه السّلام دار الدّنيا بسوق تجاره عرض اللّه فيها متاع الآخره للبيع و ليس فى يد الخلق إلّا دراهم زيفه مغشوشه و هى زينه الحياه الدّنيا، فأمر بابتياع ذلك المتاع بتلك الدّراهم، فمن كان له عقل و كياسه امتثل ذلك الأمر فربح و فاز فوزا عظيما و من كان ذا حمق و جهاله تضرّ و خاب فخسر خسرانا مبيناو قد وقع الاشاره إلى تلك التّجاره و ما فيها من الرّبح العظيم و المنفعه الكثيره فى قوله سبحانه:

«إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ».

ص:۳۹۷

قال المفسّرون فی هذه الآیه وجوه من الدّلاله علی الحثّ و التّاکید بتلک المعامله.

الأوّل إنّ حقیقه الاشتراء غیر جایز فی حقّه سبحانه، لأنّ المشتری إنّما یشتری ما لا یملک و هو سبحانه مالک الأشیاء کلّها، لکنّه ذکر لفظ الشّرا تلطّفا لتأکید الجزاء لأنّه لمّا ضمن الثّواب علی نفسه فی مقابله العبادات البدنیّه و المالیّه جعل نفسه بمنزله المشتری اللّازم علیه ردّ الثّمن بعد أخذ المبیع.

الثّانی أنّه جعل فی مقابله النّفس التی هی منبع الشّرور و المفاسد، و المال الذی هو منشاء الغرور و المهالک الجنّه الدّائمه و السّعادات الباقیه و هذه تجاره لن تبور، فلا یرغب عنها عاقل و لا یستقیلها إلّا جاهل روی أنّ أعرابیا مرّ بباب المسجد فسمع النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله یقرأ هذه الآیه فقال هذا الکلام لمن؟ قالوا: للّه سبحانه قال: متی وقع هذا البیع و الشّری؟ قالوا: فی عالم المیثاق، قال: و اللّه بیع مربح لا نقیل و لا نستقیل.

الثّالث قوله: وعدا، و وعد اللّه حقّ.

الرّابع قوله: علیه، و کلمه علی للوجوب.

الخامس قوله: حقّا و هو التّاکید للتّحقیق.

السّادس قوله: فی التّوریه و الانجیل و القرآن، و ذلک یجری مجری اشهاد جمیع الکتب الالهیه و جمیع الأنبیاء و الرّسل علی هذه المعامله.

السّابع قوله: و من أوفی بعهده من اللّه، و هو فی غایه التّاکید إذ معناه أنه یفیء و لا یخلف إذ عدم الوفاء للوعد، إمّا للعجز و عدم القدره أو للبخل و الدّناءه، و کلّها مستحیله فی حقّ اللّه سبحانه مضافا إلی ما فیه من الکذب و الخیانه.

الثّامن قوله: فاستبشر و أ ببیعکم، و هو مبالغه فی التّاکید أی فافرحوا بهذه المبایعه لأنکم بعتم فانیا بباق و زایلا بدایم.

التّاسع قوله: و ذلک هو الفوز.

العاشر قوله: العظیم، فثبت بهذه الوجوه العشره عظم منفعه هذه المبایعه

و جلاله قدرها و كثره ربحها(و ترّحلوا فقد جدّ بكم)و هو أمر بقطع منازل السّـفر إلى اللّه و سلوك الطرق الموصله إلى رضوان اللّه معلّلا بأنّكم حثثتم على هـذا السير و السّـلوك و عجلتم على طىّ هذه المنازل، فشبه عليه السّـلام، الدّنيا بمنزل ينزل فيه قافله ليستريحوا ساعه ثمّ ينادى فيهم بالرّحيل.

و نظيره ما يأتى منه عليه السّـلام فى أواخر الكتاب قال: تغرّ و تضرّ و تمرّ إنّ اللّه لم يرضـها ثوابا لأوليائه و لا عقابا لأعـدائه و إنّ أهل الدّنيا كركب بيناهم حلّوا أن صاح بهم سايقهم فارتحلوا، و قال عليه السّلام فى الدّيوان المنسوب إليه.

تزوّد من الدنيا فانّك راحل و بادر فانّ الموت لا شك نازل

ألا إنّما الدنيا كمنزل راكب أراح عشّيا و هو فى الصّبح راحل

فـان قلت: ظاهر التّشبيه يعطى أنّ للنّاس فى دار الـدنيا مناديـا ينـادى فيهم الرّحيـل و آمرا يـأمرهم بالسّـير و التعجيل، فمن ذلك المنادى، و ما المراد بذلك الأمر؟.

قلت يحتمل أن يكون ذلك إشاره إلى الملك المأمور بالنداء من جانب اللّه سبحانه كما ورد فى حديث أبى جعفر عليه السّلام، و فى الديوان:

له ملك ينادى كلّ يوم لدوا للموت و ابنوا للخراب

و يحتمـل أن يكون كنـايه عن توارد الأسباب الـتى تعـدّ المزاج للفسـاد و تقربه إلى الآـخره و إلى ذلـك أشـار عليه السّـلام فى الدّيوان أيضا بقوله:

إلى م تجرّ أذيال التّصابى و شيبك قد نضا برد الشباب

بلال الشّيب فى فوديك نادى بأعلى الصّوت حىّ على الذّهاب

خلقت من التّراب و عن قريب تغيب تحت أطباق التّراب

طمعت إقامه فى دار ظعن فلا تطمع فرجلك فى الركاب

و أرخيت الحجاب فسوف يأتى رسول ليس يحجب بالحجاب

أ عامر قصرك المرفوع اقصر فانّك ساكن القبر الخراب

(و اسـتعدّوا للموت فقـد أظلكم) أى تهيّئوا له فانّه قريب منكم و أشـرف عليكم كانّه أوقع ظلاله على رؤوسـكم، و التّهيؤ له إنّما يحصل بالعلم بانّ أمامه طريقا

بعیدا و سفرا مهولا- و ممرّا علی الصّراط، و أنّ المسافر لا- بدّ له من زاد، فمن لم یتزوّد و سافر هلک و عطب، فاذا علم ذلک استکمل نفسه و قصر أمله و أصلح عمله و قطع العلایق الدّنیویّه و ترک الشّهوات النّفسانیّه و أشرب قلبه حبّ الآخره فحینئذ لا یبالی أوقع علی الموت أم الموت وقع علیه و إلی ما ذکرناه ینظر ما عن تفسیر العسکری عن آبائه علیهم السّلام قال: قیل لأمیر المؤمنین علیه السّلام: ما الاستعداد للموت؟ قال: أداء الفرائض، و اجتناب المحارم، و الاشتمال علی المکارم ثمّ لا یبالی أن وقع علی الموت أو وقع الموت علیه، و اللّه ما یبالی ابن أبی طالب أن وقع علی الموت أو وقع الموت علیه(و کونوا قوما صیح بهم فانتبهوا و علموا أنّ الدّنیا لیست لهم بدار)و هو أمر لهم بکونهم مثل أقوام التفتوا إلی منادی اللّه و هو لسان الشّریعه فحصل لهم بذلک الالتفات الانتباه من مراقد الطبیعه، و علموا أنّ الدّنیا لیست لهم بدار و أنّ مأواهم الآخره دار القرار فکانوا من الزّاهدین فی الدّنیا الرّاغبین فی الآخره، و اتّخذوا الأرض بساطا، و التّراب فراشا، و الماء طیبا، و قرضوا من الدّنیا تقریضا، فانّ من اشتاق إلی الجنّه سلا من الشّهوات، و من أشفق من النّار رجع عن المحرّمات، و من زهد فی الدّنیا هانت علیه المصائب ألا إنّ للّه عبادا کمن رأی أهل الجنّه فی الجنّه مخلّدین، و کمن رأی أهل النّار فی النار معذّبین، شرورهم مأمونه، و قلوبهم محزونه، أنفسهم عفیفه و حوایجهم خفیفه، صبروا أیّاما قلیله فصاروا بعقبا راحه طویله أمّا اللیل فصافّون أقدامهم تجری دموعهم علی خدودهم یجارون إلی ربّهم یسعون فی فکاک رقابهم من النّار، و أمّا النهار فحکماء علماء برره أتقیاء کأنّهم القداح قد براهم الخوف من العباده ینظر إلیهم الناظر فیقول مرضی و ما بالقوم من مراض، أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظیم من ذکر النار و ما فیها (فاستبدلوا) ای أبدلوا الآخره بالدّنیا و هو تفریع علی التشبیه یعنی أنّ القوم الذین صبح به کما أنهم علموا أنّ الدّنیا لیست

لهم بدار و بدّلوها بالآخره فكذلک أنتم إذا كنتم مثلهم فاستبدلوها بها (فانّ اللّه لم يخلقكم عبثا و لم يترككم سدى) إما عله لجميع ما أمر به سابقا من التقوى و المبادره إلى الآجال بالأعمال و ابتياع الآخره بالدّنيا و غيرها مما تلاها، أو لخصوص الأمر الأخير أعنى الاستبدال، و كيف كان فالمقصود بذلک أنه سبحانه لم يخلق الناس عبثا و لم يتركهم مهملين كالابل المرسله ترعى حيث تشاء و إنما خلقهم للمعرفه و العباده كما قال سبحانه:

«وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ ».

فلا بدّ لهم من القيام بوظايف الطاعات و تحمّل المشاق فى أداء العبادات و تبديل سيئاتهم بالحسنات بتوبتهم من الخطيئات، لتمكّنوا من الوفود إلى الدّرجات العاليات و فى الحديث القدسى من منتخب التوراه: يابن آدم انى لم أخلقكم عبثا و لا جعلتكم سدى و لا أنا بغافل عما تعملون، و إنكم لن تنالوا ما عندى إلاّ بالصبر على ما تكرهون فى طلب رضائى، و الصبر على طاعتى أيسر عليكم من حرّ النار، و عذاب الدّنيا أيسر عليكم من عذاب الآخره، يابن آدم كلكم ضالّ إلاّ من هديته، و كلكم مريض إلاّ من شفيته، و كلكم فقير إلاّ من أغنيته، و كلكم هالک إلاّ من أنجيته، و كلكم مسىء إلاّ من عصمته، فتوبوا إلىّ أرحمكم و لا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، هذا و لما علل وجوب الابدال بما ذكر أكّد ذلک بقوله (و ما بين أحدكم و بين الجنه أو النار إلاّ الموت أن ينزل به) و ذلک لأنّ العاقل إذا لاحظ أنه لا حجاب بينه و بين الجنه أو النار إلاّ موته فيقطع العلايق الدنيويه و يفرغ قلبه من حبها و يستبدل الآخره بالدنيا، و يمتثل لقوله: موتوا قبل أن تموتوا، شوقا إلى الثواب و خوفا من العقاب و مقصوده عليه السّلام بذلک الاشاره إلى قرب الساعه و ما يكون فيها من الثواب و العقاب و أنها ليست بعيده كما يزعمه أهل الحجاب بيان ذلک أنّ أهل الحجاب و أصحاب الشک و الارتياب يزعمون يوم القيامه بعيدا من الانسان بحسب الزمان

ص:۴۰۱

«وَ ما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً » و بحسب المكان «وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ » و أمّا أهل العلم و اليقين فيرونه قريبا بحسب الزمان «اِقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ » حاضرا بحسب المكان «وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ » «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً ».

هـذه هى القيامه الكبرى، و أما القيامه الصـغرى فهى إذا انقطع علاقه الروح من الجسـد كما قال: من مات فقد قامت قيامته ثمّ إن كان من السعداء فيكون قبره روضه من روض الجنه، و إن كان من الأشقياء فيكون القبر حفره من حفر النيران، هذا بحسب مذاق أهـل الشـرع و أمّا مـذاق أهل العرفان فهو على ما ذكروه أنّ كلّ من شاهـد بنور البصـيره باطنه فى الـدنيا لرآه مشـحونا بأصـناف السباع و الموذيات مثل الغضب و الشهوه و الحقد و الحسد و الكبر و العجب و الرّياء و غيرها، و هى التى لا تزال تفرسه و تنهشه إن سـبا عنهـا بلحظه إلاّـ أنّ أكثر النّاس محجوب العين عن مشاهـدتها، فاذا انكشف الغطاء بالموت و وضع فى قبره عاينتها و هى محـدقه عليه، و قـد تمثّلت بصورهـا و أشـكالها الموافقه لمعانيها، فيرى بعينه العقارب و الحيّات قـد أحـدقت و إنّما هى ملكاته و صفاته الحاضـره الآن، و قـد انكشف له صورها الطبيعيه و هـذا عذاب القبر و ان كان سـعيدا تمثّل له ما يناسب أخلاقه الحسـنه و ملكاته المرضيّه على وفق ما كانت تعتقدها أو فوقها من الجنات و الحدائق و الأنهار و الغلمان و الحور العين و الكاس من المعين فهذا عقاب القبر و ثوابه، و لذا قال صـلوات اللّه عليه و آله: القبر روضه من رياض الجنّه أو حفره من حفر النّيران، فالقبر الحقيقى هذه الهيئه و ثوابه و عذابه ما ذكر.

ص:۴۰۲

ثمّ إنّه علیه السّلام علّل وجوب الاستبدال بعلّه ثانیه مشیره إلی سرعه زوال الدّنیا و فنائها و قصر مدّتها و انقضائها و هو قوله (و إنّ غایه تنقصـها اللحظه و تهدمها السّاعه لجدیره بقصـر المدّه) أراد بالغایه أجل الانسان و مدّه تعیّشه فی دار الدنیا و نبّه علی قصرها بأنّها تنقصـها اللحظه أی النظره لأن کلّ جزء من الزّمان فرضـته قـد مضـی من مـدّه الانسان منقص لها، و بأنها تهدمها السّاعه أی ساعات اللّیل و النّهار، لأنّ الطبایع الجرمیّه فلکیه کانت أو عنصریّه متجدّده الوجود و الحدوث فی کلّ آن، فوجودها نفس زوالها و حـدوثها نفس فنائهـا و الموادّ و الأعراض تابعه للطبایع فاذن تکون السّاعات هادمه لها و قال الشّارح البحرانی: کنی بالسّاعهعن وقت الموت و لاـ شـکّ أنّ الآن الـذی تنقطع فیه علاقه النّفس مع البـدن غایه لأجل الانسان، و غایه الشـیء هی ما ینتهی عنـدها الشّیء فکنی بالهـدم عن ذلـک الانقطـاع و الانتهـاء کنایه بالمسـتعار (و ان غایبا یحـدوه الجدیـدان اللیل و النّهار لحریّ بسـرعه الأوبه) المراد بالغایب الانسان فانّه غایب عن وطنه الأصلی و منزله الحقیقی الذی إلیه معاده و مسیره و هو دار الآخره و شبّه اللیل و النّهـار بالحـادی لکونهمـا مقرّبین للانسان بتعاقبهما إلی وطنه موصـلین له إلیه کما أنّ الحادی یحـدو الابل و یحثّها علی السّیـر بحدائه حتّی یوصـلها إلی المنزل، و من المعلوم أنّ من کان حادیه اللیل و النّهار فهو فی غایه سـرعه السّیر و الرّجوع إلی وطنه، و قیل المراد بالغایب الموت قال البحرانی: و هو و إن کان محتملا إلّا أنّه لا یطابقه لفظ الأوبه لأنّه لم یکن حتّی یرجع.

أقول: یمکن الجواب عنه بـأنّ الموت لما کان عباره عن العـدم الطاری للانسان و کان الانسان مسـبوقا بالعـدم أیضا سـمّی حلول الموت بالأوبه قال الصّـدر الشـیرازی: اعلم أنّ المبـدأ هی الفطره الاولی، و المعاد هو العود إلیها، فالاشاره إلی الأولی کان اللّه و لم یکن معه شیء «وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَیْئاً »

ص:۴۰۳

فهذا خروج من العدم الأصلى إلى الوجود الكونىّ الحدوثى، و الاشاره إلى الانتهاء «كُلَّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ » «كُلُّ شَيْ ءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ » و هذا خروج من هذا الوجود الخاصّ إلى العدم الفطرى، فعلى هذا يصحّ توصيف الموت بأنّه يئوب إلى الانسان إلاّ أنّ توصيفه بكون الليل و النّهار حاديين له لا يخلو عن بعد فافهم (و إنّ قادما يقدم بالفوز أو الشقوه لمستحقّ لأفضل العده) و المراد بالقادم بالفوز أو الشقوه هو الانسان لما قد علمت أنه غايب عن وطنه الأصلى و ساير إليه، فهو حين قدومه على منزله إمّا أن يكون سعيدا فيفوز بالسعاده الباقيه، و إمّا أن يكون شقيا فيقع فى الخيبه الدائمه، و من كان هذا شأنه فاللازم عليه أن يستعدّ أفضل العده، و يدخر لنفسه أحسن الزاد و الذخيره حتى ينادى بنداء «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلی رَبِّكِ راضِيَهً مَرْضِيَّهً فَادْخُلِی فِی عِبادِی وَ ادْخُلِی جَنَّتِی ».

(فتزودوا فى الدّنيا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا) يعنى أنّ الانسان إذا كان مستحقا لأفضل العده فلا بد له أن يتزود من دنياه ما يحفظ به نفسه غدا بعد الموت و يوم القيامه من حرّ النّار و من غضب الجبّار، لأنّ ذلك أفضل العدد(١) و أحسن الزّاد و هذا هو التّقوى كما قال اللّه تعالى:

«وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى » و إليه أشار بقوله (فاتقى عبد ربّه نصح نفسه قدم توبته غلب شهوته) و هذه جملات خبريّه فى معنى الانشاء مفصّله للزّاد الذى به يحصل حرز النّفس و حفظها، و المراد بنصح النّفس النّظر إلى مصالحها بأمرها بما هو محصّل لها الكمال و نهيها عمّا يوقعها فى الضّلال و حثّها بالخيرات و الحسنات و منعها عن الشّرور و السّيئات، و من جمله

١- (١) عدد جمع عده، منه

النّصح أن يقدّم توبته على أجله و لا ينخدع بطول أمله و يستغفر ربّه فيما فات و يقصر عن شهوته فيما هو آت (فانّ أجله مستور عنه، و أمله خادع له، و الشّيطان موكل به يزين له المعصيه ليركبها، و يمنّيه التّوبه ليسوفها، حتّى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عليها) و هذه كلّها علل لوجوب تقديم التوبه و تحذير عن هجوم الموت فى حاله الغفله بيان ذلك أنّ ستر الأجل و اختفائه عن الانسان موجب لغفلته عن ذكره و طول الأمل خادع له يخدعه بطول الحياه كما قيل:

أعلّل النّفس بالآمال أرقيها ما أضيق الدّهر لو لا فسحه الأمل

فاذا انضاف إلى ذلك خداع الشّيطان و وسوسته و تزيين المعصيه فى نظره و تسويفه للتّوبه و القائها فى امنيّه مع كونه موكلا به ملازما له، كانت الغفله أشدّ و النّسيان آكد، فيهجم منيته عليه فى نهايه غفله من دون تمكّن من توبته و لا تدارک منه لمعصيته، فعند ذلک ينتبه من نوم الغفله و الجهاله، و يقع فى كمال الخيبه و النّدامه، و هو عند ذلک يقول:

«رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَکْتُ کَلّا إِنَّها کَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ ».

(فيا لها حسره على كلّ ذى غفله أن يكون عمره عليه حجّه) أى شاهدا بلسان حاله على ما اكتسب فيه من الاثم و المعصيه (و أن يؤدّيه أيّامه) التى أمهله اللّه فيها لتحصيل السّعاده (إلى شقوه) ثمّ دعا عليه السّلام لنفسه و للمخاطبين بقوله:(نسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا و ايّاكم ممّن لا تبطره نعمه) أى من الذين لا يوجب كثره النعم له البطر و الطغيان كما أنّ ذلک من جبله الانسان قال سبحانه:

«إِنَّ الْإِنْسانَ لَیَطْغی أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی ».

(و لا تقصر به عن طاعه ربه غايه) أى لا تكون مقصرا فى الطاعات لغرض من الأغراض

الـدّنيويه (و لا يحلّ به بعد الموت) حسـره و (ندامه و لا) حزن و (كابه) لانغماره فی المعصـيه و تسويفه التوبه و هجوم موته عليه فی حاله الغفله

هدايه فيها درايه

قـد تحصّـل من كلامـه عليه السّـلام أنّ اللاّـزم على الانسـان أخـذ الزّاد ليوم المعاد و أن لا يطمئن بطول الأجل و لا يغترّ بخـداع الأمل، إذ ربّ آمل شیء لا يدرک ما أمل كما قال عليه الصّلاه و السلام فی الدّيوان:

يا من بدنياه اشتغل قد غرّه طول الأمل

و الموت يأتی بغته و القبر صندوق العمل

و قال آخر

يار اقد الليل مسرورا بأوّلهإنّ الحوادث قد يطرقن أسحارا

لا تامننّ بليل طال أوّلهفربّ آخر ليل اجّج النّارا

و لا سيما أنّ الشيطان اللعين عدّو مبين و هو فی الكمين:

«وَ لَقَـدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ » فينبغی للعاقل أن يحسن عمله و يقصـر أمله و يقـدم توبته أجله و يعجل فی طلب الغفران و لاـ يغترّ بتسويف الشـيطان، و يتوب إلى اللّه سـبحانه من صـغاير ذنوبه و كبايرهـا، و بواطن سـيئآته و ظواهرهـا، و سوالف زلاّته و حوادثها، توبه من لا يحدّث نفسه بمعصيه، و لا يضمر أن يعود فی خطيئه، حتّی يصل بذلک إلی روح و ريحان، و يتمكّن من نزول الجنان، و لا يقع بعد الموت فی الخيبه و الخسران و الحسره و الحرمان.

و لنـذكر هنا حديثا ينوّر القلوب، و يكشف الحجاب عن وجه المطلوب، و يظهر به عظم منفعه التّوبه، و يتّضح به معنی التسويف فيها و هو.

ما رواه فی الصّافی من المجالس و بعض الأصـحاب من الأمالی باسـنادهما عن عبد الرّحمن بن غنم الدّوسـی قال: دخل معاذ بن جبل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله باكيا، فسلّم فردّ عليه السلام ثمّ قال

ما يبكيك يا معاذ؟ فقال يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ بالباب شاباطريّ الجسد نقيّ اللون حسن الصّوره يبكى على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدّخول عليك فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله ادخل عليّ الشّابّ يا معاذ فأدخله عليه فسلّم، فردّ عليه السلام ثمّ قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لا أبكى و قد ركبت ذنوبا إن أخذنى اللّه عزّ و جلّ ببعضها أدخلنى نار جهنم و لا أرانى إلّا سيأخذنى بها و لا يغفر لى أبدا فقال رسول اللّه هل أشركت باللّه شيئا؟ قال: أعوذ باللّه أن اشرك بربّى شيئا، قال: أقتلت النّفس التى حرّم اللّه؟ قال: لا، فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله: يغفر اللّه لك ذنوبك و إن كان مثل الجبال الرّواسى قال الشّاب: فانّها أعظم من الجبال الرّواسى.

فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يغفر اللّه لك ذنوبك و إن كان مثل الأرضين السّبع و بحارها و رمالها و أشجارها و ما فيها من الخلق، قال الشّاب: فانّها أعظم من الأرضين السّبع و بحارها و رمالها و أشجارها و ما فيها من الخلق، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله يغفر اللّه لك ذنوبك و إن كانت مثل السّماوات و نجومها و مثل العرش و الكرسى، قال:

فانّها أعظم من ذلك، قال: فنظر النبيّ إليه كهيئه الغضبان ثمّ قال: ويحك يا شاب ذنوبك أعظم أم ربّك؟ فخرّ الشّاب على وجهه و هو يقول سبحان ربّى ما من شىء أعظم من ربّى ربّى أعظم يا نبيّ اللّه من كلّ عظيم، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله: فهل يغفر لك الذّنب العظيم إلّا الرّبّ العظيم؟ قال الشّاب: لا و اللّه يا رسول اللّه ثمّ سكت الشّاب، فقال له النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ويحك يا شاب ألا تخبرنى بذنب واحد من ذنوبك؟ قال:

بلى اخبرك.

إنّى كنت أنبش القبور سبع سنين اخرج الأموات و انزع الأكفان، فماتت جاريه من بعض بنات الأنصار فلما حملت إلى قبرها و دفنت و انصرف عنها أهلها و جنّ عليهم اللّيل أتيت قبرها فنبشتها، ثمّ استخرجتها و نزعت ما كان عليها من أكفانها و تركتها مجرّده على شفير قبرها و مضيت منصرفا، فأتانى الشّيطان فأقبل يزيّنها لى و يقول أما ترى بطنها و بياضها أما ترى و ركيها، فلم يزل يقول لى هذا حتّى رجعت إليها و لم أملك نفسى حتّى جامعتها و تركتها مكانها، فاذا أنا بصوت من

ورائی یقول: یا شاب ویل لک من دیّان یوم الدّین یوم یقفنی و إیاک کما ترکتنی عریانه فی عساکر الموتی و نزعتنی من حفرتی و سلبتنی أکفانی و ترکتنی أقوم جنبه إلی حسابی، فویل لشبابک من النّار، فما أظنّ أنّی أشمّ ریح الجنّه أبدا فما تری لی یا رسول اللّه؟ فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: تنحّ عنّی یا فاسق إنّی أخاف ان أحترق بنارک فما أقربک من النّار، ثمّ لم یزل بقول و یشیر إلیه حتّی أمعن أی أبعد من بین یدیه، فذهب فأتی المدینه فتزوّد منها، ثمّ أتی بعض جبالها فتعبّد فیها، و لبس مسحا و غلّ یدیه جمیعا إلی عنقه و نادی:

یا ربّ هذا عبدک بهلول بین یدیک مغلول یا ربّ أنت الذی تعرفنی و زل منّی ما تعلم سیّدی یا ربّ إنّی أصبحت من النّادمین و أتیت نبیّک تائبا فطردنی و زادنی خوفا، فأسألک باسمک و جلالک و عظم سلطانک أن لا تخیّب رجائی سیدی و لا تبطل دعائی و لا تقنطنی من رحمتک.

فلم یزل یقول ذلک أربعین یوما و لیله تبکی له السّباع و الوحوش، فلما تمّت له أربعون یوما و لیله رفع یدیه إلی السّماء و قال:

اللهمّ ما فعلت فی حاجتی إن کنت استجبت دعائی و غفرت خطیئتی فأوح إلی نبیّک، و إن لم تستجب دعائی و لم تغفر لی خطیئتی و أردت عقوبتی فعجّل بنار تحرقنی أو عقوبه فی الدّنیا تهلکنی و خلّصنی من فضیحه یوم القیامه فأنزل اللّه تعالی علی نبیّه:

«وَ الَّذِینَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً » یعنی الزّنا «أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ » یعنی بارتکاب ذنب أعظم من الزّنا و نبش القبور و أخذ الاکفان:

«ذَکَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ » یقول خافوا اللّه فعجلوا التوبه:

ص:۴۰۸

«وَ مَنْ يَغْفِرُ الـذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ » يقول عزّ و جلّ أتاك عبـدى تائبا فطردته فأين يذهب و إلى من يقصد و من يسأل أن يغفر له ذنبه غيرى ثمّ قال عزّ و جلّ:

«وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ».

يقول اللّه عزّ و جلّ لم يقيموا على الزّنا و نبش القبور و أخذ الأكفان:

«أُولئِـكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ » فلما نزلت هـذه الآيه على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله خرج و هو يتلوهـا و يتبسّم، فقـال لأصـحابه من يـدلّنى على ذلـك الشّـاب التائب؟ فقال معاذ: يا رسول اللّه بلغنا أنّه فى موضع كذا و كذا، فمضـى رسول اللّه بأصـحابه حتّى انتهوا إلى ذلك الجبل و صعدوا إليه يطلبون الشّاب، فاذا هم بالشّاب قائم بين صخرتين مغلوله يداه إلى عنقه قد اسودّ وجهه و تساقطت أشفار عينيه من البكاء و هو يقول:

سيدى قد أحسـنت خلقى و أحسـنت صورتى و ليت شعرى ما ذا تريد بى، فى النّار تحرقنى أم فى جوارك تسكننى، اللهمّ إنك قـد أكـثرت الاحسـان إلىّ و أنعمت علىّ فليت شـعرى مـا ذا يكـون آخر أمرى، إلى الجنّه تزفّنى، أم إلى النّـار تسوقنى، اللهمّ إنّ خطيئتى أعظم من السّماوات و الأرض، و من كرسّيك الواسع، و عرشك العظيم، فليت شعرى تغفر خطيئتى أم تفضحنى بها يوم القيامه.

فلم يزل يقول نحو هـذا و هو يبكى و يحثو التّراب على رأسه و قـد أحـاطت به السّـباع، و صـفت فوقه الطير و هم يبكون لبكائه، فدنا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فأطلق يديه من عنقه و نفض التراب عن رأسه و قال: يا بهلول ابشـر فانك عتيق من النّار، ثمّ قال هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثمّ تلى عليه ما أنزل اللّه عزّ و جلّ و بشّره بالجنّه.

و فی الصّافی و البحار من المجالس باسناده عن قطر بن خلیفه عن الصّادق جعفر بن محمّد علیهما السّلام قال: لما نزلت هذه الآیه(۱) صعد إبلیس جبلا بمکه یقال له ثور، فصرخ بأعلی صوته بعفاریته فقالوا: یا سیّدنا لما ذا دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآیه فمن لها، فقام عفریت من الشیاطین فقال: أنا لها بکذا و کذا، قال لست لها، فقال آخر مثل ذلک، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم و أمنّیهم التوبه، حتّی یواقعوا فی الخطیئه فاذا وقعوا الخطیئه أنسیتهم الاستغفار، فقال: أنت لها فوکّله بها إلی یوم القیامه.

أقول: و من نظر إلی هاتین الرّوایتین بعین البصیره و تفکّر فیما تضمّنته الأولی من جلاله فایده التوبه و تأمّل فیما تضمّنته الثانیه من عظم الخطر فی تأخیرها و تسویفها و عرف أنّ التسویف و التأخیر من وسوسه الوسواس الخناس الذی یوسوس فی صدور الناس لا بدّ له أن یستیقظ من نوم الغفله و الجهاله و یتدارک الموت قبل حلوله و لا یغرّه الأمل بطوله.

و لذلک قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأبی ذر رضی اللّه عنه.

یا باذر اغتنم خمسا قبل خمس: شبابک قبل هرمک، و صحّتک قبل سقمک، و غناک قبل فقرک، و فراغک قبل شغلک، و حیاتک قبل موتک.

یا باذر إیاک و التّسویف بأملک، فانّک بیومک و لست بما بعده، فان یکن غدلک فکن فی الغد کما کنت فی الیوم، و إن لم یکن غدلک لم تندم علی ما فرّطت فی الیوم.

یا باذر کم مستقبل یوم لا یستکمله، و منتظر غدا لا یبلغه.

یا باذر لو نظرت إلی الأجل و مسیره، لأبغضت الأمل و غروره.

یا باذر کن کأنک فی الدّنیا عابر سبیل، و عد نفسک من أصحاب القبور.

یا باذر إذا أصبحت فلا تحدّث نفسک بالمساء، و إذا امسیت فلا تحدّث نفسک

۱- (۱) ای قوله تعالی، «وَ الَّذِینَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً» الآیه، منه.

بالصّباح، و خذ من صحّتک قبل سقمک، و من حیاتک قبل موتک، فانک لا تدری ما اسمک غدا.

و بالجمله فالتّعجیل فی جمیع الامور قبیح إلاّ فی التّوبه فانه فیها حسن إذ التأخیر مظنه الفوت الموجب للاقتحام فی الهلکات مع ما فی التأخیر من خطر آخر و هو أنّ التوبه إذا وقعت عقیب السیئه تؤثر فیها و تمحو أثرها، و إذا تأخرت یتراکم الرّین و ظلمه الذّنوب علی القلب فلا یقبل التأثیر و لذلک قال لقمان لابنه: یا بنیّ لا تؤخّر التوبه فانّ الموت یأتی بغته، و من ترک المبادره إلی التوبه بالتسویف کان بین خطرین عظیمین أحدهما أن تتراکم الظلمه علی قلبه من المعاصی حتی یصیر رینا و طبعا فلا یقبل المحو الثانی أن یعاجله المرض أو الموت فلا یجد مهله للاشتغال بالمحو و لذلک أیضا ورد فی الخبر أنّ أکثر صیاح أهل النار من التسویف، فما هلک من هلک إلاّ بالتسویف فیکون تسویده القلب نقدا و جلاؤه بالطاعه نسیه إلی أن یختطفه الموت فیأتی اللّه بقلب سقیم و لا ینجو إلاّ من أتی اللّه بقلب سلیم، و إلی ما ذکرنا کلّه ینظر قوله سبحانه:

«إِنَّمَا التَّوْبَهُ عَلَی اللّهِ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَهٍ ثُمَّ یَتُوبُونَ مِنْ قَرِیبٍ فَأُولئِکَ یَتُوبُ اللّهُ عَلَیْهِمْ وَ کانَ اللّهُ عَلِیماً حَکِیماً وَ لَیْسَتِ التَّوْبَهُ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئاتِ حَتّی إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّی تُبْتُ الْآنَ وَ لاَ الَّذِینَ یَمُوتُونَ وَ هُمْ کُفّارٌ أُولئِکَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِیماً ».

الترجمه

از جمله خطب شریفهٔ آن امام أنام و حجّه عالی مقامست که می فرماید: پرهیز نمائید از معبود بسزا ای بندگان خدا و بشتابید بسوی أجلهای خود با عملهای خود و بخرید آخرت باقی را در عوض دنیای فانی، و رحلت نمائید بسوی آخرت پس بتحقیق که

ص:۴۱۱

تعجیل کرده شده است بشما و مهیّا باشید بمرک که بتحقیق سایه انداخته است بر شما، و بشوید مثل طایفهٔ که از طرف خدا ندا کرده شدند پس بیدار شدند و دانستند که نیست دنیای فانی از برای ایشان خانه و سرای زندگانی پس بدل نمائید دنیا را بآخرت از جهه این که خداوند عبث خلق نکرده است شما را، و سر خود و مهمل نگذاشته است شما را، و نیست میان یکی از شما و میان بهشت یا جهنم مگر مرگ که نازل شود بر او، و بدرستی مدّت و مسافت عمری که کم می گرداند آنرا نگریستن و خراب می سازد آن را ساعتهای شب و روز هر آینه سزاوار است آن بکوتاهی مدت، و بدرستی غایبی که میرانند او را تازه آیندگان که عبارتست از شب و روز هر آینه لایقست بسرعه بازگشت.

یعنی بسوی وطن اصلی که عبارتست از آخرت، و بدرستی که آیندهٔ که می آید بسوی آخرت با سعادت یا شقاوت هر آینه استحقاق دارد به بهترین توشهٔ که عبارتست از عبادت و اطاعت تا برساند بسعادت، پس توشه بردارید در دنیا از دنیا آن چیزی را که حفظ نمائید با آن نفسهای خودتان را از عقوبت روز جزا.

پس متّقی شد بنده برای پروردگار خود که نصیحت کرد نفس خود را و مقدّم داشت توبه خود را و غلبه نمود بر شهوت خود، پس بدرستی که أجل آن پنهانست از او، و آرزوی او فریبندهٔ اوست، و شیطان ملعون موکل اوست که زینت می دهد از برای أو معصیت را تا سوار شود بر او، و آرزومند می سازد او را بتوبه و إنابه تا بتاخیر اندازد آنرا تا این که هجوم آورد مرگ أو بأو در غافلترین حالتی که میباشد بر آن حالت.

أی حسرت حاضر باش بر هر صاحب غفلت که باشد عمر او بر أو حجت در روز قیامت، و برساند أو را روزگار أو ببدبختی و شقاوت، سؤال می کنیم از خداوند تعالی آنکه بگرداند ما و شما را از کسانی که بطغیان نیندازد او را نعمت و مقصّر نسازد او را از اطاعت پروردگار خود غرض و غایت، یعنی أغراض دنیویه

ص:۴۱۲

مانع اطاعت أو نگردد، و از کسانی که حلول نکند بأو بعد از مرگ و رحلت هیچ حسرت و ندامت و نه اندوه و محنت.

الی هنا انتهی الجزء الرابع من هذه الطبعه البهیه القیمه و ذلک بتصحیح و تهذیب من العبد «السید ابراهیم المیانجی» و وقع الفراغ فی اوایل شهر جمادی الاولی سنه ۱۳۷۹ و یلیه ان شاء الله الجزء الخامس و أوله أول المختار الرابع و الستین و الحمد لله رب العالمین

ص:۴۱۳

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ .ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹


قائمیه
مرکز تحقیقات رایانه ای
اصفهان
www
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹